

سلسلة الرحلة إلى التقلين

(٢٠)

فاسألوا أهل الذكر

تأليف

الدكتور محمد التيجاني السماوي

تحقيق وتعليق

مركز الأبحاث العقائدية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دليل الكتاب

٩	مقدمة المركز
١٣	المقدمه المؤلف للطبعة المحققة
١٥	المقدمة
٢٥	رسالة مفتوحة إلى السيد أبو الحسن الندوي العالم الهندي
٣٩	فاسدُ أئوا أهل (الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)
٤٣	الفصل الأوّل في ما يتعلّق باللحِقِ جلّ جلاله
٤٣	السؤال الأوّل : حول رؤية الله سبحانه وتسميمه
٤٦	تعليق
٤٧	السؤال الثاني : حول العدل الإلهي والجبر
٦٠	قول أهل الذكر في الله تعالى
٦٣	الفصل الثاني : في ما يتعلّق بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم
٦٣	السؤال الثالث حول عصمة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم
١٠٦	قول أهل الذكر في الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
١٠٩	الفصل الثالث : في ما يتعلّق بأهل البيت عليهم السلام
١٠٩	السؤال الرابع : من هم أهل البيت عليهم السلام
١١٩	عائشة في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
١٢٥	أمّ المؤمنين عائشة تشهد على نفسها
١٤٤	عائشة فيما بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

١٥٢.....	موقف عائشة ضدّ عليّ أمير المؤمنين عليه السلام
١٥٥.....	وَقَرْنٌ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ ()
١٦٠.....	أمّ المؤمنين هي القائدة
١٦٣.....	تحذير النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عائشة وفتنتها
١٦٦.....	خاتمة البحث
١٦٧.....	قول أهل الذکر بخصوص أهل البيت عليهم السلام
١٧٣.....	الفصل الرابع : في تعلّق بالصحة عامة
١٨٣.....	القرآن الكريم يكشف حقائق بعض الصحابة
١٩٠.....	السنة النبوية تكشف حقائق بعض الصحابة
٢٠٨.....	الصحابة تجاه أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حياته
٢٢١.....	معاملة الصحابة لأوامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته
٢٢١.....	تضييعهم سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
٢٢٦.....	شهادة أبي ذرّ الغفاري في بعض الصحابة
٢٢٩.....	شهادة التاريخ في الصحابة
٢٤٠.....	قول أهل الذکر بخصوص بعض الصحابة
٢٤٠.....	الفصل الخامس : في ما يتعلّق بالخلفاء الثلاثة : أبو بكر وعمر وعثمان
٢٥٢.....	أبو بكر الصديق في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
٢٥٨.....	أبو بكر بعد حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
٢٥٨.....	تكذيبه للصّديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وغصبه حقّها
٢٦٥.....	فاطمة عليها السلام معصومة بنصّ القرآن

- فاطمة عليها السلام مدة نساء المؤمنين وسيدة نساء هذه الأمة ٢٦٦
- فاطمة الزهراء عليها السلام مدة نساء أهل الجنة ٢٦٧
- فاطمة عليها السلام بضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لرسول غضبها ٢٦٨
- أبو بكر يقتل المسلمين الذين امتنعوا عن إعطائه الزكاة ٢٧٧
- أبو بكر يمنع من كتابة السنة النبوية وكذلك يفعل بعده عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان ٢٨٤
- عمر بن الخطاب يتشدّد أكثر من صاحبه في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويمنع الناس من نقله ٢٨٨
- أبو بكر يسلم الخلافة لصاحبه عمر ويخالف بذلك النصوص الصريحة ٢٩٧
- عمر بن الخطاب يعارض كتاب الله باجتهاده ٣٠٨
- عثمان بن عفان يتبع سنة صاحبه في مخالفة النصوص ٣٢٨
- الفصل السادس : في ما يتعلّق بالخلافة ٣٣٧
- أسئلة وأجوبة لا غيب عنها لكلِّ باحث ٣٤٠
- الفصل السابع : في ما يتعلّق بالحديث الشريف ٣٦٣
- النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٣٦٤
- النبي صلى الله عليه وآله وسلم عاقباً شنيعاً ويمثّل بالمسلمين ٣٦٥
- النبي صلى الله عليه وآله وسلم الجماع ٣٦٨
- الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يفرّج على الرقص ويستمتع للغناء ٣٧٣
- النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشرب النبيذ ٣٧٥
- النبي صلى الله عليه وآله وسلم والابتدال ! ٣٧٥

- الذِّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْتَحِي! ٣٧٦
- الذِّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَكْشِفُ عَوْرَتَهُ! ٣٧٧
- الذِّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَسْهُو فِي صَلَاتِهِ ٣٧٨
- الذِّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَحْلِفُ وَيُحْنَثُ ٣٧٩
- أَعْتَقَتْ عَائِشَةُ أَرْبَعِينَ رَقِيَةً لِتَكْفِّرَ عَنْ يَمِينِهَا ٣٨١
- الذِّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَتَنَازَلُ فِي أَحْكَامِ اللهِ حَسْبَمَا يَرِيدُ ٣٨٣
- الذِّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَطْمَحُ بِمَا كَالصَّبَّاءِ بِيَانٍ وَيَعَاقِبُ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ! ٣٨٨
- الذِّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَسْقُطُ بَعْضُ آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ! ٣٨٩
- الذِّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَتَنَاقِضُ فِي حَدِيثِهِ ٣٩٧
- التَّناقُضُ فِي الْفَضَائِلِ ٤٠٢
- الذِّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَتَنَاقِضُ مَعَ الْعِلْمِ وَالطَّبِّ ٤٠٩
- الفصل الثامن في ما يتعلّق بالصَّحيحين البخاري ومسلم ٤١٥
- البخاري ومسلم يذكران أيَّ شيءٍ لتفضيل أيِّ بكرٍ وعمر ٤٢٠
- البخاري يدلّس الحديث حفاظاً على كرامة عمر بن الخطّاب ٤٢٩
- بعض الأمثلة على تدليس الحديث التي فيها حقائق تكشف عن عمر بن الخطّاب ٤٣٠
- انتقاصُ أهل البيت روايات تعجب البخاري ٤٤٦
- خاتمة البحث ٤٦٨
- مصادر التحقيق ٤٧٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المركز

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين ، حبيب قلوبنا ،
أبي القاسم محمد صلي الله عليه وآله وسلم وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين ، واللعنة
الدائمة الموبدة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين .
نحمدك اللهم ونشكرك أن جعلتنا من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ،
والسائرين على نهجهم القويم والمتبرئين من أعدائهم والناصبين لهم البغض والعداء .
لم يكن من ضمن برنامجنا العلمي في « مركز الأبحاث العقائدية » إعادة طبع الكتب
التي تمّ طبعها ونشرها لعدّة مرّات ، خصوصاً كتب الدكتور التيجاني التي تتنافس في طبعها
ونشرها مراكز علمية كثيرة ومؤسسات ثقافية عديدة ، إذ طبعت طبعات متعدّدة وترجمت إلى
عدّة لغات عالمية .

والذي جعلنا نُقدم على إعادة طباعتها ، وتصحيح الأخطاء المطبعية التي وجدت في
الطبعات السابقة منها بل إصلاح بعض الهفوات العلمية التي وقع فيها المؤلّف ، واستخراج
كافة الأقوال الفقهية وغيرها والأحاديث الشريفة وبيان صفاها التوثيقية . وإن كان هذا العمل
بحدّ ذاته يستحقّ التقدير . هو الإجابة على الشبهات والردود التي أثارها بعض علماء السنّة
حول كتب الدكتور التيجاني الذي وصفوه بشخصية خيالية اختلقها بعض علماء الشيعة

للتشيع على المذهب السني ، فقد جمعنا كتبهم فكانت خمسة كتب هي :
(١) «كشف الجاني محمد د التيجاني لعثمان بن محمد د الخميس والظاهر أزه أوّل
من تصدّى للردّ على الدكتور التيجاني ، إذ أنّ الطبعة الثانية لهذا ، الكتاب صدرت عن
مؤسسة الفجر في لندن سنة ١٤١١ هـ ، والطبعة الثالثة صدرت عن دار الأمل في القاهرة
وكتب عليها «طبعة مزيدة منقّحة» .

وبما أنّ الطبعتين الأولى والثانية كانت عبارة عن كتيب صغير لذلك اضطرّ الخميس
في طبعته الثالثة أن ينقل من كتاب « الانتصار » . الذي يأتي الحديث عنه برقم ٢ . ثلاث
وأربعين صفحة ، وذلك من أجل زيادة صفحات كتابه معلماً بأنّه في كتابه هذا الذي يقع
في مائتين صفحة تقريباً يحاول الردّ على كتب الدكتور التيجاني الأربعة وهي : « ثم اهتديت
« و « فاسألوا أهل الذكر » و « لأكون مع الصادقين » و « الشيعة هم أهل السنة » .

(٢) «الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضلّ» للدكتور إبراهيم بن
عامر الرحيلي ، صدرت طبعته الأولى سنة ١٤١٨ هـ عن مكتبة الغرباء الأثرية في المدينة
المنورة وكان المؤلف ينوي الردّ على كتب الدكتور التيجاني الأربعة التي ذكرناها سابقاً ، إلاّ
أنّ الذي صدر هو القسم الأوّل منه فقط وهو ردّ على كتاب « ثم اهتديت » .

(٣) « منهج أهل البيت في مفهوم المذاهب الإسلامية ، مع دراسة لبعض الكتب
المذهبية وسبل التقريب » لأبي الحسن محيي الدين الحسيني انتهى من تأليفه في الأوّل من
رجب سنة ١٤١٧ هـ ، صدر عن مطبعة المدينة في بغداد وهو ردّ على كتاب الدكتور
التيجاني « لأكون مع الصادقين » فقط .

(٤) «النشاط الشيعي الإمامي أو الاستنساخ العقدي ، التيجاني السماوي نموذجاً

« ، للزبير دحان . صدرت سنة ١٤٢٣ هـ ضمن سلسلة نقد المعتقد

برقم ١ وهو ردّ على كتاب « المراجعات » للسيد عبد الحسين شرف الدين ، وكتب الدكتور التيجاني.

(٥) «هل ضللتَ» لخالد العسقلاني ، صدرت سنة ١٤٢٤ هـ عن دار المحدثين للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية وهو ردّ على كتاب الدكتور التيجاني « ثم اهتديت ».

عملنا في هذا الكتاب

(١) إراءة نصّ الكتاب بشكل دقيق ثمّ تقطيع عباراته إلى عدّة فقرات متناسقة ، واستعمال علامات الترقيم حسبما تقتضيه الطرق الفنيّة لتحقيق الكتب.

(٢) استخراج كلّ ما يحتاج إلى استخراج من آيات قرآنيّة كريمة وأقوال فقهية وكلامية وتاريخية وغيرها ، وأحاديث شريفة ، وأشعار وغيرها، كل ذلك من مصادرها الرئيسيّة.

(٣) بيان صفات الأحاديث الشريفة التي استدلتّ بها المؤلّف ، وتمييز الصحيح عن غيره ، استناداً إلى آراء كبار علماء المسلمين من الفريقين ليوقف القارئ على صحّة كلام المؤلّف وزيف ادّعاء المخالف له.

(٤) إبقاء تعليقات المؤلّف التي كانت في الطبعة السابقة كما كانت ، وتمييزها عن عملنا بإضافة كلمة « المؤلّف » في آخرها.

(٥) إذا ذكر المؤلّف مصدراً أو مصدرين لكلامه أو للقول أو الحديث الذي يستدلّ به فإنّه ما نضيف لها مصادر أخرى معتبرة عند عامّة المسلمين ، ليقف القارئ على حقيقة الأمر.

(٦) قمنا بردّ الشبهات التي أثارها عثمان الخميس في كتابه « كشف

الجاني محمد التيجاني « على هذا الكتاب الذي بين أيدينا زيناً أديباً وقلماً
اطّاعه على التاريخ كيفة محاولته لإضلال الرأي العام بإدعاءات واهية لا أساس لها ، بل
محاولته بتر حديث الدكتور التيجاني ، وهذه مغالطات يلجأ إليها الضعفاء .

كذلك قمنا بردّ الإشكالات التي وجهها أبو الحسن محيي الدين الحسيني في كتابه «
منهج أهل البيت في مفهوم المذاهب الإسلامية» على خصوص هذا الكتاب ، وهي في
عشاكلات واهية تنمّ عن تعصبٍ أعمى بعيداً عن روح النقاش والتفاهم الحرّ الذي
يسعى صاحبه للوصول إلى الحقيقة .

وأشرنا أيضاً إلى المناظرة العقائدية التي جرت سنة ١٤٢٣ هـ في قناة « المستقلة » بين
بعض الوهابية وبعض أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، والذي كان للدكتور التيجاني
دور مهم فيها .

شكر وتقدير

ختاماً فإننا نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير لكافة الإخوة الأعزاء في « مركز الأبحاث
العقائدية » الذين ساهموا في إحياء هذا الأثر وإخراجه بهذه الحلة القشبية ، وأخص بالذكر
السيد هاشم الميلاني الذي ساهم في استخراج بعض المصادر ، والشيخ لؤي المنصوري الذي
أخذ عطلته عملية الاستخراج كاملةً وردّ الشبهات والإشكالات التي وجّهت لهذا
الكتاب ، فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء ، وجعله في ميزان أعمالهم يوم لا ينفع مال ولا بنون
إلاّ من أتى الله بقلب سليم .

دّ الحسنّ ون

مركز الأبحاث العقائدية

مقدمة المؤلف للطبعة المحققة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

أولاً، أتقدم لمركز الأبحاث العقائدية في قم المقدسة . تحت إشراف المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد علي السيستاني أطال الله عمره الشريف في صحة وعافية ليستفيد المسلمون من علومه وبركاته . بالشكر الجزيل، كما وأشكر إدارة المركز وعلى رأسها سماحة السيد جواد الشهرستاني وكذلك الشيخ الجليل فارس الحسن^(*) ، والعاملين معهم في مجال البحث والتحقيق والذين بذلوا وقتاً ثميناً وجهداً كبيراً في دراسة وتنقية كتيبي الأربعة : (ثمّ اهتديت) و (مع الصادقين) كذلك (فاسألوا أهل الذكر) و (الشيعة هم أهل السنة) ، وقد أوقفوني على بعض الهفوات والأغلاط التي لا يخلو منها إلا كتاب التلخيص ح قوله سبحانه وتعالى **وَ (لَوْ**

كتبت^(*) هذه المقدمة حينما كان الشيخ فارس الحسن^(*) حياً ، إلا أنّهُ انتقل إلى رحمة الله تعالى قبل إكمال هذا العمل ، فأخذ أخيراً ليحمد السيد الحسن^(*) حياً على عاتقه إدارة المركز وإكمال أعماله ، فقام بمراجعة هذا الكتاب مراجعة علمية وهيئته للطبع ، فله من الله الأجر والثواب ومنيّ جزيل الشكر والتقدير « المؤلف » .

كَأَنَّ مَرِيحَ عَيْنَيْهِ غَوَّيْرَ جِ اللَّهِ وَإِ فِيهِ إِخْتِلافًا كَثِيرًا (وليكبين لكل كاتب ومؤلف مهما بلغت عنايته أذنه بشر محدود القدرات وفي حاجة إلى المراجعة)، ألفت انتباه القراء الكرام إلى تنقيح بعض المصادر التي وقع فيها الاشتباه إما لسهواً أو لإهمال أو لأغلاط مطبعية، لتكفون الكتب الأربعة المذكورة في حُلْمَةٍ جديدة ومُنقَّحة بدون تغيير المتون ولا تبديل الكلمات.

وهذه الخدمات الجليلة التي يعجز عنها الإنسان بمفرده قام بها مركز الأبحاث العقائدية عبر مجموعة من أعضائه العاملين والمحققين ليكون دائماً عمل الجماعة محموداً أو مقدماً على عمل الأفرافياي أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا جميعاً لخدمة دينه العظيم، ويجعلنا من خَدَمَةِ هذا المذهب الشريف المذهب الحقّ المتمثّل في أتباع محمد وأهل بيته الأطهار، الذين جعلهم الله سبحانه أئمة الهدى ومصابيح الدجى وسفينة النجاة لمن ركبها وإني باسمي واسم حجّتي وأسماء أئمة الهدى وجميع المسلمين نشكر مرة أخرى مركز الأبحاث العقائدية على الجهود التي قام ويقوم بها لإنارة السبيل وهداية الباحثين.

لفقيه لرحمة ربه

الدكتور محمد التيجاني السّماوي

٢ جمادى الأولى / ١٤٢٤

لمقدّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على سيّدنا ومولانا محمّد المبعوث رحمة للعالمين سيّد الأوّلين والآخريين، هـ عن كلّ ما هو مشين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، أعلام الهدى، ومصاييح الدّجى، وأئمة المسلمين.

أمّا بعطف هذه أسئلة أعددتها للمسلمين الباحثين خاصة من أهل السنّة الذين ندون أنّهم وحدهم المتمسّكون بالسنّة النبويّة الصحيحة على صاحبها أفضل الصّلاة وأزكى التسليم وعلى آله الطاهرين، بل ويشدّدون نكيرهم على غيرهم من المسلمين وينبذونهم بالألقاب.

وقد بُعثت في شتّى البلاد الإسلاميّة جمعيات جديدة باسم الدّفاع عن السنّة المحمّديّة، وباسم أنصار السنّة وأنصار الصحوكة تبت كتب عديدة لشتّم وتكفير الشيعة وأئمّتهم والاستهزاء بعلمائهم، جت وسائل الإعلام العالميّة هذه الأفكار في كلّ أقطار العالم الإسلامي وغير الإسلامي، وأصبح حديث الناس اليوم هو «السنّة والشيعة».

وكثيراً ما التقى في المناسبات مع بعض الشباب المثقّف من المسلمين

لأجل ذلك كان واجباً على العلماء والكُتّاب والمفكرين أن يوضّحوا للناس ما أشكل عليهم ، ويهدوهم سواء السبيل^(١)، **أَقْلَبُ تَعَالَى يَنْزِلُ مِنْ سَمَاءٍ أَنْزَلَ لَنَا مِنْ مَعْدِنِ اللَّبِيِّنَاتِ الْبَيْتَانَ الْبَيْتَيْنِ أَوْ لَكَ يَلْمَعُ مِنْهُمُ اللَّهُ وَيَلْمَعُ مِنْهُمُ غُلَّابُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاتَّبَعُوا يَجْزِيهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** (١).

فلماذا لا يتكلّم العلماء ويبحثون في هذا الموضوع بجدّ وإخلاص لوجه الله تعالى؟ وإذا كان سبحانه قد أنزل البيّانات والهدى وإذا كان قد أكمل الدّين وأتمّ النّعمة ، وإذا كان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أدّى الأمانة وبلّغ الرسالة ونصح للأُمَّة ، فلماذا هذه التفرقة والعداوة والبغضاء والتنازع بالألقاب ، وتكفير بعضنا البعض؟! وأنا بدوري أقف وقفة صريحة هنا لأقول لكلّ المسلمين بأنّ لا خِلاص ، ولا نجاة ، ولا وحدة ، ولا سعادة ولا جنّة إلاّ بالرجوع إلى الأصليين الأساسيين : كتاب الله ، وعترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وإلاّ بالركوب في سفينة النجاة ، وهي مركب أهل البيت عليهم السلام.

وليس هذا القول كلاماً من اختراعي ، إنّما هو كلام الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة . إنّ المسلمين اليوم أمام اتجاهين اثنين في طريق الوحدة المنشودة . الأول : هو أن يقبل أهل السنة والجماعة بمذهب أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله ، وهو ما يأخذ به الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ، ويصبح بذلك المذهب الخامس لديهم ، ويتعاملون مع نصوصه الفقهية بالنحو الذي يتعاملون به مع

(١) البقرة : ١٥٩ - ١٦٠ .

المذاهب الإسلامية الأربعة ، فلا ينقصونه ، ولا يبرزون معتنقيه بشيء ، ويتكون للطلبة والمثقفين حرية اختيار المذهب الذي يقتنعون به .

وضمن نفس السياق فإنّ على المسلمين - سنّة وشيعة - القبول بالمذاهب الإسلامية الأخرى كالأباضية والزيدية ووعم أنّ هذا الاتجاه يمثل حلاًّ يوفّر على أمتنا كثيراً من التنافر والتفرقة إلاّ أنّّه لا ينهض إلى مستوى المعالجة الحاسمة للمعضل التاريخي الذي تعيشه منذ قرون .

الاتجاه الثاني هو أن يتوحّد المسلمون كافّة على عقيدة واحدة رسمها كتاب الله ورسوله ، وذلك عن طريق واحد وصراط مستقيم ، وهو اتّباع أئمة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً .

السوّهذ فالمسلمون كافّة سنّة وشيعة متّفقون على أعلميتهم وتقدر مهم في كلّ شيء : من تقوى ، وورع ، وزهد ، وأخلاق ، وعلم ، وعمل ، ويختلف المسلمون في الصحابة ، فليدع المسلمون ما اختلفوا فيه إلى ما اتفقوا عليه ، من باب قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»^(١) .

فتجتمع بؤنّلتلوك الأدد علقى ، قاعدة أساسية هي مدّار كلّ شيء أسّسها صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم في قوله :

تزكّت فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا أبداً ، كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي « صحيح مسلم^(٢) .

(١) وسائل الشيعة ٢٧ : ١٧٣ ح ٣٣٥٢٦ ، سنن الترمذي ٤ : ٧٧ ح ٢٦٣٧ .

(٢) حديث الثقلين حديث صحيح ومتواتر ورد في كثير من المصادر ، ويكثر من الطرق ، وبألفاظ مختلفة : كالثقلين والخليفين لأنّ جميعها تعطي معنى واحداً ، فقد ورد باللفظ الذي ذكره المؤلّف أو ما يقاربه في :

مسند أحمد ٣ : ٢٦

ومستدرك الحاكم ٣ : ١٠٩ وصححه ، وصرح الإمام الذهبي في تلخيص المستدرك بصحته ، والهيثمي في مجمع الزوائد وصرح بوثاقه رجاله ، والجامع الصغير للسيوطي ١ : ٥٣٣ ح ٨٤٧٢ ح محقق الكتاب الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بصحته ، وكتاب السنة لابن أبي عاصم ١ : ٦٤٣ . ٦٤٦ حيث نقله من حديث رقم ١٥٥٤ إلى ١٥٦٣ ، والطحاوي في مشكل الآثار ٢ : ٣٠٧ ، والترمذي في سننه ٢ : ٣٠٨ ، والسنن الكبرى للنسائي ٥ : ٤٥ ح ٨١٤٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٥١ : ٢٢٨ وذكر تصحيح الذهبي له ، وأخرجه الألباني في صحيحته ٤ : ٣٥٥ ح ١٧٦١ وحقق الحديث وأثبت صحته .

وورد الحديث في صحيح مسلم ٧ : ١٢٢ بلفظ : « .أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين ، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، وأهل بيتي؛ أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ... » .

وقد تمسك البعض بهذه الصيغة فقال : إن الحديث الوارث صحيح مسلم أمر فيه بمجبة أهل البيت فقط ولم يؤمر بالتمسك بهم ، وإنما أمرنا بالتمسك بالقرآن ، ولزوم مراعاة أهل البيت عليهم السلام لا غير .

هذا ما لبطون التمسك به للرد على المؤلف وعلى عموم الشيعة الذين يؤمنون بلزوم التمسك بأهل البيت عليهم السلام ، وفي الإجابة على ذلك نقول :

أولاً : إن الحديث . كما أسلفنا ورد بألفاظ مختلفة وصح من طرق متعددة جداً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعلهما (القرآن والعترة) خليفين من بعده ، وجعلهما الهاديين من الضلال والانحراف ، وجعلهما ثقلين ، وأتمهما اللغزاً يهديان إلى دين الله الحق ، وعليه فيكون حديث مسلم بهذا المعنى أيضاً ، وبهذا المحتوى لا غير ، وهذا ما فهمه علماء السنة :

فقد قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم بعد ذكره الحديث : « قال

العلماء بسمّيا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما ، وقيل : لثقل العمل بهما .
وقال الحافظ الزرندي المدني : «سمّاهما ثقلين؛ لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما والمحافظة على رعايتهما ثقيل» نظم
درر السمطين : ٢٣١ .

وقال ابن الأثير : « .إنيّ تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي بسمّاهما ثقلين؛ لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما
ثقل ، ويقال لكلّ شيءٍ خطير نفيس ثقل ، فسمّاهما ثقلين اعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما » النهاية في
غريب الحديث ١ : ٢١١ مادة (ثقل) .

وقال ابن حجر المكيّ في الصواعق : «وقد جاءت الوصية الصريحة بهم في عدّة أحاديث ، منها حديث إبيّ
تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : الثقلين ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من
السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، قال
الترمذي : حسن غريب .. ولم يصب ابن الجوزي في إيراده في العلل المتناهية ، كيف! وفي صحيح مسلم ، وغيره
... « الصواعق المحرقة : ٩٠ .

وقال القرطبي : « قوله : وأنا تارك فيكم ثقلين يعني كتاب الله وأهل بيته ، قال ثعلب سمّاهما ثقلين لأنّ الأخذ
بهما والعمل بهما ثقيل ، والعرب تقول لكلّ شيءٍ خطير نفيس : ثقل » المفهم ٦ : ٣٠٣ .
فإذاً ، علماء السننّ بقغيرهم فهموا من حديث مسلم وغيره أنّّه أمر بالتمسكّ بالكتاب والعترة؛ للروايات
الأخرى ، ولأنّ سمّاهما ثقلين ، وليست المسألة مقتصرة على التذكير بأهل البيت فقط .
وثانياً لو سلّمنا أنّ رواية مسلم ذكرّت بأهل البيت عليهم السلاقط ولم تأمر بالتمسكّ بك بهم ، ولكن بقية
واياظنّ الواردة في غير صحيح مسلم تصرّح بلزوم التمسكّ بك بأهل البيت وأنّه عدل القرآن ، وهي صحيحة وثابتة
، فقد صحّحها كثير من أئمة الحديث كأحمد بن حنبل والهيثمي والحاكم والذهبي وابن كثير والترمذي

والطحاوي والسيوطي والمناوي والألباني وغيرهم ، وعليه فلا يوجد تضارب بين الرواية الواردة في صحيح مسلم وبين بقية الروايات الصحيحة الأخرى بالتمسك بك بأهل البيت عليهم السلام لأن رواية مسلم تذكرنا بأهل البيت ولزوم محبتهم ، والروايات الأخرى أمرتنا مضافاً على ذلك لزوم إتباع أهل البيت عليهم السلام والأخذ عنهم ، وهذا كما لو قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لشخصٍ حُبَّ علياً ، ثمَّ قال له اتبع علياً ، فهذا أيضاً لا تنافي بين القولين؛ لأنَّ الأمر الثاني مشتمل على الأمر الأول وزيادة ، فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم أمرنا بحُبِّ أهل البيت ، وأمرنا بإتباع أهل البيت عليهم السلام وعليه فيكون الأمر الثاني شاملاً للأمر الأوَّل وزيادة ، ويجب العمل به عند العلماء ، وهذا يعرفه أصغر الطلبة فضلاً عن العلماء .

وإن احتجَّ أحدٌ بأننا نتمسك بك برواية مسلم ونطرح بقية الروايات الواردة في غير صحيح مسلم .

قلنا : هذا خطأ كبير وطعن في بقية الروايات والمصادر المخرجة لها ، وهذا من الجهل الفظيع ، قال الشيخ الألباني في صحيحته ١ : ٨٥١ ح ٧٤٤ و ٧٤٥ على سعيد الأفغاني في تضعيفه لحديث « أيتكن تنبح عليها كلاب الحوَّاب » قال يظنُّ الأستاذ الصديق أنَّ إهمال أصحاب الصحاح لحديث ما إنَّما هو لعلَّةٌ ، فوهذا خطأ بينٌ عند كلِّ من قرأ شيئاً من المصطلح وتراجم أصحاب الصحاح ، فإنَّهم لم يتعمَّ دوا جمع كلِّ ما صحَّ عندهم في صحاحهم ، والإسلام منهم قد صرَّح بذلك في صحيحه كتاب الصلاة ، وما أكثر الأحاديث التي ينصُّ الإمام البخاري على صحتها أو حسنها ممَّا يذكره الترمذي عنه في سننه ، وهو لم يخرجها في صحيحه .
فإذاً ، عدم ذكر مسلم للحديث بلفظ التمسك بك بهما لا يعني عدم صحته ، كما أوضح الشيخ الألباني ذلك .
وثالثاً : هناك قاعدة معروفة في علم الحديث لا تخفى على طالب علم ابتدأ

وإذا كان هذا الحديث صحيحاً عند الطرفين ، بل عند كلِّ المسلمين على اختلاف مذاهبهم ، فما بال قسم من المسلمين لا يعمل به؟ ولو عمل المسلمون كافة بهذا الحديث لنشأت بينهم وحدة إسلامية قوية لا تززعها الرياح ، ولا تهدها العواصف ، ولا يبطلها الإعلام ، ولا يفشلها أعداء الإسلام.

وحسب اعتقادي أنّ هذا هو الحلُّ الوحيد لخلاص المسلمين ونجاتهم ، وما سواه باطل وزخرف من القول والمنتبّع للقرآن والسنة النبوية ، والمطلّع على التاريخ والمتدبر فيه بعقله يوافقني بلا شكّ على هذا.

أمّا إذا فشل الاتجاه الأوّل وهو فاشل من أوّل يوم فارق فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحياة ، حيث اختلف الصحابة وتسبب ذلك في انقسام الأمة وتمزيقها ، وحيث فشلت الأمة عبر قرون في الرجوع إلى الاتجاه الثاني ، وهو الاعتصام بالكتاب والعترة لما بثته وسائل الإعلام قديماً في العهدين الأموي والعباسي ، وحدثاً في عصرنا الحاضر من تشويه وتضليل وتكفير لأتباع أهل البيت النبوي ، فلم يبق أمامنا حينئذ إلاّ المواجهة بصراحة ،

الدراسة في الأزهر أو غيره؛ لأنّ زيادة الثقة حجّة ويؤخذ بها ، والرواية التي في مسلم أمرتنا بالتمسك بالكتاب فقط . على فرض تسليم ذلك . ، وذكرنا بأهل البيت ، ولكن للروايات الأخرى التي رواها الثقات . وهي كثيرة جداً وصحيحة . ذكرت لزوم التمسك بأهل البيت عليهم السلام مع الكتاب ، وهذه زيادة من ثقات فيجب الأخذ بها ، وبالتالي ينتج لزوم التمسك بأهل البيت عليهم السلام إلى جنب القرآن الكريم . ومن هذا يتضح أنّ ما ذكره صاحب كتاب كشف الجاني في ص ٢٧٥ هو إلاّ ترهات فكرية مخالفة لأبسط قاعدة حثية يعرفها صبية الأزهر الشريف فضلا عن علمائه الأجلاء ، وما حاوله في كتابه ناشئ من الجهل بما ذكرناه.

وإظهار الحق لكل من يرغب فيه بمتوخّين في ذلك أسلوب القرآن الكريم؛ إذ يتحدث فيقول
قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١).

والبرهان والحجّة لا يُفرضان بالقوّة ولا بالأموال ، ولا يطرحان بوسائل الترغيب
والترهيب عند الأحرار الذين باعوا أنفسهم لله وحده ولم ولن يرضوا بديلاً للحق ، ولو
كلّفهم ذلك إزهاق النفوس.

فيكلم علماء الأمّة اليوم يعتقدون مؤقراً لبحثوا فيه هذه المسائل بقلوب متفتحة ،
وعقول واعية ، ونفوس صافية ويخدمون بذلك الأمّة الإسلامية يعملون على لمّ شتاتها ،
وتضميد جراحاتها ، وتوحيد صفوفها ، وجمع كلمتها.

إنّ هذه الوحدة قادمة لا محالة أحبّوا أمّ كرهلأبّ الله سبحانه رصد لها إمّاماً من
ذريّة المصطفى سيملوها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، وهذا الإمام هو من العترة
الطاهرة، الله سبحانه جلّت حكمته يمتحن هذه الأمّة طيلة حياتها ، حتى إذا قرب
أجلها كشف لها عن خطأ اختيارها ، وأعطاها فرطاً تلجوع إلى الحق ، واتباع النهج الأصيل
الذي دعا إليه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، الذي كان يقول اللهمّ أهد قومي
فإنهم لا يعلمون (٢).

وإلى أن يحين ذلك الوقت أقدم كتابي هذا « فاسألوا أهل الذكر » ، وهو جملة من
الأسئلة مع الإجابة عليها من خلال مؤلف وتعاليم أئمّة أهل البيت سلام الله عليهم ،
عسى أن يستفيد منها المسلمون في كل البلاد

(١) البقرة : ١١١ .

(٢) الشفا للقااضي عياض ١ : ١٠٥ ، الدر المنثور ٢ : ٢٩٨ ، تفسير ابن كثير ٣ : ٥٧٥ .

الإسلامية ، ويعملوا على تقريب وجهات النظر للإعداد للوحدة المنشودة.
وما توفيقى إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيبُ . اشرح لي صدري ويسّر لي أمري
، وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي .
أسأله سبحانه وتعالى أن يتقبّل عملي ، ويجعل فيه الخير والبركة فما هو إلا لبنةً
واحدة لبناء رباط الوحدة.

أقول هذا لأنّ المسلمين اليوم ما زالوا بعيدين عن أبسط حقوق الإنسان ، والتعامل
بالحسنى مع بعضهم البعض لمستُ ذلك بنفسى خلال رحلاتى وزياراتى الكثيرة في البلدان
الإسلامية أو البلدان التي فيها مسلمون. وآخرها عهداً في القارة الهندية التي يسكنها أكثر
من مائتي مليون مسلم ، ربعم شيعة وثلاثة أرباعهم من السنّة وقد سمعتُ عنهم الكثير ،
ولكن ما شاهدته يبعث فعلاً على الدهشة والحيرة والخوف، تأسّفتُ وبكيتُ على
مصير هذه الأممّوكاد اليأس يدبُّ إلى قلبي لولا الرّجاء والأمل والإيمان.
وفور رجوعي من الهند أرسلتُ رسالة مفتوحة إلى العالم الهندي الذي يرجع إليه أهل
السنّة والجماعة في تلك القارّة ، وهو أبو الحسن الندوي بوعدته بنشرها مع الردّ عليها ،
ولكن لم أتلقَ الردّ عليها حتى الآنوإنيّ أنشرها في مقدّمة هذا الكتاب كما هي لتكون
وثيقة تاريخية تشهد لنا عند الله وعند النّاس بأنّنا من دعاة الوحدة.

الدكتور محمد التيجاني السماوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله الطاهرين

رسالة مفتوحة إلى السيد أبو الحسن الندوي العالم الهندي

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد :

أنا محمد التيجاني السماوي التونسي الذي من الله عليه بالهداية والتوفيق ، فاعتنق مذهب أهل البيت النبوي بعد بحث طويل وبعدما كنت مالكياً ومن أتباع الطريقة الصوفية المشهورة في شمال إفريقيا وهي التيجانية، ثم اهتمت بالحق من خلال رحلة موفقة إلى علماء الشيعة وكتبت في ذلك كتاباً أسميته «ثم اهتديت» ، ثم طبعه عندكم في الهند من طرف المجمع العلمي الإسلامي بعدة لغات وبالمناسبة دُعيت لزيارة الهند.

سيددي العزيز قدمت إلى الهند في زيارة قصيرة ، وكان أمني أن ألتقي بحضرتكم لما أسمع عنكم ولما أعلمه بأنكم المشار إليه بين أهل السنة والجماعة عندكم ، ولكن عاقبي عن ذلك بعد المسافة وضيق الوقت واكتفيت بزيارة مدينة بومباي ، وبونة ، وجبل بور ، وبعض المدن الأخرى في كوجراتي ، وتألّمت كثيراً لما شاهدته في الهند من عداوة وبغضاء بين أهل السنة والجماعة وإخوانهم المسلمين من الشيعة.

وقد كنت أسمع بأنهم يتحاربون ويتقاتلون أحياناً ، وتُسفك دماء بريئة

من الطرفين باسم الإسلام.

ولم أكن أصدّق معتقداً بأزّه مبالغة في التشويه ولكنّ ما شاهدته وما سمعته من خلال زيارتي يبعث حقاً على الحيرة والاستغراب ولقيقتُ بأنّ هناك نوايا خسيصة ومؤامرات خطيرة تحاك ضدّ الإسلام وللمسلمين للقضاء عليهم جميعاً سنة وشيعة.

ومّا زاد يقيني وضوحاً وعلمي رسوخاً تلك المقابلة التي دارت بيني وبين مجموعة من علماء أهل السنّة، يتقدّمهم الشيخ عزيز الرحمن مفتي الجماعة الإسلامية، وكان اللقاء في مسجدهم بيومباي وبدعوة منهم.

وما أن حللتُ بينهم حتى بدأ الأزدراء والتهمكّم والسبُّ واللّعنُ لشيعة آل البيت، وقد أرادوا بذلك استفزازي وإثاري لعلمهم مسبقاً بأنّي قد ألّفتُ كتاباً يدعو للتّمسك بمذهب أهل البيت سلام الله عليهم.

ولكننيّ فهمتُ قصدهم وتمالكتُ أعصابي وابتسمتُ لهم قائلاً: أنا ضيف عندكم وأنّهم الفخوةموني فجنّتكم مٌسرعاً مٌلبياً فهل دعوتموني لتسبّوني وتشتّموني؟ وهل هذه هي الأخلاق التي علّمكم إيّاها الإسلام؟ فأجابوني بكلّ صلافة بأنّي لم أكن يوماً في حياتي مسلماً؛ لأنني شيعي، والشيعه ليسوا من الإسلام في شيء، وأقسموا على ذلك.

قلتُ: اتّقوا الله يا إخوتي فربّنا واحد ونبيّنا واحد، وكتابتنا واحد، وقبلتنا واحدة والشيعه يوحّدون الله ويعملون بالإسلام اقتداءً بالنبي وأهل بيته، وهم يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة ويحجّون بيت الله الحرام، فكيف يجوز لكم تكفيرهم؟!

أجابوني: أنتم لا تؤمنون بالقرآن، أنتم منافقون تعملون بالتقية، وإمامكم

قال : « التقيت ديني ودين آبائي » وأنتم فرقة يهودية أسسها عبد الله بن سبأ اليهودي .
قلت لهم مبتسماً : دعونا من الشيعة وتكلموا معي أنا شخصياً فقد كنت مالِكياً
مثلكم فتنعت بعد بحث طويل بأن أهل البيت هم أحق وأولى بالاتباع ، فهل عندكم
حجّة تجادلوني بها أو تسألوني ما هو دليلي وحجتي عسى أن نفهم بعضنا بعضاً ؟
قالوا : أهل البيت هم نساء النبي وأنت لا تعرف من القرآن شيئاً .
قلت فإن صحيح البخاري وصحيح مسلم يُفيدان غير ما ذكرتم !
قالوا كل ما في البخاري ومسلكهم السنة الأخرى من حجج تحتجون بها هي
من وضع الشيعة دسوها في كتبنا .

أجبتهم ضاحكاً : إذا كان الشيعة وصلوا للدس في كتبكم وفي صحاحكم فلا عبرة
ولا قيمة لها ، ولا لمذهبكم القائم عليها !! فسكتوا وأفطكول ، أحدهم عمداً إلى التهريج
والإثارة من جديد فقال : من لا يؤمن بخلافة الخلفاء الراشدين نسي دننا أبي بكر وسيدنا
عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي وسيدنا معاوية وسيدنا يزيد رضي الله عنه وأرضاه ، فليس
بمسلم !

ودهشت لهذا الكلام الذي ما سمعتُ مثله في حياتي ، وهو تكفير من لا يعتقد
بخلافة معاوية وابنه يزيد وقلت في نفسي : معقول أن يترضى المسلمون على أبي بكر وعمر
وعثمان فهذا أمرٌ طبيعي أهـ ما على يزيد فلم أسمع ذلك إلا في الهند والتفت إليهم جميعاً
أسأهم : أتوافقون هذا على رأيه ! فأجابوا كلهم : نعم .
وعند ذلك عرفتُ بأن لا فائدة في مواصلة الكلام ، عفتُ بأنهم إنما

يريدون إثارتي حتى ينتقموا مني وربما يقتلونني بدعوى سب الصحابة فمن يدري؟
ورأيتُ في أعينهم شرًّا وطلبتُ من مرافقي الذي جاء بي إليهم أن يُخرجني فوراً ،
فأخرجني وهو يتحسّر ويعتذر إلى علي ما وقع.

وهذا الشخص البريء الذي كان يرمي من واه هذا اللقاء أن يتعرّف على الحقيقة هو
الشاب المهذب شرف الدين ، صاحب المكتبة والمطبعة الإسلامية في بومباي ، فهو شاهد
على كل ما دار بيننا من هذه المحاور المذكور، يُخبرني استيائه من هؤلاء الذين كان يعتقد
بأنهم من أكبر العلماء.

وغادرتهم وأنا ساخط متأسّف على ما وصلت إليه حالة المسلمين ، وخصوصاً الذين
يتزعّمون مراكز الصدارة ويتسمّون بالعلماء وقلتُ في نفسي : إذا كان العلماء بهذه الدرجة
من التعصّب الأعمى فكيف يكون عامة الناس وجهّالهم؟!!

وعرفتُ عندئذ كيف كانت تقوم المعارك والحروب التي تسفك فيها الدماء مجرّمة ،
وتهتكت فيها الأعراض والحُرّمات باسم الدفاع عن الإسلام وبكيتُ على مصير هذه الأمة
التّعيسة المنكوبة التي حمّلها الله سبحانه مسؤولية الهداية وحمّلها رسول الله
صلّى الله عليه وآله وسلم أيضاً مسؤولية إيصال النور إلى القلوب المظلمة ، فإذا بها تصبح
بمحجة إلى بصيص من النور .

وفي وقت يكون فيه في الهند وحدها سبعمائة مليون نسمة يعبدون غير الله تعالى ،
ويقدّسون البقر والأصنام والأوثان وبدلاً من أن تتوحّد جهود المسلمين لهدايتهم وإرشادهم
وإخراجهم من الظلمات إلى النور حتى

يُسلموا لربِّ العالمين ،نرى أن المسلمين اليوم وخصوصاً في الهند هم بحاجة إلى الهداية والتصحيح.

لهذا سيّدي أرفع كتابي إليكم داعياً إياكم باسم الله الرحمن الرحيم ، وباسم رسوله الكريم ، وباسم الإسلام العظيم **عَلَيْهِ سَلَامٌ** : **(لِلَّهِ جَمْعٌ يَبْعاً وَلا تَفْرَقُوا)** (١) أدعوكم أن تفقوا وقفه المسلم الشجاع الذي لا يخشى في الله لومة لائم ، ولا تأخذه العصبية ولا الطائفية إلى حيث يجب الشيطان وأولياءه.

أدعوكم لوقفه مخلصه وصريحة فأنتم من الذين حمّلهم الله المسؤولية مادمتم تتكلمون باسم الإسلام في تلك الربوع ، فلا يرضى الله منكم تفقوا وقفه المتفرّج الراضي بما يقع هنا وهناك من مآس ، يدفع ثمنها الأبرياء من المسلمين سنة وشيعة ، والله سائلكم يوم القيامة عن كل صغيرة وكبيرة ومحاسبكم عن كل شاردة وواردة؛ لأنّه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون.

فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم ومادمتم تتزعّمون علماء الهند فمسؤوليتكم عظمت لا شك فيها ، وكلمة منكم قد يكون فيها صلاح الأمة في الهند، كما قد يكون فيها هلاك الحرث والنسل ، فاتقوا الله يا أولي الألباب!

وبما أن الله سبحانه أعطى للعلماء المرتبة الأولى بعد الملائكة فقال عزّ

(١) آل عمران : ١٠٣ .

شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ مُلْكٌ لِّإِلَهِ (هُوَ) وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ (١).
وإذا كان سبحانه يأمونا أجمعاً بقولهم: (نَ بِالْقِسْطِ وَسَلَامًا وَمَا يَزِيدُ) (٢).

ولذلك كلّفنا رُوحاً يذهبون إلى ضرورة إقامة العدل في الموازين المادية ذات القيمة المحدودة فما بالكم بإقامة العدل في القضايا العقائدية التي تتأرجح بين الحقّ والباطل ، وتتوقّف عليها هداية البشرية ، ونجاة الإنسانية بأسرها؟!

وَإِذَا ظَلَّ اللَّهُ تَعَالَى: بِ(بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) (٣).
يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (٤).

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «قل الحقّ ولو على نفسك» (٥) ،
قل الحقّ ولو كان مرّاً» (٦).

سيّدني العزيز ، إلى كتاب الله أدعوكم ، وإلى سنّة رسوله أدعوكم ، فقولوها صريحة
مُذَوِّبَةً ولو كانت مرّة تكون لكم شهادة عند الله ، برّبّك هل الشيعة عندكم غير مسلمين؟

(١) آل عمران : ١٨ .

(٢) الرحمن : ٩ .

(٣) النساء : ٥٨ .

(٤) ص : ٢٦ .

(٥) البحار ٧٤ : ١٧١ .

(٦) صحيح ابن حبان ٢ : ٧٩ ، الجامع الصغير للسيوطي ١ : ٤٢٨ ح ٢٧٩٣ .

معتقلون حقاً أنهم كفّار؟ هل أتباع أهل البيت النبوي الذين يوحّدون الله ،
ويعظّمونه أكثر من كلّ الفرق . لقولهم بتزيهه عن المشابهة والمشاكله والتجسيم . ويؤمنون
برسوله محمدٌ صلّى الله عليه وآله وسلم ويعظّمونه أكثر من كلّ الفرق . لقولهم بعصمته
المطلقة حتى قبل البعثة . هل هؤلاء تحكمون بكفرهم؟

هل الذين يتولّون الله ورسوله والذين آمنوا ، ويهوون هي عترة النبي ويوالونهم ، كما
عرّفهم ابن منظور في « لسان العرب » في مادة « شيعة » ، فهل تقولون أنتم بأنكم غير
مسلمين؟

هل هؤلاء الشيعة الذين يُقيمون الصلاة كأفضل قيام ، ويؤتون الزكاة ، ويزيدون عليها
خمس أموالهم طاعة لله ورسوله ، ويصومون رمضان وغيره من الأيام ويحجّون البيت ،
ويعظّمون شعائر الله ، ويحترمون أولياء الله ، ويتبرؤون من أعداء الله وأعداء الإسلام ، هل
هؤلاء عندكم مشركون؟

هل لذين يقولون بإمامة اثني عشر إماماً من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم
الرجس وطهّرهم تطهيراً وقد نصّ عليهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم كما أخرج
ذلك البخاري ومسلم وغيرهما من صحاح أهل السنة^(١) ، هل هؤلاء عندكم مارقين عن
الإسلام؟

هل كان المسلمون يوماً يجهلون الإمامة ولا يقرّون بها ، سواء كان ذلك في حياة
الرسول أو بعد وفاته ، حتى نلصق نظرية الإمامة ومبادئها بالفرس والمجوس؟

(١) يقصد حديث « الخلفاء الاثني عشر » الوارد في صحيح البخاري ٨ : ١٢٧ ، كتاب الأحكام باب ٥٢ ،
صحيح مسلم ٦ : ٣ كتاب الامارة باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش .

وهل تقولون فعلاً بكفر من لا يعترف بإمامة يزيد بن معاوية الذي عرف فسقه الخاص^١
وطلام^٢ من المسلمين ويكفي يزيد حسنة وسقوطاً ما أجمع عليه المسلمون من إباحته المدينة
المنورة لجيشه وجنده يفعلون فيها ما يشاؤون لأخذ البيعة له بالقهر على أنهم له عبيد ، فقتلوا
عشرة آلاف من خيرة الصحابة والتابعين ، وهتكوا فيها أعراض المحصنات من النساء
ولتفتيل سلمات حتى^٣ ولدن من سفاح ما لا يحصي عدده إلا الله .

ويكفيه عاراً وشناراً وخزياً مدى الدهر قتله سيد شباب أهل الجنة ، وسبيه بنات
الرسول ، وضربه ثنايا الحسين بقضيبه ، وتمثله بالأبيات المعروفة :

« ليت أشياخي بيدر شهدوا » إلى قوله : « لعبت هاشم بالملك خبير^٤ جاء ولا

وحي نزل^٥ .»

وهو صريح بأنه لا يؤمن بنبوته محمد ولا بالقرآن الكريم فهل حقاً توافقون على
تكفير من تبرأ من يزيد وأبيه معاوية الذي كان يلعن علياً ويأمر بلعنه ويقتل كل من
امتنع عن ذلك من خيرة الصحابة كما فعل مع حجر بن عدي الكندي وأصحابه ، وسنّها
سنة متبعة دامت سبعون عاماً ، وهو يعلم قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « من
سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله^(١) .» كما أخرج ذلك صحاح أهل السنة .

(١) المستدرک للحاکم ٣ : ١٢١ ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرک ، الجامع الصغير للسيوطي ٢ : ٦٠٨ ح
٨٧٣٦ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٥٣٣ ، وفي مسند أحمد ٦ : ٣٢٣ صدر الحديث فقط ، وقال الهيثمي في مجمع
الزوائد ٩ : ١٣٠ : « رواه

إضافة إلى ما قام به من أعمال تتنافى مع الإسلام ، وقتله الأبرياء والصلحاء من أجل أخذ البيعة لابنه يزيد بالقهر والقوّة ، وقتله الحسن بن علي عن طريق جعدة بنت الأشعث ، إلى جرائم أخرى كثيرة يذكرها له التاريخ عند أهل السنّة ، كما يشهد له بها شيعة علي .
 فما أظنّكم سيّدي توافقون على كلّ ذلك ، وإلاّ فعلى الإسلام السّلام ، وعلى الدنيا العفا ، وعندها لا يبقى بعد ذلك مقاييس ولا عقل ، ولا شرع ، ولا منطق ، ولا دليل ،
 والله **يَلْبَحَائِبُهُ وَيَتَلَلُّهُ يَقُولُ : آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** (١) .
 ولقد صدق والله عالم الباكستان المغفور له أبو الأعلى المودودي (رحمه الله)

أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي عبد الله الجدلي وهو ثقة .»

وقال الشيخ الألباني في صحيحته المجلد السابع القسم الثاني : ٩٩٦ ح ٣٣٣٢ : « (كان يحب علياً)
 أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٦ : ٣٨٩ / ٥٨٢٨ ، والمعجم الصغير ١١٩ هـنديتحت ثنا محمد بن الحسن
 أبو حصين القاضي ، قال بحد ثنا عون بن سلام ، قال : حدثنا عيسى بن عبد الرحمن السلمي عن السدي عن
 أبي عبد الله الجدلي قال : قالت لي أم سلمة أي سب رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** بينكم على
 المنابر؟! »

قلت سبّحان الله ، وأنى يسبّ رسول الله؟! »

قال تليّس يسب علي بن أبي طالب ومن يجبهه ؛ وأشهد أنّ رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم**
 كان يجبهه .» :

وقال الطبراني : لم يروه عن السدي إلاّ عيسى .

قلت : ومن طريقه أخرج أبو يعلى في مسنده ١٢ : ٤٤٤ / ٤٤٥ ، والطبراني أيضاً في المعجم الكبير

٢٣ : ٣٢٣ / ٧٣٨ من طرق أخرى عن عيسى به .

قلت وهذا إسناد جيّد رجاله كلّهم ثقات .. « انتهى كلام الألباني .

(١) التوبة : ١١٩ .

عندما ذكر في كتابه المسمّى بـ « الخلافة والملك » في صفحة ١٠٦ نقلاً عن الحسن البصري قوله :

- ١ . أربع خصال كنّ في معاوية لو لم تكن له إلاّ واحدة لكانت موبقة له :
- ٢ . استخلافه بعده ابنه السكير الخمير الذي يلبس الحرير ويضرب الطناوير .
- ٣ . إدّ عاؤه زياداً ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » .
- ٤ . قتله حجراً وأصحاب حجر ، فيا ويلا له من حجر وأصحاب حجر (أعادها ثلاثاً)^(١) .

رحم الله أبا الأعلى المودودي الذي صدع بالحقّ ولو شاء لزداد فوق هذه الخصال لأربع أربعين ، ولكنّه رحمه الله رأى أنّ في ذلك كفاية لتكون موبقة لمعاوية ، والمعروف أنّ كلمة موبقة معناه (توبق في النار) .

ولعلّ المودودي كان يراعي عواطف النّاس الذين تعلّموا من أسلافهم تقديس معاوية واحترامه والترضّي عليه ، بل وحتىّ على ابنه يزيد أيضاً كما سمعت ذلك بنفسني من علمائكم في الهند ، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم .

(١) وانظر : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ٢٦٣ عن الموفقيات للزبير بن بكار ، تاريخ الطبري ٤ : ٢٠٨ .

ولكل ذلك راعيتُ أنا أيضاً عواطف أولئك الذين دعوني ليستفتزّوني ، فلم أذكر لهم شيئاً من ذلك خوفاً على نفسي.

فأنا أهيب بكم سيدي أن تقفوا وقفة صريحة تبغون بها وجه الله تعالى ، فإن الله لا يستحيي من الحق ، ولا طلب منكم الاعتراف بمساوي هؤلاء ولا بنشر فضائهم ، فالتاريخ كفانا وإياكم مؤونة ذلك ، ولكن المطلوب منكم أن تعترفوا وتعلموا أتباعكم بأن الذين لا يعترفون بإمامة هؤلاء ولا يوالوهم ، هم مسلمون حقيقيون جديرون بالاحترام وليس في ذلك شك ، أن تقولوا بأن الشيعة مظلومون على مر التاريخ لأنهم لم يتبعوا ولم يعترفوا بإمامة الشجرة الملعونة التي ضربها الله مثلاً في القرآن.

فما هو ذنب الشيعة بربكم ، إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمر المسلمين باتّباع أهل بيته من بعده حتى جعلهم كسفينة نوح ينجو من يركب فيها ويهلك من يتخلّف عنها؟! وما ذنب الشيعة إذا امتثلوا لأمر الرسول بقوله : « تركت فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً » كما تشهد بذلك صحاح السنّة فضلاً عن كتب الشيعة!؟

وبدلاً من شكرهم وتقديمهم وتفضيلهم على غيرهم لامثالهم أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شتمهم ونكفّرهم وتبرأ منهم ، فما هذا بإنصاف ولا هو معقول!!

دعونا سيدي من أقوال التخريف والتزييف التي لم تعدّ تقوم على دليل وبرهان ، ولم تعدّ تنطلي على المثقّفين من أبناء أمّتنا ، من أنّ الشيعة لهم قرآن خاصّ بهم ، أو أنّهم يقولون بأنّ صاحب الرسالة هو علي ، أو أنّ عبد

الله بن سبأ اليهودي هو مؤسس التشيع... إلى غير ذلك من الأقوال السخيفة المعرّضة التي يشهد الله أنّها من خيال أعداء الإسلام وأعداء أهل البيت وشيعتهم ، والتي ما أوجدها إلاّ التعصّب الأعمى والجهل المقيت.

وأنا سأل سيّدنا العزیز : أين علماء الهند من علماء الأزهر الشريف الذين أفتوا بجواز عبادة مذهب الشيعة الإمامية منذ ثلاثين عاماً؟ ومن علماء الأزهر الأعلام من يرى بأنّ الفقه الجعفري الذي تعمل به الشيعة هو أشمل وأثرى وأقرب إلى روح الإسلام من المذاهب الإسلامية الأخرى التي هي عيالٌ عليه ، وعلى رأس هؤلاء فضيلة الشيخ محمود شلتوت رحمه الله الذي ترأس الأزهر في حياته ، فهل أمثال هؤلاء العلماء لا يعرفون الإسلام والمسلمين؟ أم أنّ علماء الهند أعلم منهم وأعرف؟ فما أظنّكم تقولون بذلك...!!

سيّدنا الكريم أملي فيكم وطيد ، وقليل فيكم مفتوح بالمحبّة والشفقة والحنان ، وقد كنتُ فيما مضى مثلكم محجوب عن الحقيقة وعن أهل البيت وشيعتهم ، فهداني الله سبحانه إلى الحقّ الذي ليس بعده إلاّ الضلال ، وتحررتُ من قيود التعصّب والتقليد الأعمى ، وعرفتُ بأنّ أغلب المسلمين لا زالت تحجبهم الإشاعات والأباطيل ، وتصدّهم الدعايات عن الوصول إلى الحقيقة ليركبوا جميعاً في سفينة النجاة ، ويعتصموا بحبل الله المتين . فليس هناك . كما تعلمون . بين السنّة والشيعة فرقٌ إلاّ فيما اختلفوا فيه بعد الرسول من أجل الخلافة ، وأساس الفرقة هو اعتقادهم في الصحابة ، والصحابة رضوان الله عليهم اختلفوا فيما بينهم حتىّ لعنوا بعضهم ، بل

وتحاربوا ، وقتل بعضهم بعضاً .

فإن يكن الاختلاف فيهم خروجاً عن الإسلام ، فالصحابه هم أولى بهذه التهمة والعياذ بالله ، ولا أعتقد بأنكم ترضون بذلك. والإنصاف يدعوكم أن لا ترضوا بإخراج الشيعة عن الإسلام ، وكما دأب الشيعة على تقديس أهل البيت واحترامهم ، كذلك دأب السنة على احترام الصحابة وتقديسهم أجمعين ، وشئت أن بين الموقفين.

فإذا كان الشيعة في ذلك محطئين فأهل السنة أولى بالخطأ؛ لأن الصحابة بأجمعهم يقدّمون على أنفسهم أهل البيت ، ويصلّون عليهم كصلاتهم لمحي النبي ، ولم نعرف أحداً من العبادة رضوان الله عليهم قدّم نفسه أو فضّل لها على أهل بيت المصطفى في علم أو في عمل.

فالوقتُ قد حان لرفع المظلمة التاريخية عن شيعة أهل البيت ، والتقارب معهم والتآخي والتعاون على البرِّ والتقوى ، ويكفي هذه الأمة إراقة الدِّماء وإثارة الفتن. سفعي الله سبحانه يجمع بكم الكلمة ، ويلمّ بكم الشتات ، ويرتق بكم الفتق ، مداوي بكم هذه الجراح ، ويخمد بكم نار الفتنة ، ويخزي بكم الشيطان وحزبه ، فتكونون عند الله من الفائزين ، خصوصاً وأنكم من سلالة العترة الطاهرة على ما أسمع ، فاعملوا على أن تحشروا معهم.

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً (وَاحِدَةً) وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (قُلِ) (الْعَمَلِ) (لَوْ أَفْسَسَ يَرَى اللَّهُ

(١) الأنبياء : ٩٢ .

عَمَّا لَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ (١).

وفّقكم الله وإيانا لما فيه خير البلاد والعباد ، وجعلكم الله وإيانا من العاملين المخلصين

لوجهه الكريم.

أبعث لسيادتكم وبصحبة هذه الرسالة نسخة من كتاب «ثمّ اهتديت» للذي ألفتُه

بخصوص هذا الموضوع ، هدية مني إليكم عسى أن يجدَ لديكم القبول.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

المخلص

مهّد التيجاني السماوي التونسي

(١) التوبة : ١٠٥ .

فاسءُ أُلُوا أهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١)

إنَّ هذه الآية الكريمة تأمر المسلمين بالرَّجوع إلى أهل الذكر في كلِّ ما أشكل عليهم حتىَّ يعرفوا وجه الصواب لأنَّ الله رشَّحهم لذلك بعدما علَّمهم ، فهم الرَّاسخون في العلم الذين يعلمون تأويل القرآن.

وقد نزلت هذه الآية لتعرِّف بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم ، وهم محمدٌ ، وعليه ، وفاطمة ، والحسين ، وذلك في عهد النبوة ، أمَّا ما بعد النبي وحتىَّ قيام الساعة فهم هؤلاء الخمسة المذكورين أصعبا الكساء ، يضاف إليهم الأئمة التسعة من ذرية الحسين الذين عيَّنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في عدَّة مناسبات ، وسمَّاهم أئمة الهدى ، ومصاييح الدجى ، وأهل الذكر ، والراسخون في العلم الذين أورثهم الله سبحانه علم الكتاب.

وهذه الروايات ثابتة صحيحة ومتواترة عند الشيعة منذ عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قد أخرجها بعض علماء أهل السنة ومفسِّروهم ، معترفين بنزولها في أهل البيت عليهم الصلوة والسلام ، أذكر من هؤلاء على سبيل المثال :

١. الإمام الثعلبي في تفسيره الكبير في معنى هذه الآية من سورة النحل.

٢. « تفسير القرآن » لابن كثير في جزئه الثاني الصفحة ٥٧٠.

(١) الأنبياء : ٧.

٣- « تفسير الطبري » في جزئه الرابع عشر الصفحة ١٠٩ .
٤ تفسير الألوسي المسمّى « روح المعاني » في جزئه الرابع عشر الصفحة ١٣٤ .
٥ « تفسير القرطبي » في جزئه الحادي عشر الصفحة ٢٧٢ .
٦ تفسير الحاكم المسمّى « شواهد التنزيل في جزئه الأوّل الصفحة ٣٣٤ .
٧ « حقائق الحق » في جزئه الثالث الصفحة ٤٨٢ . [وقد أورد نزول الآية في أهل البيت عن مصادر أهل السنّة] .

٨- « ينابيع المودّة » للقندوزي الحنفي الصفحة ٥١ و ١٤٠ .
ولمّا كان أهل الذكر في ظاهر الآية هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، كان لزاماً علينا أن نوضّح بأنّهم ليسوا المقصودين من الآية الكريمة .
أولاً لأنّ القرآن الكريم ذكر في العديد من الآيات بأنّهم حرّفوا كلام الله ، وكتبوا الكتاب بأيديهم ، وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، وشهد بكذبهم وتقليبهم الحقائق ، فلا يمكن والحال هذه أن يأمر المسلمين بأن يرجعوا إليهم في المسائل التي لا يعلمونها .

ثانياً : روى البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات باب لا يسأل أهل الشرك من الجزء الثالث صفحة ١٦٣ :

عن أبي هريرة ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا « صدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله وما أنزل ... الآية » .

وهو يفيد عدم الرجوع إليهم في المسألة وتركهم وإهمالهم؛ لأنَّ عدم التصديق وعدم التكذيب ينفيان الغرض ، وهو السؤال الذي ينتظر الجواب الصحيح.

ثالثاً : روى البخاري في صحيحه من كتاب التوحيد باب قول الله تعالى **كُنْ** (**يَوْمَ**

هُوَ فِي شَأْنٍ) من جزئه الثامن صفحة ٢٠٨ :

عن ابن عباس قال : « يا معشر المسلمين ، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابتكم الذي أنزل الله على نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم أحدث الأخبار بالله محضاً لم يُشبهواً محدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدّوا من كتب الله وغيره ، فكتبوا بأيديهم وقالوا : هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمناً قليلاً ، أولاً ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم .»
رابعاً : سألنا أهل الكتاب من النصارى اليوم ، فإنهم يدعون بأن عيسى هو إله ، واليهود يكذبونهم ولا يعترفون به حتى نبياً ، وكلاهما يكذب بالإسلام ونبي الإسلام ويقولون عنه كذاب ودجكَلال! هذا لا يمكن أن يفهم من الآية بأن الله أمرنا بمساءلتهم .
ولمّا كان أهل الذكر في ظاهر الآية هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، فإنَّ هذا لا ينفياً أنزل في أهل بيت النبوة كما ثبت عند الشيعة والسنة من طرق صحيحة ، وبذلك يفهم منها أن الله سبحانه وتعالى أوثق علم الكتاب الذي ما فرط فيه من شيء إلى هؤلاء الأئمة الذين اصطفاهم من عباده ليرجع إليهم الناس في التفسير والتأويل ، وبذلك تضمّن

هدايتهم إذا ما أطاعوا الله ورسوله.

ولأنَّ الله سبَّحَنَهُ وجلَّسَهُ أراد أن يُضَرِّع النَّاسَ عامَّةً إلى نخبة منهم ،
اصفَّاهم وعلَّمهم علم الكتاب ، لكي تسهل القيادة وتتنظَّم أحوال النَّاسِ بذلك ، فلو
غاب هؤلاء عن حياة النَّاسِ لأصبح المجال مفتوحاً أمام المدَّعين والجاهلين ، ولَرَكِبَ كُلُّ واحدٍ
هَوَاهُ ، واضطربتُ أمور النَّاسِ ما دام كلُّ واحدٍ يمكنُهُ ادِّعاءُ الأعلمية.

ولأبَرِّهِنَ على هذا الرأى ، بعد اقتناعي بأنَّ أهل البيت هم أهل الذكر فسأوردُ بعض
الأسئلتي ليس لها جواب عند أهل السنَّة والجماعة ، أو أنَّ لها جواباً ولكن متكلِّف لا
يستند إلى حجة يقبلها الباحث المحقِّق ، أمَّا جوابها الحقيقي فهو عند هؤلاء الأئمة الأطهار
الذين ملأوا الدنيا علماً ومعرفةً ، وعملاً وصلاًحاً .

الفصل الأوّل

في ما يتعلّق بالخالمِ قِ جلّ جلاله

السّؤال الأوّل : حول رؤية الله سبحانه وتجيّمه :

يقول الله سبحانه في كتابه الطّور: **(كُنْهُ الْأَبْصَحُ لِلرُّسُلِ)** **(كَلِمَةً شَدِيدَةً شَدِيدَةً)** (١)

، ويقول موسى لمّا طلب رؤيته: **تَرَانِي** (٢) .

فكيف تقبلون بالأحاديث المرويّة في « صحيح البخاري » و « صحيح مسلم » بأنّ

الله سبحانه يتجلّى لخلقه ويروّنه كما يرون القمر ليلة البدر (٣)؛ وأنّه ينزل إلى سماء الدنيا في

كلّ ليلة (٤) ، ويضع قدمه في النار فتمتلئ (٥) ،

(١) الأنعام : ١٠٣ .

(٢) الشورى : ١١ .

(٣) الأعراف : ١٤٣ .

(٤) صحيح البخاري ٧ : ٢٠٥ كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة الفجر ، صحيح مسلم ١ : ١١٢ كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية .

(٥) صحيح البخاري ٢ : ٧٧ كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، صحيح مسلم ٢ : ١٧٥ كتاب صلاة المسافر ، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل .

(٦) صحيح البخاري ٨ : ١٨٦ كتاب التفسير ، باب (وتقول هل من مزيد) .

وأَنَّهُ يكشف عن ساقه لكي يعرفه المؤمنون^(١) وأَنَّهُ يضحك ويتعجب^ب. وإلى غير ذلك من رَّواياتنا التي تجعل من الله جسماً متحرراً^{كاً} ومتحولاً^{لاً}، له يَدان ورجلان، وله أصابع خمسة يضع على الأوَّل منها السماوات، وعلى الإصبع الثاني الأرضين، والشجر على الإصبع الثالث، وعلى الرابع يضع الماء والترى، ويضع بقية الخلائق على الإصبع الخامس^(٢)، وله دار يسكن فيها، ومحمد^{صلى الله عليه وآله وسلم} يستأذن للدخول عليه في داره ثلاث مرَّات^(٣)، تعالَى اللهُ عَن ذَا كِبِرًا، سبحان ربِّكَ ربَّ العزَّة عمَّا يصفون. والجواب على هذا عند أئمة الهدى ومصايح الدجى هو التنزيه الكامل لله سبحانه وتعالى عن المجانسة، والمشاكلة، والتصوير، والتجسيم، والتشبيه، والتحديد، يقول الإمام علي عليه السلام في ذلك:

« الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادون ولا يؤدِّي حَقَّه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوصُ الفطن، الذي ليس لصفته حدٌّ محدود، ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا أجل ممدود... فمن وصف الله سبحانه فقد قرَّنه، ومن فقد ثناؤه فقد جزَّاه ومن جزَّاه فقد جهله ومن جهله فقد أشار إليه، وأشار إليه فقد حوَّاه ومن حوَّاه فقد عمَّاه، ومن عمَّاه فقد ضمَّه، ومن قال علام فقد أخلى

(١) صحيح البخاري ٨ : ١٨٢ كتاب التفسير، باب يوم يكشف عن ساق.

(٢) صحيح البخاري ٦ : ٣٣ كتاب التفسير، باب قوله: (ماقدروا الله حقَّ قدره).

(٣) صحيح البخاري ٨ : ١٨٣ كتاب التفسير، باب قوله (وعلم آدم الأسماء كلها)، صحيح مسلم ١ :

٢٤ كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

منه كائنٌ لا عجزٌ له وجودٌ لا عن عدٍّ مع كلِّ شيءٍ لا بمُقارِفَتِهِ كُلِّ شَيْءٍ لا بمزِفَلِقِهِ بل لا بمعنى الحركات والألْبَصِيرِ، إذ لا منظورٌ إليه من خلقِهِ...»^(١).
وإني ألفتُ نظرَ الباحثين من الشباب المثقفين إلى الكنوز التي تركها الإمام علي عليه السلام في العجمُعت في «نَهجِ البلاغة»، ذلك السفر القيم الذي لا يتقدّمه إلا القرآن، والذي بقي مع الأسف مجهولاً لدى أغلبية الناس، نتيجة الإعلام والإرهاب والحاصل ضرب من قبل الأمويين والعبّاسيين على كل ما يتصل بعلي بن أبي طالب عليه السلام.

ولستُ مبالغاً إذ قلتُ بأنَّ في «نَهجِ البلاغة» كثيراً من العلوم والنصائح التي يحتاجها الناس على مرِّ العصور، وفي «نَهجِ البلاغة» علم الأخلاق، وعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد وإشارات قيّمة في علم الفضاء والتكنولوجيا، إضافة إلى الفلسفة، والسِّمْلوك، والسياسة، والحكمة.

وقبلتُ ذلك شخصياً في الأطروحة التي قدّمتها إلى جامعة السوربون، والتي نُوقِشت على مواضيع أربعة اخترتها من «نَهجِ البلاغة» وحصلتُ من خلالها على شهادة الدكتوراه.

فيا ليتَ المسلمين يولون «نَهجِ البلاغة» خاصة، فيبحثون فيه كلَّ الأطروحات وكلِّ النظريات، فهو بحر عميق كلّما غاص فيه الباحث استخرج منه اللؤلؤ والمرجان.

(١) نَهجِ البلاغة : ١ : ١٥ ، الخطبة الأولى.

تعليق

هناك فرق واضح بين العقيدتين :

عقيدة أهل السنة والجماعة التي تقول بالتجسيم ، وتجعل من الله سبحانه وتعالى جسماً وشكلاً يُرى ، وتصوّره وكأنّه إنسان ، فهو يمشي وينزل ، ويحوي جسمه داراً ، إلى غير ذلك من الأشياء المنكرة ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وعقيدة الشيعة الذين ينزّهون الله عن المشاكلة والمجانسة والتجسيم ، ويقولون باستحالة رؤيته في الدنيا وفي الآخرة.

وأعتقد شخصياً بأنّ نظروالتي يحتجّ بها أهل السنة والجماعة كلّها من دسّ اليهود في زمن الصحابة لأنّ كعب الأبحار اليهودي الذي أسلم في عهد عمر بن الخطّاب هو الذي أدخل هذه المعتقدات التي يقول بها اليهود ، عن طريق بعض البسطاء من الصحابة أمثال أبي هريرة ، ووهب بن منبه .⁴

فأغلب هذه للروايات مروية في البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، وقد تقدّم في بحث سابق كيف أنّ أبا هريرة لا يفرّق بين أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحاديث كعب الأبحار حتىّ ضربه عمر بن الخطّاب ، ومنعه من الرواية في قضية خلق الله السماوات والأرض في سبعة أيام.

وما لأهل السنة والجماعة يثقون في البخاري ومسلم ، ويجعلون منهما أصحّ الكتب ، وما دام هؤلاء يعتمدون على أبي هريرة حتىّ أصبح عمدة المحدثين ، وأصبح عند أهل السنة راوية الإسلام؛ فلا يمكن والحال هذه أن

يغير أهل السنّة والجماعة عقيدتهم إلا إذا تحرّروا من التقليد الأعمى ، ورجعوا إلى أئمة الهدى ، وعترة المصطفى ، وباب مدينة العلم الذي منه يؤتى .
وهذه الدعوى لا تختص بالكبار والشيوخ بل الشباب المثقّف من أهل السنّة والجماعة كذلك ، ومن واجبه أن يتحرّر من التقليد الأعمى ، ويتبع الحجّة والدليل والبرهان .

السؤال الثاني : حول العدل الإلهي والجبر :

وَيَقُولُ اللَّهُ قُبْحَانِهِ فِي رُكْبَائِهِ كَلِمٌ يَزِفْتُمْ (ن شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) (١)

لا إكراه في الدين (قد تبين الرشد من الغي) (٢)
فَمَنْ يَعْزِمُ عَلَىٰ مَوْتِهِمْ خَيْرٌ مِّمَّا يَعْمَلُونَ (ذُرَّةَ شَرٍّ أَيْسَرَ ه) (٣)
إِنَّمَا أَنْزَلْنَا لِمَنْ نَكِرَ عَلَيْهِمْ بِمِصْرٍ يُطِرُ (٤)

فكيف تقبلون بالأحاديث المروية في « صحيح البخاري » و « صحيح مسلم » بأن الله سبحانه قد رعى على عباده أفعالهم قبل أن يخلقهم؟ فقد روى البخاري في صحيحه قال :
أحتج آدم وموسى ، فقال له موسى يا: آدم أنت أبونا خير بيتنا وأخرجتنا من الجنة ، قال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه ،

(١) الكهف : ٢٩ .

(٢) البقرة : ٢٥٦ .

(٣) الزلزلة : ٨ . ٧ .

(٤) الغاشية : ٢١ - ٢٢ .

للكويخط ، أتومني على أمر قد ر ه الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة ، فحج آدم موسى ثلاثاً ... » (١).

كما روى مسلم في صحيحه في قوله مع خ لقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون في ذلك علقه مثل ذلك ثم يكون في ذلك م ضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك ويؤم فينفخ بأربعين كالماتوح كتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد .
فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وأن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » (٢).

كما روى مسلم في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين قالت دعى رسول الله صلى الله عليه واله ولم جنازة صبي من الأنصار ، فقلت : يا رسول الله طوبى لهذا ، عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه ، قال : « أو غير ذلك يا عائشة ، إن الله خلق للجنة أهلاً ، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلاً ، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم » (٣).

وروى البخاري في صحيحه قال رجل رسول الله أي عرف أهل الجنة

(١) صحيح البخاري ٧ : ٢١٤ كتاب القدر ، باب تحاج آدم وموسى ، صحيح مسلم ٨ : ٤٩ كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

(٢) صحيح مسلم ٨ : ٤٤ كتاب القدر ، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه ، صحيح البخاري ٧ : ٢١٠ كتاب القدر باب في القدر.

(٣) صحيح مسلم ٨ : ٥ كتاب القدر ، باب كل مولود يولد على الفطرة.

من أهل النار؟ قال : « نعم » ، قالهم: يعملُ العملُ؟ قال: « يعملُ لما خُلِقَ له ، أو لما يُسَّرَ له » (١) .

سبحانك ربنا وبحمدك تباركت وتعاليت عن هظلم علواً كبيراً ، فكيف نصدّق

بمذه الأحاديث المناقضة لكتابك العزيز الذي قُلت فيه وقولك الحقّ :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ (٢) .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شَيْئاً ذَرَّةً (٣) .

وَلَا يَظْلِمُ بُكَ أَحَداً (٤) .

وَمَا ظَلَمَهُمْ اللَّهُ (وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ) (٥) .

فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (٦) .

وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ (وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ) (٧) .

مَت ذَابِلِي يَكْمَأَقْدَأَنَّ اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِمَعْبِيدٍ (٨) .

عَمِلَ صَالِحاً فَلْيَنْفَسْهُ وَ (مَنْ أَسَاءَ فَعَلِيَ بِهِ أَوْ مَارَبُكَ بِظَلَامٍ لِمَعْبِيدٍ) (٩) .

(١) صحيح البخاري ٧ : ١٠ كتاب القدر ، باب جفّ القلم على علم الله .

(٢) يونس : ٤٤ .

(٣) النساء : ٤٠ .

(٤) الكهف : ٤٩ .

(٥) آل عمران : ١١٧ .

(٦) التوبة : ٧٠ ، العنكبوت : ٤٠ الرّوم : ٩ .

(٧) الزخرف : ٧٦ .

(٨) الأنفال : ٥١ .

(٩) فصلت : ٤٦ .

وكما قال في حديث قدسي يا هبادي إني حرّمتُ الظلم على نفسي وجعلته
بينكم محرّماً فلا تظالموا» (١)؟

فكيف يصدّق مسلم آمن بالله وبعдалته ورحمته أنّ الله سبحانه خلق الخلق ، وحكم
على بعضهم بالجنّة وعلى الآخرين بالنار حسب اختياره هو ، وقد رُهم أعمالهم فكلّ ميسّر
لما خُلِقَ له ، على حسب هذه الروايات المعارضة للقرآن الكريم ، وللفطرة التي فطر الله الناس
عليها ، وللعقل والوجدان ، ولأبسط حقوق الإنسان؟

كيف نؤمن بهذا الدّين الذي يحجّر العقول على أنّ هذا الإنسان هو دمية تُحرّر كُها
أيّدي القدر كيف شاءت ، لتُلقني بها بعد ذلك في التّور؟ هذا الاعتقاد الذي يمنع العقول
من الخلق والابتكار ، والإبداع والتطوّر ، والمنافسة التي تأتي بالأعاجيب ، ويبقى الإنسان
جامداً راضٍ بما هو فيه وبما عنده ، بدعوى أنّه ميسّر لما خُلِقَ له .

كيف نقبلُ هذه الرّوايات التي تصادمُ العقول السليمة ، وتصور لنا بأنّ الله سبحانه
هو خالقُ ، جبّارٌ ، قوياً ، قاهرٌ ، وله أن يخلق عباده الضعفاء ليزجّ بهم في نار جهنم لا
لشيء إلاّ لأنّه يفعل ما يشاء ، وهل يسمّي العقلاء هذا الإله حكيماً أو رحيماً أو عادلاً؟
ف لو تحكّمتنا مع المثقّفين والعلماء من غير المسلمين ، وعرفوا بأنّ ربّنا على هذه
الصّفات ، وأنّ دِيننا قد حكم على النّاس قبل ولادتهم بالشقاء ،

(١) صحيح مسلم ٨ : ١٧ كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم ، السنن الكبرى للبيهقي ٦ : ٩٣ ، الجامع
الصغير للسيوطي ٢ : ٢٣٧ ح ٦٠٢٠ .

فهل سيقبلون الإسلام ويدخلون في دين الله أفواجا؟

إنَّ سَبْحَ لُتُوْرٍ من القول ركَّزَه الأُمويُّونَ ، وروَّجوا له حاجة في نفوسهم ، والباحث يعرف سرَّ ذلك ، وهو زورٌ من القول لأنَّه يعارض كلامك ، وحاش رسولك أنَّ يتقول عليك بما يُناقضُ وَاَحْيَاكَ الذي أوحيتَ إليه ، وقد ثبت أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال : إذا جاءكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق الكتاب فخذوه ، وما خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار «^(١) .

وكلُّ هذه الأحاديث وأمثالها كثيرة تعارض كتاب الله وتعارض العقل ، فليضرب بها عرض الجدار ، ولا يُلتفتُ إليها وإن كان أخرجها البخاري ومسلم ، فما كان معصومين عن الخطأ.

ويكفينا دليلاً واحداً للردِّ على هذا الادِّعاء الباطل هو بعثة الأنبياء والمرسلين من قبل الله إلى خلقه ، وعلى طول التاريخ البشري ليُصلحوا مفاصد العباد ، ويوضِّحوا لهم الصراط المستقيم ، ويعلموهم الكتاب والحكمة ، ويبيِّنوا لهم بالجنة إن كانوا صالحين ، وينذروهم من عذاب الله في النار إن كانوا مُفسدين.

ومن عدالة الله سبحانه في خلقه ورحمته بهم أنه لا يعذب إلا من بعث إليه رسولا ،

م وَأَقَامَهُمْ عَلَيهِ الْحَقَّ فَإِنَّهُ لَيَقَالُ تَعَالَى (مَنْ نَفْسَهُ وَمَنْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ لَبِئْسَ لِلَّهِ شَكْرًا وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَالَ اللَّهِ يَتْلُونَ صَوْرَتَهُ فَأَخْرَجُوا مِنْ دُونِهَا كِتَابًا وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَالَ اللَّهِ يَتْلُونَ صَوْرَتَهُ فَأَخْرَجُوا مِنْ دُونِهَا كِتَابًا وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَالَ اللَّهِ يَتْلُونَ صَوْرَتَهُ فَأَخْرَجُوا مِنْ دُونِهَا كِتَابًا) (٢) .

(١) تفسير أبي الفتوح الرازي ٣ : ٣٩٢ ، باختلاف يسير .

(٢) الإسراء : ١٥ .

فإذا كانت هذه الروايات التي أخرجها البخاري ومسلم ، والتي تقول بانّ الله كتب على عباده أعمالهم قبل أن يخلّقهم ، وحكم على البعض منهم بالجنة وعلى البعض الآخر بالنار . كما قدّمنا سابقاً . وكما يؤمنُ بذلك أهل السنة والجماعة ، أقول : إن كان هذا صحيحاً ، فإن إرسال الرّسل وانزال الكتب يصبح ضرباً من العبثعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وما قدروا الله حق قدره ، فما يكون لنا أن نتكلّم بهذا ، سبحانه هذا بهتان عظيم .

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَزَّلْنَاهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ (١) . والجواب على

لهنجد أئمة الهدى ، ومصاييح الدّجى ، ومنار الأمّة ، هو تنزيه الله سبحانه عن الظلم والعبث ، فلنستمع إلى باب مدينة العلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو يشرح للناس هذا الاعتقاد الذي بقي لغزاً عند بعض المسلمين الذين تركوا الباب ، يقول عليه السلام ما سأله أحد أصحابه : أكان مسيرنا إلى الشّام بقضاء من الله وقدره؟

لعلّوا يحافظون نيتَ قضاءٍ لازماً وقدرًا حاتماً ، ولو كان كذلك لبطّ الثواب والعقاب ، وسقط الوعد والوعيد ، إنّ الله سبحانه أمر رعاياه بعبادته تخييراً ، ونهاهم عن تخديراً ، وكلّف ولم يُكلّف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يُعص مغلوباً ، ولم يُطع مكرهاً ، ولم يُرسل الأنبياء للكُتُب ولم يُلعنوا بئناً ، ولا خَلَقَ السموات والأرض وما بينهما ما باطلا ، ذلك ظنُّ الذين كفّروا فويل للذين كفّروا من النار » (٢) . صدق الإمام عليه السلام فويل للذين يُنسبون

(١) آل عمران : ١٠٨ .

(٢) مجمع البلاغة شرح محمد عبده ٤ : ١٧ ، الخطبة : ٧٨ .

العبث والظلم لله من عذاب أليم.

والجدير بالذكر والحقُّ يقال بأنَّ أهل السنَّة والجماعة ينزَّهون الله عن العبث والظلم ، فإذا ما سألت أحدهم فسوف لن يُنسب الظلم لجلال الله سبحانه ، ولكنه سوف يجِدُ نفسه متحرِّجاً لرفض أحاديث أخرجها البخاري ومسلم ، تقييداً ضمناً أنَّها صحيحة ، ولذلك تراه عندما تجادل بالمنطق المعقول ، يدعي بأنَّ ذلك لا يُسمَّى ظلماً عند الله؛ إذ أنه الخالق ، وللخالق أن يفعل في مخلوقاته فيها لا شيئاً مما لا يفتقر إلى علمه . وهم يُسألون .

وعندما تسأله كيف يحكم الله على عبد بالذمار قبل خلقه لأنه كتب عليه الشقاء ، ويحكم على آخر بالجنة قبل خلقه لأنه كتب عليه السعادة؟ أليس في ذلك ظلم للثنتين؟ لأنَّ الذي يدخل الجنة لا يدخلها بعمله وإنما باختيار الله له ، وكذلك الذي يدخل النار لا يدخلها بما اقترفه من ذنوبه وإنما بما قدَّره الله عليه أليس في ذلك ظلم ، وهو يناقض القرآن؟ فسيجيبون أنَّ الله فعَّالٌ لما يريد! فلا تفهم من موقفه المتناقض شيئاً .

وهذا بديهي إذ أنه يُنزل البخاري ومسلم بمنزلة القرآن ، ويقول أضح الكتب بعد كتاب الله البخاري ومسلم ، وفي البخاري ومسلم عجائب وغرائب ومصائب للملبي بها المسلمون ، وقد نجح الأمويون ومن بعدهم العبَّاسيون نجاحاً كبيراً في بثِّ بدعهم وعقائدهم التي تتماشى وسياستهم العقيمة ، وبقيت آثارهم حتى اليوم إذ يعتبرها المسلمون أعزَّ وأعظم تراثاً لهم جمع الأحاديث النبويَّة الصحيحة على حدِّ زعمهم ، ولو يعلم المسلمون مقدار ما كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجل أغراضهم السَّياسية لما صدَّقوا

بتلك الأحاديث ، وخصوصاً منها المتناقض مع كتاب الله .
ولأنّ اللقللكريم تكفّل الله بحفظه ، ولأنّّه كان محفوظاً عند الصّحابة ، وكانوا
يعرضونه على النّبي ، لذلك يتمكّنوا من تحريفه وتبديله ، فعمدوا إلى السنّة المطهّرة فوضعوا
ما شاؤوا لمن شاؤوا .
وبما أنّهم كانوا أعداءً لأهل البيت حفظة القرآن والسنّة اختلقوا لكلّ حادثة حديث
نسبوه للنّبي صلى الله عليه وآله وسلم هو على المسلمين بأنّ هذه الأحاديث هي
أصحّ من غيرها ، فقبلها النّاس على حسن نيّة ، وهم يتداولونها بالوراثة جيلاً بعد جيل .
وللإنصاف أقول بأنّ الشيعة هم الآخرون ضحية الدس والتمويه في كثير من
الأحاديث التي تُنسب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو لأحد الأئمة الأطهار سلام الله
عليهم ، فهذا الدس والتمويه لم يهبه منه المسلمون سنّة وشيعة على مرّ التاريخ ، ولكن
الشيعة يمتازون على أهل السنّة والجماعة بثلاثة أشياء ميّزتهم على غيرهم من الفرق الإسلامية
الأخرى ، وأبرزت عقائدهم سليمة ومتمّفة مع القرآن والسنّة والعقل ، وهذه الأشياء الثلاثة
هي :

أو لا : انقطاعهم لأهل البيت النّبوي ، فهم لا يقدرّون عليهم أحداً ، وكلّنا يعلم من
هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً .
ثانياً عدد أئمة أهل البيت ، وهو اثني عشر إماماً ، امتدت حياتهم وآثارهم طوال
ثلاثة قرون ، وقد وافق بعضهم بعضاً في كلّ الأحكام والأحاديث ، ولم يختلفوا في شيء ، ممّا
جعلت شعيتهم وأتباعهم متعلّمين في كلّ مجالات العلم والمعرفة بوضوح وبدون تناقض في
العقائد أو في غيرها .

ثالثاً لفهم وإقرارهم بأنّ ما لديهم من الكتب يحتملُ الخطأ والصّواب ، وليس عندهم كتاب صحيح إلاّ كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .
ويكفيك أن تعرف مثلاً أن أعظم كتاب عندهم وهو « أصول الكافي » يقولون بأنّ فيه آلاف الأحاديث المكذوبة ^(١) ، ولذلك تجد علماءهم ومجتهداتهم دائبين على البحث والتنقيب ، فلا يأخذون منه إلاّ الثّابت بالمتن

(١) بمعنى التي لم تصح ولا يمكن الاحتجاج بها لضعف سندها الناشئ من عدم توثيق الراوي ، أو أنّه متهم بالكذب ، أو غير ذلك ثمّ إنّ مراده من الكافي جميع روايات كتاب الكافي والتي هي مقسمة إلى أصول وفروع وروضة ، ويبلغ مجموعها أكثر من ستة عشر ألف حديث ، وليس مقصوده فقط الأصول من كتاب الكافي المقابلة للفروع . وجود هكذا روايات في المصادر الشيعية . وخصوصاً الكافي الذي هو من أهم الكتب المعتمدة عند اتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام . هو أنّ المحدثين الشيعة لم يتعهدوا ولم يلتزموا بأن ينقلوا خصوص الروايات الصحيحة كما فعله غيرهم حسب زعمه . ، وإنّما دوّنوا الروايات والآثار المنقولة والمنسوبة إلى الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وعلى العالم الرجوع إلى سند أي رواية يريد التمسك بها؛ ليراه هل هي صحيحة السند أم لا؟ وعلى فرض صحة سندها هل يكون متنها مقبولاً ، أي خالياً من الشذوذ والعلّة كما يقول علماء يُلحد ، إذ ليس كلّ ما صحّ سنده قُبل وعمل به ، ولأجل ذلك ترى أنّ العلماء يختلفون فيما بينهم في صحة رواية وضعفها وهذا موجود أيضاً عند أهل السنّة فيما عدا ما يسمى بـ (صحيح البخاري) و (صحيح مسلم) إذ أنّهما . حسب زعمهم . صحيحان ، ولا يطعنون في رواية واحدة منهما .
ومن هذا يتضح أنّ ما ذكره عثمان الخميس في مناظرة قناة المستقلّة ، سنة ١٤٢٢ في شهر رمضان المبارك ، كلام بعيد عن المنهج العلمي والبحث والتي هي أحسن ، وهو كلام تهريج أقرب من كلام باحث يتوخى الحقيقة والوصول إليها .

والسند ، وما لا يتعارض مع القرآن والعقل .
أمّا أهل السنّة والجماعة فقد ألزموا أنفسهم بكتب سمّوها الصحاح الستّة باعتبار أنّ كلّ ما فيها صحيح ، وأغلبهم يتناقلون هذا الرأي بالوراثة بدون بحث ولا تمحيص ، وإلاّ فإنّ كثيراً من الأحاديث التي رُويت في هذه الكتب لا تقوم على دليل علمي ، وفيها الكفر الصريح ، وبما يتناقض والقرآن ، وأخلاق الرسول وأفعاله والخطّ من كرامته .
ويكفي الباحث أن يقرأ كتاب الشيخ المصري محمود أبو رية «أضواء على السنّة الحمدية» ليعرف ما هي قيمة الصحاح الستّة .
والحمد لله فإنّ كثيراً من الشباب الباحث اليوم تحرّروا تلك القيود ، وأصبح يُفرّق بين الغث والثمين ، بل حتّى الشيوخ المتعصّبين للصحاح أصبح الكثير منهم اليوم يُنكرها ، لأنّ له ثبت لديه ضعف بعض الأحاديث فيها ، ولكن لأزّه وجد فيها حجّة الشيعة التي يقولون بها سواء في الأحكام الفقهية أو في العقائد الغيبية ، فممن حُكم أو عقيدة يقول بها الشيعة إلّا ولها وجود فعلي في أحد الصحاح الستّة لدى أهل السنّة والجماعة .
وبالمقابل قال لي بعض المتعصّبين ما دُمتم تعتقدون بأنّ أحاديث البخاري ليست صحيحة ، فلماذا تحتجّون بها علينا؟
أجبتهم كلّ ما في البخاري صحيح ، وليس كلّ ما فيه مكذوب ، فالحقّ حقّ والباطل باطل ، وعلينا أن نُغربل ونصفّي^(١) .

(١) مضافاً إلى أن أسلوب المناظرة والاحتجاج يقتضي الإتيان بالمشتركات ، وما

هأقألعندك مجر مهر خاص تعرف به الصحيح من المكذوب؟

قلت : ليس عندي أكثر مما عندك ، ولكن ما لقق عليه السنّة والشيعّة فهو صحيح؛ لأنّه ثبتتّ بمعند الطرفين ، ونلزمهم به كما ألزموا أنفسهم ، وما اختلفوا فيه حتى لو كان صحيحاً عند أحدهم فلا يلزم الطرف الثاني بقبوله ، كما لا يلزم الباحث الحيادي بقبوله والاحتجاج به لأنّه دورى .

وأضربُ لذلك مثلاً واحتي لا يبقى هناك إشكال في هذا الموضوع ، وحتى لا يعاد نفس الانتقاد بأساليب متعدّدة :

يدعي الشيعة بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بب عليه آ خليفة للمسلمين في غدِير خم يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة بعد حجّة الوداع وقال بالمناسبة :
« من كنتولاه فهذا على مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » (١).
فهذه الحادثة وهذا الحديث نقله كثير من علماء أهل السنّة

يؤمن الخصم به فإذا كان مؤمناً بصحيح البخاري ، وكان في البخاري ما يؤكّد عقيدة الشيعة . مثلاً . ويدعمها فالاحتجاج به يكون أفضل وأكمل والزام للخصم بما ألزم به نفسه . وهذا الإشكال لا يورده إلاّ المبتدئ الذي لم يسمع بالحوار والاستدلال ، أو المتعصب الذي أعماه حب الهوى فأصمّ سمعه وبصره .

(١) حديث الغدير حديث ثلق صحيح متواتر ، نصّ على صحته وتواتره أعلام القوم ، وقد أخرجه أكثر المحدثين وأرباب التصانيف ، راجع على سبيل المثال : مسند أحمد ١ : ١١٨ ، المستدرک للحاكم ٣ : ٣٧١ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٠٣ ، المصنف لابن أبي شيبة ٧ : ٤٩٩ ح ٢٨ ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ١٣٢ ح ٨٤٧٣ ، صحيح ابن حبان ١٥ : ٣٧٦ .

وأخرجه الشيخ الألباني في صحيحته ٤ : ٣٣٠ ح ١٧٥٠ ، وأثبت صحة الحديث وتواتره ، وردّ على شيخ السلفية ابن تيمية المتسرع في الطعن بأحاديث فضائل أهل البيت من دون نظر في طرق ورأي العلماء فيها .

والجماعة في صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم ، فيمكن للشيعة عندئذ أن يحتجوا به على أهل السنة والجماعة.

ويدعي أهل السنة والجماعة بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر ليُصَلِّي بالنَّاس في مرض موته ، وقال بالمناسبة : «ويأبى الله ورسوله والمؤمنون إلاَّ أبو بكر»^(١).

فهذه الحادثة وهذا الحديث لا وجود له في كتب الشيعة ، وإنما يروون بأن رسول الله بعث إلى علي فبعثت عائشة إلى أبيها ولمَّا عرف رسول الله ذلك قال لعائشة : «إنك لصويجات يوسف»^(٢) وخرج هو ليصلي بالنَّاس وزحزح أبو بكر.

فلا يمكن وليس من الإنصاف أن يحتج أهل السنة والجماعة على الشيعة بما انفردوا هم به ، وخصوصاً إذا كانت الروايات متناقضة ويكذبها الواقع والتاريخ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر ليكون ضمن جيش أسامة ، وتحت امرته وقيادته ، ومن المعلوم أن أمير الجيش في السنة رية هو إمام الصلوة.

وثقت تاريخياً بأن أبو بكر لم يكن موجوداً في المدينة عند وفاة الرسول ، وكان بالسنة يتجه للخروج مع أميره وقائده أسامة بن زيد الذي لم يبلغ من العمر إلاَّ سبعة عشر عاماً ، فكيف والحال هذه يمكن لنا أن نصدق بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عيَّنه لإمامة الصلوة؟ اللهم إلاَّ إذا صدقنا بقول

(١) أورده ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١١ : ٤٩ وقال : «إنهم وضعوه في مقابل الحديث المروي عنه في

مرضه : اتتوني بدواة وكتف ...».

(٢) الصراط المستقيم للبيضاوي ٣ : ١٣٤.

عمر بن الخطاب بأن رسول الله يهجر ولا يدر ما يفعل ولا ما يقول ، وهذا أمر لا سبيل إليه ، فهو مستحيل ولا يقول به الشيعة .

فعلى الباحث هنا أن يتقي الله في بحثه ، ولا تأخذه العاطفة فيميل عن الحق ، ويتبع الهوى فيضل عن سبيل الله ، إنما واجبه أن يخضع للحق ولو كان الحق مع غيره ، ويجر نفسه الرّسول والسنن والعواطف والأنايعة ، فيكون من الذين امتدحهم الله عز وجل في قوله : (**قَوْلَهُمْ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَخْتَصِمُ بِالَّذِينَ هُمْ يَأْتَوْنَ بِهِمْ لَا يَتْلُونَ الْآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤَلَّفُونَ لِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ**) (١) .

فليس من المعقول إذاً أن يقول اليهودي: الحق عندنا ، ويقول النصراني: الحق عندنا ، ويقول المسلمون: الحق عندنا ، وهم مختلفون في العقائد والأحكام! فلا بدّ للباحث أن يحدّد أقوال الديانات الثلاثة ، ويقارن بعضها ببعض حتى يتبين له الحق .

وليس من المعقول أيضاً أن يقول أهل السنة بأنّ الحق معهم ، ويقول الشيعة بل الحق عندهم وحدهم ، وهم الذين في بعض المفاهيم والأحكام ، فالحق واحد لا يتجزأ .
بدلاً للباحث أن يتجرّد ويحدّد أيضاً أقوال الطرفين ، ويقارن بعضها ببعض ، ويحدّد عقلاً حتى يتبين له الحق ، وذلك هو نداء الله سبحانه لكلّ فرقة تدعي الحق ؛ إذ يقول **قُلْ هَذِهِ سُبُلِي أَدْعُو إِلَىٰ مَا نُحْيِي بِهَا النَّاسَ وَأَدْعُو إِلَىٰ الْفَسَادِ وَالضَّلَالِ** (٢) .

(١) الزمر : ١٧ - ١٨ .

(٢) البقرة : ١١١ .

فليست الأكثرية بدالة على الحق ، بل العكس هو الصّحيح ، قال تعالى : ﴿ إِن تَطِيعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١) .
 كَثُرُوا قَالِ الْبَلِيغُ ﴿ طَوَّأَ أَحْرَصَتْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .
 مثلما أنّ التقدم الحضاري والتكنولوجي والتّراء ليس دليلا على أنّ الغرب على حقّ
 فَلَا تُعْجِبْ بِلَتْلِقِ عَلِيٍّ وَبِاطْلِ قَالٍ وَتَعْلَلِ أَوْ : ﴿ لَادُهُمْ إِيْمَانًا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِمَا
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَنْفِيهِ قَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٣) .

قول أهل الذكر في الله تعالى

يقول الإمام علي عليه السلام : الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور ، ودلّت عليه أعلام الظهور ، وامتنع على عين البصير ، فلا عين من لم يره تُنكره ، ولا قلب مُثَنِّتَه يُصوِّعُ سَبْقَ فَلَائِيهِ أَعْلَى مِنْهُ ، وَقَرُبَ فِي الدُّنْيَا فَلَ شَيْءٍ أَقْرَبُ مِنْهُ ، فلا استعلاؤه بأعداه عن شيء من خلقه ، ولا قرُبُهُ سِوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ .
 لم يُطْلَعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ ، وَلَمْ يَجْجِبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ ، فهو الذي تشهد له العلوم على إقرار قلب ذي الجحود ، تعالى الله عما يقول المشبههون به والجاحدون له علواً كبيراً « (٤) .

والحمد لله الذي لم تسبق له حالٌ حالاً ، فيكون أوّلاً قبل أن يكون

(١) الأنعام : ١١٦ .

(٢) يوسف : ١٠٣ .

(٣) التوبة : ٥٥ .

(٤) نهج البلاغة ١ : ٩٩ ، الخطبة : ٤٩ .

آخرًا ، ويكون ظاهرًا قبل أن يكون باطنًا ، كل مسمّى بالوحدة غيره قليل ، وكل عزيز غيره ذليل ، وكل قوى غيره ضعيف ، وكل مالك غيره مملوك ، وكل عالم غيره متعلم ، وكل قادر غيره يقدر ويعجز ، وكل سميع غيره يصم عن لطيف الأصوات ويصم كبيرها ، ويذهب عنه ما بعد منها ، وكل بصير غيره يعمى عن خفى الألوان ولطيف الأجسام ، وكل ظاهر غيره باطن ، وكل باطن غيره ظاهر .

لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ، ولا تخوف من عواقب زمان ، ولا استعانة على ندمثاور ، ولا شريك مكاتر ولا ضد منافر ، ولكن خلائق مريبون ، وعباد داخرون .
لم يجلل في الأشياء فيقال : هو فيها كائن ، ولم ينأ عنها فيقال : هو منها بائن ، لم دة خلق يؤما ابتداء ولا تدبير ما ذرأ ، ولا وقف به عجز عمّا خلق ، ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدّر ، بل قضاء متقن ، وعلم محكم مبرم ، المأمول مع النقم ، والمرهوب مع النعم ^(١) .

ليس لأوليته ابتداء ، ولا لأزليته انقضاء ، هو الأوّل ولم يزل ، والباقي بلا أجل ، رت له الجباه ، ووحده الشفاه ، حدّ الأشياء عند خلقه لها إبانة له من شبهها لا تقدّره الأوهام بالحدود والحركات ، ولا بالجوارح والأدوات ، لا يقال لعتى ، ولا يضرب له أمد الظاهر مجتئ لا يقال ممّ ، والباطن لا يقال فيم ، لا شبح فيتقصّى ، ولا محبوب فيحوى تعالى عمّا ينحله المحدّ دون من صفات الأقدار ، ونهايات الأقطار ، وتأثّل المساكن ، وتمكّن الأماكن ،

(١) نهج البلاغة ١ : ١١٤ ، الخطبة : ٦٥ .

فالحدّ لخلقهِ مضروبٌ* وإلى غيره منسوبٌ* .

لم يخلق الأشياء من أصول أزلية ، ولا من أوائل أبدية ، بل خلق ما خلق فأقام حدّه ،
وصوّر ما صوّر فأحسن صورتهُ ، ليس لشيء منه امتناع ، ولا له بطاعة شيء نثفاعٌ ، علمه
بالأمم المأخوذتين كعلمه بالأحياء الباقين ، وعلمه بما في السماوات العُلَى كعلمه بما في
الأرضين السفلى «^(١) .

(١) نهج البلاغة ٢ : ٦٦ ، الخطبة : ١٦٣ .

الفصل الثاني

في ما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم

السؤال الثالث : حوال عصمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟

يقول الله سبحانه وتعالى في حق نبيِّه محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (١).

وقال أيضاً: ﴿لَنْ نُنْفِذَهُ مِنْكُمْ إِلَّا وَحْيِي يُوحَى﴾ (٢).

﴿وَقَوْلِي لَكُمْ لَكُمْ وَلَا مَا نَزَلْنَاكُمْ عَنْهُ فَإِنَّتَهُمْ﴾ (٣).

وتدلّ هذه الآيات دلالة واضحة على عصمته المطلقة في كلِّ شيء ، وتقولون بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معصوم فقط في تبليغ القرآن (٤) ، وما عدا ذلك

(١) المائدة : ٦٧ .

(٢) النجم : ٣ - ٤ .

(٣) الحشر : ٧ .

(٤) لا يقال إنَّ أهل السنَّة يعتقدون بعصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تبليغ السنَّة والقرآن معاً ، فإنه يقال : نعم ، هذا هو معتقدكم عند التنظير ، ولكن الواقع العملي وتبريركم ودفاعكم عن الخليفة الثاني عندما نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم . كما أقرَّه ابن تيمية في منهاج السنة ٦ : ٢٤ و ٣١٥ وغيره . يخالف ذلك التنظير ويردّه ، إذ أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يتحف الأمة بشيء هام جداً يعصمهم من الضلالة ، ولكن اعتقاد الخليفة واعتقاد من يبرِّر عمله بعدم عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تبليغ السنَّة ،

كسلفه والبشر يُحطَىءُ وَيُصِيبُ ، وتستدلون على خطئه في عدّة مناسبات بأحداث تروونها في صحاحكم!

إذا كلن الأمر كذلك ، فما هي حجّ تتكم وما هو دليلكم في ادّعائكم التمسّك

بكتاب الله وسنة نبيّه ، ما دامت هذه السنّة عندكم غير معصومة ، ويمكن فيها الخطأ؟

وعلى هذا الأساس فالتمسّك بالكتاب والسنّة على حسب معتقداتكم لا يأمن من

الضلالة ، وخصوصاً إذا عرفنا بأنّ القرآن كُلمه مفسّرٌ ومُبينٌ بالسنّة النبويّة ، فما هي حجّ تتكم

في أنّ تفسيره وتبيانه لم يكن مخالفاً لكتاب الله تعالى؟

قال لي أحدهم معبراً عن هذا الرأي لقد خالف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

في القرآن في كثير من الأحكام حسب ما تقتضيه المصلحة.

قلت متعجباً : أعطني مثلاً واحداً على مخالفته.

الرَّازِيَةُ أَبْجَابَ الزَّيْتِ لِلْقَرَّانِ : (لِدُ وَاكُلٌ وَا حِدِمِ نُهُمَ مَائَةِ جَلْدَةٍ) (١) ،

بينما حكم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على الزاني والزانية بالرجم ، وهو غير موجود في القرآن.

قلنا الرجم على المحصن إذا زنى ، ذكراً كان أم أنثى ، والجلد على الأعزب إذا

زنى ، ذكراً كان أم أنثى.

حرم الأمة الإسلامية منها ، فكيف يجرون بعد هذا التفوّه بعصمته صلى الله عليه وآله في تبليغ الرسالة؟! (١)

(١) النور : ٢٠.

قال في القرآن ليس هناك أعزب أو مُحْصِنٌ لأنَّ الله لم يخصَّ صَّ بل أطلق لفظ الزانية والزاني بدون تخصيص.

قلت: إذا عللنا الأساس فكلَّ حكم مطلق في القرآن خصَّ صه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهل يُلحقُ للقرآن؟ فأنت تقول بأن الرسول خالف القرآن في أكثر أحكامه؟

أجاب متحرِّجاً: القرآن وحده معلومٌ؛ والله تكفَّل بحفظه، أمَّا الرسول فهو بشر يخطئ ويصيب، كما قال القرآن قُلْ حَقِّقْنَا أَنَا (بِشْرٍ مِّثْلِكُمْ) (١).

قلتُ فلماذا تُصلي الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء، وقد أطلق القرآن لفظ الصلوة بدون تخصيص لأوقاتها؟

أجابني الطبراني كَيْفَ نَزَّ (عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) (والرسول هو الذي بين أوقات الصلاة).

قلتُ لماذا تُصدِّقُه في أوقات الصلوة، وتردُّ عليه في حكم رجم الزاني؟

وحاول جهده أن يُقنعني بفلسفات عقيمة متناقضة لا تقوم على دليل عقلي ولا

منطقي كقولها أنَّ الصلوة لا يمكن الشكَّ فيها لأنَّ رسول الله فعلها طيلة حياته، وفي كلَّ

يوم خمس مرَّات، أمَّا الرجم فلا يمكن الاطمئنان إليه؛ لأنَّه لم يفعله في حياته مرَّة أو مرَّتين.

وكقوله بأنَّ الرسول لا يُخُطُّ عندما يأمره الله بأمره، أمَّا عندما يحكمُ

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) النساء: ١٠٣.

بفكره فهو ليس معصوم ، ولذلك كان الصَّحابة يسألونه في كلِّ أمرٍ : هل هو من عنده أم من عند الله؟ فإذا قال : هو من عند الله ، امتثلوا بدون نقاش ، وإذا قال : هو من عندي ، عند ذلك ناقشونه ويجادلونه وينصحونه ، ويتقبَّلون نصائحهم وآراءهم ، وقد ينزل القرآن أحياناً موافقاً لآراء بعض الصَّحابة ومخالفاً لرأيه ، كما في قضية أسرى بدر ، وقضايا أخرى مشهورة.

وحاولتُ بدوري إقناعهُ ولكن بدون جدوى لأنَّ علماء أهل السنَّة والجماعة مقتنعون بذلك ، وصحاحهُم مشحونَةٌ بمثل هذه الرِّوايات التي تحدِّث في عصمة الرِّسول ، وتجعل منه خصمًا أقلَّ مستوى من الرِّجل الذكي ، أو القائد العسكري ، أو حتى شيخ الطريقة عند الصوفية.

ولست مبالغاً إذا قلت : أقلَّ مستوى حتى من الرجل العادي ، فإذا ما قرأنا بعض الرِّوايات فيجرح أهل السنَّة والجماعة ، يتبينُ لنا بوضوح إلى أيِّ مدى وصل التأثير الأموي في عقول المسلمين من عهدهم ، وبقيت آثاره حتى يوم الناس هذا. وإذا ما بحثنا الغرض أو الهدف من ذلك ، فسوف نخرجُ بنتيجة حتمية ومُرتبة ، ألا وهي : إنَّ أولئك الذين حكموا المسلمين في عهد الدولة الأموية ، وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان ، لم يعتقدوا يوماً من الأيام بأنَّ محمدًا ابن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ، هو مبعوث برسالة من عند الله أو هو نبيُّ الله حقاً . وأغلب الظن أنَّهم يعتقدون بأنَّه كان ساجداً^(١) ، وقد تغلَّب على

(١) قال الدكتور الرحيلي في كتابه « الانتصار للصحب والآل » ص ١٧٥ تعليقاً

على كلام المؤلف : فهذا حكم خطير على المسلمين الذين جاءوا بعد الخلفاء الراشدين واستغرق حكمهم جلّ قرن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو خير القرون ، والثالث الأوّل من القرن المفضل الثاني .. واشتهر من أخبارهم في العدل والتقوى والصلاح بين الأمم .. خصوصاً ما ثبت من ذلك في حق الصحابي الجليل معاوية ابن أبي سفيان!!» .

وهذا الكلام لا يتفوّه إلاّ من أشرب حبّ البيتلأموي ، ورضع من بقاياها من أهل النصب ، فأبيّ جلاله لمعاوية؟ وأيّ عدل قام به؟ وأيّ تقوى فعلها؟

فإنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه » ولهذا الحديث عدّة طرق :

(١) رواه جماعة من الثقات عن علي بن زيد بن جدعان ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري (تاريخ ابن عساكر ٥٩ / ١٥٥ - ١٥٦) .

(٢) روي عن ابن مسعود من أربعة طرق (ابن حبان في المجروحين ٢ / ١٧٢ ، وابن عدي في الكامل ٢ / ٢٠٩ ، الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣ / ١٤٩) .
وهناك طرق أخرى للحديث وبعضها قويّ صحيح الإسناد .

وورد فيحقّ معاوية أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لعن الله الراكب والقائد والسائق » ولهذا الحديث طرق عديدة وهو صحيح ، وارجع إلى مسند البزار ٩ / ٢٨٦ ، أنساب الأشراف ١٢٩ ، المعجم الكبير للطبراني ٣ / ٧١ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٩ / ٢٠٤ ، وهناك طرق أخرى كثيرة .
وورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيحقّ معاوية قوله : « يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت على غير ملّتي » قال : وكنت تركت أبي قد وضع له وضوء ، فكنت كحابس البول ، مخافة أن يجي ، قال : فطلع معاوية! فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « هذا هو » .
كتاب البلاذري ٢ / ٤٤٩ ، وقعة صفين لنصر بن مزاحم : ٢١٧ .

إلى غير ذلك من الروايات الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيحقّ معاوية وبنّي أمية ، مضافاً إلى وصفه بالباغي على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث همّار تقتله الفقة

النَّاسَ وشيئاً لملكه على حساب المستضعفين من النَّاسِ ، وبالخصوص العبيد الذين أيَّدوا دعوته وناصروه .

وليس هذا مجرد ظنٍّ فإنَّ بعض الظنِّ إثمٌ ، ولكن عندما نقرأ في كتب التاريخ لتتعرف شخصيَّة معاوية وأحواله ، وما فعله طيلة حياته خصوصاً مدَّة حُكمه فالظنُّ يصبح حقيقة لا مفرَّ منها .

افيكلفُ من هو معاوية ، ومن هو أبوه أبو سفيان ، ومن هي أمُّه هندُ ، فهو لطلِّيق ابن الطَّلِّيق الذي قضى شبابه في رحاب أبيه ، وفي تعبئة الجيوش لمحاربة رسول الله والقضاء على دعوته بكلِّ جهوده ، حتى إذا ما فشلت جميع محاولاته ، وتعلَّب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وعلى أبيه استسلم للأمر الواقع في غير قناعة ، ولكن الرَّسول لكرمه ولعظمة خُلِّقه عفى عنه وسمَّاه الطَّلِّيق .

وبعد موت صاحب الرسالة حاول أبوه إثارة الفتنة والقضاء على الإسلام ، وذلك عندما جاء في الدليل للإمام عليٍّ يجرُّ ضه على الثورة ضد أبي بكر وعمر ، ويمدِّيه بالمال والرجال ، ولكن الإمام علي سلام الله عليه عرف قصده

الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعوونه إلى النار» والحديث أخرجه البخاري ٤ : ٢٧ في كتاب الصلح ، والترمذي في المناقب ٢٧٧٣ وقال عنه : « حسن صحيح » .

فمعاوية ملعون ، ومستحقٌّ للقتل ، وهومن البغاة الذين يدعون إلى النار ، وممن لم يسلم ويدخل الإيمان قلبك . هذه الأوصاف قالها النبي صلى الله عليه وآله وسلم حقَّ معاوية بن أبي سفيان ، فكيف يتجرَّ أ الدكتور الرحيلي ويقول : إنَّه صحابي جليل عادل متقي؟! أليس هذا ردًّا على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وتحكيم الأهواء الأموية على الأحاديث النبوية؟!

وهذا يدلُّ على أنَّ عصر الطلقاء لم ينته بعد ، وإنَّما هناك طلقاء في كل مكان وزمان يتقوُّون على الله ورسوله بما تمليه عليهم الأهواء وأصحاب المطامع .

فطرده ، وبقي يعيش حاقداً على الإسلام والمسلمين طيلة حياته حتى آلت الخلافة إلى ابن عمّه عثمان ، عند ذلك أظهر ما في نفسه من كفر ونفاق ، فقال : « تَلَقَّ فَوْهَا تَلَقَّ ف الكرة يا بني أمية ، فوالذي يحلف به أبو سفيان ليس هناك جنة ولا نار »^(١).

وأخرج ابن عساكر في تاريخه من الجزء السادس في صفحة ٤٠٧ عن أنس : أن أبا سفيان دخل على عثمان بعدما عمي فقال : هل هنا أحد؟ فقالوا : لا . فقال : اللهم اجعل الأمر أمر جاهلية ، والمملك ملك غاصبية ، واجعل أوتاد الأرض لبني أمية^(٢) .
وأما ابنه يُعْمَلُها أدراك ما معاوية ، فحدث ولا حرج ، وما فعله بأمة محمد صلي الله عليه وآله وسلم لقطولايته في الشام ، ثم بعد تسلطه على الخلافة بالقهر والقوة ، ومالمؤرّد خون من هتكه للقرآن والسنة ، وتعدّيه كلّ الحدود التي رسمتها الشريعة ، والأعمال التي يتنزّه القلم عن كتابتها ، واللّسان عن ذكرها لئلاّ يبحها وفحشها ، وقد ضربنا عنها صفحاً مراعقواطف إخواننا من أهل السنة والجماعة ، والذين أشربوا في قلوبهم حبّ معاوية والدفاع عنه .

ولكن لا يفوتنا أن نذكر هنا نفسيات الرجل ، وعقيدته في صاحب

(١) تاريخ الطبري ٨ : ١٨٥ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ٥٣ .

(٢) تاريخ دمشق ٢٣ : ٤٧١ ، وفي كتاب النزاع والنخاصم للمقريزي : ٣١ قال : « إنَّ أبا سفيان دخل على عثمان ﷺ حين صارت الخلافة إليه فقال : قد صارت إليك بعد تيم وعدي فادرها كالكرة ، واجعل أوتادها بني أمية ، فإنّما هو المملك ، ولا أدري ما جنة ولا نار » .

الرسالة ، فهي لا تبعد عن عقية أبيه ، وقد رضعها من حليب أمِّه آكلة الأكباد ، والمشهورة بالعهر والفجور^(١) ، كما ورثها عن أبيه شيخ المنافقين

(١) قال الزمخشري في ربيع الأبرار ٣ : ٥٥١ باب القرباب والنسب : «كان معاوية يُعزى إلى أربعة ... » ، وقال السبط ابن الجوزي في التذكرة : ٢٠٢ : «إنَّ معاوية كان يقال : إنَّه من أربعة من قریش ... » ، وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١ : ١١١ : « كانت هند تُذكر في مكة بفجور وعهر » .
من هذولم يتضح أنَّ المؤلف لم يرمِ هند أمَّ معاوية زوراً ومهتاناً ، وإنما ذكر هذا الكلام ولديه دليله ، وهو ما ذكرته المصادر السليمة ، وسيرة هند معلومة لكلِّ مسلم ، بل هي نارٌ على منار ، فهي التي لاكت كبد حمزة عمِّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدما استشهد في معركة أحد ، ولقَّبت بآكلة الأكباد لأجل ذلك ، وبقي هذا اللقب يطاردها في كلِّ مكان ، وهي التي ولدت معاوية الذي قاتل علياً عليه السلام سبَّه على منابر المسلمين ، وهو والد يزيد الذي قتل ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الحسين بن علي عليهم السلام المدافع عنهم ما هو إلاَّ مكمل لذلك الخطِّ الأموي المعروف بالنصب والعداء والمعلوم لكلِّ أحد حتى عند ابتهامية المتعصِّب ، ومن هذا تعرف أنَّ ما ذكره عثمان الخميس في كشف الجاني : ١٢٩ ناشي من الجهل وعدم المعرفة بحال المسلمين وما دوَّ نوه في مصادرهم ، أو من التعصّب الأعمى !
وقد ذكر هنالك تعافريات على الشيعة كذباً وزوراً ، وهي مأخوذة من المصادر السنيَّة وإليك بيانهما ؛ فقد ذكر هناك عدة نقاط فقال :

(١) «يروون عن علي بن أبي طالب أنَّه كان ينام مع عائشة في فراش واحد» .
وهذا إفهوتان تبرِّأ منه الشيعة ، ويعجز عثمان وغيره عن إثبات ذلك ، بل الشيعة تنزَّه علي بن أبي طالب وتنزَّه عائشة من ذلك ، وهم أكثر من غيرهم دفاعاً عن أعراض الأنبياء عليهم السلام ، وأنَّ الذي رمى عائشة بالافك ما هم إلاَّ الصحابة الذين يدافع عنهم عثمان وأمثاله ، ومن أولئك الصحابة :
حسان بن ثابت فقد رمى عائشة بالافك وكانت تقرأ عليه قوله تعالى **أَبُو لَيْك**

هُمَّ عَذَابُ الْيَمِّ وَقَوْلُهُ لِيَمَّا كَرِهَ (رَهْمٌ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ، وتعني العمى الذي أصابه. راجع

سير أعلام النبلاء ٢ : ٥١٢ . ٥١٧ ، ترجمة ١٠٦ .

مسطح بن أثاثه ، حيث شارك في قصة الافك ، وكان أبو بكر ينفق عليه وقطع النفقة بعد الحادثة .. وقد ذكر ذلك البخاري في صحيحه ٣ : ١٥٧ كتاب الشهادات ، حديث الافك. راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء ١ : ١٨٧ ، ترجمة ٢٠. بل إنَّ أهل السنَّة هم الذين رووا في كتبهم ما يدلُّ على الطعن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وزوجاته ، فقد رووا عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : « أرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غداة باردة ، فأتيته وهو مع بعض نسائه في لحافه ، فأدخلني في اللحاف ، فصرنا ثلاثة » مستدرک الحاكم ٣ : ١٠٤ و صحَّحه ، ووافقته الذهبي في تلخيص المستدرک ، السنة لابن أبي عاصم ٢ : ٥٩٧ .

ومع ذلك يحكم عثمان وأمثاله بعدالة هؤلاء ، ويرمي الشيعة بتهم رخيصة تبرأ منها أخي يوسف من السرقة.

(٢) «روون أنَّ عمر بن الخطاب كان مصاباً بداء في دبره ... » ونسب ذلك إلى كتاب « الأنوار النعمانية » . وهذا جهل من عثمان الخميس وتدليس على القارئ؛ لأنَّ صاحب « الأنوار النعمانية » نقل هذا الكلام عن مصدر سنيٍّ إذ قال : (وأما أفعاله . يعني عمر . الجميلة فقد نقل منها متابعه ما لم ينقله أعداؤه ، منها ما نقله صاحب الاستيعاب ... ومنها : ما قاله المحقق جلال الدين السيوطي في حواشي القاموس عند تصحيح لغة الأربنية) ، وقال هناك : « وكانت في جماعة في الجاهلية ، أحدهم سيِّدنا عمر » . وأقبح منه ما قاله الفاضل وابن الأثير ، وهما من أجلاء علماءهم قال : زعمت الروافض أنَّ سيِّدنا عمر كان مخدِّثاً ، ولكن كان به داء دواؤه ماء الرجال » . وغير ذلك مما يتبيح نقله ، وقد قصَّ روا في إضاعة مثل هذا السرِّ المكنون المخزون ، ولم أرَ في كتب الرافضة مثل هذا .. وقد نقلت أهل السنَّة ها هنا عن

الذي ما عرف الإسلام يوماً إلى قلبه سبيلاً.
وكما عرفنا نفسية الأب ، فهذا هو الابن يعبر بنفس التعبير ، ولكن على طريقتة في
الدِّهَاءِ والدِّفَاقِ.

فقد روى الزبير بن بكار ، عن مطوف بن المغيرة بن شعبة الثقفي قال :

إمامهم ما هو أفبح من هذا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم « الأنوار النعمانية ١ : ٦٣ .
(٣) « كان عثمان ممن يلعب به ... » وهذا من خيانة النقل والتقول على الآخرين بما لم يذكره ، فإن المؤلف
نقل هذا الكلام عن الكلبي في كتابه مثالب العرب ، فذكر فيه مثالب قريش ومنهم عثمان (الصراط المستقيم ٢ :
٣٣٤) .

ومسألة اللعب بعثمان لا كما فهمه عثمان الخميس حيث فسّر اللعب بما ذكره الطبري في تاريخه : « قال
علي : عياد الله بالمسلمين اني قعدت في بيتي قال لي عثمان : (تركتني وقرابتي وحقني) وأني إن تكلمت فجاء
ما يريد يلعب به مروان ، فصار سيقه له يسوقه حيث شاء بعد كبر سنه .. » تاريخ الطبري ٣ : ٣٩٠ .
فاللعب به يعني عليه فيما يصدره ويفعله في خلافته من أوامر وأحكام وتصرفات وألفاظ (المخنث
فلهم يذكر في مصدر شيعي أو سني وهو من افتراءات عثمان الخميس وتقولاته الفاسدة .

وهذه الأمور التي ذكرها عثمان والأمور الأخرى كلها لا تؤمن بها الشيعة ولا تعتقد ، بما ، بل هي تنزه
ألسنتها عن نسبهم بالفحشاء إلى الآخرين ، مضافاً إلى أن ما ذكره من أمثلة كلها واردة في كتب لا تعدد
الشيعة بمؤلفيها أو بالكتاب الذي نقل هذه المسائل عن مصادر أهل السنة .

وأما ما هند بنسق زعمجة أبي سفيان فقد ذكرنا المصادر السننية التي ذكرت هذا الأمر في حقها ، وأما
كلامها التي ردت فيه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقولها : (لنزي الحرّة) ، فهذا لا يدل على
عدم ركبها لهذا اللفظ ، إذ كيف يستدل بكلامها على نفي الفعل عنها؟ إذ من الواضح أن الإنسان لا يفشي
سرّه ولا يبيئه للآخرين ، وهل يطلب عثمان الخميس من هند أن تقر بالزنا وتعترف به أمام الناس؟! .

دخلت مع أبي علي معاوية ، فكان أبي يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف إلى فيذكر معاوية وعقله ، ويعجب مما يرى من بيان جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء فرأيته مغتماً ، فانتظرت ساعة وظننت أنه لشيء حدث فينا أو في عملنا فقلت لها لي أراك مغتماً منذ الليلة؟ قالوا بني إني جئت من عند أخبت الناس قلت له : وما ذاك ، قال قلت لمعاوية وقد خلوت إياك قد بلغت منك يا أمير المؤمنين ، فلو أظهرت عدلاً ، وبسطت خيراً فلنذكرك قد كبرت ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم ، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه .

فقال لي : هيهات هيهات لي ذكر أرحامهم؟ ملك أخو تميم فعدل وفعل ما فعل ، فما غدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل : أبو بكر ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين ، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل : عمر ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه ، فعمل ما عمل وعمل به ، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به وإن أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرّات أشهد أن محمداً رسول الله عمل وأي ذكر يبقى مع هذا لا أم لك؟ والله إلا دفناً دفناً^(١) .

خسئت وخبث وأخزك الله يا من أردت دفن ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنفقت في سبيل ذلك كل ما تملك ولكن جهودك كلها باءت

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥ : ١٣٠ ، مروج الذهب ٣ : ٤٥٤ في نداء المأمون بسب معاوية .

بالفشل، لأنَّ الله سبحانه لك بالمرصاد ، وهو القائل لرسوله **ز (فَعَزَّ نَبَا مَلِكٍ كَرَّكَ)** (١).
فلست أنت بقادر على دفن ذكره الذي رفعه ربَّ العزَّة والجلالة بفكده كيدك ،
واجمع جمعك ، فأنت غير قادر على إطفاء نور الله بفيك والله متمَّ نوره رغم نفاقك ،
فها قدم ملكت الأرض شرقاً وغرباً، إن هلكت حتى هلك ذكرك ، إلا أن يذكرك ذاكر
بأفعالك الشنيعة التي أردت بها هدم الإسلام، كما جاء ذلك على لسان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم (٢).

وبقي ذكر محمد بن عبد الله بن هاشم عبر القرون والأجيال إلى أن يرث الله الأرض
ومن عليها، كلما ذكره ذاكر إلا صلى عليه وعلى آله وسلم رغم أنفك ، فؤف بني أمية
الذين حاولوا بقيادتك وزعامتك القضاء عليهم وعلى فضائلهم ، فما زادهم ذلك إلا رفعة
وسمواً ، وسوف تلقون الله يوم القيامة غاضباً عليكم لما أحدثتموه في شريعته ، فيجزىكم بما
تستحقون.

وإذا ما أضفنا إلى هؤلاء فرخهم يزيد بن معاوية الماجن الفاسق ، شارب الخمر ،
والمجاهر بالفسق والفجور ، فسوف نجده هو الآخر يحمل نفس العقيدة التي ورثها عن أبيه
معاوية وجدّه أبي سفيان كما ورث عنهم الحسن بن معاوية ، وشرب الخمر ، ومعاوية
العاهرات ، ولعب القمار.

ولو لم يرث كل هذه الصفات البشعة لما أورثه أبوه معاوية الخلافة ، وسلطه على رقاب
المسلمين وكلهم يعرفوه حق معرفته وفيهم فضلاء الصحابة كالحسين بن علي سيد شباب
أهل الجنة أشك في أن معاوية

(١) الشرح : الآية ٤ .

(٢) كتاب صفين : ٤٤ .

قضى حياته ، وأنفق ماله الذي اكتسبه من حرام في سبيل القضاء على الإسلام والمسلمين الحقيقين.

ولقد رأينا كيف كان يريد دفن ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما قدر على فأنشأها حرباً على ابن عمه علي وصي النبي ، حتى إذا ما قضى عليه ووصل للخلافة بالقهر والغش والنفاق سنّ سنة المشؤومين عماله في كل الأقطار بلعن علي وأهل البيت النبوي على كل المنابر وفي كل صلاة وهو بذلك يريد سب ولعن رسول الله (١) ، ولما أعيته الحيل ، وأدركه الأجل ، ولم

(١) أخرج ابن عبد ربّه في العقد الفريد ٥ : ١١٤ في أخبار معاوية ، قال : إن معاوية لعن علياً على المنبر وكتب إلى عمّاله أن يلعنوه على المنابر ففعلوا ، فكتبت أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله إلى معاوية : إنكم تلعنون الله ورسوله على ومثلكم أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه ، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله ، فلم يلتفت معاوية إلى كلامها. (المؤلف).

وفي سنن ابن ماجه ١ : ٥٦ ، ح ١٢١ قال جدّنا علي بن محمد ، حدّثنا أبو معاوية ، حدّثنا موسى بن مسلم ، عن ابن سابط . وهو عبد الرحمن . عن سعد بن أبي وقاص قال : لما قدم معاوية في بعض حجّاته فدخل عليه ، فذكروا علياً ، فنال منه ، فغضب سعد وقال : تقول لهذا لرجل سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه » ، وسمعته يقول : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّي بعدي » ، وسمعته يقول : لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله . وصحح الحديث الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ١ : ٧٢ ح ١٢٠ ، وعلّق عليه بقول : « قوله : فنال منه ، أي نال معاوية من علي وتكلّم فيه » .

وفي عون المعبود بشرح سنن أبي داود ١٢ : ٣١٢ ح ٤٦٣٦ : « حدّثنا ابن العلاء عن ابن ادريس ، أنبأنا حصين عن هلال بن يساف . عن عبد الله بن ظالم

يصل إلى مأربه ، يتدب ابنه وولاه على الأمة ليواصل ذلك المخطط الذي رسمه هو وأبوه أبو سفيان ، ألا وهو القضاء على الإسلام وإعادة الأمر إلى الجاهلية .
فاستلم ذلك الماجن الفاسق الخلافة ، وثمّر سواعده للقضاء على الإسلام حسب رغبة أبيه ، فبدأ باستباحة مدينة الرسد **صلى الله عليه وآله وسلم** لجيشه الكافر ، ففعل فيها ما فعل طيلة ثلاثة أيام ، وقتل فيها عشرة آلاف من خيرة الصحابة ، بعد أن قتل سيّد شباب أهل الجنة وريحانة النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** أهل البيت النبوي ، وهم أقمار الأمّة ، حتى أخذت حرائر أهل البيت سبايا ،

المازني قال ذكر سفيان رجلا فيما بينه وبين عبد الله بن ظالم المازني قال : سمعت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال : ما قدم فلان إلى الكوفة أقام فلان خطيباً ، فأخذ بيدي سعيد بن زيد فقال : ألا ترى إلى هذا الظالم ، فاشهد على التسعة أنهم في الجنة .. » .

قال العظيم آبادي في شرح الحديث : (ما قدم فلان إلى الكوفة أقام فلان خطيباً) ، قال في فتح الودود : « ولقد أحسن أبو داود في الكناية عن اسم معاوية والمغيرة بفلان سترًا عليهما في مثل هذا المحل .. قال بعض العلماء كان في الخطبة تعريضاً بسبّ علي (عليه السلام) .. » .

وقد صحّ الحديث الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣ : ١٣٠ ح ٤٦٤٨ ، وفي صحيحته ٢ :

٥٣١ ح ٨٧٥ .

فمعاوية مؤسس الدولة الأموية من أول يوم لدولته وتشكيلته الحكومية باشر هذا الفعل ، وهو سبّ علي بن أبي طالب **عليه السلام** ، وإخفاء فضائل أهل البيت **عليهم السلام** ، وإعطاء الأموال لإضفاء فضائل مزيفلة ، والتحديث بتنقيص علي وآل علي ، وهذا أمرٌ واضح من سيرة معاوية ، ومن سيرة ولاته الذين نصبهم على البلاد والعباد ، ومن يدافع عن بني أمية ومعاوية ما هو إلا متبع لهوى أو متعصب لدين الأجداد والآباء .

فإننا لله وإنا إليه راجعون.

ولو أن الله لم يقصف عمره لتمكّن ذلك الوغد اللئيم من القضاء على الإسلام والمسلمين والذي يهمننا في هذا البحث هو الكشف عن عقيدته هو الآخر ، كما كشفنا عن عقيدة أبيه وجدّه .

فقد ثأ المؤرخون أزره بعد وقعة الحرّة المشؤومة ، وقتل عشرة آلاف من خيرة المسلمين سوى النساء والصبيان ، وأقتضّ فيها نحو ألف بكر ، وحبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج ، ثمّ بايع من بقي من الناس على أنّهم عبيد ليزيد ومن امتنع قتل ، ولمّا بلغ يزيد خبر تلك الجرائم والمآسي التي يندى لها الجبين ، ولم يشهد لها التاريخ مثيلاً حتى لمخلول والتتار وحتى عند الإسرائيليين فرح بذلك وأظهر الشماتة بنبيّ الإسلام ، وتمثّل بقول ابن الزبير الذي أنشده بعد موقعة أحد قائلاً :

ليت أشياخي بيذر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا ولتهلّوا فرحاً قالوا : يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعلمنا ميل بدر فاعتدل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا برّجاء ولا وحى نزل^(١)

(١) أنظر : تاريخ الطبري ٨ : ١٨٧ ، الأخبار الطوال للدينوري : ٢٦٧ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ١٧٨ ، وقال ابن كثير في البداية ٨ : ١٥٥ : « ثمّ أباح مسلم بن عقبة الذي يقول فيه السلف مسرف برّيقه . فبّحه الله من شيخ سوء ما أجهله . المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد . لا جزاه الله خيراً . ، وقتل خلقاً من

أشرفها وقرأتها ، وانتهب أموالاً كثيرة منها ، ووقع شرّ عظيم وفساد عريض ... ووقعوا على النساء ، حتى قيل : إنّه حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج .»

وقال ابن حجر العسقلاني في الإصابة ٦ : ٢٣٢ رقم ٨٤٣٤ : « مسلم بن عقبة بن أسعد .. المري أبو عقبة ، الأمير من قبل يزيد بن معاوية على الجيش الذين غزوا المدينة يوم الحرة ، ذكره ابن عساكر وقال : أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وشهد صفين مع معاوية .. وقد أفحش مسلم القول والفعل بأهل المدينة ، وأسرف في قتل الكبير والصغير حتى سمّوه مسرفاً ، وأباح المدينة ثلاثة أيام لذلك العسكر ، ينيهون ويقتلون ويفجرون ، ثم رفع القتل وبايع من بقي على أنهم عبيد ليزيد بن معاوية ، وتوجّه بالعسكر إلى مكة ليحارب ابن الزبير لتخلّفه .»

وقال النووي في شرحه لحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (ولا يريد أحدٌ أهل المدينة بسوء إلاّ أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء) ، « قال : لمن أرادها في الدنيا فلا يمهلها الله ولا يمكن له سلطان ، بل يذهب عن قرب ، كما انقضى شأن من حاربها أيام بني أمية مثل مسلم بن عقبة ، فإنّه هلك في منصرفه عنها ، ثم هلك يزيد بن معاوية مرسله على ذلك » شرح مسلم ، النووي ٩ : ١٣٨ .

وراجع ذلك أيضاً في المصادر التالية : سير أعلام النبلاء للذهبي ٣ : ٣٢٢ ، المستدرک للحاكم النيسابوري ٣ : ٥٥٠ ، الثقات لابن حبان ٢ : ٣١٢ ، أسد الغابة لابن الأثير ٤ : ٣٩٧ ، فتح الباري لابن حجر ٨ : ٢٤٥ و ٤٩٩ و ١٣ : ٦٠ ، الديباج على مسلم للسيوطي ٣ : ٤٠٧ ، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ١ : ٥٧ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ٥ : ٣٩ ، تاريخ خليفة بن الخياط ١٤٧ ، تهذيب التهذيب لابن حجر ١١ : ٣١٦ .

وغيرها من المصادر الكثيرة المتعرضة لهذه الواقعة المفجعة التي قتل خلق كثير فيها من الصحابة والتابعين ، واستبيحوا نساءهم وبناتهم وولدن الكثير من السفاح ، حتى أنّ من صار منهم يسمّون أولاد الحرّة لعدم معرفة آباؤهم ، وأنّ

فإذا كان الجدّ أبو سفيان العدوّ الأوّل لله ورسوله يقول صراحة :
تلقّفوها يا بني أمية تلقّف الكرة ، فوالذي يحلف به أبو سفيان فما من جنّة ولا نار
« .

وإذا كان الأب معاوية العدوّ الثاني لله ورسوله يقول صراحة ، عندما يسمع المؤذن
يشهد أنّ محمّد رسول الله « عمل وأيّ ذكر يبقى مع هذا لا أمّ لك؟ والله إلاّ دفناً
دفناً » .

وإذا كان الابن يزيد العدوّ الثالث لله ورسوله يقول صراحة :
لعبت هاشم بالملك فلا — برّ جاء ولا وحى — نزل
وإذا ما نحنُ عرفنا عقيدة هؤلاء في الله ورسوله وفي الإسلام ، وإذا ما نحنُ عرفنا
أعمالهم الشنيعة التي أرادوا بها هدم أركان الإسلام ، والإساءة إلى نبي الإسلام ، والتي لم نذكر
منها إلاّ النزر اليسير روماً للاختصار ، ولو أرتلّوسّ مع ملأنا مجلداً ضخماً في أعمال معاوية
وحده التي بقيت عليه عاراً وشناراً وفضيحة مدى الدهر ، ولو تجنّد لتغطيتها وسترها بعض
علماء السوء الذين كان لبني أمية عليهم أيادي وعطايا أعمت عيونهم ، فباعوا

الرجل بعد وقعة الحرّة كان يزّوج ابنته من دون أن يضمن بكارتها.

والملفت للنظر في هذا الأمر أنّ قائد الجيش الذي فعل هذه الأفعال الشنيعة في المدينة . وهو مسلم بن
عقبة المري . ذكره بعضهم كابن حجر العسقلاني وغيره أنّه صحابي كما تقدّم ، فعند ذلك يقع تضارب واضح بين
من يؤمن بعدالة جميع الصحابة وأنهم طيّبّة وبين الحديث المتقدّم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «
ولا يريد أحدٌ أهل المدينة ... » مع أفعال هذا الصحابي الشنيعة ، فهل هذا عادلٌ وهل هو في الجنّة ، لأنّه
صحابي ولا يضّرّه ما فعل؟! »

آخرتهم بدنياهم وألبسوا الحقّ بالباطل وهم يعلمون ، وبقي أغلب المسلمين ضحية هذا الدسّ والتزويو ، ولو علم هؤلاء الضحايا الحقيقة ، لما ذكروا أبا سفيان ومعاوية ويزيد إلاّ باللّعن والبراءة.

إذا ما عرفنا كلّ ذلك عرفنا منزلة هؤلاء ، وعرفنا أنّهم لا يستحقّون إلاّ الذمّ والتبرّيّ منهم ومن أعمالهم ، لا اتّباعهم وتبرير أفعالهم [(1)].

ولكن الذي يهمّنا في هذا البحث الوجيز هو التوصل إلى مدى تأثير هؤلاء وأشياعهم وأتباعهم الذين حكموا المسلمين طيلة مائة عام ، ولمّا نزل في خطواته الأولى.

ولا شكّ في أنّ تأثير هؤلاء المنافقين كان كبيراً على المسلمين ، فغير عقيدهم ، وغير سلوكهم ، وأخلاقهم ، ومعاملاتهم ، وحتى عباداتهم ، وإلاّ كيف يمكن لنا تفسير قعود الأمة عن نصره الحقّ وخذلان أولياء الله والوقوف مع أعداء الله ، ورسوله؟!

كيف يمكن لنا أن نفسّر وصول معاوية الطليق ابن الطليق واللّعين ابن اللّعين إلى الخلافة التي تمثّل مرتبة وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الوقت الذي يموت علينا المؤرّخون بأنّ النّاس كانوا يقولون لعمر بن الخطاب: «رأينا فيك إعوجاجاً لقومناك بسيوفناهم» يتحدّثون عن معاوية وهو يعتليّ منصبّ الخلافة بالقهر والقوة ، وأوّل خطبة يقولها في جميع الصّحابة إني « ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولكن لأتأمّر عليكم ، وها أنا ذا أمير*»

(1) أضيفت لعدم استقامة الجملة بدونها.

عظيالكهم» (ك) منهم أحد ساكناً ولا يعارضوه ، بل يجرُّوا في ركابه حتى يسموا ذلك العام الذي استولى فيه معاوية على الخلافة بعام الجماعة ، في حين أنه كان بحق عام الفرقة . ثم نراهم بعد ذلك يقبلون منه أن يولي عليهم ابنه الفاسق يزيد المعروف لديهم جميعاً ، ثم يولون يولاً يتحرر كون إلا ما كان من بعض الصلحاء الذين قتلهم يزيد في وقعة الحرّة ، وأخذ ممن بقي منهم البيعة على أهملهم عبيد ، فكيف لنا تفسير كل ذلك؟! على أننا نجد بعد ذلك أنه وصل للخلافة باسم إمارة المؤمنين الفسّاق من بني أمية كالوزع مروان بن الحكم ، والوليد بن عقبة وغيرهم .

ووصل الأمر بأمراء المؤمنين أن يستبيحوا مدينة رسول الله ، ويفعلوا فيها الأفاعيل ، وتهتك فيها الحرمات ، بل ويجرقوا بيت الله الحرام ، ويقتلوا في الحرم خيار الصحابة!! ووصل الأمر بأمراء المؤمنين أن يسفكوا دماء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك يقتلهم ربحانة رسول الله وذريته ، ويستبيحوا سبي بناته ، فلا يجرك أحد من الأمة ساكناً ، ولا يجد سيد شباب أهل الجنة ناصرًا !!

ووصل الأمر بأمراء المؤمنين أن يمزقوا كتاب الله ، ويقولون له :
إذا لقيت ربك يوم حشر فقل يا رب مـزقني الوليد
كما فعل الوليد الأموي .

ووصل الأمر بأمراء المؤمنين أن يلعنوا على المنابر علي بن أبي

(١) راجع : تاريخ دمشق ٥٩ : ١٥٠ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ١٤٧ ، البداية والنهاية ٨ : ١٤٠ .

طالب عليه السلام ويأمروا الناس بلعنه في كل الأقطار^(١) ، وهم لا يقصدون بذلك غير
لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٢) كمنهم أحد ساكناً ، ومن امتنع قُتِلَ
وصدُّ لُبِّ ومُثِّلَ به.

ووصل الأمر بأمرء المؤمنين أن يتجاهروا بشرب الخمر ، والزنا ، واللهو بالطرب

والغناء ، والرقص و .. و .. وحدث ولا حرج!

فإذا كان أمر الأمة الإسلامية قد وصل إلى هذا الحد من الانحطاط في الأخلاق والذل
والاستكانة ، فلا بد أن هناك عوامل أثرت في تقيدها ، وهذا ما يهمننا في هذا البحث؛ لأنه
يتعلق بموضوع العصمة وشخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وأول ما يلفت انتباهنا هنا هو أن الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان منعوا كتابة
حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحتى التحدث به.

فهذا أبو بكر يجمع الناس في خلافته ويقول لهم : «إنكم تحذثون عن رسول الله
أحاديث تختلفون فيها ، والناس بعدكم أشدَّ اختلافاً ، فلا تحذثوا عن رسول الله شيئاً ، فمن
سألكم فقولوا ببيتنا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرَّموا حرامه»^(٣).

كما أن عمر بن الخطاب هو الآخر منع أن يتحدث الناس بحديث الرسول ، قال
قرظة بن كعب لما سيرنا عمر بن الخطاب إلى العراق مشياً

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٣ : ٣١ ترجمة المغيرة بن شعبة الذي كان والياً لمعاوية على الكوفة ، وكان ينال في
خطبته من علي ، وأقام خطباء ينالون منه.

(٢) جمع ما تقدّم من حديث أم سلمة الذي نقلناه آنفاً .

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ١ : ٢ و ٣ .

معنا وقال : أتدرون لما شيعتكم؟ قالوا : تكرمة لنا ، قال : ومع ذلك إنكم تأتون أهل قرية لهم دويّ بالقرآن كدويّ النحل ، فلا تصدّوهم بالأحاديث فتشغلوهم ، جوّ دوا القرآن ، وأقلّوا الرواية عن رسول الله ، وأنا شريككم.

يقول هذا الفلويّ نقل حديثاً قط بعد كلام عمر ، ولمّا قدم العراق هرع النّاس إليه يسألونه عن الحديث ، فقال لهم قرظة : نهانا عن ذلك عمر^(١).

كما أنّ عبد الرحمن بن عوف قال بأنّ عمر بن الخطّاب جمع الصّحابة من الآفاق لمنعهم من التحدّث بأحاديث رسول الله في النّاس وقال لهم : أقيموا عندي ولا تفارقوني ما عشتُ ، فما فارقه حتى مات^(٢).

كما يذكر الخطيب البغدادي والذهبي في تذكرة الحفاظ بأنّ عمر بن الخطّاب حبس في المدينة ثلاثة من الصّحابة ، وهم أبو الدرداء ، وابن مسعود ، وأبو مسعود الأنصاري بذنب الإكثار من نقل الحديث (كَمَا أَنَّ عُمَرَ أَمَرَ الصّحَابَةَ أَنْ يَحْضُرُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ كِتَابَيْهَا ، فَظَنُّوا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُقَوِّمَهَا عَلَى أَمْرٍ لَا يَكُونُ فِيهِ اخْتِلَافٌ ، فَأَتَوْهُ بِكُتُبِهِمْ فَأَحْرَقَهَا كُلَّهَا فِي النَّارِ^(٤)).

ثمّ أتى بعده عثمان فواصل المؤلّر ، وأعلن للنّاس كافة أنّه « لا يحل

(١) راجع : السنن لابن ماجه ١ : ١٢ ، المعجم الأوسط ٦ : ١٦٤ ، تذكرة الحفاظ للذهبي ١ : ٧ ، المستدرك

للحاكم ١ : ٢٠٣ كتاب العلم ، بألفاظ مختلفة ، ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك.

(٢) تاريخ دمشق ٤٠ : ٥٠٠ ، كنز العمال ١٠ : ٢٩٣ ح ٢٩٤٧٩.

(٣) تذكرة الحفاظ ١ : ١٢.

(٤) تقييد العلم : ٥٢ ، القسم الثاني ، باختلاف.

لأحد أن يروي حديثاً لم يسمع به على عهد أبي بكر ولا عهد عمر»^(١).
ثمَّ بعد هؤلآء جاء دور معاوية بن أبي سفيان ، لمَّا اعلتلى منصبة الخلافة صعد على المنبر وقال : «يها الناس إياكم والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إلاَّ حديثاً يذكر على عهد عمر»^(٢).

فلا بدَّ أن هناك سرّاً لمنع الأحاديث التي قالها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والتي لا تتماشى وما جرت عليه المقادير في ذلك العصر ، وإلاَّ لماذا يبقى حديث الرسول ممنوعاً طوال هذه المدّة الطويلة ، ولا يُسمح بكتابته إلاَّ في زمن عمر بن عبد العزيز؟!!!
ولنا أن نستنتج طبقاً لما سبق من الأبحاث بخصوص النصوص الصريحة في الخلافة ، والتي أعلنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رؤوس الأشهاد بأنَّ أبا بكر وعمر معنا من الرواية والحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلك النصوص في الأقطار أو حتى في القرى المجاورة ، فتكشف للناس بأنَّ خلافته وخلافة صاحبه ليست شرعية ، وإنما هي اغتصاب من صاحبها الشرعي علي بن أبي طالب. وقد تكلمنا في هذا الموضوع ، وكشفنا عن هذه الحقيقة في كتابنا «لأكون مع الصادقين» فليراجع لمزيد الاطمئنان.

والعجيب في أمر عمر بن الخطاب هو موقفه المتناقضة بالخصوص في كلِّ ما يتعلّق بأمر الخلفاء: حين نجده هو الذي ثبتَّ بيعة أبي بكر ، وحمل الناس عليها قهراً ، يحكم عليها بأهلثة فوقي الله شرّها^(٣). وفي

(١) الطبقات الكبرى ٢ : ٣٣٦ ، كنز العمال ١٠ : ٢٩٥ : ح ٢٩٤٩٠ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٩ : ٣٧٠ .

(٣) صحيح البخاري ٨ : ٢٦ كتاب المحاربين ، باب رجم الحبلى .

حين يختار هو سنة للخلافة نراه يقول : لو ولّوها الأجلح (يقصد علي بن أبي طالب)
لحملهم على الجادة^(١) فما دام يعترف بأن علياً هو الشخص الوحيد الذي يحمل الناس
على الجادة ، فلماذا لم يعيّننه وينتهي الأمر ، ويكون بذلك قد بذل النصح لأمة محمد؟! .
ولكنّ نراه بعد ذلك يتناقض فيرجّح كفة عبد الرحمن بن عوف ، ثمّ يتناقض^(٢) مرة أخرى
فيقول لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لولّيته عليكم^(٣) .

والأعجب من ذلك في لولّي حفص هو منعه الحديث عن النبي
صلّى الله عليه وآله وسلّم بحسبه الصّحابة في المدينة ومنعهم من الخروج منها ، ونهيّه
المبعوثين من قبله إلى الأقطار بأن لا يجد الثّولاس عن السنّة النبويّة ، وحرقه للكتب التي
كانت بأيدي الصّحابة ، وفيها أحاديث النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم!!
فهم أحمير بن الخطّاب بأن السنّة النبويّة هي تبيان للقرآن الكريم؟ أو لم يقرأ قوله

وَأَلْنِيحَطَّنَا لِتِيْعَلِكِ : (الذّكْرَ لِتِيْعَلِكِ لِيْنِنَاسِ مَا نَزَرَ لِ

(١) الطبقات الكبرى ٣ : ٣٤٢ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢ : ٢٦٠ ، كنز العمال ١٢ : ٦٧١ ح

٣٦٠٤٤ . وقال : (ابن سعد والحارث ، حل واللكائي في السنّة وصحح) .

(٢) هذا الحديث اتخذه أبو حنيفة حجّة على جواز الخلافة للموالي ، وخالف بذلك الصريح من حديث النبي
صلّى الله عليه وآله بأنّ الخلافة لا تكون إلاّ في قريش ، ومن أجل ذلك اعتنق الأتراك مذهب أبي حنيفة عندما
استولوا على الخلافة ، وسمّوا أبا حنيفة الإمام الأعظم (المؤلف) .

والنصّ في : تاريخ ابن خلدون ١ : ١٩٤ ، أسد الغابة ٢ : ٢٤٦ .

إِلَيْهِمْ)^(١) ! أم أنه فهم من القرآن ما لم يفهمه صاحب الرسالة الذي أنزل عليه القرآن؟
وهذا يحاوله بعض المهوسين الذين يقولون بأن القرآن كثيراً ما ينزل موافقاً لآراء
عمر ، ومخالفاً لآراء النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم. كبرت كلمة تخرج من أفواههم إنهم لا
يفقهون.

وكنت دائماً أتعجبّ ب عندما أقرأ في البخاري رفض عمر قبول رواية عمّار بن ياسر
بخصوص تعليم النبي له كيفية التيمّم ، كما أتعجبّ ب من قول عمّار إنني تشئت لا أحدثُ به
(٢) ، مخافة من فيتمين! بوضوح بأن عمر بن الخطاب كان شديداً على كل من يروي
أحاديث الرسول ﷺ فيلحقه الأذى.

وإذا كان الصحابة من قريش يخافون من الخليفة فلا يخرجون من المدينة ، وحتى الذين
يخرجون منها يمتنعون نقل الأحاديث النبوية ، ثم يحرق لهم كتبهم التي جمعوا فيها
الأحاديث فلا يتكلم منهم أحد ، فما قيمة عمّار بن ياسر الغريب البعيد ، والبغيض لقريش
لوقوفه مع علي بن أبي طالب وحبّه إياهم؟

وإذا مرجعنا قليلاً بالبحث ، وبالضبط يوم الخميس الذي سبق وفاة الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم الذي سمّاه ابن عباس يوم الرّزية ، وذلك عندما أمر رسول

(١) النحل : ٤٤ .

(٢) انصّب في صحيح مسلم ١ : ٥٩٤ كتاب الحيض باب التيمّم ، البخاري ١ : ٨٧ كتاب التيمّم باب
التيمّم للوجه والكفّين والوارد فيه : «لم تر عمر لم يقنع بقول عمّار» .

الله صلى الله عليه وآله وسلم الحاضرين أن يأتوه بالكتف والدواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً ، نرى في ذلك اليوم أن عمر بن الخطّاب هو الذي اعترض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واتّهمه بالهجر . أي الهذيان . والعياذ بالله ، وقال : حسبنا كتاب الله يكفيننا» ^(١) ، وقد أخرج هذه الحادثة البخاري ، ومسلم ، وابن ماجه ، والنسائي ، وأبو داود ، و... ألهم ، وغيرهم من المؤرّخين كثير .

فإذا كان عمر يمنعُ رسول الله من كتابة أحاديثه ، وبمحضّر كثير من الصحابة وأهل البيت ، ويتّهمه بالهجر بتلك الجرأة التي لم يعرف التاريخ لها مثيلاً ، فليس غريباً ولا عجباً أن يشتمّ ر عن ساعديه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يمنع الناس من نقل أحاديث الرسول بكلّ جهوده ، وهو الخليفة القوي الذي يملك الحول والطول ، ولا شكّ أن اللهيّ حابة أنصاراً كثيرين من سُرّة قريش الذين لهم نفوذ في القبائل والعشائر ، والذين كانوا يصحبون النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم طمعاً أو خوفاً أو نفاقاً .

وقد رأينا هؤلاء على كثرتهم يؤيّدون قولاً عمر بأنّ رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم

(١) راجع : صحيح البخاري ٥ : ١٣٨ ، كتاب العلم ، باب كتابة العلم ، وفي كتاب الجهاد والسير ، باب هل يستشفع إلى أهل الذمّة وغيرها ، صحيح مسلم ٥ : ٧٦ ، كلب الوصيّة ، باب ترك الوصيّة لمن ليس له شيء يوصي فيه ، مسند أحمد ١ : ٣٢٥ ، السنن الكبرى للنسائي ٣ : ٤٣٣ ح ٥٨٥٢ ، المصنّف لعبد الرزاق ٥ : ٤٣٩ ، صحيح ابن حبان ١٤ : ٥٦٢ ، وغيرها من المصادر .

أما عن اتهام عمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالهجر فراجع سننّ العالمين للغزالي : ٤٠ ، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : ٦٥ ، النهاية لابن الأثير ٥ : ٢٤٥ ، السقيفة وفدك للجوهري كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٥١ ، منهاج السنة لابن تيمية ٦ : ٢٤ و ٣١٥ .

يهجُر ، ويشاركونه في منع النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم من كتابة الكتاب ، وأعتقد بأن ذلك كان هو السبب الرئيسي في سكوت النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم عن الكتابة؛ لأنّه علم بوحي ربّه بألّوامة قوية ، وقد تهدّد مسيرة الإسلام بكامله إذا ما كُتب ذلك الكتاب.

ذلك الكتاب الذي أراد به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحيين أمّته من الدخول في الضلالة ، فإذا بالمتأمرين يقصدون الموقف ، ويصبح ذلك الكتاب (ما كُتب) سبب الضلالة والانقلاب عن الإسلام.

فكيف لا يُغير رسول الله - بأبي هو وأمّ ي - وهو على تلك الحال من المرض على فراش الموت رأيه ، وبوحي من ربّه الذي يرنّ فيأذنيه ، ويملأ قلبه حسرة وأسى على أمّته المنكوبة ،
أفإنّ مات قواؤه: فتل انقلبه تمّ علمى أعقابكم (١).

ولم تنزل هذه الآية عفوية ، بل هي نتيجة حتمية لما علمه الله سبحانه من دسائسهم ومؤامراتهم ومكرهم ، فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفّض الصدور ، والذي يُعزّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كل ذلك وسلأه ، وأجزاه خير ما يجزي نبي عن أمّته ، ولم يحمّ له مسؤولية ارتداد الأمة وانقلابها ، بل قال له مسبقاً :

وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ أَإِنَّ لِلَّهِ مِنِّي مَعِ الرَّسُولِ بِإِسْمِ اللَّهِ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ لِمَا ضَلَّخَنِي بِهِ فُعْلَانٌ فَلْيَكْفُرْ * بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا *
وَ قَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَآثِرًا *
وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَآثِرًا *

(١) آل عمران : ١٤٤ .

نَبَا الْكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا^(١).

والذي لا مفرّ منه في هذا البحث هو النتيجة المؤلمة التي وصلنا إليها ، وهو أنّ أبا سفيان ومعاوية كانا ليتجرّ آ على صاحب الرسالة لولا مواقف عمر السّابقة ، وجرأته على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبحضرتة صلى الله عليه وآله وسلم ، وخصوصاً إذا بحثنا مواقفه طيلة حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومعارضته إياه في كثير من المواقف . والاستنتاج الذي بلاّ منه هو أنّ هناك مؤامرة كبرى حيكت للذّيل من شخصية ول الأتركرم ، وانتقاصه وتصويره للناس الذين لم يعرفوه بأذّه شخص " عادي " أو أقلّ من ذلك فأخذته العاطفة ويميل مع هواه ويزيغ عن الحقّ ، كلّ ذلك ليموّ هوا على الناس بأذّه ليس معصوماً ، والدليل أنّ علمرضه عدّة مرّات ، والقرآن ينزل بتأييد ابن الخطّاب ، حتّى وصل الأمر بأن يهدد الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فيكي ويقول : لو أصابنا الله بمصيبة لم ينجُ منها إلاّ ابن الخطّاب^(٢) في قضية أسرى بدر .

أو أنّ عمر كان يأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجزّب نساءه ، ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعل ذلك حتّى نزل القرآن بتأييد عمر ، وأمر نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم أن يجزّب نساءه^(٣) .

أو أنّ الشيطان لا يخاف من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكنّه يخاف ويهرب من

(١) الفرقان : ٢٧ - ٣١ .

(٢) نحوه الرياض النضرة ١ : ٢٤٩ ح ٦٠٩ ، تفسير الدر المنثور للسيوطي ٣ : ٢٠٢ ، أسباب النزول للواحدي

٢٤٢ ، تفسير القرطبي ٨ : ٣١ ، روح المعاني للآلوسي ٥ : ٢٣١ .

(٣) صحيح البخاري ١ : ٤٦ ، باب خروج النساء إلى البراز .

عمر^(١) ، إلى غير ذلك من الروايات المخزية التي تحطّ من قيمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وترفع من قيمة الصحابة .
ولكن عمر ضرب الرقم القياسي في هذا الصدد حتى روي (أخزاهم الله) بأنّ رسول الله كان يشكّ في نبوّته ، وذلك لحديث يروونه بأنّه قال صلى الله عليه وآله وسلم : « ما أبطأ عني جبرئيل إلّا ظننت أنه ينزل علي عمر بن الخطاب !! »
وأنا أعتقد بأنّ هذه الأحاديث وأمثالها وضعت في زمن معاوية بن أبي سفيان ، لمّا أعيته الحيلة في طمس حقائق علي بن أبي طالب ، فلجأ إلى إطرء أبي بكر وعمر وعثمان ، واختلاق الفضائل لهم كي يرفعهم في نظر النّاس على مقام علي سلام الله عليه ، ويرمي من ذلك إلى هدفين :

الهدف الأوّل : تصغير شأن ابن أبي طالب (أبو تراب) كما يُسمّيه هو للتمويه على النّاس ، واعتبار الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه أفضل منه .
والهدف الثاني لوضعه الأحاديث هو لكي يتقبّل الناس تجاوز أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصاياه في أمر الخلافة في أهل بيته ، خصوصاً الحسنين عليهما السلام اللذين كانا يعاصران معاوية ، فإذا كان من الممكن أن يتجاوز الثلاثة أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في علي عليه السلام لا يمكن أن يتجاوز معاوية (الرابع) أوامره صلى الله عليه وآله وسلم في أولاد علي عليه السلام؟!
وقد نجح ابن هند في مخطّطه نجاحاً كبيراً ، والدليل أنّنا اليوم عندما نتحدث عن علم علي وشجاعته وقرابته وأفضاله على الإسلام والمسلمين

(١) البخاري ٤ : ٩٦ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر ، صحيح مسلم ٤ : ١٤٨٥ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر .

يقفُ في وجوهنا من يقول : قال رسول اللّٰهُ: وزن إيمانُ أمّتي بإيمان أبي بكر لرجح إيمان أبي بكر.

ويقف في وجوهنا من يقول عمر الفاروق هو الذي يفرقُ بين الحقِّ والباطل.
ويقف في وجوهنا من يقول : عثمان ذو النورين الذي استتحت منه ملائكة الرحمن.
والمتتبع لهذه الأبحاث يجد أن عمر بن الخطّاب أخذ نصيب الأسد في باب الفضائل ،
وليس ذلك من باب الصدفة ، كلاً ولكن لمواقفه المعارضة والمتعدّدة تجاه صاحب الرسالة
أحبّته قريش ، وخصوصاً للدور الذي لعبه عمر في إقصاء أمير المؤمنين وسيّد الوصيين علي
بن أبي طالب عن الخلافة ، وإرجاع الأمر إلى قريش تتحكّم فيه كيف شاءت ، ويطمع فيه
الطلقاء والملعونون من بني أميّة ، وقريش كلّها وعلى رأسهم أبو بكر يعرفون بأنّ الفضل كلّهُ
يرجع لعمر في تسلّطهم على رقاب المسلمين.

فعمرو هو بطل المعارضة لرسول الله ، وعمرو هو المانع لرسول الله بأن يكتب الخلافة
لعليّ ، وعمرو هو الذي هدّد الناس وشكّكهم في موت نبيّهم حتّى لا يسبقوه بالبيعة لعليّ ،
وعمرو هو بطل السقيفة ، وهو الذي ثبتّ بيعة أبي بكر ، وعمرو هو الذي هدّد المتخلفين في
بيت عليّ بأن يرحل عليهم الدار بمن فيها إن لم يبايعوا أبا بكر.
وعمرو هو الذي حمل الناس على بيعة أبي بكر بالقوّة والقهر ، وعمرو هو الذي كان
يعين الولاة ، ويعطي المناصب في خلافة أبي بكر ، بل لسنا

مبالغين إذا قلنا بأنّه هو الحاكم الفعلي حتىّ في خلافة أبي بكر نفسه ، فقد حكى بعض المؤرّخين بأنّ المؤلّفه قلوبهم لما جاؤوا لأبي بكر لأخذ سهمهم الذي فرضه الله لهم جرياً على عادتهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكتب لهم أبو بكر بذلك ، فذهبوا إلى عمر ليتسلّموا منه فمزّق الكتاب وقال لا حاجة لنا بكم فقد أعزّ الله الإسلام وأغنى عنكم ، فإن أسلمتم وإلاّ فالسيف بيننا وبينكم ، فرجعوا إلى أبي بكر ، فقالوا له : أنت الخليفة أم هو؟ فقال : بل هو إن شاء الله تعالى ، وأمضى ما فعله عمر^(١).

ومرّة أخرى كتب أبو بكر لصحابين قطعة من الأرض وأرسلها لعمر ليمضي فيه ، فتنفل فيه عمر ومجاه ، فشتما ورجعا لأبي بكر يتذمّران فقالا : ما ندري أننت الخليفة أم عمراً؟! فقال : بل هو ، وجاء عمر مغضباً إلى أبي بكر وقال له : ليس من حقّك إعطاء الأرض إلى هذين ، فقال أبو بكر قلتُ لك بأنّك أقوى مني على هذا الأمر ولكنك غلبتني^(٢).

(١) بدايع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ٢ : ٤٥ النصّ والاجتهاد لشرف الدين : ٤٣ .

(٢) الإصابة ٤ : ٦٤٠ ، ترجمة عيينة بن حصن .

وجاء في السيرة الحلبية ٣ : ٥١٢ : «وفي كلام سبط ابن الجوزي أنّه [أي أبو بكر] كتب لها بفدك ، ودخل عليه عمر فقال : ما هذا؟ فقال : كتاب كتبتّه لفاطمة بميراثها من أبيها ، فقال : مما تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى ، ثمّ أخذ عمر الكتاب فشقه .»
وفي المصنّف لأبن أبي شيبة ٧ : ٦٤١ لقطع أبو بكر طلحة أرضاً وكتب له بها كتاباً وأشهد به شهوداً منهم عمر ، فأتى طلحة عمر بالكتاب فقال : اختتم على هذا ،

هو بن يثيبين لنا سرّ المكانة التي حظي بها عمر بن الخطاب لدى قريش عامة ولدى بني أمية خاصة حتى سمّوه بالعقري ، وبالملهم ، وبالفاروق ، وبالعدل المطلق ، إلى أن فضّلوه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد رأينا عقيدة عمر في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يوم صلح الحديبية إلى يوم الرّزية ، أضف إلى ذلك أنه منع الصحابة من التبرّك بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقطع شجرة بيعة الرضخول (لأنه لم يبعث أسامة بن زيد) ليُشعرَ الناس بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات وانتهى أمره ، فلا فائدة حتى في ذكره ، فلا لوم على الوهابية الذين يقولون بهذه المقالات ، فهي ليست جديدة كما يتوهم البعض.

من هنا فُتِح الباب إلى أعداء الإسلام والمستشرقين ليستخلصوا بأن محمداً رجلاً عبقرى عرف أن قومه وثنيّين تربّوا على عبادة الأصنام فأزال الأصنام ، ولكنّه أبدلهم بذلك حجراً أسوداً .

نرى بعود كل هذا عمر هو بطل المعارضة لكتابة الأحاديث النبوية ، حتى يجبس العصابة في المدينة ، ويمنع آخرين من الحديث ، ويحرق كتب الحديث حرصاً منه بأن لا تنفث سنة النبوية بين الناس .

ونفهم أيضاً من خلال ذلك لماذا بقي جعلبس الدار لا يخرج إلا عندما يُدعى لحلّ معضلة عجز عنها الصحابة ، ولم يُشركه عمر في منصب

قال : لا أختم عليه ، هذا لك دون الناس؟ فانطلق طلحة وهو مغضب ، فأتى أبا بكر فقال : والله ما أدري أأنت الخليفة أو عمر ، قال : لا بل عمر لكنه أبي .
وفي كنز العمال ١٢ : ٥٨٣ : «إن عمر مزّق الكتاب ومجاه» .
(١) المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي ٢ : ٢٦٩ وسنده صحيح ، فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٧ : ٣٤٥ .

ولا في ولاية ولا في مسؤولية ولا في بعث ، وحُرِّمَ حتىَّ من ميراث فاطمة ، وليس عنده ما يُطمع الناس فيه.

وكذلك يُخون بأذنه اضطرَّ للبيعة بعد موت الزهراء سلام الله عليها لما رأى تحوُّل وجوه الناس عنه.

لك الله يا أبا الحسن فكيف لا يبغضُك الناس ، وقد قتلتَ أبطاهم ، وفرقتَ جموعهم وسفَّهتَ أحلامهم ، وما تركتَ لهم في سوق الفضائل فضيلة ، ولا في ميدان الحسنات حسنةً ومع ذلك فأنت ابن عمِّ المصطفى ، وأقربهم إليه ، وزوج فاطمة سيِّدة نساء العالمين ، وأبو السبطين سيِّدي شباب أهل الجنَّة ، وأوَّ لهم إسلاماً ، وأكثرهم علماً .

وعكَّ حمزة سيد الشهداء ، وجعفر الطيار ابن أمِّك وأبيك ، وأبو طالب سيِّد البطحاء وكفيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أبوك ، والأئمة الميامين كلَّهم من صُلْبك.

سبقت السَّابقين ونأيت عن اللاَّحقين ، فكنت أسد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكنت سيف الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وكنت أمين الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم عندما بعثك صلى الله عليه وآله وسلم ببراءة ولم يَأتمن عليها غيرك.

وكننت أنت الصَّديقُ الأكبر لا يقولها بعدك إلاَّ كذَّابٌ ، وكننت الفاروق الأكبر الذي يستقرُّ الخي ركابه ، فيُعرف الحقُّ به من بين ركاب الباطل ، وكننت العلم الظاهر ، والمنار الساطع ، يُعرفُ بحبِّه إيمان المؤمن وببغضه نفاق المنافق. فكَّ الباب لمدينة العلم ، من أذاك أتاها ، فقد كذب من زعم الدخول من غيرك ، والوصول بدونك.

فمن منهم له سهم كسهمك يا أبا الحسن؟ ومن منهم له فضلٌ كفضلك؟

فإن كان للشرف دليلاً فأنت دليله ، وأنت مبتدأه ومنتهاه ، لقد حسدوك على ما أتاك الله من فضله ، ولقد أبعدوك لما خصّك الله من قُربه ، فسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون .
لقد شطّ بنا القلم إلى مناجاة أمير المؤمنين المظلوم حياً وميتاً ، وله في أخيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسنة ، فهو أيضاً مظلوم حياً وميتاً ؛ لأنّه قضى حياته صلى الله عليه وآله وسلم ناصحاً حريصاً على المؤمنين بهم رؤوف رحيم .
وقابلوه في آخر لحظة بالكلام القبيح ، ورموه بالهجر ، وجابهوه بالعصيان والتمرّد في تأميره أسامة ، وهرعوا للسقيفة من أجل الخلافة ، وتركوه جثة هامدة ، ولم يشتغلوا حتى بتجهيزه وغسله وتكفينه بأبي هو وأمّ سي ، وبعد وفاته عملوا على انتقاصه في أعين الناس ، والحط من قيمته ، وتجريده من العصمة التي يشهد بها القرآن والوجدان ، كلّ ذلك من أجل حكم زائل ودنيا فانية .

وإذا عرفنا من خلال البحث ، موقف بعض الصحابة تجاه شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أجل الوصول للخلافة .

فإنّ حكام بني أميّة . على رأسهم معاوية بن أبي سفيان . جاءتهم الخلافة بالوراثة واطمأنّوا لها ، ولم يكن يدور في خلد أحد منهم بأنّها في يوم من الأيام سوف تخرج منهم ، فلماذا استمرّ بنوا أميّة في انتقاص شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتزوير الرّوايات للحطّ من قيمته؟

وأعتقد بأنّ هناك سببين رئيسيين ، وهما :

السبب الأوّل إنّ في الحطّ من قيمة رسول الله هو إرغام أنوف بني هاشم

الذين نالوا عزاً وشرفاً بين كل القبائل العربية لوجود النبي منهم ، وخصوصاً إذا عرفنا أن أمية كان ينافس أخاه هاشماً ويحده ، ويعمل كل ما في وسعه للقضاء عليه .

زد على ذلك بأن علياً هو سيد بني هاشم بعد الرسول من غير منازع ، وقد عرف الخاص والعام بغض معاوية لعلي ، والحروب التي شنها ضده لانتزاع الخلافة منه ، وبعد مقتله أولغ في سبّه ولعنه على المنابر ، فالخط من شخصية الرسول بالنسبة لمعاوية هو تحطيم شخصية علي ، كما أن سبّ ولعن علي هو في الحقيقة موجّه لرسول الله .

السبب الثاني إن في الخط من قيمة رسول الله فيه تبرير لما يقوم به حكّام بني أمية من أعمال مخزّية ، وقبائح شيعة سجّ لها لهم التاريخ ، فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الله كما يسمونه بني أمية . يميل مع هواه ويجب النساء إلى درجة أنّه ينسى واجتله ، ويميل إلى إحداهن إلى درجة أنّه لا يعدل بينهن حتى يبعثن له يطالبينه بالعدل^(١) ، فلا لوم بعد ذلك على البشر العاديين أمثال معاوية ويزيد وأضرابهم .

وتكمن الخطورة في السبب الثاني في أن الأمويين اختلقوا روايات وأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصبحت أحكاماً يُعمل بها في الإسلام ، والمسلمون يأخذونها من سلمة على أنّها من أقوال وأفعال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فتصبح عندهم سنة نبوية .

وأضرب لذلك بعض الأمثلة من الأحاديث المخزّية التي وضعت للنيل

(١) صحيح مسلم ٤ : ١٥٠٧ كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عائشة .

من شخصية الرسول ، والخط من قيمته ، ولا أريد أن أتوسّع في هذا الموضوع ، وسوف أقتصر فقط على ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما (روايات مخفية للطعن في النبي صلى الله عليه وآله وسلم).

١ . أخرج البخاري في كتاب الغسل في باب إذا جامع ثم عاد ، قال أنس : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة ، قال : قلت لأنس: كان يطيقكما بمنظلك بث أنه أعطى قوبة ثلاثين.

أنظر معي أيها القارئ هذه الرواية المخزية التي تصوّر لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هذا النهمة من الجماع ، في جامع إحدى عشرة زوجة في ساعة واحدة ، ويجمعهن في الليل أو النهار وبهذه السرعة ، ومن غير أن يغتسل من الأولى في جامع الثانية بماء الأولى.

وما عليك أيها القارئ إلا أن تتصوّر وتخيّل كيف يرتمي إنسان على زوجته كالحيوان بدون مقدّمات ولا تهيئة ، وقد شاهدنا أنه حتى عند الحيوانات تستغرق عملية الجماع مدة طويلة وتتطلب مقدّمات وتهيأ ، فكيف بهذا الرسول العظيم يفعل مثل هذا؟ قاتلهم الله ولعنهم أي يؤفكون.

ولأنّ العرب في ذلك العهد والرجال حتى في هذا العهد ما زالوا يفتخرون بقوّة الجماع ، ويعتبرون ذلك علامة الرجولة ، فوضعوا هذه القصة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحاشاه وهو الذي كان يقول : « لا ترموا على نسائكم كالبهائم واجعلوا بينكم وبينهنّ رسولا ».

فبمثل هذه الروايات يتحامل أعداء الإسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ويصفونه

بأنه رجل يتهالك على الجنس والجماع وحب النساء إلى غير ذلك من التهم.
وهل لنا أن نسأل أنس بن مالك راوي هذه القصة، من أخبره بها؟ من أعلمه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماع نساءه في ساعة واحدة وهن إحدى عشرة؟ هل النبي هو الذي حدثه بذلك؟ فهل يليق بأحدنا أن يحدث الناس على مجامعته لزوجه؟ أم أن زوجات النبي هن اللاتي حدثته بذلك؟ فهل يليق بالمرأة المسلمة أن تحكي للرجل جماع زوجها لها؟ أم أن أنس هو الذي تجسس على النبي، وتبمع خلواته مع زوجاته، وتفرج عليه من ثقوب الأبواب؟ أستغفر الله من همزات الشياطين ولعن الله الكذابين.

ولا أشك في أن الحكام الأمويين والعباسيين الذين اشتهروا بكثرة النساء والجواري، هم الذين وضعوا مثل هذه القصة لتبرير أعمالهم.

٢ . أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الثالث صفحة ١٣٢ ، وكذلك مسلم في صحيحه من الجزء السابع في صفحة ١٣٦ ، قالوا : قالت عائشة : أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى رسول الله ، فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مِراطي ، فأذن لها ، فقالت : « يا رسول الله إن أزواجك أرسلني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة » ، وأنا ساكتة ، قالت : فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « نبيمة ألسنت تحب بين ما أحب » ؟ فقالت : « بلى » ، قال : « فإلحي هذه » .

ثم تمضي الرواية فتقول إلى أن يبعث أزواج النبي مرة ثانية بزینب بنت جحش زوج النبي ينشدنه العدل في بنت أبي قحافة ، فتدخل هي الأخرى

على رسول الله وهو مضطجع مع عائشة ولا يس مرطها على الحالة التي دخلت عليه فاطمة نشد فلترسول العدل في بنت أبي قحافة على لسان أزواج النبي ، ثم تقع في عائشة وتسبها ، فتنتصر عائشة لنفسها وتقع هي الأخرى في زينب حتى تسكتها ، فيبتسم عند ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقول : « إنها ابنة أبي بكر »!!

فما عساني أن أقول في هذه الرواية المنكرة التي تجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يميل مع هواه ولا يعدل بين زوجاته ، وهو الذي جاء القرآن على **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلْتَاكُمْ دُلُوفًا أَحَدَةً أَوْ مَأْمَلَكُمْ أَيَّمَانِكُمْ** (١)؟!

ثم كيف يأذن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لابنته فاطمة سيّدة النساء لتدخل عليه وهو على تلك الحالة مضطجع مع زوجته ولا يس مرطها ، فلا يجلس ولا يقوم ويبقى مضطجعاً حتى يقول: «بئس ما أحب بين ما أحب»؟ وكذلك عندما تدخل عليه زوجته زينب وتطالبه بالعدل ، يبتسم ويقول : «إنها ابنة أبي بكر»!!

أنظر أيها القارئ الكريم إلى هذه المخازي التي يُلصقونها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رمز العدالة والمساواة ، في حين أنهم يقولون : مات العدل مع عمر ابن الخطّاب ، ويصوّرون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شخصاً مستهتراً بالقيم الأخلاقية ، فلا يعرف الحياء ولا المروءة.

ولهذه الرواية نظائر كثيرة في صحاح السنّة ، والتي يقصد الرّواة من ورائها إبراز فضيلة لصحابي أو لعائشة بالذات لأنها ابنة أبي بكر ، فينتقصون رسول

(١) النساء : ٣٠ .

الله صلى الله عليه وآله وسلم من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، وكما قدّمت في البحث بأنّ هذه الروايات موضوعة للنيل من شخصيّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنّك الرواية الثالثة وهي شبيهة بهذه.

٣. أخرج مسلم في صحيحه في باب فضائل عثمان بن عفّان ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم عثمان حدّثاً بأنّ أبا بكر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فراشه لابساً مِرْطَ عائشة ، فأذن لأبي بكر وهو كذلك ، فقضى إليه حاجته ثمّ انصرف ، ثمّ استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال ، فقضى إليه حاجته ثمّ انصرف.

قال عثمان بتمّ استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة : « أجمعي عليك ثيابك » ، فقضيتُ إليه حاجتي ثمّ انصرفتُ ، فقالت عائشة: رسول الله مالي لم أرك فزعتُ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعتُ لعثمان؟! قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ عثمان رجلٌ حَيٌّ ، وإنيّ خشيتُ إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلىّ في حاجته »!

وهذه الرواية أيضاً هي الأخرى شبيهة بما أخرجه البخاري ومسلم في فضل عثمان بن عفّان ، ومفادها بأنّ رسول الله كان كاشفاً عن فخذه ، فاستأذن أبو بكر فلم يغطّي رسول الله فخذه ، وكذلك فعل مع عمر ، فلمّا استأذن عثمان غطّي رسول الله فخذه وسوّى له ثيابه ، سألته عائشة عن ذلك قال لها : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة »^(١)!

قاتل الله بني أميّة الذين ينتقصون رسول الله لرفع مكانة سيّداهم.

(١) صحيح مسلم ٤ : ١٤٨٦ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عثمان.

٤. أخرج مسلم في صحيحه في باب و جوب الغسل بالتقاء الختانين عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم جل يجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل ل . وعائشة جالسة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل !!»

وأترك لك أيها القارئ أن تعلق بنفسك على هذه الرواية ، فقد بلغ من تدليل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عائشة أن يحدث بجماعها الخاص والعام من الناس ، وكم لعائشة أبي بكر من أمثال هذه الروايات التي فيها مس من كرامة الرسول والخط من قيمته .

فمرة تروي بأنه يضع خده على خدها لتتفرج على رقص السودان ، ومرة يحملها على كتفه^(١) ومرة يتسابق معها فتغلبه وينتظر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى تسمن فيسابقها ويقول هذه بتيك^(٢) ومرة يستلقي على ظهره والنساء يضربن بالدفوف ومزماره الشيطان في بيته فينتهرها أبو بكر^(٣) .

وكم في كتب الصحاح هذه الروايات المخزية التي لا يقصد منها إلا انتقاص نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم التي تقول بأن الرسول سد حر حتى

(١) صحيح البخاري ٢ : ٣ ، كتاب الجهاد ، باب الدرق .

(٢) مسند أحمد ٦ : ٣٩ وأشار محقق الكتاب أحمد حمزة الزين إلى صحة الحديث . وقال الشيخ الألباني في صحيحته ١ : ٢٥٤ ح ١٣١ بعد أن ذكر الحديث : «أخرجه الحميدي في مسنده ق ٤٢ / ٢ ، وأبو داود : ٢٥٧٨ ، والنسائي في عشرة النساء ق ٧٤ / ١ والسياق له ، وابن ماجه : ١٩٧٩ مختصراً وأحمد ٦ : ٣٩ / ٢٦٤ ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ٣٠٣ ح ٨٩٤٢ .

(٣) صحيح البخاري ٢ : ١١ كتاب مناقب الأنصار ، باب مقدم النبي وأصحابه المدينة .

لا يدري ما يفعل وما يقول ، وحتى يخيل له أنه يأتي نساءه ولا يأتيهن^(١) ، وكالروايات التي تقول بأذنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يصبح في رمضان جنباً^(٢) ، وأذنه ينام حتى يغط في نومه ثم يقوم فيصلّي بغير وضوء^(٣) .

ويسهو في صلاته فلا يدري كم ركعة صلّى^(٤) ، ولا يدري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هو مصيره يوم القيامة وما يفعل به^(٥) ، وأذنه يبول قائماً والصحابي يتعد عنه ، فيناديه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليقترّب منه حتى يفرغ من بوله^(٦) .

نعم ، لقد بلغ من تدليل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زوجته عائشة بنت أبي بكر أنه يجلس نفسه ويجلس المسلمين معه ليجثوا عن عقد ضاع من عائشة ، وليس معهم ماء حتى أن الناس يشتكون من عائشة لأبي بكر ، فيأتي أبوها يوجّهها ويلها ، كل ذلك ورسول الله مشغول بالنوم في حجر زوجته ، وإليك الرواية بالتفصيل!

أخرج البخاري في صحيحه في باب التيمّم ، ومسلم في صحيحه في باب التيمّم أيضاً عن عائشة أنّها قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض

(١) البخاري ٤ : ٦٨ و ٧ : ٢٩ كتاب الطب ، باب هل يستخرج السحر .

(٢) البخاري ٢ : ٢٣٤ ، كتاب الصوم ، باب الصائم يصبح جنباً وما بعده .

(٣) البخاري ١ : ٤٤ و ١٧١ ، كتاب الوضوء ، باب التخفيف ، صحيح مسلم ١ : ٤٤٢ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل .

(٤) البخاري ١ : ١٢٣ ، ٢ : ٦٥ ، كتاب السهو .

(٥) البخاري ٢ : ٧١ كتاب الجنائز ، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه .

(٦) صحيح مسلم ١ : ١٥٧ ، كتاب الطهارة ، باب المسح على الخفّين .

أسفاره حتى إذا كذا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على التماسه وأقام الناس معه ، وليسوا على ماء وليس معهم ماء .

فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا ألا ترى إلى ما صنعت عائشة ، أقامت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالناس معه ، وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟! فجاء أبو بكر ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واضح رأسه على فخذي قد نام ، فقال نجبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، قالت : فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول ، وجعل يطعن بيده في خصرتي ، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فخذي ، فنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أصبح على غير ماء ، فأنزل الله آية التيمم فتيمة موما .

فقال أسيد بن الحضير وهو أحد النقباء ما هي بأوّل بركتكم يا آل أبي بكر ، فقالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه ، فوجدنا العقد تحته^(١) .
لهفه صدق مؤمن عرف الإسلام بأن رسول الله يتهاون في أمر الصلاة إلى هذه الدرجة ، ويجبس المسلمين وهم على غير ماء وليس عندهم ماء ، كل ذلك من أجل البحث على عقد زوجته الذي ضاع منها ، ثم يترك المسلمين يتحسرون على الصلاة ويشتكون إلى أبي بكر وهو يذهب فينام على فخذ زوجته ، ثم يستغرق في نوم لا يشعر معه بدخول أبي بكر وتويخه عائشة وطعنها في خصرتها؟! .

(١) صحيح البخاري ١ : ٨٦ ، كتاب التيمم ، باب التيمم ، وأيضاً في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، باب فضل أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وصحيح مسلم ١ : ٩١ كتاب الطهارة ، باب التيمم م .

وكيف يجوز لهذا الرسول أن يترك الناس يموجون من أجل الماء ، واقترب وقت الصلاة
وينام هو في حجر زوجته.

ولا شكّ بأنّ هذه الرواية وضعت في زمن معاوية بن أبي سفيان ولا أساس لها ، وإلاّ
كيف نفسّر جادثة مثل هذه حضرها كلّ الصحابة ، وتغيب عن عمر بن الخطّاب فلا
يعرفها عندما يسئل عن التيمّم ، كما أخرج ذلك البخاري ومسلم في صحيحهما في باب
التيمّم .

والمهم في كلّ هذه الأبحاث هو أن نعرف بأنّ المؤامرة ضدّ رسول الله
صلّى الله عليه وآله وسلم كانت مؤامرة خسيصة ودنيئة ، تعمل على الانتقاص من رسول
الله صلّى الله عليه وآله وسلم تحطّ من قيمته إلى درجة أنّ أحدنا اليوم . ورغم كلّ الفساد
الذي عمّ البرّ والبحر . لا يرضى لنفسه مثل هذه المواقف والأفعال ، فما بالنا بأعظم شخصية
عرفها تاريخ البشرية ، والذي يشهه بلّ العزّة والجلالة بأنّه على خلق عظيم!!
وقد بدأت المؤامرة . حسب اعتقادي . بعد حجّة الوداع ، وبعد تنصيب الرسول
صلّى الله عليه وآله للإمام عليّ خليفة له يوم غدير خم ، وبذلك عرف الطامعون في
الرئاسة أن ليس أمامهم إلاّ المعارضة والتمرّد على هذا النصّ ، كلّفهم ذلك ما كلّفهم ، ولو
أدّى إلى الانقلاب على الأعقاب .

وبذلك يستقيم تفسير الأحداث التي بدأت بمعارضة الرسول صلّى الله عليه وآله في
ملّ كآوامره من كتابة الكتاب ، إلى تأمير أسامة ، إلى عدم الذهاب في الجيش الذي عبّأه
رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بنفسه .

وكذلك الأحداث التي أعقبت وفاته صلّى الله عليه وآله وسلم من حمل الناس على

البيعة

بالقوة ، وتهديد المتخلفين بالحرق ، وفيهم علي وفاطمة والحسنين .

إلى منع الناس من نقل أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرق الكتب التي فيها سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحبس الصحابة لئلا يتحدّثوا بأحاديث النبي .

إلى قتل الصحابة الذين امتنعوا عن أداء الزكاة لأبي بكر؛ لأنّه ليس هو الخليفة الذي بايعوه على عهد نبيّهم .

إلى اغتصاب حقّ فاطمة الزهراء من فدك والإرث وسهم الخمس وتكذيبها في دعواها .

إلى إبعاد الإمام علي عليه السلام من مسؤوليّة ، وتولية الفساد والنافقين من بني أمية على رقاب المسلمين .

إلى منع الصحابة من التبرّك بآثار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ومحاوله محو اسمه من الأذان .

إلى إباحة مدينته المنورة للجيش الكافر يفعل فيها ما يشاء .

إلى ضرب البيت الحرام بالمنجنيق وحرقه وقتل الصحابة في داخله .

إلى قتل عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بسبهم ولعنهم وحمل الناس على ذلك .

إلى قتل وتشريد من يحبّ أهل البيت ويتشيع لهم .

إلى أن أصبح دين الله لعباً وهزواً ، والقرآن يمزق ويُعبث به .

والمؤامرة ما زالت حتى اليوم ، وآثارها ومفعولها يسري في الأمة الإسلامية ، وما دام هناك في المسلمين من يترضى عن معاوية ويزيد ، ويبرّر أفعالهم بأنّها اجتهاد ولهم بها أجر عند

الله ، وهدام هناك من يكتب الكتب والمقالات ضد شيعة أهل البيت ، ويرميهم بكلّ شتيمة وشنيعة ، وما دام هناك من يستبيح قتل شيعة أهل البيت في بيت الله الحرام وفي

موسم الحجّ ؛

فالمؤامرة ما زالت متواصلة ، وستبقى متواصلة إلى أن يشاء الله .

وأنا لست بقادر على كشفها كلها ، أو الإحاطة بكل تفاصيلها وجوانبها ، ولكني أحاول بجهد المتواضع أن أنزّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الروايات المخزية التي ألصقت بمحضرتة ، وأدافع عنه وعن عصمته ، وأحاول إقناع المسلمين المثقفين والمتحررين بأن الرسول الذي أرسله الله هداية البشرية جميعاً ، وجعله قمراً وسراجاً مَنيراً هو أجل وأعظم وأسمى وأظهر وأنقى وأكمل إنسان خلقه الله تعالياً يمكن لنا أن نسكت على مثل هذه الروايات التي لم يقصد من ورائها إلا النيل من كرامته ، والخط من قيمته .

فلا ولن نرضى بهذه الروايات ، ولو اتفق عليها أهل السنة والجماعة ، وأخرجوها في صحاحهم ومسانيدهم ، لا بل ولو اتفق عليها أهل الأرض كافة ، فقله سبحانه وتعالى : **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ^(١) هو القول الفصل والحكم الأصل ، وليس بعده إلا الأباطيل والأوهام .

وهذا هو قول الشيعة في سيد الأنام ، ومنقذ البشرية من العمى والضلال ، وقائدها إلى الأمن والسلام ، فاعتبروا يا أولى الألباب !

قول أهل الذكر في الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

يقول الإمام علي عليه السلام : «أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم خرجه من أفضل المعادن منبتاً ، وأعز الأرومات مغرساً ، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه ، وانتخب منها أمناءه .»

(١) القلم : ٤ .

عترته خير العتر ، وأسرتُه خير الأسر ، وشجرته خير الشجر ، نبتت في حرم ،
وبسقت في كرم ، لها فروع طوال ، وثمره لا تنال ، فهو إمامٌ من أتقى ، وبصيرةٌ من اهتدى ،
سراجٌ لمع ضوؤه وشهابٌ سطع نوره ، وزندٌ برق لمعه .
سيرته القصدُ ، الوَسْشَةُ ، وكلامه الفصْلُ ، وحكمه العدلُ ، أرسله على حين
فتره من الرسلِ ، وهفوة عن العمل ، وغباوة من الأممِ »^(١) .

« فبالغ صلى الله عليه وآله وسلم في النصيحة ، ومضى على الطريقة ، ودعا إلى
الحكمة والموعظة الحسنة »^(٢) .

مستقرٌّ ه خير مستقرٌّ ، ومنبته ه أشرف منبت في معادن الكرامة ومماهد السلامة ، قد
صرفت ه أفهودة الأبرار ، وثنيت إليه أزمة الأبصار ، دفن به الضغائن وأطفأ به اللوائير ،
ألف به إخواناً ، وفرق به أقراناً ، أعز به الذلة ، وأذل به العزّة ، كلامه بيانٌ ، وصمته لسان
«^(٣) .

أرسله بحجّة كافية ، وموعظة شافية ، ودعوى متلافية ، أظهر به الشرائع المجهولة ،
وقمع به البدع المدخولة ، وبين به الأحكام المفصولة »^(٤) .
أرسله بالضياء « وقدّمه في الاصطفاء ، فرتق به المفاتيح ، وساور به المدغالب ، وذكّل
به الصعوبة ، وسهّل به الحزونة ، حتى سرّح الضلال عن يمين وشمال »^(٥) .

(١) نخب البلاغة ١ : ١٨٥ ، الخطبة ٩٤ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ١٨٦ ، الخطبة ٩٥ .

(٣) المصدر نفسه ١ : ١٨٧ ، الخطبة ٩٦ .

(٤) المصدر نفسه ١ : ١٨٦ ، الخطبة ١٦١ .

(٥) المصدر نفسه ٢ : ١٩٤ ، الخطبة ٢١٣ .

الفصل الثالث

في ما يتعلّق بأهل البيت عليهم السلام

السؤال الرابع : من هم أهل البيت؟

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (١).

يقول أهل السنّة والجماعة بأنّ هذه الآية نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويستدلّون على ذلك بسياق ما قبلها وما بعدها من الآيات ، وعلى حسب زعمهم فإنّ الله أذهب الرجس عن نساء النبي وطهّرهن تطهيراً .
ومنهم من يضيف إلى نساء النبي علي وفاطمة والحسن والحسين ، ولكنّ الواقع النقلّي والعقلي والتاريخي يأبى هذا التفسير لأنّ أهل السنّة يروون في صحاحهم بأنّ الآية نزلت في خمسة وهم محمّد ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي خصّهم ونفسه الشريفة بهذه الآية الكريمة عندما أدخل عليّاً وفاطمة والحسين معه تحت الكساء . وقال : « اللهم هؤلاء أهلي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً » (٢).

(١) الأحزاب : ٣٣ .

(٢) روي حديث الكساء ونزول آية التطهير في الخمسة من العترة الأبرار ، خمسة

٩. البخاري في التاريخ الكبير ٩ : ٢٥ رقم ٢٠٥ .
١٠. الإصابة لابن حجر العسقلاني ٤ : ٤٢٣ ، ٤٦٧ ، ٨ : ٢٦٥ .
١١. تذكرة الخواص لابن الجوزي : ٢١١ ، الباب التاسع .
١٢. ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ١ : ٣١٩ ح ٢ .
١٣. مناقب الخوارزمي : ٦١ .
١٤. السيرة الحلبية ٣ : ٤٠٤ .
١٥. السيرة الدحلانية ٢ : ٤١٣ .
١٦. أسد الغابة لابن الأثير ٢ : ١٢ .
١٧. تفسير الطبري ٢٢ : ٩ .
١٨. الدر المنثور للسيوطي ٥ : ١٩٨ .
١٩. تاريخ ابن عساكر ٤٢ : ١٠٠ .
٢٠. تفسير الكشاف للزمخشري ١ : ٣٦٩ ، سورة آل عمران آية ٦١ .
٢١. أحكام القرآن لابن العربي ٣ : ١٥٣٨ .
٢٢. تفسير القرطبي ١٤ : ١٨٣ .
٢٣. الصواعق المحرقة لابن حجر ٢ : ٤٢٢ ، الآيات الواردة في أهل البيت .
٢٤. الاستيعاب لابن عبد البر ٣ : ٣٧ .
٢٥. العقد الفريد لابن عبد ربه ٥ : ٦٢ .
٢٦. كنز العمال ١٣ : ٧١ ، ح ٣٦٤٩٢ .
٢٧. مصابيح السنة للبغوي ٢ : ٢٧٨ .
٢٨. أسباب النزول للواحدي : ٢٣٩ .

٢٩ . تفسير ابن كثير ٣ : ٤٩٢ .

وغير هؤلاء من علماء أهل السنة والجماعة كثيرون لم نذكرهم ، واكتفينا في هذه العجالة بهذا القدر .

وإذا كان كل هؤلاء يعترفون بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي بين المقصود من هذه الآية ، فما قيمة وأثر غيره من الصحابة ، أو التابعين ، أو المفسرين الذين يريدون حمل معناها على غير ما يريد الله ورسوله ، ابتغاء مرضاة معاوية وطمعاً فيما عنده؟! كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم مرة أخرى ، وخصهم بأنهم هم أهل البيت لا غيرهم ، وذلك عندما نزل قوله **سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى تَعَالَى (أَنْدَعُ أَبْنَاءَنَا نَسَاءَكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ أَنْبِيَاكُمْ ثُمَّ نَزَّ بِتَهْلِيلٍ فَذَكَرْهُمْ لَعْنَةً اللَّهُ عَلَيَّ الْكَافِرِينَ) (١)** ، فدعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، وقال : « هؤلاء بناؤنا وأنفسنا ونساءؤنا ، فهلمّ سوا أنفسكم وأبناءكم ونساءكم » (٢) ، وفي رواية مسلم : « اللهم هؤلاء أهلي » (٣) .
وعلماء أهل السنة والجماعة الذين ذكروهم في المصادر السابقة كلهم يعترفون أيضاً بنزول هذه الآية في هؤلاء الخمسة المذكورين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .
على أن أزواج النبي رضي الله تعالى عنهن عرفن مقصود الآية الكريمة ،

(١) آل عمران : ٦١ .

(٢) شواهد التنزيل للحسكاني ١ : ١٦٠ .

(٣) صحيح مسلم ٧ : ١٢١ ، كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي بن أبي طالب .

ولذلك لم تدعي واحدة منهن أمها من أهل البيت ، وعلى رأسهن أم سلمة وعائشة ، وقد كوت واحدة منهن أن الآية خاصة برسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، وقد أخرج اعترافهن كل من مسلم ، والترمذي ، والحاكم ، والطبري ، والسيوطي ، والذهبي ، وابن الأثير وغيرهم .

أضف إلى كل ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قد رفع هذا اللبس وهذا الإشكال الأثمة علم بأن المسلمين قد يقرؤون القرآن ، ويحملون أهل البيت على سياق الآيات السابقة واللاحقة ، والتي تحذر نساء النبي ، فبادر إلى تعليم الأمة بمقصود آية إذهاب الرجس والتطهير عندما داوم طيلة ستة أشهر . بعد نزول الآية . على المرور بباب علي وفاطمة والحسين قبل الشروع في إقامتها **فَيَقُولُ لَهَا يَا قَاتِلَةَ الْأُولَادِ فَيَقُولُ لَهَا (ب) عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** كما هو إلى الصلاة يرحمكم الله .

وقد أخرج هذه المبادرة التي فعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الترمذي في صحيحه ٥ : ٣٠ ، والحاكم في المستدرک ٣ : ١٥٨ ، والذهبي في تلخيصه ، وأحمد بن حنبل في مسنده ٣ : ٢٥٩ ، وابن الأثير في أسد الغابة ٥ : ٥٢١ ، والحسكاني في شواهد التنزيل ٢ : ١٨ ، والسيوطي في الدر المنثور ٥ : ١٩٩ ، والطبري في تفسيره ٢٢ : ٩ ، والبلاذري في أنساب الأشراف ٢ : ١٠٤ ، وابن كثير في تفسيره ٣ : ٤٩٢ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١٦٨ ، وغيرهم .

إذ لو أضفنا إلى كل هؤلاء أئمة أهل البيت ، وعلماء الشيعة الذين لا يشكّون في اختصاص محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين بهذه الآية الكريمة ، فلا تبقى بعد ذلك أية قيمة لمن خالفهم من أعداء أهل البيت

والمتشيعين لمعاوية وبني أمية الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

وقد كشف أولئك الذين يفسّرون الآية على غير تفسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم من المتزلفين إلى الحكّام من الأمويين والعبّاسيين قديماً وحديثاً ، وبأنهم من النواصب الذين ييغضون عليّاً ، وإن تسترّوا بزبي العلماء والفقهاء .
على أنّ العقل وحده يحكم بعدم شمول هذه الآية ، أعني (إذهاب الرجس والتطهير) لزوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

. فإذا ما أخذنا على سبيل المثال أمّ المؤمنين عائشة التي تدعى أنّها أحبّ أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأقربهم لديه ، حتى إنّ باقي أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم منّا ، وبعثن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ينشدنه العدل في ابنة أبي قحافة كلّما قتلجونا؛ ولم يتجرّأ أحد من أنصارها ومحبيها ولا من السابقين أو من اللاحقين أن يقول بأنّ عائشة كانت تحت الكساء يوم نزول الآية .

فما أعظم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في أقواله وأفعاله ، وما أعظم حكمته عندما حصر أهل بيته تحت الكساء ، حتى إنّ أمّ المؤمنين أمّ سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرادت الدخول معهم تحت الكساء ، وطلبت ذلك من زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكنه منعه من ذلك وقال لها : « أنت إلى خير »^(١).

(١) تفسير الطبري ٢٢ : ١١ ، تاريخ دمشق ١٤ : ١٣٩ ، سير أعلام النبلاء ١٠ : ٣٤٧ وقال محقق الكتاب : حديث صحيح . ورواه الترمذي في الجامع ٦ : ١٧٤ ، ح ٣٨٧١ وقال : « حديث حسن صحيح ، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب » وكذلك حكم الشيخ الألباني في صحيح الترمذي ٣٠٣٨ بصحة الحديث وفي

٢. ثمَّ يُلَقَّبُ بِمَفْلُوحِهَا الْخَاصِّ وَالْعَامِّ دَالٌّ عَلَى الْعِصْمَةِ ، فَإِنَّ إِذْهَابَ الرَّجْسِ شَمَلَ يَكُلُّ الذَّنُوبَ وَالْمَعَاصِيَ وَالرَّذَائِلَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ، وَخُصُوصاً إِذَا أُضِيفَ إِلَيْهَا تَطْهِيرٌ مِنْ رَبِّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالَةِ ، وَإِذَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَتَطَهَّرُونَ بِالْمَاءِ وَالتُّرَابِ طَهَارَةً جَسَدِيَّةً لَا تَتَعَدَّى ظَاهِرَ الْجِسْمِ ، فَأَهْلٌ يَلْتَبِطُ طَهَّرَهُمُ اللَّهُ طَهَارَةً رُوحِيَّةً غَسَلَتْ الْعَقْلَ وَالْقَلْبَ وَالْفُؤَادَ ، فَلَمْ تَتْرَكْ لَوْسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَلَا لِارْتِكَابِ الْمَعَاصِي مَكَاناً ، فَأَصْبَحَتْ قُلُوبُهُمْ صَافِيَةً نَقِيَّةً خَالِصَةً مُخْلِصَةً لِخَالِقِهَا وَبَارِئَةً فِي كُلِّ حَرَكَاتِهَا وَسُكُنَاتِهَا.

٣. ولكلِّ ذلك كان هؤلاء المطهَّرون مثالا للإنسانية جمعاء في الزهد ، والتقوى ، والإخلاص ، والعلم ، والحلم ، والشجاعة ، والمروءة ، والعفة ، والنزاهة ، والعزوف عن الدنيا ، والقرب منه جلِّ وعلا ، ولم يسجِّل التاريخ لواحد منهم معصية أو ذنباً طيلة حياته.

مسند أبي يعلى الموصلي ١٢ : ٢٤٤ ، الطبراني في المعجم الكبير ٣ : ٥٢ ، أسد الغابة ٣ : ٤١٣. ومما يدل على ذلك وأنَّ الفهم السائد لدى الصحابة آنذاك من أنَّ المراد بالآية ليس أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنما المراد بهم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام مضافاً إلى سيدهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما أخرجه في الدر المنثور ٥ : ١٩٨ عن عكرمة من قوله في آية التطهير «ليس بالذي تذهبون إليه إنما هو نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم» ، بعد ملاحظة كون عكرمة البربري خارجياً وهو الذي نشر مذهب الخوارج في المغرب كما ذكر ذلك ابن حجر في تهذيب التهذيب ٧ : ٢٣٧ والخوارج كانوا يكفُّون علياً ويتحاملون عليه ، فعكرمة كان يدعو إلى ذلك لأنه يريد طمس فضائل أهل البيت إذ لا يطبق أن يرى قرآناً يتلى في حقِّ أهل البيت عليهم السلام، وعلي رئيسهم ، وهو خارجي يبغضه ويقاتله كما فعل إخوانه الخوارج من قبل ، فلذلك كان ينادي في الأسواق إنكاراً لفضيلته ومنزلته المعلومة لدى المسلمين آنذاك.

وإذا كان الأمر كذلك ، فلنعد إلى المثال الأول لزوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي عائشة التي بلغت من المرتبة السامية والمكانة العالية والشهرة الكبيرة ما لم تبلغه أيّ زوجة أخرى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ولا حتى لو ما فحفظنهنّ بأجمعهنّ ما بلغنّ عشر معشار عائشة بنت أبي بكر ، هذا ما يقوله أهل السنّة فيها^(١) والذين يعتبرون أنّ نصف الدّين يؤخذ عنها وحدها.

(١) ذكر صاحب كتاب « كشف الجاني » : ٣١ أنّ المؤلّف كذب في هذا الكلام؛ لأنّ أهل السنّة لا يقولون بذلك ، بل هم مختلفون في تفضيل عائشة على خديجة أو بالعكس ، وبعضهم يفضّل فاطمة سلام الله عليها عليهما.

نظراً يرجع إلى أقوال علماء أهل السنّة في هذا المضمار يلحظ أنّ المؤلّف لم يجانب الصواب ، ولم يفتّر عليهم ما لم يقولوه كما حاول عثمان الخميس في كتابه « كشف الجاني » إظهار المؤلّف بذلك ، مجازفاً في تحمیل مذهب أهل السنّة المفضّل لعائشة على بقية زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى فاطمة سلام الله عليها على بعض الأقوال ، ونقل هنا كلمات علماء أهل السنّة في المسألة ليطلع عليها القارئ وصاحب كتاب « كشف الجاني » لعلّه لا يستطيع اقتناءها فلذلك زوّر الكلام جرافاً :

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢ : ١٤٠ في ترجمة عائشة ١٩ : « . ولم يتزوَّج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا عائشة ، ولا أحبّ امرأة حبّها ، ولا أعلم من أمّة محمد بل ولا في النساء مطلقاً امرأة أعلم منها ، وذهب بعض العلماء إلى أنّها أفضل من أيّها » .

فهنا لم يفضّلوا عائشة على خديجة فحسب بل فضّلوها حتى على أيّها!!

(٢) قال ابن تيمية في كتابه أمّ المؤمنين عائشة : ٢٣ : « قد ذهب إلى ذلك [أي تفضيل عائشة على غيرها من النساء] كثير من أهل السنّة » .

(٣) عن الزهري أنّه قال : « لو جمع علم الناس كلّهم ثمّ علم أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم

لكانت عائشة أوسعهم علماً « المستدرک ٤ : ١١ ، وقال عطاء : « وكانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة » المستدرک ٤ : ١٤ .

وذكروا لعائشة كثير من الخصائص التي لم يرد لواحدة من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربع معشارها لا عشرها فقط ، وهنا نورد بعضها ومن شاء فليراجع :

- (١) قال الحاكم : « نقل عن عائشة وحدها ربع الشريعة » الإجابة : ٦٢ .
(٢) إن جبرائيل عليه السلام جاء بصورتها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون غيرها . الكامل في التاريخ ٦ : ٣٦٤ ، تاريخ بغداد ١١ : ٢٢١ .
(٣) إن الوحي لا يأتي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا في بيتها دون سائر نساءه . صحيح البخاري ٧ : ٨٤ .

- (٤) أحب الناس إلى الرسول بعد أبيها . صحيح البخاري ٧ : ١٩ .
(٥) جبرائيل عليه السلام يقرئها السلام دون غيرها من نساءه ، وأنها الوحيدة من زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي رأته . صحيح البخاري ٧ : ٨٤ .
(٦) إنهم أفضلت أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعشر خصال دون غيرها . سير أعلام النبلاء ، للذهبي ٥ : ١٤٧ .

- (٧) كان يقبّلها وهو صائم دون غيرها من نساءه . صحيح البخاري ١ : ٨٣ .
(٨) كان آخر زاده من الدنيا ريقها . صحيح البخاري ٥ : ١٤٢ .
(٩) زوجها في الدنيا والآخرة ولم يرد في حق غيرها ذلك . المعجم الأوسط للطبراني ١ : ١٦٩ .
(١٠) إنهم كانت تصوم الدهر دون غيرها . السنن الكبرى للبيهقي ٤ : ٣٠١ .
(١١) إن الملائكة كانت تحف بيتها دون غيرها . السمط الثمين ص ٧١ .
(١٢) إنهم كانت تغتسل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إناء واحد دون غيرها . صحيح ابن حبان ٣ : ٣٩٢ .

- (١٣) إنهم كان لها يومان وليلتان وبقية نساءه يوم وليلة . صحيح مسلم ٤ : ١٧٤ .
(١٤) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعتذر منها دون غيرها . السمط الثمين لمحّب الدين

وإذا ما تجرّ دنا للحقيقة بدون تعصّب ولا انحياز ، فهل من المعقول أن يحكّم العقلُ
بأثماً مطهّرة من الذنوب والمعاصي؟ أم أن الله سبحانه رفع عنها حصانته المنبئة بعد موت
زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فلننظر معاً إلى الواقع.

الطبري : ص ٥٢ .

إلى غير ذلك من الخصائص المزعومة التي ذكرت لها دون غيرها من نساء النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ، والتي هي من الكثرة بحيث لم تكن لغيرها عشر معشار ما ذكر لها . وقد ذكر
ابن تيمية كلاماً فيه طعن وتوهين للسيدة خديجة على حساب تفضيل عائشة واعطائها ذلك المنصب المصطنع من
قبل الأمويين ، قال في كتابه أم المؤمنين عائشة : ٢٥ : « وهؤلاء يقولون : قوله لخديجة : « ما أبدلني الله بخير
منها » - إضح . فمعناه : ما أبدلني بخير لي منها لأنّ خديجة نفعته في أول الإسلام نفعاً لم يقم غيرها فيه
مقامها ، فكانت خيراً له من هذا الوجه لكونها نفعته وقت الحاجة ، ولكن عائشة صحبتته في آخر النبوة وكمال
الدين فحصل لها من العلم والإيمان ما لم يحصل لمن لم يدرك إلاّ أول زمن النبوة ، فكانت أفضل بهذه الزيادة ،
وبلغت من العلم ما لم يبلغه غيرها ، فخديجة كان خيرها مقصوراً على نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم
.. » .

وهذا الاستدلال كان من الأخرى لابن تيمية أن يجعله دليلاً على أفضليتها على عائشة؛ لأنّها نصرته
النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أول الرسالة حينما كان وحيداً ، بلا ناصر ولا معين ، وكان الطلقاء
وأبناء الطلقاء يتربصون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كل منفذ وكل فجح ، ولم يألوا جهداً في معارضته
بكلّ الأساليب والطرق من أذى ، وجوع ، وعزل عن المجتمع ، واستهزاء وسخرية وغيرها ... ، ومع ذلك وقفت
مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وناصرته وآزرته وثبتت على إيمانها . بينما عائشة تزوّجها النبي
صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة بعد أن ارتفعت جميع الموانع ، وأصبح المسلمون في حرية كاملة والدين
في سعة لا ضيق .. ومن الواضح أنّ المناصرة في الشدة أكمل وأحسن من المناصرة . على الفرض . في وقت الرخاء
والسعة . فما ذكره ابن تيمية عليه لا له أن تدبّر .

عائشة في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وإذا ما بحثنا حياتها مع زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وجدنا الكثير من الذنوب والمعاصي نمتفككثيراً ما تتآمر مع حفصة على النبي حتى اضطرتته إلى تحريم ما أحل الله له ، كما جاء ذلك في البخاري ومسلم^(١)، وتظاهرتا عليه أيضاً كما أثبت ذلك كل الصحاح وكتب التفسير^(٢) ، وقد ذكر الله الحادثتين في كتابه العزيز .

كما كانت الغيرة تسيطر على قلبها وعقلها فتتصرف بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تصفلاً بغير احترام ولا أدب ، فمررت قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما ذكر عندها خديجة : مالي ولخديجة إنهما عجوز حمراء الشدقين أبدلك الله خيراً منها ، فغضب لذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى اهتز شعره^(٣) .

ومررت أخرى بعثت إحدى أمهات المؤمنين للنبي (وكان في بيتها) بصحفة فيها طعام كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشتهيها ، فكسرت الصحفة أمامه بطعامها^(٤) وقالت

(١) صحيح البخاري ٦ : ٦٨ ، ١٦٧ كتاب التفسير باب قَوْلَيْهَا: (لَيْسَ بِي إِلاَّ تَتُوبَا) ، صحيح مسلم ٤ : ١٨٤ .

(٢) صحيح البخاري ٦ : ٧٠ ، كتاب التفسير باب قوله (لَيْسَ بِي إِلاَّ تَتُوبَا) ، صحيح مسلم ٤ : ١٩٢ .

(٣) صحيح البخاري ٤ : ٢٣١ ، باب تزويج النبي صلى الله عليه وآله وسلم خديجة ، وكذلك صحيح مسلم ٧ : ١٣٤ ، مسند أحمد ٦ : ١٥٠ ، والمستدرک للحاکم ٤ : ٢٨٦ ، باختلاف في الألفاظ .

(٤) صحيح البخاري ٦ : ١٥٧ في باب الغيرة .

للنبي مرّة أخرى أئنتَ الذي تزعم أنك نبي الله (١) ومرّة غضبت عنده فقالت له : أعدل ، وكان أبوها حاضراً فضربها حتى سال دمها (٢) .

وبلغ بها الأمر من كثرة الغيرة أن تكأتمبله عنيتي النعمان لما زُفّت عروساً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالت لها : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعجبه من المرأة إذا دخل عليها أن تقول له : أعوذ بالله منك ، وغرضها من وراء ذلك هو تطبيق تلك المرأة البريئة الساذجة ، والتي طلقها النبي بسبب هذه المقالة (٣) .

وقد بلغ من سوء أدبها مع حضرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أنه كان يصلّي وهي باسطة رجلها في قبلته ، فإذا سجد غمزها فقبضت رجلها ، وإذا قام أعادت بسطتها في قبلته (٤) .

وتأمرت هي وحفصة مرّة أخرى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى

اعتزل نساءه بسببها لمدة شهر كامل ينام على حصيول (٥) . ما نزل قول الله تعالى (تُزْجَرِي

مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ...) (٦) قالت للنبي في غير حياء : ما

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ٢ : ٦٥ ، كتاب أدب النكاح ، الأدب الثاني ، السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين لمحّب الدين الطبري : ٥٤ وقال : أخرجه الحافظ أبو القاسم الدمشقي .
(٢) المصدر نفسه .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ : ١٤٤ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٢٥٩ ، الإصابة ٨ : ١٩ ، مستدرك الحاكم ٤ : ٣٧ ، فتح الباري لابن حجر ٩ : ٢٩٥ .

(٤) صحيح البخاري ١ : ١٠١ ، باب الصلاة على الفراش .

(٥) صحيح البخاري ٣ : ١٠٥ ، في باب الغرفة والعلية المشرفة من كتاب المظالم .

(٦) الأحزاب : ٥١ .

أرى ربك إلا يسارع في هোক^(١).

وكانت عائشة إذا غضبت^٥ (وكثيراً ما كانت تغضب كحجر^٦ اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا تذكر اسم محمد^٧ د وإتما تقول ضرب إبراهيم^(٢) .
وقد أساءت^٥ عائشة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجرّ عته^٥ الغصص ،
ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رؤوف رحيم ، وأخلاقه عالية وصره عميق ، فكان
كثيراً ما يقول لئلسنك^٥ «ك شيطانك^٥ يا عائشة»^(٣) وكثيراً ما كان يأسى لتهديد الله لها
ولحفصة بنت عمر^(٤)، وكم من مرّة ينزل القرآن^٥ بسببها.

(١) صحيح البخاري ٦ : ٢٤ و ١٢٨ باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد.

(٢) صحيح البخاري ٦ : ٥٨ باب غيرة النساء ووجدهن^٥ .

(٣) المعجم الصغير للطبراني ١ : ١٧١ ، تلخيص الحبير ٢ : ٣٥ ، نيل الأوطار للشوكاني ١ : ٢٤٧ ، واستدل^٥
به في مسألة فقهية وقال : «الحديث يدلّ على أنّ اللمس غير موجب للنقض (أي نقض الوضوء) لأنّ عائشة
لمست شعر النبي صلى الله عليه وآله لتراه هل اغتسل أم لا ؟» وفي صحيح مسلم ٨ : ١٣٩ بلفظ « أقد جاءك
شيطانك ».

(٤) محمد تجنيّ عثمان الخميس في كتاب « كشف الجاني » : ١٣١ كعادته ، واتهم المؤلف بالكذب والافتراء ،

وأزّه يعتنّم المصادر الشيعية التي لا قيمة لها عند السنّة؟!

وهذا جنانية في الكلام لا يقوله إلا من توسّم بالتقليد والتعصب^٥ كلّ الذي نقله المؤلف كان من مصادر أهل
السنّة المعترية ، والتي تبين^٥ أخلاقيات عائشة وسيرتها مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، بل أكثرها من
صحيح البخاري ومسلم اللذين هما أصحّ كتاب بعد كتاب الله!!

ولعلّ عثمان الخميس لا يرى في هذه المسألة ثقلًا مة وغيرها الكثير ممّا لم يذكر ممّا يؤذي النبي
صلى الله عليه وآله وسلم أن أيّ عاقل من المسلمين وغيرهم يرى أن هذه

فقد قال **تَلْبَلُّ تَلْبَلُّ تَهْمًا وَوَلِيفَ صَيْبِي: (اللهَ فَقَدَ صَعَتَ قُلُوبُكُمْ مَا)** (١)، أي أنها
 زاغوت إن وانظفها عن الخلق، **فَقَوْلَهُ اللهُ هُوَ مَوْلَاهُ وَجَبْرِ يَلُ وَصَالِحُ**
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٢) هو تهديد صريح من

الأفعال أقبح أنواع الإساءة نظراً لمقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ونضيف إلى صاحب «كشف الجاني» بأن عائشة لم تقتصر على إيذاء النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم في حياته، بل آذته بعد وفاته، وخالفت ربه ما قبل رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم، وبينما القرآن يخاطبها بقوله في (بُيُوتِكُنَّ)، وبينما رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم يقول لها: «يَتَكَنَّ» صاحبة الجمل الأدب تنبها كلاب الحوآب يقتل عن
 يمينها وعن شمالها قتلى كثير...». (فتح الباري ١٣ : ٥ وصرح بصحة السند، مجمع الزوائد ٧ : ٢٣٤
 وصرح بوفاة رجاله)، وبينما رسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من خرج عن الطاعة وفارق
 الجماعة مات ميتة جاهلية» (أخرجه مسلم ٦ : ٢١).. بينما كان ذلك كله على مرأى وسمع منها وإذا بما
 تخالفه، فلا تفرق في بيتها وتنبها كلاب الحوآب وتفارق الجماعة، وتشكل حزبا مع طلحة والزبير وتقاتل علي
 بن أبي طالب عليه السلام ظلماً وبغياً كما ذكر المناوي في فيض القدير ٦ : ٤٧٤ وعلى غير هدى، بل
 في معصية الله تعالى كما ذكر ذلك ابن حجر في فتح الباري ١٣ : ٧٥، حتى إنها قالت بعد وقعة الجمل
 ورجوعها إلى المدينة: إني أحدثت بعد رسول حدثاً أذفوني مع أزواجه «بينما كانت تريد أن تدفن إلى جواره،
 كما أخرج ذلك ابن سعد ٨ : ٧٤، والحاكم في المستدرک ٤ : مقترراً بصحته ووافقه الذهبي، وبعد ذا وذاك
 يأتي عثمان الخميس متشكلاً قروايات الدولة الأموية ليضفي على عائشة هالة من الأبهة والقداسة، والتي تصوّر
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شخصاً مشغوباً بالدين. والعياذللبا. ولا هم له إلا عائشة بنت أبي
 بكر؟! إلى غير ذلك من الترهات التي سودت بها صفحات الإسلام وسيرة رسوله النيرة المشرقة.. لكن خلفاء
 الطلقاء بين الفينة والآخرى تنبت لهم نابتة وتظهر قرنها المعوج!!

(١) التحريم : ٤.

(٢) التحريم : ٤.

ربّ العزّة لها وحفصة ، التي كانت كثيراً ما تنصاع لها وتعمل بأوامرها .
عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ اللَّهُ أَنْ تُكُونِي لِحَدِيثِ أَحْسَنَ مِنْهُ لِمِمَّا تَدْعِيْنَ
(^١) وهذه الآيات نزلت في عائشة وحفصة بشهادة عمر بن الخطّاب ، كما جاء في
البخاري (^٢) . فدلّت هذه الآية لوحدها على وجود نساء مؤمنات في المسلمين خير من
عائشة .

ومرّة بعثها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لآراد أن يخطب لنفسه شراف
أخت دحية الكلبي ، وطلب من عائشة أن تذهب وتنظر إليها ، ولما رجعت كانت الغيرة قد
أكلت قلبها ، فسألها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما رأيت يا عائشة؟ فقالت : ما
رأيت طائلا! فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لقد رأيت طائلا ، لقد
رأيت خالا نجدها اقشعرّت منه ذوائبك » . فقالت يا رسول الله ما دونك سرّ ، ومن
يستطيع أن يكتمك (^٣) .

وكلّ ما فعلته عائشة مع حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مؤامرات كانت
في أغلب الأحيان تجرّ معها حفصة بنت عمر ، والغريب أنّنا نجد تفاهما وانسجاما تامّا بين
المرأتين عائشة وحفصة كالانسجام والتفاهم بين أBOيهما أبو بكر وعمر ، غير أنّه في النساء
كانت عائشة دائما هي الجريئة والقوية صاحبة المبادرة ، وهي التي كانت تجرّ حفصة بنت
عمر ورائها في كلّ شيء ، بينما كان أبوها أبو بكر ضعيفا أمام عمر الذي كان هو الجري
والقوي ، وصاحب المبادرة في كلّ شيء ولقد رأينا فيما مرّ من الأبحاث أنّه حتى في خلافته

(١) التحريم : ٥ .

(٢) صحيح البخاري ٦ : ٤٠ باب وإذا أسرّ النبي إلى بعض أزواجه .

(٣) طبقات ابن سعد ٨ : ١٦١ ، تاريخ دمشق ٥١ : ٣٦ ، الإصابة ٨ : ٢٠٠ .

كان ابن الخطّاب هو الحاكم الفعلي .

وقد حدثت بعض المؤرخين أنّ عائشة لما همّت بالخروج إلى البصرة لمحاربة الإمام علي فيما سمّي بحرب الجمل ، أرسلت إلى أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمهات المؤمنين تسألهنّ زوج معها ، فلم يستجب لها منهنّ إلا حفصة بنت عمر التي تجهّزت وهمّت بالخروج معها ، لكن أخاها عبد الله بن عمر هو الذي منعها وعزم عليها فحطّت رحلها^(١) ، ومن أجل ذلك كان الله سبحانه يتهدّد عائشة وحفصة معاً في قوله **تَنظَاهِرَا عَلَيْهِمَا** ، **وَمَوْلَاهُ وَجَبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**) ، وكذلك قوله : **(إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا)** .

ولقد ضرب الله لهما مثلاً خطيراً في سورة التحريم ليُعلمهما وبقيّة المسلمين الذين يعتقدون بأنّ أم المؤمنين تدخل الجنّة بلا حساب ولا عقاب لأنّها زوجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقد أعلم الله عباده ذكوراً وإناثاً بأنّ مجرد الزوجية لا تضرّ ولا تنفع حتى ولو كان الزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّما الذي ينفع ويضرّ عند الله هو فقط أعضالي بليلنسلله ، قال تعالى **لَيْلِينَ كَفَرُوا وَإِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ** ، **عَبِيدَيْنِ مِنْ أَهْلِ بَدَا كَلْبَةَ صَالِحٍ** ، **فَخَانَتَهُمَا فَأَلَمْنَهُمَا فَمِنْ غُلَّتْهُنَّ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا** ، **رَبِّ اللَّهِ مَا تَفَلَّلَا لِمَلْغِ يَالِدَاتِهِمْ لِمَوْلَا مَرْصَلَةٍ فِرْعَوْنِ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً** ، **نَجَّيْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجَّيْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** * **رَبِّ انِّ الَّتِي أَحْصَيْتُ** ، **فَرَجَّهَا**

(١) البداية والنهاية ٧ : ٢٥٨ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٢٠٨ .

بِنُورِ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهِ مَا وَكَّتُ بِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَائِمِينَ (١).

يتبين وبشكل للناس بأن الزوجية والصحة ، وإن كانت فيهما فضائل كثيرة إلا أنهم لا يغنيان من عذاب الله إلا إذا اتسما بالأعمال الصالحة ، وإلا فإن العذاب يكون مضاعفاً لأن عدل الله سبحانه يقتضي أن لا يعذب البعيد الذي لم يسمع الوحي كالقريب الذي ينزل القرآن في بيته ، والإنسان الذي عرف الحق فعانده كالجاهل الذي لم يعرف الحق . وإليك الآن أيها القارئ بعض رواياتها بشيء من التفصيل لكي تتعرف على شخصية هذه المرأة التي لعبت أكبر الأدوار في إبعاد علي عليه السلام عن الخلافة ، وحاربت بكل ما أُوتيت مهارة ودهاء.

ولكن عرف أيضاً بأن آية إذهاب الرجس والتطهير بعيدة عنها بعد السماء عن الأرض وأن أهل السنة أكثرهم ضحايا الدس والتزوير ، فهم أتباع بني أمية من حيث لا يشعرون.

أم المؤمنين عائشة تشهد على نفسها

ولنستمع إلى عائشة تروي عن نفسها وكيف تَهَقُّمًا الغيرة صوابها ، فتتصرّف بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فألا أخلاقياً ، قالت : بعثت صفية زوج

(١) التحريم : ١٠ - ١٢ .

(٢) وقد تحمل عثمان الخميس في « كشف الجاني » : ٣٢ على المؤلف فاتهم الشيعة بأقوال وروايات تبرأ منها براءة الذئب من دم يوف ، ولا أثر لها في كتب الشيعة ، وإنما هي مذكورة في كتب أهل السنة ، كما أحال عثمان الخميس على : من الكتاب مع أن المؤلف نقل الروايات عن كتب أهل السنة لا الشيعة ...

النبي إلى رسول الله بطعام قد صنعته له ، وهو عندي فلما رأيتُ الجارَ لي أخذتني رعدة حتى أستقلني أفكفضتُ القصعة ورميتُ بها ، قالت فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعرفت الغضب في وجهه فقلتُ : أعوذ برسول الله أن يلعنني اليوم ، قالت ، قال : «أولِّي لي» ، قلت : وما كفَّارتَه يا رسول الله؟ قال : « طعام قطعها ، وإناء كإنائها » (١) .

ومرَّة أخرى تروي عن نفسها ، قالت قلتُ للنبي حسبك من صفة كذا وكذا ، فقال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم «كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته» (٢) .

سبحان الله أين أمُّ المؤمنين من الأخلاق ، وأبسط الحقوق التي فضَّها الإسلام في تحريم الغيبة والنميمة ولا شكَّ بأنَّ قولها : « حسبك من صفة كذا وكذا » ، وقول الرسول بأنَّها كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته ما قالته عائشة في ضرِّتها أمُّ المؤمنين صفة أمر عظيم وهخطب جسيم .

واعتقد بأنَّ رواة الحديث استفضعوها واستعظموها ، فأبدلوها بعبارة (كذا وكذا) كما هي عادتهم في مثل هذه القضايا (٣) .

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦ : ٢٧٧ ، فتح الباري ٥ : ٩٠ وقال : إسناده حسن ، فيض القدير ٤ : ٣٥٢ ، مجمع الزوائد للهيتمي ٤ : ٣١ وصرَّح بوثاقه رجاله .

(٢) سنن أبي داود ٢ : ٤٥٠ ح ٤٨٧٥ ، تفسير ابن كثير ٤ : ٢٢٩ ، أحكام القرآن للحصاص ٣ : ٥٤١ ، تحفة الأحوزي في شرح سنن الترمذي ٧ : ٧٦ ونقل المنذري تصحيح الترمذي للحديث وأقرَّه . قال النووي في الأذكار النووية : ٣٣٧ بعد إيراد الحديث : « وهذا الحديث من أعظم الزواجر عن الغيبة أو أعظمها ، وما أعلم شيئاً من الأحاديث بلغ في ذمِّها هذا المبلغ » .

(٣) ولا تستغرب من فعل المحدثين هذا ، ولا تظنه تقولا من المؤلف ؛ إذ إن لهم في

وها هي عائشة أمّ المؤمنين تحكي مرّة أخرى عن غيرتها من أمهات المؤمنين ، قالت :
ما غرتُ على امرأةٍ إلاّ دون ما غرت على مارية وذلك أنّها كانت جميلة جعدة وأعجب بها
رسول الله وكان أنزلها أوّل ما قدم بها في بيت حارثة بن النعمان وفزعنا لها فجزعتُ ،
فحوتُ لها رسول الله إلى العالية ، فكان يختلف إليها هناك فكان ذلك أشدّ علينا ثمّ رزقه الله
الولد منها وحرمناه (١).

كما أنّ عائشة غرت مارية ضرّاً لها إلى إبراهيم المولود

هذه المسألة باطّ طويلاً ، وقدما راسخة يقرون ويعترفون بذلك ، فقد أخرج أبو داود في سننه ٢ : ٤٠١ ح
٤٦٣٦ عن عبد الله بن ظالم المازني قال : « ذكر سفيان رجلاً فيما بينه وبين عبد الله بن ظالم المازني ، قال :
سمعت سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل قال لما قدم فلان إلى الكوفة أقام فلان خطيباً .. » . فعلق العظيم
آبادي في عون المعبود ١٢ : ٣١٣ قال : « قال في الفتح الودود : ولقد أحسن أبو داود في الكناية عن اسم
معاوية ومغيرة بفلان سترّاً عليهما في مثل هذا المحل ... » .

قال بعض العلماء : كان في الخطبة تعريضاً بسبب علي .. « ، وكذلك فعل ابن جرير الطبري في تفسيره
جامع البيان ١٩ : ١٤٩ في قضية نزول قول الله تعالى (سِرَ تَكَ الْأَقْرَبِينَ) ودعاء النبي
صلى الله عليه وآله وسلم لأقربائه على أن يؤازره في هذا الأمر ويكون وصيه وخليفته كما ورد في ذلك في
تاريخه ٢ : ٦٣ ، إلاّ أن الطبري في تفسيره المشار إليه أبدل قوله : (هذا أخي ووصيي وخليفتي) بقوله : (هذا
أخي وكذا وكذا) ، مع أنّه رواها في التفسير والتاريخ بنفس السند !!

وهناك شواهد كثيرة موجودة في كلمات المحدثين ، تتكلم على فضائل أهل البيت عليهم السلام ، أو
تنسب على فضائح القوم الذين يحبونهم ، فلا ينقلونها بأمانة وإنما يقومون ببترتها وقطعها . وهذا كثير في كتب
المحدثين الأمناء !!

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨ : ٢١٢ ، الإصابة في معرفة الصحابة للعسقلاني ٨ : ٣١١ .

الرضيع البريء قالت لما: ولد إبراهيم جاء به رسول الله إلى ، فقال : « أنظري إلى شبهه بي
« فقلت : ما أرى شبهاً ، فقال رسول الله : « ألا ترين إلى بياضه ولحمه ؟ » قالت :
من فقلتُ: بيَ ألبانُ الضَّء أن ابيضَّ وسمنٌ^(١).

وقد تعدت غيرتها كلَّ الحدود وفاقت كلَّ تعبير عندما وصلت بها الظنون والوساوس
إلى الشكِّ في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكانت كثيراً ما تتظاهر بالنوم عندما
يأت عندها رسول الله ، ولكنها ترقبُ زوجها وتتحسسُ مكانه في الظلام ، وتتعمق به أين ما
ذهب.

وإليك الرواية عن لسانها والتي أخرجها مسلم في صحيحه والإمام أحمد في مسنده
وغيرهم ، قالتُ نا كانتُ ليلتي التي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها عندي ،
انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجله ، وبسط طرف إزاره على فراشه
فاضطجع ، فلم يلبث إلا ريثما ظنَّ أن قد رقدتُ فأخذ رداءهُ رويداً ، وانتعل رويداً وفتح
الباب فخرج ثم أجافهُ رويداً .

فجعلتُ درعي في رأسي ، واختمرتُ وتقنعتُ إزاري ، ثمَّ انطلقت على أثره حتىَّ جاء
البقيع ، فقلتها فطلمَّ رفع يديه ثلاث مرَّات ، ثمَّ انحرف فانحرفتُ ، فأسرَّعَ
فأسرعتُ ، فهروا لَ فهروا لَ ، فأحضر فأحضرتُ ، فسبقته لفتخُ فليس إلاَّ أن اضطجعتُ
فدخل فقال : « لك يا عائش حشداً رابياً ؟ » قالتُ فقلتُ : لا شيء ، قال : «
لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير » ، قالت : قلتها رسول الله بأبي أنت وأُمِّي فأخبرتهُ
، قال : « فأنت

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١ : ١٣٧ ترجمة إبراهيم بن النبي ، تاريخ يعقوبي ٢ : ٨٧ .

السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتَ أَمَامِي؟» ، قلت :نعم ، فلهديني في صدري هدية أوجعتني ، ثمَّ قال : « أظننت أن يجيفَ اللهُ عليك ورسولُهُ ... »^(١).

ومرَّةً أُخْرَى قَالَتْ فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نِنْتُ أُرَّهَ أَتَى بَعْضَ جَوَارِيهِ ، فَطَلَبْتَهُ فَإِذَا هُوَ سَاجِدٌ يَقُولُ : «بِ اغْفِرْ لِي»^(٢).

وَأُخْرَى قَالَتْ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ خَرَجَ مِنْ عِنْدِي لَيْلًا ، قَالَتْ فَغَرَّتُ عَلَيْهِ ، قَالَتْ : فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ ، فَقَالَ : «بَا لَكَ يَا عَائِشَةُ ، أَغَرَّتِ ؟» فَقُلْتُ : وَمَالِي أَنْ لَا يَغَارَ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « أَفَأَخْلِكُ شَيْطَانَكَ »^(٣).

وهيئة الأوخيرة تدلُّ دلالة واضحة على أنَّها عندما تغارُ تُخْرَجُ عَنْ أَطْوَارِهَا ، وَتَفْعَلُ أَشْيَاءَ غَرِيبَةً كَأَنَّ تَكْسَرَ الْأَوَانِي ، أَوْ تَمَزَّقَ الْمَلَابِسَ مِثْلًا ، وَلِذَلِكَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ فَلَمَّا جَاءَ وَرَأَى مَا أَصْنَعُ قَالَ أَفَأَخْذُكَ شَيْطَانَكَ ؟

وَلَا شَكَّ أَنَّ شَيْطَانَ عَائِشَةَ كَانَ كَثِيرًا مَا يَأْخُذُهَا أَوْ يَلْبَسُهَا ، وَقَدْ وَجَدَ لِقَلْبِهَا سَبِيلًا مِنْ طَرِيقِ الْغِيْرَةِ ، وَقَدْ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « الْغِيْرَةُ لِلرَّجُلِ جَلَّ إِيمَانٌ وَلِلْمَرْأَةِ كُفْرٌ بِإِجْتِبَارِ أَنَّ الرَّجُلَ جَلَّ يَغَارُ عَلَى زَوْجَتِهِ لِأَنَّه لَا يَجُوزُ شَرْعًا أَنْ يَشَارَكَه فِيهَا أَحَدٌ ، أَمَّا الْمَرْءُ فَلَيْسَ مِنْ حَقِّهَا أَنْ تَغَارَ عَلَى زَوْجِهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ أَبَاحَ لَهُ الزَّوْجَ بِأَكْثَرِ مِنْ وَاحِدَةٍ .

(١) صحيح مسلم ٣ : ٦٤ ، باب ما يقال عند دخول القبور ، مسند أحمد بن حنبل ٦ : ٢٢١ .

(٢) مسند الإمام أحمد ٦ : ١٤٧ ، سنن النسائي ٢ : ٢٢٠ ، المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ٣٤ ، والسند صحيح .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٦ : ١١٥ ، صحيح مسلم ٨ : ١٣٩ .

فالمرأة الصالحة المؤمنة التي أذعنت لأحكام الله سبحانه تتقبّل ضرّاً بها بنفس رياضية كما يقال اليوم ، وخصوصاً إذا كان زوجها عادلاً مستقيماً يخاف الله ، فما بالك بسيد الإنسانية ، ورمز الكمال والعدل ، والخلق العظيم؟

على أننا نجد تناقضاً واضحاً في خصوص حبّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة ، وما يقوله أهل السنة والجماعة من أنّها كانت أحبّ نسائه إليه وأعزّهم لديه ، حتى إنّهم يروون أنّ بعض نساءه وهبوا بتهنّئ لعائشة لما علمن بأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يصبر عليها ، فهل يمكن والحال هذه أن نجد مبرراً وتفسيراً لغيره عائشة المفرطة؟ والمفروض أنّ العكس هو الصحيح ، أي أن تغار بقية أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم عائشة لشدة حبّه إياها وميله معها ، كما يروون ويزعمون ، وإذا كانت هي المدلّلة عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو مبرر الغيرة؟

والتاريخ لم يحدّث إلاّ بأحاديثها ، وكتب السيرة طافحة إلاّ بتمجيدها ، وأنّها حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدلّلة التي كان لا يطيق فراقها . واعتقد بأنّ كلّ ذلك من الأُمميين يجبّوا عائشة ، وفضّلوا لها خدمت مصالحهم ، وروى لهم ما أحبّوا ، وحاربت عدوّهم علي بن أبي طالب . وكما اعتقد بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمكن يجبّها لما فعلته معه كما قولكيفلاً يجبّ رسول الله من تكذب ، وتغتاب ، وتمشي بالنميمة ، وتك في الله ورسوله ، وتظنّ منهما الحيف؟! كيف يجبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تتجسّس عليه ، وتخرج من بيتها بدون

إذنه لتعلم أين يذهب^١ !؟

كيف يجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تشتت زوجاته بحضرتة ولو كن

أمواتاً؟!

كيف يجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تبغض ابنه إبراهيم ، وترمي أمه

مارية بالإفك^(١).

كيف يجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تتدخل بينه وبين زوجاته

بالكذب مرّة ، وبإثارة الأحقاد أخرى ، وتتسبب في طلاقهن ؟!

كيف يجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تبغض ابنته الزهراء ، وتبغض

أخاه وابن عمه علي بن أبي طالب إلى درجة أنها لا تذكر اسمه ولا تطيب له نفساً بخير^(٢) !؟

كل هذا وأكثر في حياته صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته فحدث ولا

حرج.

وكل هذه الأفعال يمتدتها الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم لا يجب أن فاعلها؛ لأن

الله هو الحق ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم الحق ، فلا يمكن له أن يُب من كان

على غير الحق .

وسوف نعرف خلال الأبحاث القادمة بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم

يكن يُب بها ،

(١) يراجع في هذا الموضوع كتاب حديث الإفك للعلامة جعفر مرتضى العاملي. (المؤلف).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢ : ١٧٩ ، تاريخ الطبري ٣ : ١٨٩ ، والمصنّف لعبد الرزاق الصنعاني ٥ :

٤٣٠ بسند صحيح ، وفي إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني ١ : ١٧٨ ح ١٤٧ قال بعد .

ذكر الحديث . : « ورواه أحمد ٦ : ٢٢٨ مختصراً وزاد في آخره «ولكن عائشة لا تطيب له نفساً» وسنده

صحيح .»

بل إنه حذر الأمّة من فتنتها^(١).

سألتُ بعض شيوخنا مرّة عن سبب حبّ النبي المفرط لعائشة بالذات دون سواها؟ فأجابوني بأجوبة عديدة كلّها مزبّفة.

قال أحدهم: لأنّها جميلة وصغيرة ، وهي البكر الوحيدة التي دخل بها ، ولم يشاركه فيها أحدٌ سواه.

وقال آخر لأنّها ابنة أبي بكر الصديق صاحبه في الغار.

وقال ثالث لأنّها حفظت عن رسول الله نصف الدين ، فهي العالمة الفقيهة.

وقال رابع: لأنّ جبرئيل جاءه بصورتها ، وكان لا يدخل على النبي إلاّ في بيتها.

أنت كموترى أيّها القارئ بأنّ كلّ هذه الدعايات لا تقومُ على دليل ، ولا يقبلها العقل والواقع ، وسوف تأتي على نقضها بالأدلة ، فإذا كان الرسول يحبّها لأنّها جميلة ، وهي البكر والوحيدة التي دخل بها ، فما الذي يمنعه من الزواج بالأبكار الجميلات اللاتيكنّ بارعات في الحسن والجمال وكنّ مضرب الأمثال في القبائل العربية ، وكنّ رهن إشارة؟! على أنّ المؤرّخين يذكرون غيرة عائشة من زينب بنت جحش ، ومن صفية بنت حيي ، ومن مارية القبطية لأنهنّ كنّ أجمل منها.

روى ابن سعد في طبقاته ٨ : ١٤٨ ، وابن كثير في تاريخه ٥ : ٢٠ أنّ النبي

صلى الله عليه وآله وسلم حج مليكة بنت كعب ، وكانت تعرف بجمال بارع ، فدخلت

(١) صحيح البخاري ٤ : ٤٦ ، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي من كتاب الجهاد والسير .

عليها عائشة ، فقالت لها أما تستحين أن تنكحي قاتل أبيك ، فاستعادت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فطلقها ، فجاء قومها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : يا رسول الله هؤلاء هؤلاء لا رأي لها ، وإنهما خدعت فارتجعهن ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أبوها قد قتل في يوم فتح مكة ، قتله خالد بن الوليد بالخدمة .

وهذه الرواية تدلنا بوضوح بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان هممه من زواج الصغر والجمال ، وإلا لما طلق مليكة بنت كعب ، وهي صغيرة وبارعة في الجمال ، كما تدلنا هذه الرواية وأمثالها على الأساليب التي اتبعتها عائشة في خداع المؤمنات البريئات ، وحرمانهن من الزواج برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وقد سبق لها أن طلقت أسماء بنت النعمان لما غارت من جمالها وقالت له إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليعجبه من المرأة إذا دخل عليها أن تقول له : أعوذ بالله منك . وهذه مليكة ، تثير فيها حساسية مقتل أبيها ، وأن قاتله هو رسول الله وتقول لها : أما تستحين أن تنكحي قاتل أبيك !

فما كان جواب هذه المسكينة إلا أنها استعادت من رسول الله ! وما عساها أن تقول غير ذلك ، والناس لا يزالون حديثي عهد بالجاهلية الذين يأخذون بالثأر ويوعون من لا يثأر لأبيه ؟

بقي أن نتساءل ويحق لنا أن نتساءل : لماذا يطلق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هاتين المرأتين البريعتين ، واللّتين ذهبتا ضحية مكر وخداع عائشة لهن ؟ وقبل كل شيء لابد لنا أن نضع في حسابنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معمولاً مظلماً أحداً ، ولا يفعل إلا الحق ، فلا بد أن يكون في تطليقهن حكمة يعلمها الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما أن عدم تطليق عائشة رغم أفعالها فيه . أيضاً

. حكمة ، ولعلنا نقفُ على شيء منها في الأبحاث المقبلة.

أمّ ل بالنسبة للمرأة الأولى ، وهي أسماء بنت النعمان فقد ظهرت سداجتها عندما انطلتُ عليها حيلة عائشة ، فأوّل كلمة قابلت بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما مدّ يده إليها هي : «أعوذُ بالله منك». ورغم جمالها البارِع فلم يبقها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبلاقتها.

يقول ابن سعد في طبقاته في ٨ : ٤٥ وغيره عن ابن عبّاس : قال : تروّج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسماء بنت النعمان ، وكانت من أجمل أهل زمانها وأتمّه .
ولعلّه صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يعلمنا أنّ رجاحة العقل أولى من الجمال ، فكم من امرأة جميلة جرّها غباؤها للفاحشة.

أمّ ل بالنسبة للمرأة الثانية ، وهي مليكة بنت كعب ، والتي عبرتُها عائشة بأنّ زوجها هو قاتل أبيها ، فلم يرد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن تعيش هذه المسكينة ، والتي هي صغيرة السنّ ، ولا رَأيَ لها كما شهد بذلك قومُها على هواجس ومخاوف قد تُسبّب مصائب كبرى ، خصوصاً وأنّ عائشة سوف لن تتركها ترتاح مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. شكّ أنّ هناك أسباباً أخرى يعلمها رسول الله وغابت عنّا. والمهم أن نعرف بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يجري وراء الجمال والشهوات الجسدية والجنسية كما يتهمّه بعض الجاهلين ، وبعض المستشرقين الذين يقولون : كان همّ محمدّ هو النساء الحسنات!!

وقد رأينا كيف طلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هاتين المرأتين رغم صغرهما

وجاهلها ، فكانتا أجمل أهل زمانهما وأتمه كما جاء في كتب التاريخ وكتب الحديث ، فقول من يدعي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاتشة لصغرهما وجمالها مردود ولا يقبل .

مّا القائلين بأنّ حبّه إياها لأنّها ابنة أبي بكر فهذا غير صحيح ، ولكن يمكننا أن نقول بأنّه تزوّجها من أجل أبي بكر؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تزوّج من عبائلقرواجاً سياسياً لتأليف القلوب ، ولتسود المودّة والرحمة في تلك القبائل بدلا من التنافر والتباغض .

فقد تزوّج النبي صلى الله عليه وآله وسلم حبيبة أخت معاوية ، وهي بنت أبي سفيان العدوّ الأوّل للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك لأنّه لا يحقد وهو رحمة للعالمين ، وقد تعدّى عطفه وحنانه القبائل العربية إلى مصاهرة اليهود والنصارى والأقباط ليقرب أهل الأديان بعضهم من بعض .

وبالخصوص إذا عرفنا من خلال ما نقرأه في كتب السيرة بأنّ أبا بكر هو الذي طلب من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يتزوّج من ابنته عاتشة ، كما طلب عمر من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأن يتزوّج ابنته حفصة ، وقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلبه يسع أهل الأرض كلّهم .

وَلَوْ كُنْتَ تَعْلِفًا: غَدِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ (١) .

وإذا رجعنا إلى الرواية التي رواها عاتشة ، وقالت فيها بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يهت إلاّ ريثما ظنّ أن قد رقدت ، فأخذ رداءه رويداً وفتح الباب

(١) آل عمران : ١٥٩ .

فخرج ثم أجافه ، عرفنا كذب الزعم بأذنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يصبر عنها^(١) .
وهنالك لا حاجة ليس استنتاجاً عفويّاً ألفه خيالي ، كلاً فإنّ له أدلّة في صحاح السنّة ،
فقد روى مسلم في صحيحه وغيره من صحاح أهل السنّة أنّ عمر بن الخطاب قلل : ما
اعتزل نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم أهله ، قال دخلت المسجد فإذا الناس ينكثون
بالحصّة ويقولون : طلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نساءه ، وذلك قبل أن يؤمر
بالحجاب .

فقال عمر فقلت : لأعلمنّ ذلك اليوم ، قال فدخلت على عائشة فقلت : يا
بنت أبي بكر أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ! فقالت :
مالي ومالك يا ابن الخطّاء عليك بعبيتك ! قال فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت لها :
يا حفصة أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ! لقد
علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كبر ، ولولا أنا لطلقك رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فبكت أشدّ البكاء ... الحديث^(٢) .

إنّ هذه الرواية تدلنا بوضوح لا يقبل الشكّ في أنّ زواج النبي
صلى الله عليه وآله وسلم حفصة بنت عمر لم يكن عن محبّة ، ولكنّه لمصلحة سياسية
اقتضتها الظروف .

ومما يزيدنا يقيناً بصحّة ما ذهبنا إليه في هذا الاستنتاج ، أنّ عمر الخطاب يُقسم
بالله بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كبر^(٣) حفصة ، ويزيدنا عمر يقيناً

(١) صحيح مسلم ٣ : ٦٤ ، ومسند أحمد ٦ : ٢٢١ .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ١٨٨ باب الايلاء واعتزال النساء وتخييرهنّ ، وقوله تعليلٌ تنظّاه راعى له () ،

مسند أبي يعلى ١ : ١٥٠ ، صحيح ابن حبان ٩ : ٤٩٦ .

جديداً بأن ابنته حفصة تعلم هي الأخرى هذه الحقيقة المؤلمة ، إذ يقول لها : « والله لقد علمت بأن رسول الله لا يُبُكُّك .»

ثم لا يبقى لنا أدنى شك في أن الزواج منها كان لمصلحة سياسية عندما قال : « ولولا أنا لطلقك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .»

فهذه الرواية تعطينا أيضاً فكرة على زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعائشة بنت أبي بكر ، وأزّه صبر وتحمل كل أذاها من أجل أبي بكر أيضاً ، وإلا فإن حفصة أولى بحب الرسول وتقديره لأنّه لمصدر منها ما يُسيء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عشر معشار ما فعلته عائشة بنت أبي بكر .

وإذا بحثنا في الواقع العملي بقطع النظر عن الروايات الموضوعية التي تمّمها بنو أمية في فضائل عائشة ، لوجدنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان كثيراً ما يتأذى منها ، وكثيراً ما يغضب عليها ، وها نحن ننقل رواية واحدة أخرجها البخاري وكثير من المحدثين من أهل السنة ، تعرب عن مدى النفور الذي كانت تشعُرُ به أم المؤمنين عائشة من قبل زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

أخرج البخاري في صحيحه في الجزء السابع في باب قول المريضيّ : وجعٌ ، أو واهٍ رأسه ، قاله بنت القاسم بن محمد بن محمد قال : قالت عائشة رأسه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لو كان وأنا حيٌّ فأستغفر لك وأدعو لك » ، فقالت وا ثكلية عائشة ، والله إني لأظن لكوتني تحولوك كأنه ذاك لظلمت آخر يومك مِعْرَساً ببعض أزواجك^(١) .

فهل تدلّك هذه الرواية على حب النبي لعائشة؟

(١) صحيح البخاري ٧ : من كتاب المرضي والطب ، مسند أحمد ٦ : ٢٢٨ .

ونخلص بالأخير إلى أن بني أمية ، وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان يبغضون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنذ أن آلت إليهم الخلافة عملوا على تقليب الحقائق ظهراً على عقبها ورفعوا إلى القمة من المجد والعظمة ، بينما كانوا في حياة النبي أناساً عيلاً يوليس لهم شأن كبير ، ووضعوا آخرين كانوا في قمة الشرط لعمرو أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

واعتقد أن ميزانهم الوحيد في الرفع والوضع هو فقط عداؤهم الشديد وبغضهم اللامحدود لمحمد وأهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين ، فكل شخص كان ضد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وضد أهل البيت الذين أذهب الله عنهم جس وطهرهم تطهيراً ر يوقعن شأنه ، واختلقوا له روايات وفضائل ، وقرّبوه وأعطوه المناصب والعطايا ، فأصبح يحظى بتقدير الناس واحترامهم.

وكل شخص كان يحب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويدافع عنه عملوا على انتقاصه ، وخلق المعاييب الكاذبة له ، واختلاق الروايات التي تنكر فضله وفضائله. وهكذا أصبح عمر بن الخطاب الذي كان يعارضه في كل أوامره ، حتى رماه بالهجر في أواخر أيام حياته صلى الله عليه وآله وسلم أصبح هذا الرجل هو قمة الإسلام عند المسلمين زمن الدولة الأموية!

أمّا علي بن أبي طالب الذي كان منه بمنزلة هو من موسى ، والذي يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله ، والذي هو ولي كل مؤمن أصبح يلعن على منابر المسلمين ثمانين عاماً !!

وهكذا أصبحت عائشة التي جرّعت رسول الله الغصص ، وعصت أوامره كما عصت أمر ربّها ، وحاربت وصى رسول الله ، وتسببت في أكبر فتنة

عرفها المسلمون والتي قُتل فيها آلاف المسلمين أصبحت هذه المرأة هي أشهر نساء الإسلام
وعنها تُؤخذ الأحكام ، أمّا فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين التي يغضبُ ربّ العزّة لغضبها
رضى لرضولها ، أصبحت نسياً منسياً ، ودُفنت في الليل سرّاً بعدما هدّ دوها بالحرق ،
وعصروا على بطنها بالباب حتى أسقطت جنينها ، ولا أحد من المسلمين من أهل السنّة
يعرف رواية واحدة تنقلها عن أبيها!!

وهكذا أصبح يزيد بن معاوية ، وزيد بن أبيه ، وابن مرجانة ، وابن مروان ، والحجّاج
، وابن العاص وغيرهم من الفسّاق الملعونين بنصّ الكتاب على لسان نبي الله ، نعم أصبح
ءهؤلاء المؤمنين وولادة أمورهم ، أمّا الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة ، وربحاننا
النبي من الأئمّة ، والأئمّة من عترة الرسول الذين هم أمانُ الأمة ، أصبحوا مشرّدين
مسجونين مقتولين مسمومين!!

وهكذا أصبح أبو سفيان الذي ما وقعت حربٌ ضدّ الرّسول إلاّ وكان هو
قائدها ، أصبح محموداً مشكوراً حتى قيل من دخل داره كان آمناً ، أمّا أبو طالب حامي
النبي وكفيله والمدافع عنه بكلّ ما يملك ، والذي قضى حياته مناوئاً لقومه وعشيرته من أجل
دعوة ابن أخيه ، حتى قضى ثلاث سنوات ليخلص مع النبيّ في شعب مكة ، وكنتم إيمانه
لمصلحة الإسلام ، أي لإبقاء بعض الجسور مفتوحة مع قريش ، فلا يؤذون المسلمين كما
يريدون ، وذلك كمؤمن آل فرعون الذي كنتم إيمانه ، أمّا هذا فكان جزاؤه ضحاضح من نار
يضع فيها رجله فيغلي منها دماغه!!

وهكذا أصبح معاوية بن أبي سفيان ، الطليق بن الطليق ، واللعين بن اللعين ، ومن كان يتلاعب بأحكام الله ورسوله ولا يقيم لها وزناً ، ويقتل الصلحاء والأبرياء في سبيل الوصول إلى أهدافه الخسيسة ، ويسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مرأى ومسمع من المسلمين (١) أصبح هذا الرجل يهمل من كاتب الوحي ، ويقولون بأن الله ائتمن على وحيه جبرئيل ومحمد دماً ومعاوية ، وأصبح يوصف بأنه رجل الحكمة والسياسة والتدبير .
 أمّا أبو ذر الغفاري الذي ما أقلت الخضر ولا أظلت الغبراء أصدق ذي لهجة منه ، فأصبح صاحب فتنة ، يضرب ويشرد ويُنفي إلى الربذة ، هوّأ

(١) يقول الشاعر في هذا المعنى :

عانَدوا «أحمد» آدوا عليّاً وتولّوا منافقاً وغُوبياً
 سرّاً وسبّ النبي نفاقاً حين سولجهاً أخاهُ عليّاً
 (المؤلف)

وقد ذكر الشيخ الألباني في صحيحته حديث رقم ٣٣٣٢ : « ... عن أبي عبد الله الجدلي قال : قالت لي أم سلمة نسب رسول الله عليه وآله وسلم بينكم على المنابر؟! قلت : سبحانه الله وأنّى يسب رسول الله عليه وآله وسلم؟! قالت أليس يُسبُّ علي بن أبي طالب ومن يجبهه ، وأشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يُجبه به ... قلت : وهذا إسناد جيد ورجاله كلّهم ثقات ... ».

وهذا من الطامات الكبرى والرزايا العظمى أن يسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعهد منه قريب جداً ، وجسده الشريف لم يبرد بعد ، وكفنه لم يبيل ، لكن الطلقاء وأبناء الطلقاء أرادوا حجب نور الشمس قبل بزوغها ، وإطفئها قبل ظهورها ، فسعوا إلى ذلك بكلّ ما أتوا من قوّة؛ إلا أن الله كان لهم بالمرصاد ، فأخذهم وأخذ فتنهم قبل انتصاب الأمور وتحقيق غاياتهم الفاسدة.

سلمان ، والمقداد ، وعمّار ، وحذيفة ، وكل الصحابة المخلصين الذين والوا عليّاً وتشيعوا له ، فقد لاقوا التعذيب والتشريد والقتل .

وهكذا أصبح أتباع مدرسة الخلفاء ، وأتباع معاوية ، وأصحاب المذاهب الذين أوجتّم السلطة الجائرة ، أصبحوا هم أهل السنّة والجماعة ، وهم الذين يمثّلون الإسلام ، ومن خالفهم كان من الكافرين ، ولو اقتدى بأئمة أهل البيت الطيبين الطاهرين .

ألمتّبّع مدرسة أهل البيت الذين اتّبعوا باب مدينة العلم ، وأوّل النّاس إسلاماً ، ومن كانق الحيدور معه حيث دار ، وتشيعوا لأهل البيت واتّبعوا الأئمة المعصومين ، أصبحوا هم أهل البدعة والضلالة ، ومن خالفهم وحاربهم كان من المسلمين ، فلا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم وصدق الله إذ يقول :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * هُمْ الْمُفْسِدُونَ
وَإِذْ كَتَبَ لَهَيْبَتِهِمْ طُورًا إِذْ كَانُوا كَافِرِينَ * مَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ مِنْكُمْ مَا آتَيْنَاهُمْ مَاءً إِلَّا أَنَّهُمْ
هُمُ السُّفْهَاءُ * وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (١) .

وإذا رجعنا إلى موضوع حبّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة؛ لأنّها حفظت عنه نصف الدّين ، وكان يقول : « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » ، فهذا حديث باطل لا أساس له من الصّحّة ، ولا يستقيم مع ما روي عن عائشة من أحكام مضحكة مبكية يتنزّه عن ذكرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
ويكفيها مثلاً على ذلك قضية رضاعة الكبير التي كانت تروى عنها

(١) البقرة : ١١ - ١٣ .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والتي أخرجها مسلم في صحيحه ، ومالك في موطأه ، والتي وافينا البحث فيها في كتابنا « لأكون مع الصادقين » ، فمن أراد التفصيل والوقوف على جلية الأمر فليراجعه .

ويكفي في هذه الرواية الشنيعة أن زوجات النبي كلهن رفضن العمل بما وأنكرها ، وحتى أن راويها بقي عاماً كاملاً يتهيب أن يذكرها لفظاً عنها وقلة حياتها .
وإذا ما رجعنا إلى « صحيح البخاري » باب يقصر من الصلاة إذا خرج من موضعه ، قال عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها قللت الصلاة أو ل ما فرضت ركعتان ، فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر ، قال الزهري نقلت لعروة : فما بال عائشة تتم ؟ قتلت ما تأول عثمان ^(١) .

وأخرجها مسلم في صحيحه في باب صلاة المسافرين وقصرها وبعبارة أوضح مما في البخاري ، نقل الزهري ، عن عروة ، عن عائشة أن الصلاة أو ل ما فرضت ركعتين ، فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر ، قال الزهري نقلت لعروة : ما بال عائشة تتم في السفر ؟ قال قتلت ما تأولت كما تأول عثمان ^(٢) .

المتناقض الصريح ، فهي التي تروي بأن صلاة المسافر فرضت ركعتين ، ولكنها تخالف ما افترضه الله وعمل به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لتأول لتغير أحكام الله

(١) صحيح البخاري ٢ : ٣٦ .

(٢) صحيح مسلم ٢ : ١٤٢ .

ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم حياء لسنة عثمان ، وهذه الأسباب نجد كثيراً من الأحكام في صحاح أهل السنة والجماعة ولكن لا يعملون بها؛ لأنهم في أغلب الأحيان يأخذون بئبؤبؤكلئ ، وتؤؤؤ ل عمر ، وتؤؤؤ ل عثمان ، وتؤؤؤ ل عائشة ، وتؤؤؤ ل معاوية بن أبي سفيان ، وغيرهم من الصحابة.

فإذا كانت الحميراء التي يؤخذ عنها نصف الدين تتؤؤؤ ل في أحكام الله كيف تشاء ، فلا أعتقؤؤ بأن زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرضى منها هذا ويأمر الناس بالافتداء بها ، على أنه ورد في « صحيح البخاري » صحاح أهل السنة إشارة إلى أن في اتباعها معصية لله ، وسنؤؤؤفئك بذلك في أوانه إن شاء الله.

وأؤؤؤ القائلون بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤؤؤ بها؛ لأن جبرئيل أتاه بصورتها قبل الزواج ، وأنه لا يدخل عليه إلا في بيتها ، فهذه روايات تضحك المجانين. ولست أؤؤري أكانت الصورة التي جاء بها جبرئيل فوتوغرافية أم لوحة زيتية ، على أن صحاح أهل السنة يروون بأن أبا بكر بعث بعائشة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومعها طبق من التمر لينظر إليها ، وهو الذي طلب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يتؤؤؤج ابنته ، فهل هناك داع لينزل جبرئيل بصورتها ، وهي تسكن على بعد بضعة أمتار من مسكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ والمؤؤؤؤ أن مارية القبطية التي كانت تسكن مصر ، وهي بعيدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما كان أحد يتصؤؤؤر مجيئها ، هي أولى بأن ينزل جبرئيل بصورتها ، ويشهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن الله سيرؤؤؤه منها إبراهيم.

ولكن هذه الروايات هي من وضع عائشة التي كانت لا تجد شيئاً تفتخر به على
ضرتها إلا الأساطير التي يخلقها خيالها أو أنها من وضع بني أمية على لسانها ليرفعوا من
شأنها عند بسطاء العقول.

وأما أن جبرئيل كان لا يدخل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو مضطجع
في البيت عائشة فهي أقبح من الأولى ، والمعلوم من القرآن الكريم أن الله هددها عندما
تظاهرت على رسوله هددها بجبرئيل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيراً .

فما أقوال شيوخنا وعلمائنا إلا ضرب من الظن والخيال ، وإن الظن لا يغني عن الحق
لَعِنْدَكُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَاتَّخِذُوا لَهُ لَدًّا إِنَّ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١).

عائشة فيما بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

أما إذا درسنا حياة أم المؤمنين عائشة ابنة أبي بكر بعد لحوق زوجها بالفريق الأعلى
روحي له الفداء ، وبمخالفتها لها الجو وأصبح أبوها هو الخليفة والرئيس على الأمة
الإسلامية ، وأصبحت هي حينذاك المرأة الأولى في الدولة الإسلامية؛ لأن زوجها رسول الله
وأبوها هو خليفة رسول الله.

ولأنها كما تعتقد هي وأهملتها نفسها بأنها أفضل أزواج النبي
صلى الله عليه وآله وسلم إلا لأنه تزوجها بكرة وما تزوج بكرة غيرها! وقد توفى
عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عز شبابها وزهرة عمرها ، فكان عمرها
يوم وفاة زوجها

(١) الأنعام : ١٤٨ .

ثمانية عشر عاماً على أكثر التقادير وأشهر الروايات ، ولم تعاشر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ست أو ثمان سنوات على اختلاف الروايات ، قضت السنوات الأولى منها تلعب ألعاب الأطفال وهي زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهي كما وصفتها بريرة جارية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما قالت في عائشة : إنها جارية حديثة السن تنام عن العجين فتأتي الداجن فتأكله»^(١).

نعم ، ثمانية عشر عاماً لفتاة بلغت سن المراهقة كما يقال اليوم ، وقضت نصف عمرها مع صاحب الرسالة ، وبين ضرّات يبلغ عددهن عشر أو تسع زوجات ، وهناك امرأة أخرى أغفلنا ذكرها في حياة عائشة ، وكانت أشد عليها من كل ضرّة ، لأن حب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فاق التصوّر ، وهذه المرأة هي فاطمة الزهراء ربيبة عائشة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خديجة ، وما أدراك ما خديجة الصديقة الكبرى التي سلّم عليها جبرئيل ، وبشّرها ببيت لها في الجنة لا صخب فيه ولا نصب^(٢).

والتي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدع مناسبة تفوته إلا ويذكر خديجة ، فيتفطر كبد عائشة ويحترق قلبها غيرة ، فتثور نائرتها وتخرج عن أطوارها ، فتشتم بما يجلو لها ، ولا تبال بعواطف زوجها ومشاعره.

ولنستمع إليها تحدّث عن نفسها بخصوص خديجة ، كما روى البخاري ، وأحمد ، والترمذي ، وابن ماجه ، قالت ما غرتُ على امرأة لرسول الله كما

(١) صحيح البخاري ٣ : ١٥٦ ، كتاب الشهادات ، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً .

(٢) صحيح البخاري ٤ : ٢٣١ ، صحيح مسلم ٧ : ١٣٣ ، باب فضائل أم المؤمنين خديجة .

غرت على خديجة (الكثرة ذكر رسول الله إياها وثنائه عليها ، فقلت^١ : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش ، حمراء الشدقين ، هلكت^٢ في الدهر ، قد أبدلك الله خيراً منها .
قالت فتغير^٣ وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^٤ ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي ، وقال : لا ، ما أبدلني الله خيراً منها ، قد آمنت^٥ بي إذ كفر بي لمأس ، صدقني إذ كذبني الناس ، وواستني بما لها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله عز وجل^٦ ولدها إذ حرمني أولاد النساء^٧ » (٢) .

(١) مرّ بنا سابقاً قولها : ما غرت على امرأة كما غرت على صفيّة ، وقولها : ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على لثوية لله يا عائشة ، فهل سلّمت^٨ واحدة من أزواج النبي من غيرتك وأذيتك؟ (المؤلف) .
(٢) حديث غيرة عائشة على خديجة رضي الله عنها ورد في مصادر أهل السنة بكثرة وألفاظ مختلفة ، والمؤلف لفق بين هذه الأحاديث ، فقولها : « ما غرت على ... وثنائه عليها » يوجد في البخاري ٦ : ١٥٨ ، ونحوه بلفظ قريب منه في مسلم ٧ : ١٣٤ ، وسنن ابن ماجة ١ : ٦٤٣ ، وسنن الترمذي ٣ : ٢٤٩ وغيرها .
أمّا قولها : « ما تذكر من عجوز ... خيراً منها يوجد بألفاظه المختلفة في كلّ من : صحيح البخاري ٤ : ٢٣١ ، صحيح مسلم ٧ : ١٣٤ ، مسند أحمد ٦ : ١٥٤ ، السنن الكبرى النسائي ٧ : ٣٠٧ وغيرها .
أمّا قولها : فتغير^٩ وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^{١٠} ... أولاد النساء » يوجد بألفاظه المختلفة في : مسند أحمد ٦ : ١١٨ عنه مجمع الزوائد ٩ : ٢٢٤ وقال : « رواه أحمد وإسناده حسن » ، فتح الباري ٧ : ١٠٣ ، فيض القدير ٤ : ١٦٤ ، البداية والنهاية ٣ : ١٥٨ وقال : تفرّد به أحمد وإسناده لا بأس به ، ومجالد روى له مسلم متابعة وفيه كلام مشهور والله أعلم .
وانظر أيضاً المعجم الكبير للطبراني ٢٣ : ١٣ ، تاريخ دمشق ٣ : ١٩٥ ، الاصابة

وليس هناك شكّ أنّ رسول الله عليه وآله وسلم يبطل دعوى من يقول بأنّ عائشة هي أحبّ وأفضل أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأكيد أيضاً أنّ عائشة ازدادت غيرة وكُرّها لخديجة عندما قرّعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا التوبيخ ، وأعلمها بأنّ ربّه لم يبدلها خيراً من خديجة.

ومرّة أخرى يعلمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه لا يميل مع الهوى ، ولا يحبّ الجمال والبكّة؛ وخديجة سلام الله عليها تزوّجت قبله مرّتين ، وكانت تكبره بخمسة عشرة عاماً ، ومع ذلك فهو يحبّها ولا ينثني عن ذكرها ، وهذا

٨ : ١٠٣ .

أمّا مجالد بن سعيد فقد وثّقه غير واحد كما في مجمع الزوائد ١٠ : ٣٩٩ ، وهو حسن الحديث كما في مجمع الزوائد أيضاً ٩ : ٢٤٢ .

وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢ : ١١٢ من طريق مروان بن معاوية ، عن وائل بن داود ، عن عبد الله البهي ، عن عائشة ، والسند حسن كما صرّح محقق الكتاب بذلك.

وكذلك أخرجه الدولابي في كتابه الذرية الطاهرة : ١١١ من محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، عن مروان بن معاوية الفزاري ، عن وائل بن داود ، عن عبد الله البهي ، عن عائشة . وهذا السند حسن كما ترى ، والحسن يحتج به؛ لأنّه من قسم الصحيح بالمعنى الأعم .

ومنه يتبين أنّ ما ذكره في « كشف الجاني » : ١٣٣ من تضعيف هذه الزيادة واتهام المؤلف بالكذب ليس بصحيح ، وناشئ من عدم اطلاع عثمان الخميس على رواياتهم ومباني علماء الحديث وذلك :

(١) إنّ مجالد بن سعيد مختلف فيه ، فحديثه يكون حسناً على أقلّ تقدير .

(٢) إنّ مجالد بن سعيد لم ينفرد بمثل الزيادة ، بل وردت عن عبد الله البهي ، وهو ثقة فيحتجّ بحديثه ، ويكون حديث مجالد بن سعيد صحيحاً؛ له متابعاً صحيحاً وهو حديث عبد الله البهي ، فيكون مقوّياً له .

لعمري هو خُلِقَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يذبح في الله ويغض في الله.
وهناك فرق كبير بين هذه الرواية الحقيقية ، وتلك المزيفة التي تدعي بأن الرسول يميل
إلى عائشة ، حتى بعثن إليه نساءً ه ينشدنه العدل في ابنة أبي قحافة!!
وهل ألفانسأل أم المؤمنين عائشة التي ما رأته يوماً في حياتها السيدة خديجة
رضوان الله عليها ولا التقت بها : كيف تقول عنها بمحجوز حمراء الشدقين؟ وهل هذه هي
أخلاق المؤمنة العادية التي يحرم عليها أن تغتاب غيرها إذا كان حياً فلما بالك بالميت الذي
أفضى إلى ربّه!! فما بالك إذا كان ضحية الغيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،
والتي ينزل جبرئيل في بيتها ويشهدها بيت في الجنة لا صخب فيه ولا نصب!!
وبالتأكيد إن ذلك البغض ، وتلك الغيرة التي تأججت في قلب عائشة من أجل
خديجة لابد للهمن فورة ومتنفّس وإلا انفجرت ، فلم تجد عائشة أمامها إلا فاطمة ابنة
خديجة ربيبتها ، والتي هي في سنّها أو تكبرها قليلاً على اختلاف الروايات.
بالتأكيد . أيضاً . أن ذلك الحب العميق من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لخديجة تجسد وقوي في ابنته ووحيدته فاطمة الزهراء ، فهي الوحيدة التي عاشت مع أبيها ،
تحمل في جنباتها أجمل الذكريات التي كان يحبها رسول الله في خديجة ، فكان يسميها أم
أبيها.

زاد في غيرة عائشة أن ترى رسول الله يحجده ابنته ، ويسمّيها سيّدة نساء

العالمين وسيّدة نساء أهل الجنة^(١) يرزقُهُ اللهُ منها سيّدَي شباب أهل الجنة الحسن والحسين ، فترى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذهب وبيات عند فاطمة ساهراً على تربية أحفاده ويقول : « ولداي هذان ريحانتي من هذه الأمة »^(٢) ويحملهما على كتفيه ، فتزداد بذلك عائشة غيرة لأنها عقيم!!

ثم دائرت الغيرة أكثر عندما شملت زوج فاطمة أبا الحسنين لا لشيء إلاّ لحبّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وتقديمه على أبيها في كلّ الموقف ، فلا شك أنّها كانت تعيش الأحداث.

وترى ابن أبي طلحة كيف لمرة على أبيها ، ويمضي بحبّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له ، وتفضيله وتقديمه على من سواه ، فقد عرفت أنّ أباهما رجوع مهزوماً في غزوة خيبر بمن معه من الجيوش ، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلمّ لذلك وقلاً عظيمين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبُّه اللهُ ورسوله كرّار غير فرار^(٣) ، وكان ذلك الرجل هو علي بن أبي طالب زوج فاطمة ، ثمّ رجوع

(١) صحيح البخاري ٤ : ١٨٣ ، ٢٠٩ و ٧ : ١٤٢ .

(٢) ورد في تاريخ دمشق ١٣ : ٢٠٢ ، وكنز العمال ١٣ : ٦٦٧ ح ٣٧٦٩٩ بلفظ : «إنّ ابني هذين ... » ، وفي مسند أحمد ٢ : ٨٥ . ٤ واصلح محقق الكتاب أحمد شاکر في كلا الموضوعين بصحته ، والمصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ٥١٤ ح ١٦ ، والسنن الكبرى للنسائي ٥ : ٤٩ ح ٨١٦٧ ، وصحيح ابن حبان ١٥ : ٤٢٦ بلفظ : « هما ريحانتي من الدنيا » .

(٣) بهذا اللفظ في تاريخ دمشق ٤١ : ٢١٩ ، وكنز العمال ١٣ : ١٢٣ ح ٣٦٣٩٣ ، ويوجد صدر الحديث في صحيح البخاري ٥ : ٧٦ ، صحيح مسلم ٥ : ١٩٥ ، ويوجد بلفظ : « ليس بفرار » في مسند أحمد ١ : ٩٩ ، المصنّف لابن أبي شيبة ٨ : ٥٢٢ ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ١٠٩ ، المعجم الكبير للطبراني ٧ : ٣٥ .

عليٌّ بعد ما فتح خيبر بصفية بنت حُبيبي التي تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ونزلت على قلب عائشة كالصّاعقة.

وقد عرفت . أيضاً . أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث أبوها بسورة براءة ليلبغها إلى الحجاج ، ولكنه أرسل خلفه علي بن أبي طالب فأخذها منه ، ورجع أبوها يبكي ويسأل عن السبب ، فيجيبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله أمرني أن لا يلبغ عني إلاّ أنا أو أحد من أهل بيتي »^(١).

وقد عرفتُ أيضاً بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بع ابن عمّه علي خليفة على المسلمين من بعده ، وأمر أصحابه وزوجاته بتهنئته بإمرة المؤمنين ، فجاءه أبوها في مقدمة الناس يقول بنخ بنخ لك يا بن أبي طالب ، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة.

وقد عرفتُ بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علّم عليّ أبيها شاباً صغيراً لا نبات يعلّمه ، عمره سبعة عشر عاماً ، وأمره بالسّير تحت قيادته والصلاة خلفه . ولا شكّ بأنّ أمّ المؤمنين عائشة كانت تتفاعل مع هذه الأحداث ، فكانت تحمل في جنبها همّ أبيها ، والمنافسة على الخلافة والمؤامرة التي تدور عند رؤساء القبائل في قريش ، فكانت تزداد بغضناً وعلوّ علي وفاطمة ، وتحاول بكلّ جهودها أن تتدخل لتغيير الموقف لصالح أبيها بشتّى الوسائل ، كلّفها ذلك ما كلّفها .

(١) انظر بألفاظه المختلفة : مسند أحمد ١ وصريح محقق الكتاب أحمد شاكر بصحته ، كتاب السنّة لابن أبي عاصم : ٥٩٥ ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ١٢٩ ، المعجم الأوسط ٣ : ١٦٥ ، الدر المنثور ٣ : ٢١٠ .

وقد رأيناها كيف أرسلت إلى أبيها على لسان زوجها تأمره ليُصَلِّي بالنَّاس ، عندما علمت بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلف علي ليكلفه بتلك المهمة ، ولمَّا علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المؤامرة اضطرَّ للخروج ، فأزاح أبا بكر عن موضعه وصَلَّى بالنَّاس جالساً ، وغضب على عائشة وقال لها إِنَّكَ أَنْتِ صَوِيَّبَات يوسف « (يقصد أن كيدها عظيم) (١) .

ويلاحظ في هذه القضية التي روتها عائشة بروايات مختلفة ومتضاربة يجدُ التناقض واضعاً وإلاَّ فإنَّ أباهما عبَّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جيش ، وأمره بالخروج تحت قيادة أسامة بن زيد قبل تلك الصَّلَاة بثلاثة أيام ، ومن المعلوم بالضرورة أن قائد الجيش هو إمام الصلاة ، فأسامة هو إمام أبي بكر في تلك السرية .

فلمَّا أحسَّتْ عائشة بتلك الإهانة ، وفهمت مقصود النبي صلى الله عليه وآله وسلم منها ، خصوصاً وأنَّها تفتنَّتْ علي بن أبي طالب لم يعيَّنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك الجيش الذي عبَّاه فيه وجوه المهاجرين والأنصار ، والذين لهم في قريش زعامة ومكانة ، وقد علمت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما علم أكثر أصحابه بأنَّ أياً ما أصبحت معدودة ، ولعلَّها كانت على رأي عمر بن الخطَّاب في أنَّ رسول الله أصبح يهجرُ ولا يدري ما يفعلُ فدفعتها غيرتها القاتلة أن تتصرَّف بما تراه يرفع من شأن أبيها وقدره مقابل منافسه علي .

ولكلِّ ذلك أنكرت أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوصى لعلي ، ولذلك حاولت إقناع البسطاء من النَّاس بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات في حجرها بين سحرها

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ١٩٧ .

ونحوها ، ولذلك حدّث بأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لها وهو مريض : ادع لي أباك وأخاك لاكتب لهم كتاباً ، عسى أن يدع مدّع ويأبى الله ورسوله والمؤمنون إلاّ أبا بكر!! فهل من سائل يسألها بما الذي منعها من دعوتهم؟

موقف عائشة ضدّ علي أمير المؤمنين عليه السلام

والباحث في موقفها تجاه أبي جلسن يجد أمراً عجيباً وغريباً ، ولا يجد له تفسيراً إلاّ الغيرة والعداء لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد سجّل لها التاريخ كرهاً غضاً للإمام وعلي لم يُعرف له مثيل^(١) ، وصل بها إلى حدّ أنّها لا تطيق ذكر اسمِه^(١) ، ولا تطيق رؤيته ، وعندما تسمع بأنّ الناس قد بايعوه بالخلافة بعد قتل عثمان ، تقول : وددت لو أنّ السّماء انطبقت على الأرض قبل أن يليها ابن أبي طالب^(٢) وتعمل كلّ جهودها للإطاحة به ، وتقود ضدّه عسكرياً جرّاراً لمحاربتّه ، وعندما يأتيها خبر موته تسجد شكراً لله^(٣).

ألا تعجبون معي لأهل السنّة والجماعة الذين يروون في صحاحهم بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عليّ لا يُبْكُ إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق^(٤) ،

(١) مضى تحريجه.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٢١٥ .

(٣) قال أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين : ٥٥٥ «أن جاء عائشة قتل عليّ عليه السلام سجدت» .

(٤) مسند أحمد ١ : ١٠١ وهو محقق الكتاب أحمد شاكر بصحته ، سنن الترمذي ٥ : ٣٠٦ وقال : حسن

صحيح ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ١٣٧ ح ٨٤٨٧ ، مسند أبي يعلى ١ : ٢٥١ ، تاريخ بغداد ١٤ : ٤٢٦

ح ٧٧٨٥ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٢٧١ ،

ثمَّ يروون في صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم بأنَّ عائشة تبغض الإمام علي ولا تطيق ذكر اسمه ، أليس ذلك شهادة منهم على ماهية المرأة؟

كما يروي البخاري في صحيحه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني ، ومن أغضبني فقد أغضب الله »^(١) ثمَّ يروي البخاري نفسه بأنَّ فاطمة ماتت وهي غاضبة على أبي بكر فلم تكلمه حتى ماتت^(٢) . أليس ذلك شهادة منهم بأنَّ الله ورسوله غاضبان على أبي بكر؟ فهذا ما يفهمه كل العقلاء ، ولذلك أقول دائماً بأنَّ الحقَّ لا بدَّ أن يظهر مهما ستره المبطلون ، ومهما حاول أنصار الأمويين التمويه والتلفيق ، فإنَّ حجة الله قائمة على عباده من يوم نزول القرآن إلى قيام الساعة ، والحمد لله ربَّ العالمين.

حدَّث الإمام أحمد بن حنبل أنَّ أبا بكر جاء مرَّة واستأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقبل الدخول سمع صوت عائشة عالياً وهي تقول للنبي صلى الله عليه وآله وسلم هرفت أن علياً أحب إليك مني ومن أبي ، تعيدها مرَّتين أو

أسد الغابة ٤ : ٢٦ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ١٨٩ .

وفي صحيح مسلم ١ : ١ باب الدليل على حب الأنصار وعلي من الإيمان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق » .
(١) البخاري ٤ : ٢١٠ ، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، باب مناقب فاطمة عليها السلام ، المصنَّف لابن أبي شيبة ٧ : ٥٢٦ ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ٩٧ ح ٨٣٧١ .
(٢) صحيح البخاري ٥ : ٨٢ ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر و ٨ : ٣ كتاب الفرائض ، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لا نورث ما تركنا صدقة » .

ثلاثاً ... » الحديث^(١).

وبلغ من أمر عائشة وبُغضِها للإمام عليّ أنّها كانت تحاول دائماً إبعاده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استطاعت لذلك سبيلاً.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في « شرح النهج »: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنى عليه سائلاً ، فجاء حتى قعد بينه وبينها وهما متلاصقان ، فقالت له :أما وجدت مقعداً لكذا إلاّ فخذي^(٢).

وروي - أيضاً - أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سائر يوماً الإمام عليّ وأطال مناجاته ، فجاءت عائشة وهي سائرة خلفهما حتى دخلت بينهما ، وقالت لهما لئيم أنتما فقد أطلتما ، فغضب لذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٣).

ويرويه أيضاً أنّها دخلت مرة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يناجي عليّاً ، فصرخت وقالت :مالي ولك يا بن أبي طالب؟ إنّ لي نوبة واحدة من رسول الله ، فغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وكم من مرة أغضبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتّما الناتجة عن الغيرة الشديدة ، وعن حدّة طبعها وكلامها اللاذع.

وهل يرضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمؤمن أو مؤمنة ملأ قلبه كرهاً وبغضاً

(١) الإمام أحمد في مسنده ٤ : ٢٧٥ ، عنه مجمع الزوائد ٩ : ٢٠١ وقال : « رجاله رجال الصحيح ».

(٢) شرح نصح البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ١٩٥ ، وفي تاريخ دمشق ٤٢ : ٤٥٥ : عليه السلام ، جلس بينهما قالت له : «أما وجدت مكاناً أوسع لك من هذا » فجزها النبي صلى الله عليه وآله.

(٣) شرح نصح البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ١٩٥ .

لابن عمّه وسيّد عترته ، الذي قال فيه : «حبّ الله ورسولهُ يُوجبّه الله ورسوله» ^(١) وقال فيه من: «أحبّ علياً فقد أحبّني ، ومن أبغض علياً فقد أبغضني» ^(٢).

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ

أمر الله سبحانه نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاستقرار في بيوتهنّ ، وأن لا يخرجن متبرّجتهنّ وأمرهنّ بقراءة القرآن ، وإقامة الصلوة ، وإيتاء الزكاة ، وإطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعمل نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكلّهنّ امتثلنّ أمر الله وأمر رسوله الذي نهاهنّ هو الآخر صلى الله عليه وآله وسلم قبل وفاته وحذّرهن بقوله : «لئلاّ تكن تركب الجمال وتنبعها كلاب الحوآب» ^(٣) كلّهنّ ما عدا عائشة ، فقد اخترقت كلّ الأوامر ،

-
- (١) صحيح البخاري ٤ : ١٢ ، ٢٠ ، كتاب فضائل أصحاب النبي ، باب مناقب علي ابن أبي طالب ، صحيح مسلم ٧ : ١٢٠ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل علي ابن أبي طالب. سنن ابن ماجه ١ : ٤٤ ، سنن الترمذي ٥ : ٣٠٢ ، المستدرک للحاکم ٣ : ١٠٩ .
- (٢) المستدرک للحاکم ٣ : ١٣٠ وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، المعجم الكبير للطبراني ٢٣ : ٣٨٠ ، عنه مجمع الزوائد ٩ : ١٣٢ وقال : إسناده حسن. الجامع الصغير للسيوطي ٢ : ٥٥٤ ح ٨٣١٩ وصحّحه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢ : ١٠٣٤ ح ٥٩٦٣ .
- (٣) نحوه مسند أحمد ٦ : ٩٧ وسنده صحيح ، المستدرک للحاکم ٣ : ١٢٠ وسقط تصحيح الحاكم من المطبوع لكن قال ابن حجر في فتح الباري ١٣ : ٤٥ : إسناده صحيحه ، مجمع الزوائد ٧ : ٣٤ وأصرّح بوثاقه رجاله ، المصنّف لعبد الرزاق ١١ :

٣٦٥ ح ٢٠٧٥٣، المصنّف لابن أبي شيبة ٨ : ٧٠٨ ، صحيح ابن حبان ١٥ : ١٢٦ ، فتح الباري ١٣ : ٥٥ وصرّح بوثاقه رجاله ، سير أعلام النبلاء للذهبي ٢ : ٧٨ وصرّح بصحة الإسناد ، البداية والنهاية لابن كثير ٦ : ٢٣٦ وقال بعد أن ذكره من طريق أحمد : « وهذا إسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجه » ، الإصابة ٨ : ١٨٦ .

وقال الشيخ الألباني في صحيحته ١ : ٨٤٨ ، ح ٤٧٤ : « .. والحديث من أصح الأحاديث ، ولذلك تابع الأئمة على تصحيحه قديماً وحديثاً :

الأوّل : ابن حبان ..

الثاني : الحاكم ..

الثالث : الذهبي ..

الرابع : الحافظ ابن كثير ..

الخامس : الحافظ ابن حجر .. » .

ثمّ علق الشيخ الألباني على الحديث بقوله ولا «نشكّ أنّ خروج أمّ المؤمنين كان خطأ من أصله ، ولذلك همّت بالرجوع حين علمت بتحقيق نبوءة النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** عند الحوآب ، ولكن الزبير **رضي الله عنه** أفنعها بتك الرجوع بقول : عسى الله أن يصلح بك بين الناولا. نشكّ أنّه كان مخطئاً أيضاً ، والعقل يقطع بأنّه نال من القول بتخطئة إحدى الطائفتين المتقاتلتين اللتين وقع فيهما مئات القتلى ، ولا نشكّ أنّ عائشة **رضي الله عنها** هي المخطئة؛ لأسباب كثيرة وأدلة واضحة ... » .

وقد أجاد الشيخ الألباني في هذا الكلام إلّا في أمرين :

الأوّل : إنّّه التمس العذر لعائشة بمقولة الزبير ، مع أنّ عائشة لديها توصية من النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** في حديثه فلذلك أرادت الرجوع ، لكن الصحابي وهو الزبير ضرب كلام النبي وراء ظهره وبالتالي أفنع عائشة بذلك .

الثانية : قوله : « همّت بالرجوع حين علمت بتحقيق نبوءة النبي .. » ليس

وسخرت من كلِّ التحذيرات.

ويذكر المؤرِّخون أن حفصة بنت عمر أرادت الخروج معها ، ولكن أخاها عبد الله حذَّرها وقرأ عليها الآية ، فرجعت عن عزمها ، أمَّ عائشة فقد ركبت الجمل ، ونبحتها كلاب الحوَّاب.

يقول طه حسين في كتابه « الفتنة الكبرى » مرَّت عائشة في طريقها بماء فنبحتها كلابه ، وسألت عن هذا الماء فقيل له لعلَّه لعلَّه ، فجزعت جزعاً شديداً وقالت :
ردَّوني ردَّوني ، قد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول وعنده نساؤه :
أيَّ تكنَّ « تنبحُها كلاب الحوَّاب »؟ وجاء عبد الله بن الزبير فتكلَّف تهديتها ، وجاءها بخمسين رجلاً من بني عامر يملفون لها كذباً أن هذا الماء ليس بماء الحوَّاب^(١).
وأنا أعتقد بأنَّ هذه الرواية وُضعت في زمن بني أمية ؛ ليخففوا بها عن المؤمنين ثقل معصيتها ، ظناً منهم بأنَّ أمَّ المؤمنين أصبحت معذورة بعد أن خدعها ابن أختها عبد الله بن الزبير ، وجاءها بخمسين رجلاً يملفون بالله ويشهدون شهادة زوراً بأنَّ الماء ليس هو ماء الحوَّاب.

إنَّها سخافة هزيلة يريدون أن يموِّها بمثل هذه الروايات على بسطاء العقول ، ويمنعونهم بأنَّ عائشة خُدِّعت علَّناً عندما مرَّت بالماء وسمعت

صحيحاً ، بل الحقَّ أن إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ، وتحقُّق إخباره في الخارج دالٌّ على معجزته ومدى معرفته ، وليس تنبأً كما حاول الشيخ إظهاره.
(١) المجموعة الكاملة لمؤلَّفات طه حسين : ٤٦٩ .

نباح الكلاب ، فسألت عن هذا الماء ، فقبل لها الخوَّ أبٌ ، فجزعتٌ وقالت : ردّوني ردّوني . فهل لهؤلاء الحمقى الذين وضعوا الرواية أن يلتمسوا لعائشة عذراً في معصيتها لأمر الله ، وما نزل من القرآن بوجوب الاستقرار في بيتها؟! أو يلتمسوا لها عذراً في معصيتها لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بوجوب لزوم الحصر وعدم ركوب الجمل ، قبل الوصول إلى نباح الكلاب في ماء الحوَّاب؟!!!

وهل يجدون لأُمَّ المؤمنين عذراً بعدما رفضت نصيحة أُمَّ المؤمنين أمّ سلمة التي ذكرها المؤرِّخون إذ قالت لَهَلْ تَذَكِّرِينَ يَوْمَ أَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ مَعَهُ ذَاهِقِي طَبِّ مَنْ قَدِيدَ ذَاتِ الشَّمَالِ ، فَخَرَّ لِي بَعْلِي يُنَاجِيهِ فَأَطَالَ ، فَأَرَدْتُ أَنْ تَهْجُمِي عَلَيْهِمَا ، فَنَهَيْتُكَ فَعَصَيْتَنِي وَهَجَمْتَ عَلَيْهِمَا ، فَمَا لَبِثْتَ أَنْ رَجَعْتَ بَاكِيةً ، فَقُلْتَ : مَا شَأْنُكَ؟ فَقُلْتَ : أَتَيْتُهُمَا وَهَمَا يَتَنَاجِيَانِ ، فَقُلْتَ لِعَلِي : لَيْسَ لِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا يَوْمٌ مِنْ تِسْعَةِ أَيَّامٍ أَفَمَا تَدْعُنِي يَا بَنَ أَبِي طَالِبٍ وَيَوْمِي ، فَأَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ وَهَمَّ مُحَمَّدٌ رُؤُوسَهُ غَضَباً فَقَالَ : «رَجِعِي وَرَاءَكَ ، وَاللَّهِ لَا يَبْغِضُهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْإِيمَانِ» ، فَرَجَعْتُ نَادِمةً سَاخِطةً .

فقال عائشة : نعم أذكر ذلك .

قالوا كذرك . أيضاً . كنت أنا وأنت مع رسول الله ، فقال لنا : «أيتكن صاحبة الجمل الأدب تنبأها كلاب الحوَّاب فتكون ناكبة عن الصراط»؟ فقلنا : نعوذ بالله وبرسوله من ذلك ، فضرب على ظهره وقال : «يا ك أن تكونيها يا حميراء»؟
قالت عائشة : أذكر ذلك .

فقالَتْ أمّ سلمة : أتذكرين يوم جاء أبوك ومعه عمر ، وقمنا إلى الحجاب ، ودخلا
يحدّ ثانه فيما أرادا إلى أن قليلاً رسول الله ، إنّنا لا ندرى أمّ دُ ما تصحبنا ، فلو أعلمتنا من
يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعاً؟ فقال لهما : «ها أُنّيّ قد أرى مكانه ، ولفعلتُ
لتفرّ قتم عنه كما تفرّ ق بنو إسرائيل عن هاروفس» كتنا ثمّ خرجنا ، فلمّا خرجنا إلى
رسول الله ، فقلت له أنت وكنت أجراً عليه مني يا رسول الله من كنت مستخلفاً عليهم؟
فقال : «خاصف الذّعل» فنزلنا فرأيناه عليّاً فأقلت : يا رسول الله ، ما ألقى عليّاً .
فقال : « هو ذاك »؟

قالت عائشة : نعم أذكر ذلك.

فقالَتْ لها أمّ سلمة فأنيّ خروج تخرجين بعد هذا يا عائشة؟

فقالَتْ : إنّما أخرج للإصلاح بين الناس^(١).

فنهتها أمّ سلمة عن الخروج بكلام شديد وقالت لها : إنّ عمود الإسلام لا يثأب
بالنساء إن مللّ أبولاً يجهن إن صدّ ع ، حماديات النساء غضّ الأطراف ، وخفر
الأعراض ، ما كنت قائلة لو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عارضك في بعض هذه
الفلوات ، ناصّة قلوّصاً من منهل إلى آخر؟ والله لو سرتُ سيرك هذا ثمّ قيل لي : أدخلي
الفردوس ، لاستحييت أن ألقى محمّ هاتكةً حجاباً ضربه عليّ^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٢١٧ ونحوه المعيار والموازنة : ٢٨ .

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة ٢ : ١٨٢ ، الفائق للزمخشري ٢ : ١٣٢ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ :

كما لم تقبل أمّ المؤمنين عائشة نصائح كثير من الصحابة المخلصين ، روى الطبري في تاريخه أن جارية بن قدامة السعدي قال لهايا: أمّ المؤمنين والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل المعون عرضة للسلاح ، إنّه قد كان لك من الله سترٌ وحرمة ، فهتكت سترَكَ وأبحتِ حرمتك مذّله من يرى قتالك فإنّه يرى قتلك ، إن كنت أتيتنا طائعة فارجعي إلى منزلكِ ، وإن أتيتنا مستكرهة فاستعيني بالنّاس^(١).

أمّ المؤمنين هي القائدة

ذكر المؤرّخون بأنّها كانت هي القائدة العامة ، وهي التي تولىّ وت عزل وتصدر الأوامر ، حتى إنّ طلحة والزبير اختلفا في إملة الصلاة ، وأراد كلٌّ منهما أن يصلّي بالنّاس ، فتدخلت عائشة وعزلتهما معاً ، وأمّرت عبد الله بن الزبير ابن أختها أن يصلّي هو بالنّاس . وهي التي كانت ترسل الرّسل بكتبها التي بعثتها في كثير من البلدان تستنصرهم على علي بن أبي طالب ، وتثير فيهم حميّة الجاهليّة . عبّأت عشرين ألفاً أو أكثر من أوباش العج و أهل الأطماع لقتال أمير المؤمنين والإطاحة به ، وأثارها فتنة عمياء قُتل فيها خلق كثير باسم الدّفاع عن أمّ المؤمنين ونصرتها . ويقول المؤرّخون أنّ أصحاب عائشة لمّا غادروا بعثمان بن حنيف والي البصرة ، وأسروه هو وسبعين من أصحابه الذين كانوا يحرسون بيت المال ،

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٤٨٢ ، البداية والنهاية لابن كثير ٧ : ٢٥٩ ، الإمامة والسياسة ١ : ٨٨ .

جاؤوا بهم إلى عائشة فأمرت بقتلهم ، فذبجهم كما يذبح الغنم ، وقيل : كانوا أربعمائة رجل
يقال : يُكَّهَّمُ أقوم من المسلمين ضربت أعناقهم صبراً^(١).

روى الشعبي ، عن مسلم بن أبي بكر ، عن أبيه قلى : ما قدم طلحة والزبير البصرة ،
تقلدت سيفي وأنا أريد نصرهما ، فدخلت على عائشة فإذا هي تأمر رُ وتنهاي وإذا الأمر أمرها
، فتذكرت حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كنت سمعته يقول : « لن يفلح
قوم تدبر أمرهم امرأة » فانصرفت عنهم واعتزلتهم^(٢).

كما أخرج البخاري عن أبي بكر قولته: نفعني الله بكلمة أيام الجمل ، ما بلغ
النبي صلى الله عليه وآله وسلم فارساً ملكوا ابنة كسرى قال : لن يفلح قوم ولّوا أمرهم
امرأة^(٣).

من المواقف المضحكة والمبكية في آن واحد أن عائشة أم المؤمنين تخرج من بيتها
عاصية لله ولرسوله ، ثم تأمر الصّحابة بالاستقرار في بيوتهم ، إنه حقاً أمرٌ عجيب!!
فكيف وقع ذلك يا ترى؟

روى ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة وغيره من المأثور حين إن عائشة
كاتبته . وهي في البصرة . إلى زيد بن صوحان العبدي رسالة تقول له فيها من عائشة أم
المؤمنين بنت أبي بكر الصديق زوجة

(١) راجع : أنساب الأشراف : ٢٢٧ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ٣٢١ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٢٢٧ .

(٣) صحيح البخاري ٨ : ٩٧ كتاب الفتن ، سنن الترمذي ٣ : ٣٦ ، البداية والنهاية ٢ : ٢٦ .

رسول الله ، إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان ، أمّا بعد فأقم في بيتك ، وخذل الناس عن ابن أبي طالب ، وليبلغني عنك ما أحبّ ، إنك أوثق أهلي عندي ، والسّلام .

فأجابها هذا الرجل الصالح بما يلي : من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر ، فأفّ الله بعلمك بأمر ، وأمرنا بأمر ، أمرك أن تقرّي في بيتك ، وأمرنا أن نجاهد ، وقد أتاني كتابك تأمريني أن أصنع خلاف ما أمرني الله به ، فأكون قد صنعت ما أمرك الله به ، وصنعت أنت ما به أمرني ، فأمرك عندي غير مطاع ، وكتابك لا جواب له ^(١) .

وبهذا يتبين لنا بأنّ عائشة لم تكتفِ بقيادة جيش الجمل فقط ، وإتّما طمحت في إمرة مؤمنين الكفاية في كل بقاع الأرض ، ولكل ذلك كانت هي التي تحكم طلحة والزبير اللذين كانا قد رشّحهما للخلافة ، ولكل ذلك أباحت لنفسها أن ترسل رؤساء القبائل والولاة وتُظمّهم وتستنصرهم .

ولكل ذلك بلغت تلك المرتبة وتلك الشهرة عند بني أمية ، فأصبحت هي المنظور لها والمليّة هابة لديهم جميعاً ، والتي يُشئ سطورها ومعارضتها ، فإذا كان الأبطال والمشاهير من الشجعان يتخاذلون ويهربون من الصفّ إزاء علي ابن أبي طالب ولا يقفون أمامه ، فإنّها وقفت وألّبت واستصرخت واستفزّت .

من أجل وهذا حيرت العقول ، وأدهشت المؤرّخين الذين عرفوا مواقفها في حرب الجمل الصغرى قبل قدوم الإمام علي ، وفي حرب الجمل الكبرى بعد مجي الإمام علي ودعوتهما لكتاب الله ، فأبت وأصرّت على الحرب في

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٢٢٦ ، تاريخ الطبري ٣ : ٤٩٢ .

عناد لا يمكن تفسيره إلا إذا عرفنا عمق وشدة الغيرة والبغضاء التي تحملها أمّ المؤمنين لأبنائها المخلصين لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

تحذير النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عائشة وفتنتها

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدرك عمق وخطورة المؤامرة التي تُدار حوله من جميع جوانبها ، ولا شك بأنّه عرف ما للنساء من تأثير وفتنة على الرجال ، كما أدرك بأن كيدهن عظيم تكاد تزول منه الجبال.

وعرف بالخصوص بأن زوجته عائشة هي المؤهلة لذلك الدور الخطير ، لما تحمله في نفسها من غيرة وبغض لخليفته علي خاصة ، ولأهل بيته عامة ، كيف وقد عاش بنفسه أدواراً من مواقفها وعداوتها لهم ، فكان يغضب حيناً ، ويتغير وجهه أحياناً ، ويحاول اقناعهم في كل مرة بأن حبيب علي هو حبيب الله ، والذي يبغض علياً هو منافق يبغضه الله. ولكن هيهات لتلك الأحاديث أن تغوص في أعماق تلك النفوس التي ما عرفت الحق حقاً إلا لفائدتها ، وما عرفت الصواب صواباً إلا إذا صدر عنها.

ولذلك وقف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عرفاً بأنّها هي الفتنة التي جعلها

الله في هذه الأمة لتهيئتها بما كما ابتلى سائر الأمم السابقة ، قال تعالى : **(الْحَلْمُ لِلَّهِ ب**

النَّاسُ أَنْ يُتْرَكَوَأَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) (١).

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها في مرات متعددة ، حتى قام

في يوم من الأيام واتجه إلى بيتها وقال : « ههنا الفتنة ، ههنا الفتنة حيث يطلع قرن

الشیطان » ، وقد أخرج البخاري في صحيحه في باب ما جاء في بيوت

(١) العنكبوت : ٢٠١ .

أزواج النبي ، قال : عن نافع ، عن عبد الله (ﷺ) ، قال : قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال : «ههنا الفتنة . ثلاثاً . من حيث يطلع قرن الشيطان» (١).

كما أخرج مسلم في صحيحه أيضاً عن عكرمة بن عمارة ، عن سالم ، عن ابن عمر قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بيت عائشة ، فقال : « رأس الكفر من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان» (٢).

ولا عبرة بالزيادة التي أضافوها بقولهم : يعني المشرق ، فهي واضحة الوضع؛ ليخففوا بها عن أم المؤمنين ، ويعدوا هذه التهمة عنها.

وقد جاء في « صحيح البخاري » أيضاً ، قال لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البقيع ، بعث علي بن ياسر وحسن بن علي ، فقدموا علينا الكوفة فصعدا المنبر ، إن فلان فلكحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه ، وقام عمارة أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه ، فسمعت عمارة يقول : إن عائشة قد سارت إلى طبرة ، والله إنهما لزوجتان نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة ، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياهم تطيعون أم هي (٣).

الله أكبر ، فهذا الخبر يدل . أيضاً . أن طاعتها معصية لله ، وفي معصيتها هي والوقوف ضدّها طاعة لله .

كما نلاحظ أيضاً هذا الحديث أن الرواة من بني أمية أضافوا عبارة

(١) صحيح البخاري ٤ : ٤٦ كتاب الخمس ، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٤ : ٤٦ .

(٢) صحيح مسلم ٨ : ١٨١ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب الفتنة من المشرق .

(٣) صحيح البخاري ٨ : ٩٧ كتاب الفتن .

فيبقى الحديث الصحيح هو إن عائشة قد سارت إلى البصرة ، وإنها لزوجة نبيكم ، ولكن الله ابتلاكم بما يعلم إياها تطيعون أم هي .
والحمد لله رب العالمين على أن جعل لنا عقولا نُمَيِّزُ بها الحقَّ من الباطل ، وأوضح لنا السبيل ، ثمَّ ابتلانا بأشياء عديدة لتكون علينا حجةً يوم الحساب .

خاتمة البحث

والمهمَّ في كلِّ ما مرَّ بنا من الأبحاث . وإن كانت مختصرة . أن عائشة بنت أبي بكر أمَّ المؤمنين وزوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لم تكن معدودة من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، والذين عصمهم الله من كلِّ الذنوب ، وطهرهم من كلِّ رجس ، فأصبحوا بعد ذلك معصومين .

ويكفي عائشة أنها قضت آخر أيام حياتها في بكاء ونحيب وحسرة وندامة ، تذكر أعمالها فتفيض عيناها ، ولعلَّ الله سبحانه يغفر لها خطاياها ، فهو وحده المطلع على أسرار عباده ، والذي يعلم صدق نواياها ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فلا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء .

لنؤلِّلِيسْ لَأَيِّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَحْكُمَ بِالْجَنَّةِ أَوْ بِالنَّارِ عَلَى مَخْلُوقَاتِهِ ، فَهَذَا تَكَلَّفَ لِلَّهِ تَطَفُّلاً مَّا عَظِيَ اللَّهُ فَهَلْ تَعَالَتْ (وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ إِن تَبُدُّوهُ مَا فِي أَنْفَالِهِ كُمْ غُلُورٌ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ يَشَاءُ كُمْ وَيُؤْتِيهِمْ لَدَيْهِ مِمَّنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١) .

(١) البقرة : ٢٨٤ .

بهذا لا يمكن لنا أن نترضى على عليها ولا أن نلعبها ، ولكن لنا أن لا نقتدي بها ولا
بُاركنا أعمالها ، وتحدث بكل ذلك لتوضيح الحقيقة إلى الناس ، عسى أن يهتدوا لطريق
الحق .

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : «تكونوا سباً بين ولا لعننا ، ولكن قولوا
كان من فعلهم كذا وكذا لتكون أبلغ في الحجّة »^(١).

قول أهل الذكر بخصوص أهل البيت عليهم السلام

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو سيد العترة :

تالله لقد علمتُ تبليغ الرسالات ، وإتمام العداة ، وتتمام الكلمات ، وعندنا أهل
البيت أبوابُ الحِمِّ كوضياء الأُمِّرِ »^(٢).

أي الذين زعموا أنهم الرِّسَّ اسخون في العلم دوننا ، كذباً وبغياً علينا ، أن رفعنا الله
ووضعهم ، وأعطانا وحرّمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ، بنا يستعطي الهُدَى ، ويُسْتَجْلَى العمى ،
إن الأئمة من قريش غُرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ، ولا تصلح الولاة
من غيرهم »^(٣).

نحنُ الشَّعاعُ والأصحابُ ، والخزنة والأبوابُ ، لا تُرْتَضَى البيوتُ إلا من أبوابها ، فمن
أتاها من غير أبوابها سمِّي سارقاً » ثم يذكر أهل البيت فيقول فيهم كرائمُ القرآن ، وهم
كنوزِ الرحمن ، إن نطقوا صدقوا ، وإن صمتوا يلمُّ سبقوا^(٤).

(١) فتح البلاغة ٢ : ١٨٥ ، الخطبة : ٢٠٦ ، والمؤلف نقله بالمضمون .

(٢) فتح البلاغة ١ : ٢٣٣ ، الخطبة : ١٢٠ .

(٣) المصدر نفسه ٢ : ٢٧ ، الخطبة : ١٤٤ .

(٤) المصدر نفسه ٢٢ : ٤٤ ، الخطبة : ١٥٤ .

هُم عَيشُ الدِّلْمِ ، وموتُ الجَهْلِ ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم ،
وَصِحْمَتُهُمْ مُنْطَقُهُمْ ، لا يُخَالِفُونَ الحَقَّ ولا يُخْتَلِفُونَ فِيهِ ، هُمْ دَعَائِمُ الإِسْلامِ ،
جُ العِصْمانِ ، بهولِ لَدَادِ الحَقِّ فِي نِصابِهِ ، وانزاحِ الباطِلِ عن مَقامِهِ ، وانقطعَ لسانُهُ عن
مَنبَتِهِ ، عَقَلُوا الدِّينَ وَعَاقَبُوا عَاقِبَةَ ، لا عَقْلَ سَمَاعِ ورواية ، فَإِنَّ رِوَاةَ العِلمِ كَثِيرٌ ورُعاةُ هِ
قَلِيلٌ « (١) .

ه خَيْرُ العُتْرَةِ ، وأَسْرَتُهُ خَيْرُ الأُسْرِ ، وشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ ،
وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ ، لها فروعٌ طَوالٌ ، وثمرةٌ لا تُنالُ « (٢) .

نَحْرُ شَجَرَةِ الدَّبُوبَةِ ، ومَحَطَّ الرِّسالةِ ، ومُخْتَلَفِ الملائِكَةِ ، ومَعادِنِ العِلمِ ، وِنايِيعِ
الحِكمِ ، ناصِرنا ومُحِبِّنا يَنْتَظِرُ الرِّحمةَ ، وعدوِّنا ومبغضنا يَنْتَظِرُ السُّطوَةَ « (٣) .

نَحْرُ النِّجباءِ ، وأَفراطِنا أَفراطِ الأنبياءِ ، وحزينا حِزبِ اللهِ عِزٌّ وِجَلٌّ ، والفِئمةُ الباغِيةُ
حِزبِ الشَّيطانِ ، ومن سِوَى بَيننا وِبينِ عِدوِّنا فليسَ مِنا « (٤) .

فَأينَ تَلَهَّبونَ وأينَ تَؤفِّكونَ؟ والأعلامُ قائِمةٌ ، والآياتُ واضِحَةٌ ، والمنارُ منصوبةٌ ،
فَأينَ يَكِمْتَنا بلِ كيفَ تَعْمَهونَ وِبينَكم عِترَةُ نَبِيِّكُمْ ، وهُم أزمَةُ الحَقِّ ، وأعلامُ الدِّينِ ،
وَألسنةُ الصِّدِّقِ ، فَأَنْزَلوهُم بأحْسَنِ مَنازِلِ القُرْآنِ ، ورِدُّوهُم وِروادِ الهِيمِ العِطاشِ .

(١) المصدر نفسه ٢ : ٢٣٢ ، الخطبة : ٢٣٩ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ١٨٥ ، الخطبة : ٩٤ .

(٣) المصدر نفسه ١ : ٢١٥ ، الخطبة : ١٠٩ .

(٤) بشارة المصطفى : ٢٠٤ رقم ٢٨ ، البحار ٢٣ : ١٠٦ ، ينابيع المودة ، للحنفي ٢ : ٣٧٦ ، تاريخ مدينة

دمشق لابن عساكر ٤٢ : ٤٥٩ .

يأثمها الناس خذوها من خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم يموت من مات
ميسراً وليت ، ويلى من بلي منّا وليس ببال ، فلا تقولوا بما لا تعرفون فإن أكثر الحق
فيما تنكرون ، واعدروا من لا حجة لكم عليه . وأنا هو . ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر ،
وأترلفيكم الثقل الأصغر ، وركزت فيكم راية الإيمان؟! « (١)

«أنظروا أهل بيت نبيكم فألزموا سمتهم ، وأتبعوا أثرهم ، فلن يخرجوكم من هدى ،
ولن يعيدوكم في ردى ، فإن لبدوا فالبدوا ، وإن نفضوا فأنفضوا ، ولا تسبقوهم فتضلوا ، ولا
تتأخروا عنهم فتهلكوا « (٢)

هذه أقوال الإمام علي عليه السلام بخصوص العترة الطاهرة الذين أذهب الله عنهم
الرجس وطهرهم تطهيراً .

ولو تتبعنا أقوال الأئمة من بنيه عليهم السلام والذين خطوا في الناس ، أمثال
الإمام الحسن ، والإمام الحسين وزين العابدين وجعفر الصادق ، والإمام الرضا
عليهم السلام أجمعين ، لوجدناهم يقولون نفس الكلام ، ويرمون نفس المرمى ، ويرشدون
الناس في كل عصر ومصر إلى كتاب الله وعترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لينقذوهم
من الضلالة ، ويدخلوهم في الهداية .

أضف إلى ذلك بأن التاريخ خير شاهد على عصمة أهل البيت فلم يسجد لهم إلا
العلم ، والتقوى ، والورع ، والزهد ، والجود ، والكرم ، والحلم ، والمغفوكا ، عمل يحبه الله
ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) نهج البلاغة ١ : ١٥٤ ، الخطبة : ٨٧ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ١٨٩ ، الخطبة : ٩٧ .

كما أن التاريخ خير شاهد على أن الصالحين من هذه الأمة والزهاد من رجال الصوفية ، ومشايخ الطرق ، وأئمة المذاهب والمصلحين من العلماء القدامى ، والمعاصرين كل هؤلاء يُقرُّون بأفضليتهم عند مهم علماء وعمّال وأخصّهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وشرفاً .

ولكلّ هذا فلا ينبغي لمسلم أن يخلط أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً ، والذين أدخلهم الرسول معه تحت الكساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم .

ألا ترى أن أئمة المحدثين أمثال مسلم ، والبخاري ، والترمذي ، والإمام أحمد ، والنسائي ، وغيرهم عندما يخرجون أحاديث الفضائل في كتبهم وصحاحهم يفصلون فضائل أهل البيت عمّن سواهم من نساء النبيّ؟!

كما جاء في « صحيح مسلم » في باب فضائل علي بن أبي طالب قوله عن زيد بن أرقم : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال : «ألا وإني تارك فيكم الثقلين : أحدهما كتاب عزّ وجلّ هو حبل الله ، من اتبعه كان على الهدى ، ومن تركه كان على ضلالة » ثم قال : «أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي » .

فقلنا : من أهل بيته نساؤه؟ فقال : «أياهم» الله . إن المرأة تكمن الرجل على العصر هرثم يطلقها فترجع من إلبها وقومها ، أهل بيته أصده وعصبة بيته الذين حرّموا الصدقة بعده » (١) .

كما جاءت شهادة البخاري ومسلم في أن عائشة من آل أبي بكر

(١) صحيح مسلم ٧ : ١٢٣ ، باب فضائل علي بن أبي طالب .

ولست ° من آل النبي في حادثة نزول آية التيمم ° (١).
فلما ظاهراً للإصرار من بعض المعاندين الذين يحولون بكل ° ثمن إحياء الفتنة ،
وتقليب الحقائق التي لا شك ° في هيلسبون الشيعة لا لشيء إلا ° لأنهم لا يعترفون لأهم °
المؤمنين بهذه الفضيلة؟ فلماذا لا يسبون صحاحهم وعلماءهم الذين أخرجوا نساء النبي
بأجمعهن من أهل البيت!؟

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ° وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ° إِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ ° وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
ذُنُوبَكُمْ ° وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ ° وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ° (٢).

(١) البخاري ١ : ٨٦ كتاب التيمم ° ، باب التيمم . ومسلم ١ : ٩١ كتاب التيمم ° ، باب التيمم ° .

(٢) الأحزاب : ٧٠ - ٧١ .

الفصل الرابع

في ما يتعلّق بالصّحابة عامّة

إنّ كلّ الأحكام التشريعية والعقائد الإسلامية جاءتنا عن طريق الصحابة ، فليس لخطك يدعي أنّه يعبدُ الله من خلال الكتاب والسنة إلاّ وكان الصحابة هم الواسطة لإيصال هذين المصدرين الأساسيين إلى كلّ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .
وبما أنّ الصّحابة اختلفوا بعد الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم ففرّقوا وتسابوا وتلاعنوا تقولوا حتى قتل بعضهم بعضاً^(١) فلا يمكن والحال هذه أن نأخذَ عنهم الأحكام بدون نقاش ولا نقد ولا تمحيص ولا اعتراض ، كما لا يمكن أن نحكم لهم أو عليهم بدون معرفة أحوالهم وقراءة تاريخهم مما فعلوه في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد وفاته لفتح حقّ من المبطّل ، والمؤمن من الفاسق ، والمخلص من المنافق ، ونعرف المنقّلين من الشدّاكرين .
وأهل السنة عامّة وبكلّ أسف لا يسمحون بذلك ويمنعون بكلّ شدّة

(١) بلّغنا الأمر إلى أكثر من ذلك ولم يقف عنده ، فقد كفر بعضهم البعض ، وهذا ما أقرّ به ابن تيمية الحراني إذ قال في مجموعة فتاويه الكبرى ٤ : ٢٦٧ : «أمّا علي فأبغضه وسبّه أو كفره الخوارج وكثير من بني أمية وشيعتهم الذين قاتلوه وسبّوه . وأمّا شيعة علي الذين شايعوه بعد التحكيم وشيعة معاوية التي شايعته بعد التحكيم فكان بينهما من التقابل وتلاعن بعضهم ونكافر بعضهم ما كان .. » .

نقد الصَّحابة وتجريرهم ويترضون عليهم جميعاً بل ويصلون عليهم كما يصلون على محمد وآل محمد ولا يستثنون منهم أحداً .

والسَّؤال الذي يطرحُ على أهل السنَّة والجماعة هو هل في نقد الصَّحابة وتجريرهم خروج عن الإلزام أو مخالفةً للكتاب والسنَّة؟

وإجابةً على هذا السَّؤال لا بدَّ لي من استعراض أعمال وأقوال بعض الصحابة في حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبعد وفاته، من خلال ما ذكره علماء أهل السنَّة في صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم مقتصرًا عليهم دون ذكر أيِّ كتاب من كتب الشيعة؛ لأنَّ هؤلاء موقفهم من بعض الصَّحابة معروف، ولا يتطلَّب مزيداً من التوضيح.

وحتىَّ أرفع الالتباس لكي لا أترك للخصم حجَّةً يحتجُّ بها عليَّ ، أقول: إنَّه عندما نتكلَّم في هذا الفصل عن الصَّحابة فالمقصود هو البعض منهم وليس جميعهم ، وقد يكون هذا البعض أكثرية أو أقلية ، فهذا ما سنعرِّفه من خلال البحث إن شاء الله تعالى لأنَّ كثيراً من المشاغبين يتهموننا بأننا ضدَّ الصَّحابة لأننا نشتم الصَّحابة ونسبهم!! ليؤثروا بذلك على السَّامعين ، ويقطعوا بذلك الطريق على الباحثين.

في حين أننا ننزِّه عن سبِّ الصَّحابة وشمهم ونترضى على الصَّحابة المخلصين الذين سمَّاهم القرآن بـ (الشاكرين) ونعتبر أنَّ من المنقلبين على الأعقاب الذين ارتدَّوا على أديبارهم بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتسبَّبوا في ضلالة أغلب المسلمين وحتىَّ هؤلاء لا نسبهم ولا نشتمهم وإنما كلُّ ما في إلَّا أننا نكشف أفعالهم التي ذكرها المؤرِّخون والمحدِّثون ليتجلَّى الحقُّ

للباحثين ، وهذا ما لا يرتضيه إخواننا من أهل السنّة يعتبرون ذلك سبّاً وشتماً .
وإذا كان القرآن الكريم . وهو كلام الله الذي لا يستحي من الحقّ . هو الذي فتح لنا
هذا الباب ، وأعلمنا بأنّ الصّحابة منافقين ، ومنهم الفاسقين ، ومنهم الظّالمين ، ومنهم
المكذّبين ، ومنهم المشركين ، ومنهم المنقلبين ، ومنهم الذين يؤذون الله ورسوله .
وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ، ولا تأخذه
في الله لومة لائم ، هو الذي فتح لنا هذا الباب وأعلمنا بأنّ من الصّحابة مرتدّين ، ومنهم
المارقين ، والناكثين ، والقاسطين ومنهم من يدخل النّار ولا تنفعه الصّحبة ، بل تكون عليه
حجّة قد تضعفُ عذابه يوم لا ينفع مال ولا بنون .
فكيف والحال هذه يشهد بما كتّاب الله الحكيم ، وسنّة رسوله العظيم؟! ومع ذلك
يريد أهل السنّة منع المسلمين من التكلّم والنّقاش في الصّحابة لئلاّ ينكشف الحقّ ، ويعرف
المسلمون أولياء الله فيوالمؤمنهم ، كما يعرفون أعداء الله ورسوله فيعادونهم .
كنت يوماً في العاصمة التونسية داخل مسجد عظيم من مساجدها ، وبعد أداء
فريضة الصّلاة جلس الإمامُ وسط حلقة من المصلّين ، وبدأ درسه بالتهديد والتكفير لأولئك
الذين يشتمون أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم واسترسل في حديثه قائلاً :
إيّاكم من الذين يتكلّمون في أعراض الصّحابة بدعوى البحث العلمي والوصول لمعرفة
الحقّ ، فأولئك عليهم لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين ،

إنهم يريدون تشكيك النَّاس في دينهم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا وصل بكم الحديث إلى أصحابي فامسكوا ، فوالله لو انفقتم مثل أحد ذهباً لما بلغتم معشار معشار أحدهم ».

وقاطعه أحدُ المستبصرين كان يصحبي قائلاً : هذا الحديث غير صحيح ، وهو مكذوب على رسول الله!

وثارَت ثائرة الإمام وبعض الحاضرين والتفتوا إلينا منكرين مشمئزِّين فتداركتُ الموقف متلطِّفاً مع الإمام وقلت له نيا سيدي الشيخ الجليل ، ما هو ذنب المسلم الذي يقرأ في القرآن قولهم (لَهُ إِلَى رَبِّهِ لَوْلَا فَكَّرْتُ سَخُلُ أَفْئَانِ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبَتْهُمُ

وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَيْهِ قَبْرُهُ كَفَلْنَا يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)^(١) ؟

وما هو ذنب المسلم الذي يقرأ في « صحيح البخاري » ، وفي « صحيح مسلم » قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه : « سيؤخذ بكم يوم القيامة إلى ذات الشمال ، فأقول : إلى أين؟ فيقال : إلى النار والله ، فأقول يا رب هؤلاء أصحابي ، فيقال إنَّ لك لا تدري ما حدثوا من بعدك ، إنهم لا يزالوا مرتدِّين منذُ فارقتهم ، فأقول : سحقاً سحقاً لمن بدَّل بعدي ، ولا أرى يخلصُ منهم إلا مثل همل النَّعم »^(٢) .
وكان الجميع يستمعون إلىَّ في صمت رهيبٍ موسألني بعضهم إن كنت

(١) آل عمران : ١٤٤ .

(٢) صحيح البخاري ٧ : ٢٠٩ ، كتاب الرقاق ، باب الحوض ، وكتاب الفتن ، صحيح مسلم ٧ : ٦٦ ، تكلم الفضائل ، باب إثبات حوض نبيِّنا صلى الله عليه وآله وسلم .

واثقاً من وجود هذا الحديث في « صحيح البخاري »؟ وأجبتهم : نعم كوثوقي بأن الله واحد لا شريك له ومحمدٌ عبده ورسوله .

ولما عرف الإمام تأثيري في الحاضرين من خلال حفظي للأحاديث التي رويتها ، قال في هدوء : نحن قرأنا على مشايخنا رحمهم الله تعالى بأنَّ الفتنة نائمة ، فلعن الله من أيقظها . فقلت يا سيدي الفتنة عمرها ما نامت ولكننا نحنُ الذائمون بالذي يستيقظ منّا ويفتح عينيه ليعرف الحقَّ تتهمون به بأنه أيقظ الفتنة والظلمى كلَّ حال فإنَّ المسلمين مطالبون تبليغ كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، لا بما يقوله مشايخنا الذين يترضون على معاوية ويزيد وابن العاص .

وقاطعني الإمام قائلاً : أنت لا تترضى عن سيدنا معاوية رضي الله عنه وأرضاه ، كاتب الوحي؟

قلت : هذا موضوع يطول شرحه وإذا أردت معرفة رأيي في ذلك ، فأنا أهديك كتابي « ثم اهتديت » لعله يوقظك من نومك ويفتح عينيك على بعض الحقائق . وتقبَّل من الإمام كلامي وهديتي بشيء من التردد ولكنَّه وبعد شهر واحد كتب إليَّ رسالة لطيفة يحمده الله فيها أن هداه إلى صراطه المستقيم وأظهر ولاءً وتعلّقاً بأهل البيت عليهم السلام طلبتُ منه نشر رسالته في الطبعة الثالثة لما فيها من معاني الودِّ وصفاء الروح التي متى ما عرفت الحقَّ تعلّقتُ به وهي تعبر عن حقيقة أكثر أهل السنة الذين يميلون إلى الحقِّ بمجرد رفع السُّتار .

ولكنَّه طلب مني كتم رسالته وعدم نشرها؛ لأنه لا بدَّ له من الوقت

يُغْشَى فِي هَعَلِيَّهِ الْخَمْرُ فَالْمَيُوتُ لِقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حَادِثَةٍ عَلَيَّ الْخَيْرِ أَوْ لَدَيْكَ لَمْ
يُؤْمِنُوا فَأَحْرَبَ اللَّهُ أَعْمَهُمُ اللَّهُمَّ وَكَانَ ذَلِكَ اللَّهُمَّ يَسِيرًا^(١).

عِ الْيَوْمَ حَقَّ حَقِّهِمْ (فَأَنْ خَرِبَتْ جَمْعُهُمْ مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ
فَأَوْ لَدَيْكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ)^(٢).

بَيْنَ أَيْ حَقُّوا بِهِمْ لَلَّذِي ضُؤْنُ أَنْ لَنْ يُجْرَحَ اللَّهُ أَهْوَاءَهُمْ هَذَا لَأَرِيَنَ مَا كَانَتْ
مُ بِسَمِيهِمْ اللَّهُمَّ وَتَعَرَّفَتْهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَهُمُ الْكُفْرُ)^(٣).

سَيَقُولُ لَكَ (الْمُخْلَفُونَ مَغْلَبٌ لِلْأَهْوَاءِ الْبِئْسَ مَا كَانُوا فَمَا تَتَغَفَّرُونَ لَهُ يَا قَوْلُونَ
بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ...)^(٤).

فهذه الآيات البيِّنات من كتاب الله المجيد وما بيَّنته من نفاق البعض منهم الذين
اندسَّوا في صفوف الصَّحابة المخلصين حتى غابت حقيقتهم عن صاحب الرسالة نفسه
لولا وحي الله.

ولكن لنا دائماً من أهل السنَّة اعتراضٌ على هذا ، فهم يقولون بما لنا والمنافقين
لعنهم الله ، والصحابة ليسوا من هؤلاء! أو إنَّ هؤلاء المنافقين ليسوا من الصحابة!! وإذا ما
سألتهم مَنْ هؤلاء المنافقين الذين نزلت فيهم أكثر من مائة وخمسين آية في سورتي التوبة
والمنافقون وغيرهما؟ فسيجيبون : هو عبد الله بن أُبَي ، بن أبي سلَّول والجد بن القيس ، وبعد
هذين الرجلين لا يجدون اسماً آخر!

(١) الأحراب : ١٨ - ١٩ .

(٢) مجمّد : ١٦ .

(٣) مجمّد : ٢٩ - ٣٠ .

(٤) الفتح : ١١ .

سبحانه الله! فإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو نفسه لا يعرف الكثير منهم كيف يُصرّ النفاق بآبني والجد بن القيس المعلومين لدى عامة المسلمين؟ وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علم ببعضهم، وعلم أسماءهم إلى حدّ ذيفة بن اليمان. كما تقولون. وأما ما يكتمهم حتى إنّ عمر بن الخطاب أيام خلافته كان يسأل حذيفة عن نفسه هل هو من أهل النفاق؟ وهل أخبر النبي باسمه؟ كما تروون ذلك في كتبكم^(١).

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطى للمنافقين علامةً يُعرفون بها ، وهي

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ١ : ١٤ كتاب العلم ، ويشهد له . أيضاً . أن أم سلمة رضوان الله عليها كانت تحدّث بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم «إنّ من أصحابي من لا يراني بعد موتي أن أفارقه ..» فلمّا سمع عمر بالحديث انطلق لأُمّ سلمة قائلاً : بالله منهم أنا ، فقالت : لا ، ولا أبرئ أحداً بعدك .
مجمع الزوائد ٩ : ٧٢ / أوضح سنده ، مسند أحمد ٦ : ٢٩٠ .

قال العلامة المقبل في معرض كلامه عن الصحابة والأفعال السيئة التي صدرت من بعضهم : «إنّها أغلبية لا عامة وإنّه يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم من الغلط والنسيان والسهو ، بل والهويّ الذي لا يدون رأيهم بأنّ الصحابة إن هم إلّا بشر يقع منهم ما يقع من غيرهم ، وممّا يرجع إلى الطبيعة البشرية ... ويعززون حكمهم بمن كان منهم في عهده . صلوات الله عليه . من المنافقين والكاذبين ، وبأنّ كثيراً منهم قد ارتدوا عن دينهم بعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى .

بله ما وقع منهم من الحروب والفتن التي أهلكت الحرث والنسل ولا تزال آثارها ، ولن تزال إلى اليوم وما بعد اليوم ، وكأن رسول الله . صلوات الله عليه . قد رأى بعيني بصيرته النافذة ما سيقع من أصحابه بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى فقال في حجة الوداع : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » العلم الشامخ :
٩٢ .

بغض علي بن أبي طالب عليه السلام ، كما تروون ذلك في صحاحكم^(١) ، فما أكثر هؤلاء من حلابة الذين تترضون عنهم وتضعونهم في القمّة ، وقد وصل بهم البغض لعلّي أن حاربوه وقتلوه ، ولعنوه حيناً وميلاً تهلّ هويتهم ومحبّية ، وكلّ هؤلاء من خيار الصحابة عندكم .

واقترضت حكمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعلم حذيفة أسماءهم تارةً ، ويُعطي للمسلمين علامة لهم تارةً أخرى ، ليقيم على الناس الحجّة ، فلا يقولوا بعده ما إنّنا كنّا عن هذا غافلين .

ولا عبرة بما يقوله أهل السنّة اليهذين: نخب الإمام علي عليه السلام وكرم الله وجهه ، فنقول إنّه لا يجتمع في قلب مؤمن حبّ ولي الله وحبّ عدوّه وقد قال الإمام علي نفسه: ليس منّا من سوى بيننا وبين أعدائنا^(٢) .

ثمّ إنّ القرآن الكريم عندما تكلم عن الصحابة كلّم عنهم بعدّة أوصاف وعلامات ثقتهم وإذا استثنينا منهم الصحابة المخلصين الشاكرين ، فإنّ البقية الباقية منهم وصفهم الذكر الحكيم بأنهم: فاسقون ، أو خائنون ، أو متخاذلون ، أو ناكثون ، أو منقلبون ، أو شاكّون في الله وفي رسوله ، أو فارّون من الزحف ، أو مغفلون للحقّ ، أو عاصون أوامر الله ورسوله ، أو مثبّطون غيرهم عن

(١) صحيح مسلم ١ : ٦١ ، فضائل الصحابة ، باب مناقب علي بن أبي طالب ، مسند أحمد ١ : ٥٥ وصرّح محقق الكتاب العلامة أحمد شاكر بصحته ، سنن الترمذي ٥ : ٣٠٦ ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ١٣٧ ح ٨٤٨٧ ، مسند أبي يعلى ١ : ١١ وقد مرّ تحريجه سابقاً .

(٢) بشارة المصطفى : ٢٠٤ ح ٢٨ ، البحار ٢٣ : ١٠٦ .

لَا تَمُوتُ ذَلِكَ فَضَّلَ اللَّهُ يُوْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١)

لَا تَمُوتُ آمَنُوا لَا تَخُونُوا لِلَّهِ الرَّسُولَ وَتَخُونُوا مَا نَا تَكُفُّمُ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَعْلَمُوا
مَوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ أَهْمًا تَلْمِزُهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢)

تَجِبُوا لِلَّهِ (الَّذِي لِيْلِي سَامُؤَلُوا إِسَادُ عَاكُمُ لِمَا يَحْيِيكُمْ) وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
يَحْكُمُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنْتُمْ قَلِيلٌ فَهَاتُوا قُلُوبَكُمْ لِلَّهِ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٣)

سَرِيحًا نَأْيُهُمَا (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) إِذْ جَاءَ تَكُفُّمُ جُنُودًا فَارَسْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ إِذْ يَحْكُمُ لِقَوْلِهِمْ لَمُونَ بِضُغَيْرِ قُلُوبِكُمْ وَمَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ
أَغْتَابَ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ هَبْطَ اللَّهِ لَكُمْ الظُّبُورُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَزُلُّوا
الْمَدَائِقُونَ لِيُزِيلَ اللَّهُ عَنْكُمْ مَرْضًا وَمَا وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (٤)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا آَلَيْتُمْ لَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا
تَفْعَلُونَ (٥)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعِ قُلُوبُهُمْ لِدِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ (٦)

يَعْتُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا وَقُلْ لَا تَمُوتُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ

(١) المائدة : ٥٤ .

(٢) الأنفال : ٢٧ - ٢٨ .

(٣) الأنفال : ٢٤ - ٢٥ .

(٤) الأحزاب : ٩ - ١٢ .

(٥) الصف : ٢ - ٣ .

(٦) الحديد : ١٦ .

هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١)
 قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَقْتَرَفْتُمْ هَٰذَا
 وَتَجَارَعْتُمْ تَخَرَّصْتُمْ فِي كَيْدِهِمُ الْإِسْلَامَ فَاعْبُدُوا اللَّهَ وَارْتَبِعُوا صُلُوبَكُمْ فَالْحَقَّ
 بِاللَّهِ مَا يَدْعُو بِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)
 مَا قُلْتُ (الْأَعْرَابُ الْبَكْرَةَ يَقُولُوا أَنَّهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَلَكِنْ نَقَلُوا بِهَا لُغَةَ الْأَرَابِ
 لِيُقَالُوا هَٰؤُلَاءِ نَبِيُّ الْأَرَابِ) (٣)

مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَجْعَلْ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ رِزْقِهِ مِمَّا يَشَاءُ
 تَبَوَّءُونَ (٤)
 لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَيَتَّبِعُوا آيَاتَ اللَّهِ
 لِيُبَدِّلَ اللَّهُ دِينَهُمْ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا لَهُمُ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا فِيهِ حِكْمًا
 وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥)
 فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهَا هَمٌّ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ لِيُؤْكَلِ بِهَا لُحْمٌ وَأَنْفُسٌ هَمٌّ فِي
 اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي سَلْجَرٍ قَلْبٍ نَارٍ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٦)
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آتَوْا عَوَاثِمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَرِهُوا وَإِذْ يَقُولُ اتَّكَلْنَا عَلَى اللَّهِ
 فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ أَرْضِ مَكَّةَ فَلَمَّ عَرَفْتَهُمْ

(١) الحجرات : ١٧ .

(٢) التوبة : ٢٤ .

(٣) الحجرات : ١٤ .

(٤) التوبة : ٤٥ .

(٥) التوبة : ٤٧ .

(٦) التوبة : ٨١ .

هَاهُمْ ° وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ ° فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ° وَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ° (١)
وَ إِنْ فَرِقْنَاكُمْ (بَيْنَ أَدَائِلُوظِكُمْ فِي كَلِمَاتِهِمْ ° بِعَدَمِ تَابِعِينَ ° كَأَنَّ مَا يُسَبِّحُونَ إِلَى
الْمَوْتِ ° وَ هُمْ ° يَنْظُرُونَ °) (٢).

لَتَنْفَقُوا فِي هَسَانَتَيْلِ اللَّهِ ° وَ لَوْ لَمْ يَخْلُفْهُمُ ° وَ مَنْ يَخْلُفْهُمُ ° فَإِنَّ مَا يَخْلُفُ
عَقْبَهُمْ ° نَهْلُفَقِرِهِ ° أَوْ اللَّهُ إِنْ أَلْفَحُوا ° لَوْ أَلْفَحُوا ° تَبَدَّلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ° ثُمَّ لَا يَكُونُوا لَكُمْ ° (٣)

وَ مَنْ مِنْهُمْ ° فَطِيلٌ ° لَعَلَّكُمْ ° مِنْهُ ° أَوْ لَمْ يَعْطُوا ° مِنْهُ ° إِذَا هُمْ °
يَسْخَطُونَ °) (٤).

هُمْ ° مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ° وَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ ° قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ° إِذَا قَالُوا
فَأَوْ لَتَكِ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ° وَ اتَّبِعُوا هُمْ °) (٥).
وَ مَوْهَبِهِمْ قَوْلُهُمْ ° هُنَّ ° يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ° وَ يُؤْمِنُونَ
بِالَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا ° وَ وَرَأَى الَّذِينَ يَفْعَلُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ° أَعْدَابًا ° أَلِيمًا °) (٦).

إنَّ هذا القدر من الآيات البيِّنات كاف لإقناع الباحثين بأنَّ الصَّحابة ينقسمون إلى
قسمين اثنين :

١. قسم ° آمن بالله و برسوله صلى الله عليه و آله وسلم ، وأسلم أمره و قيادته لهما ،

فأطاع الله

(١) مجمّد : ٣٠ .

(٢) الأنفال : ٦ .

(٣) مجمّد : ٣٨ .

(٤) التوبة : ٥٨ .

(٥) مجمّد : ١٦ .

(٦) التوبة : ٦١ .

ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تفاني في حبّهما ، وضحّى في سبيلها ، وكان من الفائزين ، وهؤلاء يمثّلون الأقلية وقد سمّاهم القرآن **الغالبين** .

٢ قسم آمن بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وطاهرياً ولكن قلبه فيه مرض ، فلم يسلم أمره إلا لمصلحته الشخصية ومنافعه الدنيوية ، فهو يعارض الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أحكامه وأوامره ، ويقدم بين يدي الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم كان من الخاسرين ، وهؤلاء يمثّلون الأكثرية ، وقد عبر عنهم القرآن بأولئك الذين **يتكلمون على الحوارج** و **(لكن أكثركم للملحقة كارهون)** .^(١)

فالباحث يكتشف أن هؤلاء (الأكثرية) كانوا في حياة النبي صلى الله عليه وآله يعيشون معه ، ويصلّون خلفه ، ويصحبونه في حلّه وترحاله ، ويتقرّبون إليه بكلّ وسيلة لئلاّ ينكشف أمرهم للمؤمنين المخلصين ، ويجاولون جهدهم أن يظهروا بمظهر يغبطهم عليه المؤمنون لكثرة تعبدتهم وورعهم في أعين الناس .^(٢)

فإذا كان هذا حالهم في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فكيف أصبحوا بعد وفاته؟ لا شك بأنهم نشطوا وتكاثروا ، وازدادت تسترهم وتمثيلهم ، فلم يعد هناك نبيٌّ يعرفهم ، ولا وحيٌّ يفضحهم ، وخصوصاً وقد ظهرت بموته صلى الله عليه وآله وسلم بوادر

(١) الزخرف : ٧٨ .

(٢) أخرج أبو يعلى في مسنده ١ : ٩٠ ، وابن حجر في إصابته ٢ : ٣٤١ في ترجمة ذي الثدية عن أنس بن مالك ، قال : كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعجبنا تعبّده واجتهاده ، وقد ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باسمه فلم يعرفه ، فوصفناه بصفته فلم يعرفه ، فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل ، قلنا : هو ذا! قال رسول الله إنكم تخبروني عن رجل إن في وجهه لسعفة من الشيطان ، إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، أقتلوهم فهم شرّ البرية . (المؤلف).

الشقاق والافتراق من أهل المدينة الذين مردوا على النفاق ، وكذلك ارتداد العرب في شبه الجزيرة الذين هم أشدّ كفراً ونفاقاً ، ومنهم من ادّعى النبوة كمسيلمة الكذاب ، وطليحة ، وسجاح بنت الحرث وأتباعهم ، وكلّ هؤلاء كانوا من الصحابة^(١) .

(١) طليحة بن خويلد ، اتفق بلالمون للصحابة على أنه صحابي أسلم سنة تسع للهجرة ، ثمّ ارتد ، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١ : ٣١٦ : « طليحة بن خويلد ابن نوفل الأسدي البطل الكرار صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . أسلم سنة تسع ثمّ ارتد وظلم نفسه ، وتنبأ بنجد ، وتمت له حروب مع المسلمين ثمّ انهزم وخذل ولحق بال جفنة الغسانيين بالشام ثمّ ارعوى وأسلم وأحرم بالحج فلمّا راه عمر قال : يا طليحة لا أحبك بعد قتلك عكاشة بن محض وثابت بن أقرم .. » ، وراجع أيضاً أسد الغابة ٣ : ٩٥ ، العبر ١ : ٢٦ ، الإصابة ٥ : ٢٤٣ وغيرها .

فهذا صحابي ارتدّ بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتنبأ ، وقتل الصحابة منهم عكاشة وثابت ، حتى إن عمر بن الخطاب يكره رؤيته لفعله الشنيع ، وعلى ذلك هناك سؤالان لصاحب كتاب « كشف الجاني » وغيره وهما :

(١) لكم تدعون بأنه لم يرتدّ صحابي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عقيب ذكركم لحديث الحوض ، فهل هذا الشخص من الصحابة أم أنه لم يرتد؟!

(٢) تقولون بأن الصحابة عدول وقد رضي الله عنهم جميعاً ، ثمّ تقولون : بأن رضي الله لا يتعقبه سخط ، فلا يمكن أن يرضى الله عن الصحابة . مثلاً . ثمّ يغضب عليهم ، فهنا نسأل : هل هذا الصحابي وهو طليحة . حينما ارتدّ وتنبأ وقتل بعض الصحابة ، هل أن الله كان راضياً عنه لأنه صحابي ، أم أنه كان غاضباً عليه لأفعاله الشنيعة؟!

وأما سجاح بنت الحارث ، فقد عدّها ابن حجر في الإصابة ٨ : ١٩٨ من الصحابة ، وهي أيضاً ارتدّت وتنبأت . وبهذا يبطل كلام صاحب « كشف الجاني » : ١٣٣ في نفيه لصحتها وتكذيب المؤلف ، دفعاً للحجة باللغو والكلام بغير علم ، وتقليداً

وإذا تراكمل هؤلاء ، واعتمدنا فقط على سكان المدينة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نجزم بأن هؤلاء . أيضاً . ظهرت فيهم حسيكة الذئفان ، وحتى المؤمنين منهم أغلبهم انقلب على عقبيه من أجل الخلافة .
وقد عرفنا فيما سبق من أبحاث أنهم تأمروا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى وصيه ، وعصوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أوامره التي أمرهم بها وهو على فراش الموت .

وهذه الحقيقة لا رمتها للباحثين عن الحق ؛ إذ يصطدمون بها عند قراءة كتب التاريخ والسيرة النبوية ، وقد سجّل لها كتاب الله سبحانه بأجلى العبارة ، وأحكم الآيات بقوله تعالى :

وَدَّ مَخَلِّعَهُمْ يَدًّا لِيَلْزِقَهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ أَوْ قُلُوبَهُمْ إِنْ لَمْ تُؤْمِرْ بِهِ لَآتِيَهُمْ مِنَ اللَّهِ نَصْرٌ وَمِنْ اللَّهِ الْفَتْحُ (١)

فالشّاكرون هم الأقلية من الصحابة الذين لم ينقلبوا ، وثبتوا على العهد الذي أبرموه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يديّ لو تبدّلا .
وبهذه الآية الكريمة ومدلولها المحكم تسقط دعوى أهل السنة : بأنّ الصحابة لا علاقة لهم بالمنافقين !!

ولو سلّمنا لهم جدّلاً بذلك ، فإنّ هذه الآية الكريمة خاطبت الصحابة

لمنهج ابن تيمية الذي ينكر الوقائع الصحيحة الثابتة نصره لبني أمية وأعداء الحمد صلى الله عليه وآله وسلم .
ويوجّه السؤالين السابقين هنا . أيضاً . إلى عثمان الخميس وغيره لمعرفة موقفهم من هذين الصحابين؟! .
(١) آل عمران : ١٤٤ .

المخلصين الذين لم يكونوا منافقين في حياة النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما انقلبوا على أعقابهم بعد وفاته مباشرة.

وسوف يتضح أمر هؤلاء إذا ما بحثنا أحوالهم في حياة النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم وبعد وفاته ، وما قاله فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطفحت به كتب الحديث والسيرة والتاريخ.

السنة النبوية تكشف حقائق بعض الصحابة

وحتى لا يتوهمنا في الأحاديث النبوية التي تناولت الصحابة ، ويحاول الطعن فيها أو تضييقها ، فقد اعتمدنا فقط أحاديث البخاري ، والذي هو أصح الكتب عند أهل السنة ، ورغم أن البخاري كتم الكثير من هذه الأحاديث حفاظاً على كرامة الصحابة ، كما هو معروف عنه ، ولأن غيره من صحاح أهل السنة أخرج أضعافها وبعبارات أكثر وضوحاً ، إلا أننا نكتفي بهذا الموجز الذي أخرجه البخاري لتكون حجتنا أبلغ.

أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الأول في باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر من كتاب الإيمان :

قال إبراهيم التيمي : ما عرضت قولي عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً ، وقال ابن أبي مليكة ركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ، ما منهم أحد يقول : إن الله على إيمان جبريل وميكائيل ... (صحيح البخاري : ١ : ١٧).

وإذا كان ابن أبي مليكة أدرك ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ، ولا يدعي الإيمان الصحيح لنفسه ، فما بال أهل

السنة يرفعونهم إلى منزلة الأنبياء ، ولا يقبلون النقد في أيّ واحد منهم؟! وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الرابع في باب الجاسوس والتجسس من كتاب الجهاد والسير :

أنّ حاطب بن أبي بلتعة ، وهو من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، بعث إلى المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد جيء بكتابه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا يا حاطب؟ فاعتذر للنبيّ بأنّه يريد حماية قرابته في مكّة ، وصدقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عمرُ يا رسول الله دعني أضربُ عنقَ هذا المنافق إقالته بشهد بدراً ، وما يدريك لعلّ الله أن يكن قد اطّلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم .. (صحيح البخاري : ٤ : ١٩) .

كواذا حاطب ، وهو من الرّعيّل الأوّل من الصحابة الذين شهدوا بدرًا بيعث بأسرار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى أعدائه من مشركي مكّة ، ويخون الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بعذر حماية قرابته ، ويشهد عمر بن الخطّاب نفسه على نفاقه ، فكيف بالصحابة الذين أسلموا بعد الفتح أو بعد خيبر أو بعد حنين؟! وكيف بالطلاقاء الذين استسلموا ولم يسلموا؟!

أمّا ما جاء في الفقرة الأخيرة من القول المنسوب للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ الله قال لأهل بدر : « اعولما شئتم فقد غفرتُ لكم » . فنترك التعليق عليه للقارئ اللبيب .

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه السادس في باب قوله **﴿عَلَيْهِمْ سَلَامٌ﴾**

لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَعْفِفِرْ اللَّهُ غَلْنُ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

سَالِفِيْنَ) من كتاب فضائل القرآن سورة المنافقين :

أن رجلا من المهاجرين كسح رجلا من الأنصار ، فقال الأنصاريُّ : يا للأنصار ، وقال المهاجريُّ : يا للمهاجرين ، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « ما بال دعوى أهل الجاهلية ؟ » قالوا : يا رسول الله كسح رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال دعوهما فإيهما من تنة ؟ » ، فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال : فعلوها ! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعرزُ منها الأذلَّ ، فبلغ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقام عمر فقال : يا رسول الله دعني أضرب عنقَ هذا المنافق لقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم « ث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » . (صحيح البخاري : ٦ : ٦٥) .

وهذا الحديث صريح في أن المنافقين كانوا من الصَّحابة ، فقد أقرَّ رسول الله قول عمر بأذنه منافق ، ولكنَّه ينعى لمن يقتل الجبان محمداً يقتل أصحابه ، ولعلَّ الرسول كان يعلم بأنَّ أكثر أصحابه منافقون ، وإذا ما قتل كلَّ المنافقين لم يبق من أصحابه عددٌ كثير ، فأين أهل السنة من هذه الحقيقة المؤلمة التي تدحض مزاعمهم .

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثالث في باب حديث الإفك من كتاب

الشهادات :

أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من يعذربي من رجل بلغني أذاهُ في أهلي & فقام سعدُ بن معاذ فقال : يا رسول الله أنا والله أعذرُك منه ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرُك ، فقام سعد بن عبادة وهو سيّد الخزرج ، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن

احتملته الحميَّة ، فقال كذَّبتَ لعمر الله لا تقتلنَّه ولا تقدر على ذلك ، فقام أسيد بن الحضير كفقَّلت: لعمر الله ، والله لنقتلنَّه فإنَّك منافقٌ تجادلُ عن المنافقين ، فتار الحية أن الأوس زوالح حتىَّ همَّوا أن يقتتلوا ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر ، فلم يزل يخفُّضهم حتىَّ سكتوا وسكت ... (صحيح البخاري ٣ : ١٥٦ وكذلك ٦ : ٨) .

كان ويلغد بن عبادة سيِّد الأنصار يتهم بالنِّفاق بعدما كان رجلاً صالحاً كما تشهد بذلك الرِّواية ، ويقال عنه « منافقٌ بحضرة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فلا يدافع عنه ، وإذا كان الأنصار الذين امتدحهم الله في كتابه يثورون جميعاً بأوسهم وخزرجهم ، ويهمُّوا بالقتال من أجل منافق آذى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم في أهله ، فيدافعون عنه ويرفعون أصواتهم بحضرة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم كيف يستغربُ النِّفاقُ من غيرهم الذين كرَّسوا حياتهم في محاربة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته ، أو من الذين همَّوا بحرق دار ابنته بعد وفاته من أجل الخلافة!!»

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثامن من كتاب التوحيد في باب قول الله

تَعْرُتُ عَلَى الْمَلَأِ نِكْمَةً وَ الرَّوْحُ إِلَيْهِ .. (١).

أنَّ علي بن أبي طالب بعث وهو باليمن إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بقطع من الذهب ، فقسَّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بعض النَّاس ، فتغضَّبت قريش والأنصار ، فقالوا يُعطيه صناده هل نجد ويدعنا؟ قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : «إنَّما أتألِّفهم» فأقبل رجلٌ فقال يا محمَّد اتَّق الله! فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم «الله إذا عَصَيْتُهُ؟ فيأمنيُّ على أهل الأرض ولا تأمنوني»؟

(١) المعارج : ٤ .

فسأل خالد بن الوليد قتله ، فمنعه النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك ، فلمّا
ولى قال النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم : «إنّ من ضئضي هذا قوماً يقرأون القرآن لا
يجاوز حناجرهم ، يمرّون من الإسلام مروق السهم من الرميّة ، يقتلون أهل الإسلام ويدعون
أهل الأوثان لمن أدركتهم لأقتلنهم م قتله عاد .» (صحيح البخاري ٨ : ١٧٨) .

وهذا منافق آخر من الصحابة يتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحيف في
القسمّة ، ويواجه النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم في غير أدب بقوله : يا حمّ مد اتّق الله
«ولو غم معرفة النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنّه يخرج من ضئضه قوم يمرّون
من الإسلام مروق السهم من الرميّة ، فيقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، ورغم
ذلك كلّه منع النبي ﷺ خالد من قتله .

وفي هذا جواب لأهل السنّة الذين كانوا كثيراً ما يحتجّون على بقولهم : لو كان رسول
الله يعلم أنّ أصحابه منافقين سيكفونون سبباً في ضلالة المسلمين ، لوجب عليه قتلهم
لحماية أمّته وحماية دينه!!

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثالث في باب إذا أشار الإمام بالصلح من
كتاب الصلح :

أنّ الزبير كان يحدّث أنّّه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدراً إلى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم شراح من الحرّة كانا يسقيان به كلاهما ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم للزبيرسقى يا زبير ، ثمّ أرسل إلى جارك ، فغضب الأنصارى
فقال رسول الله إنّ كان ابن عمّتك؟ فتلوّن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
ثمّ قالسقى ثمّ أحبس حتى يبلغ الجدر ... » (صحيح البخاري ٣ : ١٧١) .

وهذا نمط آخر من الصحابة المنافقين الذين يعتقدون بأنّ رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم تلجذه العاطفة فيميل مع ابن عمته ، ويقولها بكل وقاحة حتى يتغير وجه رسول الله من شدة الغضب .

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الرابع في باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم من كتاب الجهاد والسير : عن عبد الله قال : ما كان يوم حنين أثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القسمة ، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى أناساً من أشرف العرب فأثرهم يومئذ في القسمة ، فقال والله إني لهن القسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله ، فقلقت : لأخبرن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته ، فقال : فمن يعد لي لم يعدل الله ورسوله ؟ رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر . (صحيح البخاري ٤ : ٦١) .

وهذا منافق آخر من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولعله من عظماء قريش ، ولذلك تحاشى الراوي ذكر اسمه خوفاً من الجهاز الحاكم في ذلك الوقت ، وترى هذا منافق يلتقد جزماً ويقسم على ذلك بأن محمد بدأ ما كان عادلاً ولا أراد بقسمته وجه الله ، ورحم الله محمد بدأ فقد أودى بأكثر من هذا فصبر .

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الرابع في باب علامات النبوة في الإسلام من كتاب بدء الخلق :

إن أبا سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسماً ، إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم ، فقال يا رسول الله أعدل ! فقالوا يله ! ومن يعدل إذا لم أعدل ، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل » ، فقال عمر : يا رسول الله إنني ليضرب عنقه ، فقال : دهه فإن

له أصحاباً يحقرُّ أحدكم صلاتَه مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرأون القرآن لا يجاوزُ تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ... » (صحيح البخاري ٤ : ١٧٩) .

وهذا نمط آخر من الصحابة المنافقين الذين كانوا يظهرون أمام الناس بمزيد من التقوى والخشوع ، حتى إنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال لعمر : إنَّ أحدكم يحقر صلاته وصيامه مع صلاتهم وصيامهم ، ولا شكَّ أنَّهم كانوا يحفظون القرآن حفظاً متراكماً ولكن لا يتجاوز حناجرهم ، وقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « هُ فِينَّ لَهُ أَصْحَاباً » يدلُّ على وجود المنافقين بأعداد كبيرة ضمن الصحابة .

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه السابع في باب من لم يواجه الناس بالعتاب من كتاب الأدب :

قالت عائشة : صنع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فرخاً ص فيه فتنة ه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فخطب فحمد الله ثمَّ قال : « ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدَّهم له خشيةً » . (صحيح البخاري ٧ : ٩٦) .

وهذا نوع آخر من الصحابة الذين يتنزهون عن سنة النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، ولا شكَّ أنَّهم كانوا يسخرون من أفعاله ، ولذلك نراه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يخطب فيهم ، ويقسم بالله أنه لأعلمهم بالله وأشدَّهم له خشيةً .

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثالث في باب الاشتراك في الهدى والبدن من كتاب المظالم :

عن ابن عباس قال قدم النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بح رابعة من ذي الحجة

مهلين

ج لا يخطئهم شيء ، فلمّا قدمنا أمرنا فجعلناها مرة وأنّ نحلّ إلى نساءنا ، ففشت في ذلك القالة ، قال عطاء بن رطل لجلدنا إلى منى وذكره ه يقطر منى ، فقال جابر بكفّه به بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقام خطيباً فقال : «بلغني أنّ أقواماً يقولون كذا وكذا ، والله لأنّا أبرُّ وأتقى لله منهم ... » (صحيح البخاري ٣ : ١١٤) .

وهذا نمط آخر من الصحابة الذين يعصون أوامر رسول الله في الأحكام الشرعية ، وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «بلغني أنّ أقواماً يقولون كذا وكذا» يدل على أنّ الكثير منهم رفضوا أن يتحللوا لنساءهم دعوى أنّهم يتنزهون أن يروحوا إلى منى وذكر أنّهم تقطروا منى وغالباً عن هؤلاء الجهلة أنّ الله أوجب عليهم الغسل والطهارة بعد كل عملية يتحسّف كيف يروحون إلى منى والمنى يقطر من ذكورهم؟ وهل هم أعلم بأحكام الله من رسول الله نفسه؟ أم هم أبرُّ وأتقى لله منه؟

ولا شك أنّ زواج المتعة ، أو (متعة النساء) وقع تحريمها بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من طرف عمر من هذا القبيل ، فإذا كانوا في مخالفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنكاح نساءهم أيام الحج ، فلا يستغرب منهم أن يمنعوا نكاح المتعة بعد وفاته ، تنزيلاً عنهم لأنفسهم عمّا كان يأمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويعتبرون نكاح المتعة من قبيل الزنا ، كما يقول اليوم أهل السنة بهذه المقالة !!

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الرابع في باب ما كان النبي يعطي المؤلفات قلوبهم من كتاب الجهاد والسير :

عن أنس بن مالك : إنّ رسول الله حين أفاء الله عليه من أموال هوازن

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الخامس في باب غزوة الحديبية من كتاب

المغازي :

عن أحمد بن إشكاب ، حدّ ثنا محمد بن فضيل ، عن العلاء بن المسيّب ، عن أبيه
قال لقيتُ البراء بن عازب رضي الله عنهما ، فقلت : طوبى لك صحبت النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ، وبايعته تحت الشجرة!

فقيل: أخى إنك لا تدري ما أحدثنا بعده . (صحيح البخاري ٥ : ٦٥).

لقد صدق البراء بن عازب ، فإنّ أغلب النّاس لا يدرون ما أحدث الصّحابة بعد
وفاة نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم: ظلم وصيّّه وابن عمّه وإبعاده عن الخلافة ، ومن
ظلم ابنته الزّهراء وتهديدها بالحرق ، وغضب حقّها من النّحلة والإرث والخمس ، ومن مخالفة
وصايا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بتبديل الأحكام التشريعية ، وحرق السنّة النبويّة ،
وضرب الحصار عليها ، ومن أذيته صلى الله عليه وآله وسلم في لعن وقتل أهل بيته
وإبعادهم وتشريدهم ، وإعطاء السلطة إلى المنافقين والفاسقين من أعداء الله ورسوله!!

نعم ، كلّ لكذوغيره كثير ممّا أحدثوه من بعده ، وبقي مجهولاً عند عامّة النّاس الذين
ما عرفوا للحقائق إلّا ما أمّلته عليهم مدرسة الخلفاء التي تفنّنت في تبديل أحكام الله
ورسوله باجتهادات شخصية سمّيت البدع الحسنة!!

وبهذه المناسبة نقول لأهل السنّة: لا تغترّوا يا إخوتنا بالصّحبة والصّحابة ، فهذا هو
البراء بن عازب من الرّعيّل الأوّل ، الذين بايعوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تحت
الشجرة ، يقول لابن أخيه بلسان الحال : لا تغرّك صحبتي ولا بيعتي

تحت الشجرة ، فإنك لا تدري ما أحدثت بعده ، وقد قال تعالى: **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِمْ يُؤْمِنُ اللَّهُ بِأَيْدِيهِمْ وَتَحْتِ الشَّجَرَةِ ، فَإِنْ لَمْ تَدْرِي مَا أَهْدَتْ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَزَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَّ نَصَبْنَا لَكَ الْوِزْرَ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** (١).

وكم كان عدد الصحابة الذّاكّنين كبيراً حتّى عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابن عمّه عليّ أن يقاتلهم ، كما جاء ذلك في كتب التاريخ.

رجو البخاري في صحيحه من جزئه الأوّل والثالث في باب إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة من كتاب الجمعة :

عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: من الشّام تحمّل طعاماً ، ونحن نصلّي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الجمعة المنفاس إلاّ اثني عشر رجلاً ، فنزلت هذه الآية: **وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَاتَّخَذُوا كُؤُوكَ قَانِمًا** (صحيح البخاري ١ : ٢٢٥ و ٣ : ٦ و ٧).

وهذا نمط آخر من الصحابة المنافقين الذين لا يتورّعون ولا يخشعون ، بل ويفرّون من صلاة الجُمُعَة تجوّعاً على العير والتجارة ، ويتركون رسول الله قائماً بين يدي الله يؤدّي فريضته في خشوع ورهبة.

فهل هؤلاء مسلمون كما لم يمانحهم؟ أم هل هم منافقون يهزؤون من الصّلاة ، وإذا قاموا إليها قاموا كُسهالاً؟ ولا يُستثنى منهم إلاّ الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإتمام صلاة الجمعة ، وعددهم اثني عشر رجلاً.

ومن تتبّع أحوالهم واستقصى أخبارهم فسوف يندهش لأفعالهم ، ولا شك أن هروبهم من صلاة الجمعة تكرّراً مرّات متعدّدة ، ولذلك سجّله كتاب

(١) الفتح : ١٠ .

لِللَّهِ سَبْلُهُ عَنَّا بِتَوَلُّفِنَا (مِلَّةَ اللّٰهِ وَ مِّنَ التَّجَارَةِ).

وحتّى قف أيّها القارئ العزيز مدى احترامهم لهذه الصّلاة التي يحترّمها مسلموا العصر الحاضر أكثر منهم إليك هذه الرّواية :

أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثالث في باب ما جاء في الغرس من كتاب

الوكالة :

عن سهل بن سعيد (رضي الله عنه) أنّه قال لنا: كنّا نفرح بيوم الجمعة ، كانت لنا عجوزٌ تأخذ من أصول سلق لنا كنّا نغرسه في أربعائنا فتجعله في قدر لها ، فتجعل فيه حبّات من شعير لا أعلم إلاّ أنّه قالهسن فيه شحمٌ ولا ودكٌ ، فإذا صلّينا الجمعة فقلنا ربّنا إنا ، فكنا نفرح بيوم الجمعة من أجل ذلك ، وما كنّا نتغذّى ولا نقبل إلاّ بعد الجمعة!! (صحيح البخاري ٣ : ٧٣).

فهنيئاً مريئاً لهؤلاء الصّحابة الذين لا يفرحون بيوم الجمعة للقاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاستماع لخُطبه ومواعظه ، الصّلاة بإمامته ، ولا بلقاء بعضهم البعض ، وما في ذلك اليوم من بركات ورحمات ، ولكنّهم يفرحون بيوم الجمعة من أجل طعام مخصوص أعدّته لهم عجوز ، ولو قال أحد المسلمين اليوم بأذنه يفرح بيوم الجمعة من أجل الطعام لأعتبر من المسوّفين المهملين.

وإذا أردنا مزيداً من البحث والتنقيب ، فإنّنا سنجد الشّاكرين الذين مدحهم القرآن الكريم أقلية لا يتجاوز عددهم الاثني عشر رجلاً ، وهؤلاء هم المخلصون الذين لم ينفضوا إلى اللهو والتجارة ويتركوا الصّلاة ، وهم أنفسهم الذين ثبتوا في الجهاد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المعارك التي فرّ منها بقية الصّحابة وولّوا مديريين.

فقد أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الرابع في باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب من كتاب الجهاد والسير :

عن البراء بن عازب قال جعل النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم على الرجل مائة يوم أجهنوا خمسين رجلاً . عبد الله بن جبير ، فقالين : رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم ، فهزموهم .

فأنا والله وأليتي النساء يشتد دن قد بدت خلاخلهن وأسواقهن رافعات ثيابهن ، فقال أصحاب عبد الله بن جبير : الغنيمه أي قوم الغنيمه ، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ والله لتقتلوا : الناس فلذص بين من الغنيمه ، فلم أتوهم صرفت ووجههم فأقبلوا منهمذين ، فذاك إذ يدعوهم الرسول في آراهم فلم يبق مع النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم غير اثني عشر رجلاً ، فأصابوا مئاً سبعين ... (صحيح البخاري ٤ : ٢٦) .

وإذا عرفنا مما ذكره المؤرخون هذه الغزوة بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج بألف صحابي كلهم يتشوقون للجهاد في سبيل الله ، مغترين بالنصر الذي حصل في غزوة بدر ، ولكنهم عاصوا أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتسببوا في هزيمة نكراء شنيعة قتلت فيها سبعون وعلى رأسهم حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الباقون ، ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ساحة الكفر غير اثني عشر رجلاً على ما يقوله البخاري ، أما غيره من المؤرخين فينزل بهذا العدد إلى أربعة فقط ، وهم : علي بن أبي طالب الذي تصدى للمشركين يحمي بذلك وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأبو دجانة يحمي ظهره ، وطلحة ، والزبير ، وقيل سهل بن حنيف .

ومن هذه المواقف نفهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا أرى يخلص

منهم إلا مثل همل النعم » (سيأتي البحث في هذا الحديث).

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد توعّد بهم بالنار إذا فرّوا من الحرب فقال يا (أيها ما

الذّين آمنوا) إنا نذركم ههنا ولا نؤذيكم فلما تولّوا همّوا بالفرار فقال لهم يا أيها الذين آمنوا لا تفرّوا من الحرب فإنا نذركم ههنا ولا نؤذيكم فلما تولّوا همّوا بالفرار فقال لهم يا أيها الذين آمنوا لا تفرّوا من الحرب فإنا نذركم ههنا ولا نؤذيكم (١).

فما هي قيمة هؤلاء الصّحابة الذين همّوا بالفرار من أجل الله والتجارة ،

ويفرّون من الجهاد خوفاً من الموت ، تاركين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده بين

الأعداء ، وفي كلتا الحالتين يفضّلون الموت ولو كانوا الأدبار بجمعهم ولا يبق معه

صلى الله عليه وآله وسلم غير اثني عشر رجلاً على أكثر التقديرات ، فأين الصّحابة يا أولي

الألباب!؟

ولعلّ بعض الباحثين عندما يقرؤون مثل هذه الأحداث والروايات يستصغرون شأنها ،

ويظنّون بأنّها حادثة عرضية عفا الله عنها ، ولم يعد الصّحابة إلى مثلها بعد ذلك .

كلا ، فإنّ القرآن الكريم يوقفنا على حقائق مذهلة ، فقد سبحانه فرارهم

يوم غزوة أحد بقوله :

وَلَقَدْ اتَّخَذْتُمْ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ أَن يَقُولُوا إِذَا قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُلُوبُهُمْ حَمِيمٌ فَلَمَّا أَتَاهَا فَلَمِئْتَ سُوْدًا لِّمَن كَفَرَ لَمَّا سَأَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِن كُنْتُمْ كَانْتُمْ مَعَهُمْ قَالُوا كُنَّا مُتَحَدِّثِينَ إِذْ يَسْتَعْجِلُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا إِنَّا مَعَهُمْ قُلُوبُهُمْ حَمِيمٌ فَلَمَّا أَتَاهَا فَلَمِئْتَ سُوْدًا لِّمَن كَفَرَ لَمَّا سَأَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِن كُنْتُمْ كَانْتُمْ مَعَهُمْ قَالُوا كُنَّا مُتَحَدِّثِينَ إِذْ يَسْتَعْجِلُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا إِنَّا مَعَهُمْ قُلُوبُهُمْ حَمِيمٌ

(١) الأنفال : ١٥-١٦ .

وَلَا تَلَوْا وَنَ عَلِيٍّ أَحَدٌ وَالرَّسُولُ يُدْعُوكُمْ بِرَبِّكُمْ أَغْمَرًا أَكْبَمًا لِكَيْ لَا تَحْزَنُوا عَلَيَّ مَا فَاتَكُمْ
وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ^(١).

فهذه الآيات نزلت بعد معركة أحد ، والتي انهزم فيها المسلمون بسبب رغبتهم في متاع الدنيا عندما رأوا النساء رافعات ثيابهن ، بدت أسواقهن وخالخلهن على ما حكاه البخاري ، فعصوا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما حكاه القرآن؛ فهل اعتبر الصَّحابة بتلك الحادثة وتابوا إلى الله واستغفروه ولم يعودوا لمثلها بعد ذلك؟ كلاً فإنهم لم يتوبوا وعادوا إلى أكبر منها في غزوة حُنَيْن ، والتي وقعت في آخر حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان عددهم في تلك المعركة اثني عشر ألفاً على ما ذكره المؤرخون!!

ورغم كثرتهم فقد لاذوا بالفرار ، وولَّسوا مدبرين كالعادة؛ تاركين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسط أعداء الله من المشركين ، ومعه تسعة أو عشرة أنفار من بني هاشم على رأسهم الإمام علي بن أبي طالب ، كما نص عليه اليعقوبي في تاريخه وغيره^(٢) . وإذا كان فرارهم يوم أحد شنيع ، فهو في حنين أشنع وأقبح لأنَّ الصَّابرين الذين ثبتوا معه يوم أحد كانوا أربعة من ألف صحابي ، وهي نسبة واحد من كل مائتين وخمسين ، أمَّا في يوم حُنَيْن فكان الصَّابرون الثابتون

(١) آل عمران : ١٥٢-١٥٣ .

(٢) ذكر اليعقوبي في تاريخه ٢ : ٣١ أنه لم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله إلا ثلاثة نفر علي والزبير وطلحة . وفي تاريخ الإسلام للنهي ١ : ١٧٣ : « لم يبق مع رسول الله إلا اثنا عشر رجلاً » .

عشرة من اثني عشر ألف صحابي ، وهي نسبة واحد من كل ألف ومائتين!!
وإذا كانت معركة أحد في بداية الهجرة ، والناس لم يزالوا أقلية وحديثي عهد بجاهلية ،
فما هو عذرهم في معركة حنين التي وقعت في آخر السنة الثامنة للهجرة النبوية ، ولم يبق من
حياة النبي معهم إلا عاميوزم كثيرة عددهم وعدتهم فقد أطلقوا أرجلهم للرّيح ، وهربوا
غير ملتفتين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!!
فالقرآن الكريم يبين بوضوح مواقفهم المتخاذلة ، وهروبهم من الزحف في تلك المعركة
بقوله :

مُؤَكِّدًا وَكَيِّدًا قَدْ فَخَّرْنَاكُمْ فَلَا تَلْمِزُوا لَنَا مَقَامًا لَمْ يُغْنِ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَضَلَّ عَنْكُمْ لَمَّا قَامَ وَعَدَلَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَنَائِهِمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ غَنَائُهُمْ وَرَبُّكَ الْكَافِرِينَ (١)

يبين سبحانه بأنه قد ثبتت رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والذين صبروا معه على
الملكى بإنزال السكينة عليهم ، ثم أمدّهم بجنود من الملائكة يحاربون معهم ، ونصرهم على
الكافرين ، فلا حاجة للمرتدّين الذين يفرّون من العدو خوفاً من الموت ، ويعصون بذلك
ربهم ونبيهم ، وكلّما امتحنهم الله وجددهم فاشلين.
ولمزالبيان لا بد لنا من استعراض الرواية التي أخرجها البخاري بخصوص انهزام
الصحابة يوم حنين :

أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الخامس في باب قول الله تعالى :

(١) التوبة : ٢٥-٢٦.

يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً ، من كتاب المغازي.

إنَّ أبا قتادة قال: كان يوم حُنَيْنٍ نظرتُ إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين ، وآخر من المشركين يختله من لؤلؤة مله ، فأسرتُ إلى الذي يختله فرفع يده ، فصريلتيصيريني فقطعتها ، ثم أخذني فضمَّني ضمّاً شديداً حتى تخوّفتُ ، ثم ترك فتحلّل ودفعته ثم قتلته ، وانهمز المسلمون وانهمزت معهم ، فإذا بعمر بن الخطّاب في النَّاس ، فقلّمت له : ما شأن النَّاس؟ قال أفلله... (صحيح البخاري ٥ : ١٠١).

عجيبٌ والله أمر عمر بن الخطّاب الذي هو معدود عند أهل السنّة من أشجع الصّحابة إذا لم يكن أشجعهم على الإطلاق ، لأنهم يروون بأنّ الله أعزّ به الإسلام ، وأنّ المسلمين لم يجهروا بالدعوة إلاّ بعد إسلامه!!

وقد أوقفنا التاريخ على الصحيح والواقع ، وكيف أذّه وليّ دبره وهرب من المعركة يوم أُحد ، كما وليّ دبره وفرّ هارباً يوم خيبر عندما أرسله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مدينة خيبر ليفتحها ، وأرسل معه جيشاً فانهمز هو وأصحابه ورجعوا يجرّون نونه ويحبّونهم^(١) ، كما وليّ دبره وهو يوم حنين مع الهاربين ، أو لعله كان أوّل الهاربين ، وتبعه النَّاس إذ كان وهماً أشجعهم ، ولذلك نرى أبا قتادة يلتفت من بين ألوف المنهزمين إلى عمر بن الخطّاب ويسأله كالمستغرب : ما شأن النَّاس؟ ولم يكتف عمر بن الخطّاب بهروبه من الجهاد ،

(١) مستدرک الحاكم ٣ : ٣٧ ، كما أخرجه الذهبي في تلخيصه وقال عنه : صحيح ، كنز العمال للمتقي الهندي ١٠ : ٤٦٢ وقال : « ش البرار ، وسنده حسن » ، المصنّف لابن أبي شيبة ٨ : ٥٢٥ وسنده حسن.

وترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأعداء من المشركين ، حتى يموت على أبي قتادة بأمر الله!

ر فلهل أم عمر بن الخطاب بالفرار من الزحف؟ أم أنه أمره بالثبات والصبر في الحروب وعدم الفرار؟ فقيدهما والأصلحيه: (لمنوا إذا لقيتم الأذنين كفرُوا زحفاً فلا تؤولوهم الأذبار) (١).

كما أخذ الله عليه وعلى أصحابه عهداً بذلك ، فقد جاء في الذكر الحكيم: (لقد أعاهدوا الله من قبل لا يؤولون الأذبار وكان عهد الله مسؤولاً) (٢). فكيف يولي أبو حفص الدبر من الزحف ويدعي أن ذلك أمر الله؟؟ فأين ههنا هذه الآيات البيّنات ، أم على قلوب أقفالها؟!

ولسنا هنا بصدد البحث عن شخصية عمر بن الخطاب ، فسوف نؤرد له باباً خاصاً به ، ولكن حديث البخاري مثير لم يترك لنا مندوحة من هذه الملاحظة السريعة. والذي يهمنا الآن هو شهادة البخاري بأن الصحابة على كثرتهم ولّوا مديريين يوم حنين ، والذي يقرأ كتب التاريخ في تلك الحروب والغزوات يظهر له العجب العجاب!! وإذا كان أمر الله لا يطاع من أكثر الصحابة. كما عرفنا من خلال الأبحاث السابقة. فلا يستغرب منهم الإعراض عن أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو حتى معهم ، أمّا أوامره بعد وفاته - بأبي هو وأمّي - ، وما لقيت منهم من

(١) الأنفال : ١٥ .

(٢) الأحزاب : ١٥ .

اهمال وتبديل فحدّث ولا حرج.

الصحابة تجاه أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حياته

ولنبداً بالأوامر التي أمر بها صلى الله عليه وآله وسلم في حياته ، والتي قُوبلت بالتمرّد والعصيان من قبل هؤلاء الصّحابة .
وسوف لن نتحدّث إلاّ بما أخرج به البخاري في صحيحه روماً للاختصار ، وضارباً لمع بقية صحاح أهل السنّة صفحاً ، وإلاّ فإنّ فيها أضعاف الأضعاف ، وبعبارات أكثر وضوحاً ، وأكثر تحدّياً .

أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثالث في باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب من كتاب الشروط ، وبعد ما أورد البخاري قصة صلح الحديبية ، ومعارضة عمر بن الخطّاب لما وافق عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشكّه فيه حتّى قال له لمّسراحتك نبيّ الله حقّاً إلى آخر القضيّة . قال البخاري فلمّا فرغ من قضيّة الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه : «قوموا فانحروا ثمّ أحلقوا» ، فواقبلوا: قام منهم رجل حتّى قال ذلك ثلاث مرّات ، فلم يقم منهم أحدٌ ، فدخل على أمّ سلمة فذكر لها ما لقي من النّاس . (صحيح البخاري ٣ : ١٨٢)!!

ألا تعجب أيّها القارئ من تمدّ الصّحابة وعصيانهم تجاه أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ورغم تكرار الأمر ثلاث مرّات فلم يستجب له منهم أحدٌ؟! ولا بدّ هنا من ذكر محاورّة دارت بيني وبين بعض العلماء في تونس بعد صدور كتابي «ثمّ اهتديت» وأنهم قرأوا فيه تعليقي على صلح الحديبية ، فعلقوا بدورهم على هذه الفقرة بقولهم إذا كان الصّحابة قد عصوا أمر

الذبي صلى الله عليه وآله وسلم محر والخلق فلم يمثّل لأمره أحد ، فإنّ عليّاً بن أبي طالب كان معهم ولم يمثّل هو الآخر لأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟
وأجبتهم بما يلي :

أولاً يكنّ علي بن أبي طالب معدوداً من الصّحابة ، فهو أخ رسول الله وابن عمّه وزوج ابنته وأبو ولده ، وقد كان عليّ مع رسول الله في جانب وبقية النّاس في جانب ، فإذا قال الرّوي في صحيح البخاري بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بالنحر والخلق ، فإنّ أبا حسن سلام الله عليه لم يكن معدوداً ضمنهم ، فهو بمنزلة هارون من موسى ، ألا ترونّ الصلاة على محمّد لا تكون كاملة إلاّ إذا أُضيف إليها الصلاة على آله ، وعلي هو سيّد آل محمّد بدون منازع ، فأبو بكر وعمر وعثمان كانوا الصّحابة لا تصحّ صلاتهم إلاّ إذا كان فيها ذكر علي بن أبي طالب مع محمّد بن عبد الله.

ثانياً : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشرّك عليّاً أخاه في هديّته ، كما وقع ذلك في حجّة الوداع عندما قدم عليّ من اليمن ، وسأله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ماذا أهملت يا عليّ؟» فقال : «أهلّ رسول الله ، فأشركه هلّسيح ، وقد ذكر هذه القصيّة كلّ المحدثين والمؤرّخين ، فلا بدّ أن يكون شريكه يوم الحديبية . أيضاً ..

ثالثاً : عليّ بن أبي طالب هو الذي كتب الصّلح يوم الحديبية بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يعترض عليه في شيء طيلة حياته ، لا بمناسبة الحديبية ولا في غيرها ، ولم يسجّل التاريخ بأنّه عليه السلام أخّر عن أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مرّة واحدة . حاشاه . ، ولا فرّ مرّة من الزحف وترك

هأؤبنا عمه بين الأعداء ، بل كان دائماً يفديه بنفسه ، والخلاصة أن علياً ابن أبي طالب هو كنفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لا يحل لأحد أن يجزُب في المسجد إلا أنا وعلي »^(١).

واقتنع أغلب المحلورلوردمته ، واعترفوا بأن علياً بن أبي طالب ما خالف في حياته أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثامن في الباب كراهية الخلاف من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة :

عن عبد الله بن عباس مقلال : ما احتضر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطأب ، قال : هلم أكذب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ، فقال عمر إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوجدع ، وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله ، واختلف أهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول قزبوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر .
فلم أكثروا اللغظ والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « قوموا عني » ، فكان ابن عباس يقنوللرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم .
صحيح البخاري ٨ : ١٦١ و ١ : ٣٧ و ٥ : ١٣٨ .

(١) سنن الترمذي ٥ : ٣٠٣ وقال : « حديث حسن .. » ، تفسير القرطبي ٥ : ٢٠٧ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ١٤٠ ، سير أعلام النبلاء ١٣ : ٢٧٢ ، السنن الكبرى للبيهقي ٧ : ٦٦ ، فتح الباري لابن حجر ٧ : ١٣ ، وفي أجوبة المصابيح قال ابن حجر : « وورد لحديث أبي سعيد شاهد نحوه من حديث سعد بن أبي وقاص أخرجه البزار من رواية خارجة بن سعد عن أبيه ، ورواته ثقات .. » .

وهذا أمرٌ آخر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقبه الصَّحابة بالرفض والعصيان ، وبانتقاص النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

مع الملاحظة بأنَّ عمر بن الخطاب قال بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما طلب منهم إحضار الكتف والدِّواة ليكتب لهم الكتاب الذي يمنعونهم من الضَّلالة قال : إنَّ رسول الله يهجرُ رُ ، بمعنى يهذي . والعياذ بالله ..

ولكنَّ البخاري هدَّب تلك العبارة وأبدلها بـ « غلبه الوجع »؛ لأنَّ قائلها عمر بن الخطَّاب!! وتراه إذا أهمل اسم عمر في الرواية قال : فقالوا : هجر رسول الله ، وهذه أمانة البخاري في نقل الحديث (موف نعقد له باباً خاصاً) .

وعلى كلِّ حال ، فإنَّ أَلخُفدَّ ثين والمؤرِّخين ذكروا بأنَّ عمر بن الخطاب قال : إنَّ رسول الله يهجرُ (١) ، وتبعه كثير من الصَّحابة فقالوا مقالته

(١) ذلك كلُّ من الغزالي في سرِّ العالمين : ٤٠ ، سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص : ٦٥ ، ابن الأثير في النهاية ٥ : ٢٤٥ ، الجوهرى في السقيفة وفدك ، كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٥١ ، ابن تيمية في منهاج السنة ٦ : ٢٤ ، ١٥ تحقيق محمد رشاد سالم .

لكن صاحب كتاب كشف الجاني : ١٣٤ يضع رأسه في الرمل كالنعامة عند الوصول إلى هذ النقاط الخطرة ، والتي تقلب الصورة المصطنعة عنده وعند غيره لعمر بن الخطَّاب ، فأخذ كعادته بالاستهزاء والسخرية ، والتهجُّم على ظلِّه وعموم الشيعة ، ونسبته عدم العقل إليهم ، مع أنَّ إمامه ابن تيمية يقرُّ بذلك ويعترف بأنَّ الذي قالها عمر بن الخطَّاب! لئليس أمام عثمان الخميس إلاَّ خيارين وأحلاماً مرَّ وهو إمَّا لقلوب بأنَّ عمر بن الخطَّاب لم يقل ذلك . وهو غير صحيح . وفي ذلك ردٌّ على شيخه ابن تيمية إمَّا القول بأنَّ عمر بن الخطَّاب

بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ولنا أن وتصور ذلك الموقف الرهيب ، وتلك الأصوات المرتفعة ، وكثرة اللغظ والاختلاف بحضرة صلى الله عليه وآله وسلم تكن الرأية معبرة فلا تعبر في الواقع إلا قليلا عن المشهد الحقيقي ، كما إذا قرأنا كتاباً تاريخياً يحكي حياة موسى عليه السلام ، فمهما يكن الكتاب معبراً فلا يبلغ تعبير الفيلم السينمائي الذي نشأه عياناً .

وأخرج البخاري في صحيحه من مجلسه تابع في باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله عز وجل من كتاب الأدب ، قال :

احتجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محضفة أو حصيراً ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهما ، فتبعه رجالٌ وجاءوا يصلون بصلاته ، ثم جاؤوا ليلة فحضرُوا وأبطأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنهم فلم يخرج إليهم ، فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب ، فخرج إليهم مغضباً فقال لهم : « ما زال بكم صنعكم حتى ظننتُ أنه سيكتب عليكم ، فعليكم بالصلاة في بيوتكم ، فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة » . (صحيح البخاري ٧ : ٩٩ و ٢ : ٢٥٢) .

ومع كل الأسف فإن عمر بن الخطاب خالف أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وجمع الناس على صلاة النافلة أيام خلافته ، وقال في ذلك : إنها بدعة ونعم البدعة^(١) ، وتبعه على بدعته أكثر الصالحين الذين كانوا يرون رأيهم مؤيداً لدونه

قال ذلك ، وفي ذلك تجريح بعقريه العظيم واسطوره المصطنعة عمر بن الخطاب لهما اختاره كان مرّاً !
(١) صحيح البخاري ٢ : ٢٥٢ ، كتاب صلاة التراويح .

في كلِّ ما يفعل ويقول ، وخالفه علي بن أبي طالب وأهل البيت الذي لا يعملون إلاَّ بأوامر سيِّدهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ ، ولا يبغون عنها بدلاً ، وإذا كانت كلِّ بدعة ضلالة وكلِّ ضلالة في الدنيا ، بالمكِّ بالسيِّ جُملتُ لتُخالف أحكام النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ!!

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الخامس في باب غزوة زيد بن حارثة من كتاب المغازي ، عن ابن عمر ... قال :

أمَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أسامة على قوم فطعنوا في إمارته ، فقال : «إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إماره أبيه من قبله ، وأيم الله لقد كان خليقاً للإمارة ، وإن كان من أحبِّ النَّاسِ إلىَّ ، وإنَّ هذا لمن أحبِّ النَّاسِ إلىَّ بعده » (صحيح البخاري ٥ : ٨٤) .

هذه وللقصة ذكرها المؤرِّخون بشيء من التفصيل ، وكيف أنَّهم أغضبوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لعن المتخلفين عن بعث أسامة ، وهو القائد الصغير الذي لم يبلغ عمره سبعة عشر عاماً ، وقد أمَّره النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على جيش فيه أبو بكر ، وعمر ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وكلُّ وجوه قريش ، ولم يعين في ذلك الجيش علي بن أبي طالب ، ولا أحداً من الصَّحابة الذين كانوا يتشيَّعون له . ولكن البخاري دائماً يقتصر الحوادث ويترِّد الأحاديث حفاظاً على كرامة السَّلف الصَّالح من الصَّحابة! ولمع ذلك ففيما أخرجه كفاية لمن أراد الوصول إلى الحقِّ . وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثَّاني في باب التنكيل لمن أكثر

الوصال من كتاب الصوم ، عن أبي هريرة قال :

نهى رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الوصال في الصَّوم ، فقال له لرجلٌ من المسلمين : إنَّكَ تواصل يا رسول الله! قولهُ نكلم مثلي؟ إني أبيتُ يَطعمني ربي ويسقين ، فلمَّا أبوا أن ينتهوا عن الوصال ، واصل بهم يوماً ثمَّ يوماً ثمَّ رأوا الهلال ، فقال : « لو تأخَّر لزدتكم » كتنكيل لهم حينَ أبوا أن ينتهوا. (صحيح البخاري ٢ : ٢٤٣).

مرحى لهؤلاء الصَّحابة الذين ينهاهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن الشيء

فلا ينتهوا ، ويكرِّر لهم نهيهم فلا يسمعون! أفلم يقرأوا قول الله تَعَالَى **﴿ تَلَاكُمْ الرَّسُولُ**

فَخَذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنََّّ ثَلَاثَ أَيْدِي الْعِقَابِ ﴾ ^(١).

ورغم تهديد الله سبحانه لمن خالف رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالعقاب

الشَّدِيد فإنَّ بعض الصَّحابة لا يُقيمون لتهديده ووعيده وزناً .

وكذلك حالهم على هذا الوصف فلا شكَّ في نفاقهم ولو تظاهروا بكثرة الصَّلاة

والصَّيام والتشدد في الدين ، إلى درجة أنَّهم يجرِّمون نكاح نساءهم لئلاَّ يروحوا ومذاكيرهم تقطر

منه ويأبئزَّهون عمَّا يفعلهُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ! كما تقدَّم في الأبحاث

السَّابِقة.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الخامس في باب بعث النبي

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة من كتاب المغازي ، عن الزهري ،

عن سالم ، عن أبيه قال :

بعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى

الإسلام ،

(١) الحشر : ٧ .

فلم يُسْئروا أن يقولوا : أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا ، فجعل الخديجةُ لم منهم
عولاً يسكن ودفجلاً من أسره ، حتى إذا كان يومٌ أمر خالدٌ أن يقتل كلَّ رجلٍ من
أسيره ، فقولاً لا يُقتل أسيري ، ولا يفتلُ رجلٌ من أصحابي أسيره حتى قدمنا على
النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكرناه له ، فرجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده
فقال اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالدٌ !! (صحيح البخاري ٥ : ١٠٧ و ٨ : ١١٨) .

ذكر المؤرِّخون هذه الحادثة بشيء من التفصيل ، وكيف ارتكب خالد بن الوليد هذه
المعصية الشنيعة ، هو وبعض الصحابة الذين أطاعوه ولم يمثّلوا أوامر النبي
صلى الله عليه وآله وسلم في تحريم قتل من أسلم ، إنّهما من أكبر المعاصي التي أراقت دماء
بريئة ، ولأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدعوتهم للإسلام ولم يأمره بقتالهم !!
ولكن خالد بن الوليد تغلّب عليه دعوى الجاهلية ، وأخذته الحمية الشيطانية؛ لأنَّ
بجذيمة قتلوا عمّه « الفاكه بن المغيرة » أيام الجاهلية ، فغدر بهم ، وقال لهم ضعوا
أسلحتكم فإنَّ الناس قد أسلموا ، ثمَّ أمر بهم فكُتِّفوا وقتل منهم خلقاً كثيراً .
ولمَّا علم بعض الصَّحابة المخلصين نوايا خالد هربوا من الجيش والتحقوا بالنبي
صلى الله عليه وآله وسلم عادوا عليه الخبر ، فتبرَّأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من فعله ، وأرسل علي بن أبي طالب فودى لهم الدماء والأموال .
ولمعرفة هذه القضية بشيء من التفصيل لا بأس بقراءة ما كتبه عباس محمود العقاد في
كتابه « عبقرية خالد » إذ قال العقاد بالحرف في صفحته ٤٥ ما يلي :

فبعد فتح مَكْتَوْجَهتْ عناية عليه السلام إلى تطهير البوادي المحيطة بها من عبادة الأصنام فأرسل السرايا إلى قبائلها لدعوتهما والاستيثاق من نياتهما ومنها سرية خالد إلى بني جذيمة في نحو ثلاثمائة وخمسين من المهاجرين والأنصار وبني سليم ، أرسلها دعاء ولم يأمرهم بقتال بنو جذيمة شر حتى في الجاهلية يسمون لعقة الدم ، ومن قتلهم الفاكه بن المغيرة وأخوه عم خالد بن الوليد ووالد عبد الرحمن بن عوف ، ومالك بن الشريد وإخوته الثلاثة من بني سليم في موطن واحد وغير هؤلاء من قبائل شتى .

فلمّا أقبل عليهم خالد وعلموا أنّ بني سليم معه لبسوا السّلاح وركبوا للحرب وأبوا النزول ، فسألهم خالد : أمسلمون أتم؟ فقبل : إنّ بعضهم أجابه بنعم ، وبعضهم أجابه : صبأنا صبأنا! أي تركنا عبادة الأصنام ثمّ سألمهم فما بال السّلاح عليكم؟ قالوا : إنّ بيننا وبين قوم ملّعباد عداوة فخفنا أن تكونوا هم فأخذنا السّلاح! فناداهم ضعوا السّلاح فإنّ الناس قد أسلموا.

فصاح بهم رجلٌ منهم يقال له جحدم : ويلكم يا بني جذيمة إنّه خالد ، والله ما بعد وضع السّلاح إلّا الأسار ، وما بعد الأسار إلّا ضرب الأعناق والله لا أضع سلاحي أبداً فما زالوا به حتى نزع سلاحه في من نزع وتفرّق الآخرون.

فأمر خالد بهم فكتموا وعرضهم على السّيف ، فأطاعه في قتلهم بنو سليم ومن معه من الأعراب ، وأنكر عليهم الأنصار والمهاجرون أن يقتل أحداً غير مأمور من النبي عليه السلام بالقتال ثمّ انتهى الخبر إلى النبي فرفع يديه إلى السماء وقال ثلاثاً : اللهمّ إني أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد » وبعث بعلي بن

أبي طالب إلى بني جذيمة يفودى دماءهم وما أصيب من أموالهم...
وقد عمّ الذكير على الحادث بين أجلاء الصحابة ممن حضر منهم السرية ومن لم يحضرها واشتعبد الرحمن بن عوف حتى رمى خالداً بقتل القوم عمداً ليدرك ثار عميه «
انتهى كلام العقّاد.

نعم ، هذا ما ذكره العقّاد بالحرف في كتابه عبقرية خالد ، والعقّاد كغيره من مفكّري أهل السنّة بعد ما يورد القصّة بكاملها يلتبسُ أعذاراً باردة ملفّقة لخالد بن الوليد ، لا تقوم على دليل ولا يقبلها عقل سليم ، وليس للعقّاد عذرٌ سوى أنّه يكتب « عبقرية خالد » ، فكلُّ ما جاء به من أعذار لخالد فهي واهية كبيت العنكبوت ، والذي يقرأها يشعر بسخافة الدفاع ووهنه.

فكيف وقد شهد هو بنفسه في كلامه بأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسلهم دعاة ولم يأمرهم بقتال؟! وأعترف بأنّ بني جذيمة نزعوا سلاحهم بعد ما لبسوه عندما خدعهم خالد بقوله لأصحابه ضعوا السلاح فإنّ الناس قد أسلموا؟! واعترف - أيضاً - بأنّ جحدم الذي رفض نزع السلاح ، وحذّر قومه بأنّ خالداً سيغدر بهم بقوله: ويلكم يا بني جذيمة إنّه خالد ، والله ما بعد وضع السلاح إلاّ الأسار ، وما بعد الأسار إلاّ ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبداً؟! لوقال العقّاد أباناً بني جذيمة ما زالوا به حتى نزع سلاحه ، وهذا ما يدلُّ على إسلام القوم وحسن نيّتهم.

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسلهم دعاة ولم يأمرهم بقتال ، كما شهدت يا عقّاد ، فما هو عذر خالد لمخالفة أوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ هذه عقدة لا أحسبك تحلّها يا عقّاد.

وإذا كان القوم قد نزعوا السلاح ، وأعلنوا إسلامهم ، وغلبوا صاحبهم الذي أقسم أن لا يضع سلاحه حتى أقنعوه كما اعترفت به يا عقّاد ، فما هو عذر خالد للغدر بهم وقتلهم صبراً وهم عزّل من السلاح؟

وقد قلت بأن خالد أمر بهم فكثّفوا وعرضهم على السّيف ، وهذه عقدة أخرى ما أظنك قادراً على حلّها يا عقّاد ، وهل الإسلام أمر المسلمين بقتل من لم يقاتلهم على فرض أنّهم لم يؤلّعوا إسلامهم ، كلا فهذه حجّة المستشرقين أعداء الإسلام والتي يروّجونها اليوم. ثمّ اعترفت مرّة أخرى بأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأمره بقتال القوم ، إذ قلت : بأنّ المهلّج والأَنْصار أنكروا على خالد أن يقتل أحداً غير مأمور من النبي عليه السلام لقتال ، فما هو عذرك . يا عقّاد . في التماس العذر لخالد؟

وبكفينا ردّاً على العقّاد ، أنه أبطل أعداره بنفسه وناقضها بأكلمها حين اعترف بقوله

:

وقد عمّ النّكير على الحادث بين أجلاء الصحابة ، من حضر منهم السرية ومن لم يحضرها «فإذا كان أجلاء الصّحابة فوالنّكير على خالد حتى هربوا من جيشه ، واشتكوه للنّبي صلى الله عليه وآله وسلم وإذا كان عبد الرحمن بن عوف قد اتهم خالداً بقتل القوم عمداً لثبثهم عمّيه كما شهد بذلك العقّاد ، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد رفع يديه إلى السماء ، لوقثلاث مرّات اللّهمّ إني أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد فإنّ كان النبي بعث بعليّ ومعه أموال ، فودى لبني جذيمة دماءهم وما أصيب من أموالهم حتى استرضاهم . كما شهد العقافكليّ هذا يدلّ على أنّ القوم أسلموا ، ولكنّ خالد

ظلمهم واعتدى عليهم!!

فهل من سائل يسأل العقَّاد الذي يحاول جهده تبرير فعل خالد : إن كان هو أعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النبي تبرُّاً إلى الله ثلاثاً من فعله؟ أو من أجلاء الصَّحابة الذين أنكروا عليه؟ أو من الصَّحابة الذين حضروا الواقعة ، وهربوا من السَّرية لهول مهل وطُوفيعه المُنكر؟ أو من عبد الرحمن بن عوف الذي كان معه في السَّرية ، وهو لا شكَّ أعرف بخالد من العقَّاد ، والذي اتهمه بقتل القوم عمداً ليدرك ثأراً عميِّه؟

قاتل الله التعصُّب الأعمى ، والحمية الجاهلية التي تقلب الحقائق!

ومهما اختصر البخاري القضية في أربعة سطور، فإنَّ فيما أورده كفاية لإدانة خالد ، وبقية الصَّحابة الذي أطاعوه في قتل المسلمين الأبرياء ، والذين ذكرهم العقاد بقوله : فأطاعه في قتلهم بنو سليم ومن معه من الأعراب.

ولكنَّ البخاري لا يستثني من الصحابة الذين أطاعوه إلاَّ اثنين أو ثلاثة ، هربوا من الجيش ورجعوا إلى بيتهم ، فلا يمكن لك أن تقنعنا . يا عقَّاد . بأنَّ المهاجرين والأنصار . وعددهم ثلاثمائة وخمسون كما صرَّحت أنت بذلك . لم يطيعوا خالداً في قتل القوم ، وهربوا كلَّهم من الجيش لهذا لا يصدِّقه أحدٌ من الباحثين .

ولكنَّها محاولة منك للحفاظ على كرامة السفِّ للصَّالح من الصَّحابة ، وستر الحقائق بأىَّ ثمن ، وجاء الوقت لإزاحة السُّتار ومعرفة الحقَّ .

وكم لخالد بن الوليد من مجازر شنيعة حدَّثنا عنها التاريخ ، خصوصاً يوم البطاح عندما انتدبه أبو بكر على رأس جيش كبير مؤلَّف من

الصَّحابة الأولين ، فغدر . أيضاً بن منليل وقومه ، ولمَّا وضعوا السَّلاح أمر بهم فكفُّوا
وضرب أعناقهم صبراً ، ودخل بزوجة مالك ليلى أم تميم في نفس الليلة التي قتل فيها بعلمها ،
ولمَّا وقف عمر بن الخطاب يقتص منه وقال فُتلت امرئاً مسلماً ثمَّ نزوتَ على زوجته!!
والله لأرجمُ نكَّك بأحجارك يا عدوَّ الله! وقف أبو بكر إلى جانب خالد وقال لعمر : إرفع
لسانك عن خالد فإنه تأوَّس فأخطأ^(١).

وهذه قضية أخرى يطول شرحها ويقبحُ عرضُها ، فكم من مظلوم يهضم حقه؛ لأنَّ
ظالمه قوىُّ عزيز ، وكم من ظالم يُنصرُ رُظلمه وبالأظلمة يغنيُّ ومقرَّبٌ للجهاز الحاكم!! فهذا
البخاري عندما يسطرِّع قصة بنو جذيمة يبتها بتراً ويقول : بعث النبي
صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خالداً إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يُسنوا أن يقولوا
أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا.

فهل كان بنو جذيمة فرس أم أتراك أم هنود وألمان ، حتى لا يحسنوا أن يقولوا أسلمنا يا
بخاري؟! ألم هم من القبائل العربية التي نزل القرآن بلغتهم؟ ولكن التعصُّب الأعمى والمؤامرة
الكبرى التي حيكت للحفاظ على كرامة الصحابة هي التي جعلت البخاري يقول مثل هذا
القول ليرفع فعل خالد بن الوليد!!

وهذا العقَّاد . أيضاً . يقول : فسألهم خالد مُسلمون أنتم؟ ثم يقول العقَّاد :

(١) راجع بألفاظه المختلفة : تاريخ الطبري ٢ : ٥٠٤ ، أسد الغابة ٤ : ٢٩٥ ، البداية والنهاية ٦ : ٣٥٥ ،
شرح نصح البلاغة لابن أبي الحديد ١٧ : ٢٠٦ ، تاريخ خليفة بن الخياط ٦٨ ، الإصابة لابن حجر ٥ : ٥٦٠ .

فقيل: إنَّ بعضهم أجابه بنعم ، وبعضهم أجابه صباناً صباناً ... وكلمة « فقيل » تدلُّ دلالةً على أنَّ القوم يتمسكون بأيِّ شيء قد يوهمون به النَّاس ليعذروا خالد بن الوليد ، لأنَّ خالد بن الوليد هو سيف الحاكم المسلول ، وهو المدافع عن الخلافة المصنوبة ، وهو وأتباعه يمدُّ قلوبهم القوية لكلِّ من تحدَّته نفسه بالخروج والتمرُّد عمَّا أمره أبطال السقيفة يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم! فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم.

معاملة الصحابة لأوامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته

تضييعهم سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

أخرج البخاري في جزئه الأوَّل في باب تضييع الصَّلَاة .. عن غيلان قال أنس بن مالك أعرِفُ شيئاً ممَّا كان على عهدِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم! قيل الصَّلَاةُ ، أليقال: ضيِّعتم ما ضيِّعتم فيها.

وقال: سمعت الزهري يقول دخلتُ على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي ، فقلتُ له ما يبكيك! فظنفتُ شيئاً ممَّا أدركتُ إلاَّ هذه الصَّلَاة ، وهذه الصَّلَاة قد ضيِّعتم . (صحيح البخاري ١ : ١٣٤) .

كما أخرج البخاري في جزئه الأوَّل في باب فضل صلاة الفجر في جماعة قال : حدَّثنا الأعمش قال : سمعتُ سالمًا قال سمعتُ مُمًّا الدرداء تقولُ دخل عليَّ أبو الدرداء وهو مُغضَّبٌ ، فقلت : ما أغضبك؟ فقال ما أعرِفُ من أمِّة محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم إلاَّ أنَّهم يصلون جميعاً . (صحيح البخاري ١ : ١٥٩) .

وأخرج البخاري في جزئه الثاني في باب الخروج إلى المصلَّى بغير

منبر ، عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلّى ، فأوّل شيء يبدأ به الصّلاة ، ثمّ بعد ذلك يعظ النّاس ، فلم يزل النّاس على ذلك حتى خرجتُ مع مروان ، وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر ، فأراد أن يرتقي قبل أن يُصلّي ، فجدبتُ بثوبه ، فجدبني فارتفع فخطب قبل الصّلاة ، فقلت له غيرتُ تمّ والله ، فقال : أبا سعيد قد ذهب ماتعلم ، فقلعتُ علّمُ والله خيرٌ ممّا لا أعلم ، فقائلٌ: الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصّلاة ، فجعلتها قبل الصّلاة. (صحيح البخاري ٢ : ٤) .

إذا كان الصحابة في عهد أنس بن مالك ، وعلى عهد أبي الدرداء ، وفي حياة مروان بن الحكم ، وهو عهد قريب جداً بحياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يغيرون سنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كل شيء حتى الصّلاة . كما سمعت . ، ويقدمون سنن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لصالحهم الخسيسية ، وهي أن بني أمية اتخذوا سنة سبّ ولعن علي وأهل البيت على المنابر بعد كل خطبة ، فكان أكثر النّاس في عيد الفطر والأضحى عندما تنتهي الصّلاة يتفرّقون ، ولا يحبّون الاستماع إلى الإمام يلعن علي بن أبي طالب وأهل البيت ، ولذلك عمد بنو أمية إلى تغيير سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد موا الخطبة على الصّلاة في العليتين لهم سبّ ولعن علي بمحضر المسلمين كافة ، ويُرغمون بذلك أنوفهم ، وعلى رأس هؤلاء معاوية بن أبي سفيان ، فهو الذي سنّ لهم تلك السنة التي حلت عندهم من أعظم السنن التي يتفرّقون بها إلى الله ، حتى إن بعض المؤرّخين حين حركتهم اتهم أتمّ خطبته في يوم الجمعة ، ونسي لعن علي وهم بالنزول للصّلاة ، فإذا النّاس يتصايحون من كل جانب تركت السنن نقلت السنة! أين هي السنة!؟

نعم ، وللأسف فهذه البدعة التي ابتدعها معاوية بن أبي سفيان بقيت ثمانين عاماً
مئة وأعلى منابر المسلمين ، وبقيت آثارها حتى اليوم ، ومع ذلك فأهل السنة والجماعة
يترضون على معاوية وأتباعه ، ولا يطبقون فيه نقداً ولا تجريحاً بدعوى احترام الصَّحابة؟!
والحمد لله الباحثين المخلصين من أمّة الإسلام بدأوا يعرفون الحقّ من الباطل ،
ولكن كثير منهم يتخلّص من عقدة الصَّحابة التي ما كوّنها إلاّ معاوية وأشياعه وأتباعه ،
وأهل السنة والجماعة بدأوا يفيقون لهذا التناقض الشنيع ، في الوقت الذي يدافعون فيه عن
الصَّحابة جميعاً حتى يلعنوا من انتقص واحداً منهم إذا قُلت لهم : إن لعنكم هذا يشمل
معاوية بن أبي سفيان ، لأنّه سبّ ولعن أفضل الصَّحابة على الإطلاق ، وهو يقصد بالطبع
سبّ رسول الله الذي قلل سبّه علماً فقد سبّه من سبّه الله « (١) » .

(١) تاريخ دمشق ٤٢ : ٥٣٣ ، الجامع الصغير للسيوطي ٢ : ٦٠٨ ح ٨٧٣٦ ، نظم درر السمطين : ١٠٥ ،
وروي صدره فقط في المستدرک ٣ : ٢١ اوضححه ووافقه الذهبي على تصحيحه ، السنن الكبرى للنسائي ٥ :
١٣٣ ، مسند أحمد ٦ : ٣٢٣ ، عنه مجمع الزوائد ٩ : ١٣٠ وقال : « رجاله رجال الصحيح غير أبي عبد الله
الجدلي وهو ثقة » .

وكذلك الحديث الذي مرّ عليك آنفاً في هامش ص ١٣١ .

وقد سب معاوية بن أبي سفيان ومن تبعه علي بن أبي طالب عليه السلام فقد أخرج ابن ماجه في
سننه عن سعد بن أبي وقاص قال : قدم معاوية في بعض حجاته فدخل عليه سعد ، فذكروا علياً ، فنال منه ،
فغضب سعد وقال : تقول هذا لرجل سمعت

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيه : « من كنت مولاه فعلي مولاه » ، وسمعتة يقول : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » ، وسمعتة يقول : « لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله » .
وعلق الشيخ الألباني عليه بقول : « فنال منه » ، أي نال معاوية من علي وتكلم فيه . . راجع صحيح سنن ابن ماجه للألباني ١ : ٧٦ ح ١٢٠ .

وقال الشيخ عبد الباقي في تعليقه على سنن ابن ماجه : « قوله (فنال منه) أي نال معاوية من علي ووقع فيه وسبّه » سنن ابن ماجه تحقيق الشيخ عبد الباقي ١ : ٨٢ ح ١٢١ .
وقد مرّ عليك حديث أم سلمة في ص ١٤١ عندما اعترضت عليهم بأن الرسول يسبّ فيهم لأنهم يسبّون علياً ومن يحبه ، ورسول الله كان يحبه .

وأخرج مسلم في صحيحه ٤ : ١٤٩٠ كتاب الفضائل ، باب فضائل علي بن أبي طالب ، عن سعد بن أبي وقاص قال : أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟
فقالوا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلمن أسبّه . . سمعت رسول الله يقول له ، خلفه في بعض مغازيه فقال له علي : « يا رسول الله! خلفتني مع النساء والصبيان »؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ترهني أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي » . . وسمعتة يقول يوم خيبر : « لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله » .
وعند ترتّب القضايا السابقة وهي أن معاوية كان يسبّ علياً كما ذكر ذلك ابن ماجه بسند صحيح كما ذكر الألباني .

وأنّ سابّ علياً ، أو ساب من يحبه يكون ساباً لله كما ذكر ذلك الألباني وصححه .
وأنّ الله يحبّ علياً كما هو واضح لأنّ مسلماً أخرج ذلك في صحيحه .
فعند ترتيب هذه الأمور يتّضح بلا أدنى شكّ أنّ معاوية بن أبي سفيان كان يسب الله سبحانه وتعالى ، وقد اتفق عموم المسلمين على أنّ ساب الله كافر سواء كان

عند ذلك يتلجلجون ويتلكؤون في الجواب ويقولون أشياء إن دلّت على شيء فلا تدلّ إلا على سخافة العقول والتعصّب الأعمى المقيت ، يقول بعضهم مثلاً : هذه أكاذيب من موضوعات الشيعة! والبعض الآخر يقول : هم صحابة رسول الله ، ولهم أن يقولوا في بعضهم ما ثلغوا ونحن فلسنا في مستواهم لكي ننتقدهم!!

سبه عن جد أو هزل. راجع المغني لابن قدامة ١٠ : ١١٣ ، المحلي لابن حزم ١١ : ٤١١ وغيرها.

إذن معاوية بن أبي سفيان يكو كافرًا بنصّ أحاديث الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** وأقواله.

وهذا الحكم على معاوية بن أبي سفيان لا بدّ أن يلتزم به الشيخ الألباني طبقاً لمبانيه؛ لأنّه لم يلتزم بعدالة عموم الصحابة ، بل حكم على بعضهم بأنهم في النار تبعاً لأحاديث النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** ، فقد ذكر تحت حديث : قاتل عمّار وسالبه في النار ، « أنّ أبا الغادية الجهني (واسمه يسار بن سبع) ، وهو صحابي ، وهو قاتل عمّار ، وبما أنّّه صحّ عن النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** أنّ قاتل عمار في النار ، فيكون أبو الغادية الجهني من أهل النار مع أنّّه صحابي ، قال الشيخ الألباني في صحبته ٥ : ١٨ ح ٢٠٠٨ بعد تصحيحه حديث قاتل عمّار وسالبه في النار ، قال : « .. وأبو الغادية هو الجهني ، وهو صحابي كما أثبت ذلك جمع ... وجزم ابن معين أنّّه قاتل عمار . لا يمكن القول بأنّ أبا غادية القاتل لعمار مأجور لأنّه قتله مجتهداً ، ورسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** يقول : قاتل عمّار في النار ، فالصواب أن يقال : إنّ القاعدة صحيحة إلاّ ما دلّ الدليل القاطع على خلافها ، فيستثنى ذلك منها ، كما هو الشأن هنا ، وهذا خير من ضرب الحديث الصحيح بما ... » ومراد من القاعدة هي : إنّ جميع الصحابة مجتهدون ، والله راض عنهم .. الخ.

فهنا على كلام الشيخ الألباني يلزم إخراج معاوية من القاعدة والحكم بكونه من أهل النار ، وإلاّ يلزم ضرب الأحاديث الصحيحة والتي صحح جميعها بالقاعدة ، وهو لا يقبل ذلك بل يقول : يلزم تقديم الحديث الصحيح على القاعدة!!

سبيلك اللهم وبحمدك! لقد أوقفني كلامك في القرآن الكريم على حقائق كان من

الصعب على فهمها والاعتقاد بملوكك قائلًا: ﴿لَكُمْ كَثِيرٌ مِّنَ الْجِنِّ

نَسُوا لَكُمْ قُلُوبَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ بَشَرًا مِّمَّا تُلْقُونَ بِهِنَّ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عِزٌّ مِّنَ اللَّهِ وَكَلْبًا مِّنْهُمُ الضَّالُّونَ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (١).

أتعجبُ في نفسي وأقول: كيف يكون ذلك؟ أمكن أن يكون الحيوان الأكرم أهدى

من هذا الإنمكلن؟ أن ينحت الإنسان حجرًا ثمَّ يعبدُه ويطلب منه الرزق والمعونة؟

ولكن والحمد لله زال عجيبي عندما تفاعلت مع الناس، وسافرت إلى الهند ورأيت العجب

العجاب رأيت دكاترة في علم التشريح يعرفون خلايا الإنسان ومكوّناته، ولا يزالون

يعبدون البقر، ولو اقرّف هذا الإنم الجاهلون من الهندوس لكان عذرهم مقبول، ولكن أن

ترى النخبة المثقفة منهم يعبدون البقر والحجر والبحر والشمس والقمر فما عليك بعد ذلك

إلا أن تسلّم وتفهم مدلول القرآن الكريم بخصوص البشر الذين هم أضلّ من الحيوان!!

شهادة أبي ذر الغفاري في بعض الصحابة

أخرج البخاري في جزئه الثاني في باب ما أدّيت زكّاة فليس بكنز، عن الأحنف بن

قيس قال: جلست إلى ملاً فحقّقوا بي شجاناً خشباً من الشعر والثياب والهيئة حتى قام

عليهم فسلمّ ثمّ قال: إنّ ر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم، ثم يوضع على حلّمة

ثدي أحدهم يخرج من نغض كنفويوضه مع على نغض كنفه حتى يخرج من حلّمة ثديه

يتزلزل ثمّ

(١) الأعراف: ١٧٩.

ولى فجلس إلى سارية ، وتبعته وجلست إليه بوأنا لا أدري من هو .
 فقلت له: أرى القوم إلا قد كرهوا الذي قلت ، قال إنهم لا يعقلون شيئاً ، قال
 لي خليلي ... ، قلت : من خليلك؟ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال لي : «
 يا أبا ذر أتبصر أحداً ؟» قال فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار وأنا أرى أن رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم رسلني في حاجة له ، قلت : نعم ، قال : «أحب أن لي
 مثل أحد ذهباً أنفقته كله إلا ثلاثة دنانير هؤلاء لا يعقلون إنما يجمعون الدنيا ، لا والله
 لا أسألهم دنياً ، ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله عز وجل » . (صحيح البخاري ٢ :
 ١١٢)^(١) .

وأخرج البخاري في جزئه السابع في باب الحوض وقول الله تعالى: **أَعْطَيْنَاكَ**
الْكَوْثَرَ) عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «
 بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقلل لئتم ، فقلت :
 أين؟ قال : إلى النار والله ، قلت : وما شأنهم؟ قال إنهم ارتدوا بعدك أدبارهم القهقري ،
 ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقلل لئتم ، قلت : أين؟ قال : إلى
 النار والله ، قلت : ما شأنهم؟ قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ، فلا أراه
 يخلص منهم إلا مثل همل النعم » .

(١) (أولعل قائل يقول : من قال بأن هؤلاء كانوا من الصحابة؟

وللجواب عليه نذكر ما قاله ابن حجر العسقلاني في الإصابة ٢ : ٤٦٩ حيث قال : « .. إن من كان في عصر
 أبي بكر وعمر رجلاً وهو من قريش فهو على شرط الصحبة ، لأنه لم يبق بعد حجة الوداع منهم أحد على الشرك
 ، وشهدوا حجة الوداع مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ... » .

وعن أبي سعيد الخدري فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول: حسناً
سُحُوقاً لِمَنْ غَيْرَ بَعْدِي .» (صحيح البخاري ٧ : ٢٠٨) .

كما أخرج البخاري في جزئه الخامس من باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى : (لَقَدْ
اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) :

عن العلاء بن المسيب ، عن أبيه فلقيتُ البراء بن عازب رضي الله عنهما فقلتُ
طوبى لك صَحَابَتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَيْعَتِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فقال : يا ابن
أخي ، إنك لا تدري ما أحدثنا بعده . (صحيح البخاري ٥ : ٦٦) .

وإنها لشهادة كبرى من صحابي كبير كان على الأقل صريح مع نفسه ومع الناس ،
وتأتي شهادته مؤكدة لما قاله أَفِينٌ مَتَعَلِّقٌ فِيهِمْ : قَبْلَ أَنْ تَقْبَلَهُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ .
ومؤكدة لما قاله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فيقال لي ، إنهم ارتدوا وعلى
أدبارهم القهقري .»

البراء بن عازب وهو صحابي جليل من الأكلبيون، السابقين الأوّلين الذين بايعوا
النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت الشجرة : يشهد على نفسه وغيره من الصحابة بأنهم
أحدثوا بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يفترون بهم الناس ، وأوضح بأن
صحبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومبايعته تحت الشجرة بوالتي سميت بيعة الرضوان ،
لا تمنعان من ضلالة الصحابي وارتداده بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وأخرج البخاري في جزئه الثامن في باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «
لتتبعن سنن من كان قبلكم » عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لمتبعين «بعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ،
حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم » ، قليلاً رسول الله اليهود والنصارى ;

قال : « فمن »؟ (صحيح البخاري ٨ : ١٥١).

شهادة التاريخ في الصحابة

لنا بعد القرآن والسنة شهادة أخرى قد تكون أوضح وأصرح؛ لأنها ملموسة ومحسوسة، عاشها الناس وشاهدوها وتفاعلوا معها، صبحت تاريخاً يُدون، وأحداثاً تحفظ وتكتب.

وإذاً فإننا كتب التاريخ عند أهل السنة والجماعة كالطبري، وابن الأثير، وابن سعد، وأبي الفداء، وابن قتيبة وغيرهم لرأينا العجب العجيب ولأدركنا أن ما يقوله أهل السنة والجماعة في عدالة الصحابة وعدم الطعن في أي واحد منهم، كلام لا يقوم على دليل، ولا بليغة العقل السليم ولا يوافق عليه إلا المتعصبون الذين حجبوا الظلمات عنهم النور، ولم يعودوا يفرقون بين محمد بن النبي صلى الله عليه وآله المعصوم، الذي لا ينطق عن الهوى ولا يفعل إلا الحق وبين صحابته الذين شهد القرآن بنفاقهم وفسقهم وقلة تقواهم، فتراهم يدافعون عن الصحابة أكثر مما يدافعون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأضرب لذلك مثلاً :

عندما تقولون لا بلن سورة عبس وتولى لم يكن المقصود بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، المقصود بها أحد كبار الصحابة الذي عاتبه الله على تكبره، واشتمزازه عند رؤيته الأعمى الفقير، فتراه لا يقبل بهذا التفسير ويقول محمد إلا بشر، وقد غلط مرات عديدة وعاتبه ربه في أكثر من موقع، وما هو بمعصوم إلا في تبليغ القرآن هذا رأيه في رسول الله!

ولكنك عندما تقول بأن عمر بن الخطاب أخطأ في ابتغله لصلاة الترتي أويح التي نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها وأمر الناس بالصلاة في بيوتهم فإرادى إذا كانت الصلاة نافلة (أي غير المكتوبة) تراه يدافع عن عمر بن

الخطاب دفاعاً لا يقبل النقاش ويقول إنها بدعةٌ حسنةٌ لولم يحاول بكلِّ جهوده أن يلتمس له عذراً رغم وجود النص من النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم على النهي!!

وإذا قلت له: إنَّ عمر عطَّل سهم المؤلِّفة قلوبهم ، الذي حكم به الله تعالى في كتابه العزيز ، فتراه يقلِّفُ نبيَّ دنا عمر عرف أنَّ الإسلام قد قويَ فقال لهم : لا حاجة لنا فيكم وهو أعلمُ فهاهيم القرآن من كلِّ النَّاس! ألا تعجب من هذا؟!

ووصل الحدَّ بأحدهم عندما قلتُ له : دعنا من البدعة الحسنة ومن المؤلِّفة قلوبهم ، ما هو دفاعك عنه إذ أخذ يهدِّد بحرق بيت فاطمة الزهراء بمن فيه إلاَّ أن يخرجوا للبيعة^(١)؟

فأجابني بكلِّ صراحة منعه الحقُّ ، ولولا أنَّهم يفعل ذلك لتخلَّف كثير من الصَّحابة عند علي بن أبي طالب ، ولو وقعت الفتنة!!

فكلامنا مع هذا النمط من النَّاس لا يجدي ولا ينفعُ ومع الأسف الشديد فإنَّ الأغلبية من أهل السنَّة والجماعة يفكِّرون بهذه العقليَّة التي لا يعرفون الحقَّ إلاَّ من خلال عمر بن الخطاب وأفعالهم عكسوا القاعدة وعرفوا الحقَّ بالرَّجال ، والمفروض أن يعرفوا الرجالَ بالحقِّ أعرف الحقَّ تعرف أهلهُ^(٢) ، كما قال الإمام علي .

ثمَّ سرَّرتُ هذه العقيدة فيوتجدهت عمر بن الخطاب إلى كلِّ الصَّحابة ،

(١) ذكر ابن أبي شيبة في مصنفه ٨ : ٥٧٢ التهديد بحرق دار الزهراء بأسانيد قوية ، وصحيحة .

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري : ٢٧٤ ، تفسير القرطبي ١ : ٣٤٠ ، فيض القدير ١ : ٢٨ ، روضة الواعظين

للفتال النيسابوري : ٣١ .

فهم كلهم عدول ولا يمكن لأحد خدشهم أو الطعن فيهم بذلك ضربوا حاجزاً كثيفاً وسدّاً يعمّ أعلى كلِّ باحث يريد معرفة الحقِّ ، فتراه لا يتخلّص من موجة حتى تعترضه أمواج ، ولا يتخلّص من خطر حتى تعترض سبيله أخطار ولا يكاد المسكين يصل إلى شاطئ السّلام إلا إذا كان من أُولي العزم والصبر والشجاعة.

وإذا رجعنا إلى موضوع التاريخ فإنَّ بعض الصّحابة قلّدُ شفتٍ عوراتهم ، وسقطت أفئدتهم وظهروا على حقيقتهم التي حاولوا جُهدهم إخفاءها على النّاس ، أو حاول ذلك أنصارهم وأتباعهم ، أو قل : حكام السوء والمتزلفين إليهم. وأوّل ما يلفتُ النظر هو موقف هؤلاء تجاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غداة وفاته روي له الفداء ، وكيف تركوه جثة ولم يشتغلوا بتجهيزه وتغسيله وتكفينه ودفنه ، بل أسرعوا إلى مؤتمهم في سقيفة بني ساعدة يختصمون ويتنافسون على الخلافة ، والتي عرفوا صاحبها الشرعي وبايعوه في حياة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم.

مما يؤكّد لنا بأنهم اغتنموا فرصة غياب عليّ وبني هاشم الذين أبتُّ أخلاقهم أن يتركوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتسابقوا للسّقيفة هؤلاء أن يُبرمُّوا الأمر بسرعة قبل فراغ أولئك من مهمّتهم الشريفة ، ويلزمهم بالأمر الواقع فلا يقدرّون بعده على الكلام والاحتجاج لأنَّ أصحاب السّيقة تعافدوا على قتل كلِّ من يحاول فسخ الأمر الذي أبرموه بدعوى مقاومة المخالفين وإخماد الفتنة.

ويذكر المؤرخون أشياء عجيبة وغريبة وقعت في تلك الأيام من أولئك الصّحابة الذين أصبحوا فيما بعد هم خلفاء الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم وأمرء المؤمنين، كحملهم نساء على البيعة بالضرب والتهديد بالقوة، وكالهجوم على بيت فاطمة وكشفه، وكعصر بطنها بالبواب الذي كانت وراءه حتى أسقطت جنينها واخراج علي مكرّفاً وتهديده بالقتل إن رفض البيعة، وبزهره حقوقها من النحلة والإرث وسهم ذي القربى حتى ماتت غاضبة عليهم وهلي عي عليهم في كل صلاة ودغنت في الليل سرّاً ولم يحضروا جنازتها، وهكّفتهم مثل الذين أبوا أن يدفعوا الزكاة لأبي بكر تريد ثماً منهم حتى يعرفوا سبب تأخر علي عن الخلافة لأنهم بايعوه في حياة النبي في غدير خم^(١).

وكهتكتهم للمحارم، وتعدّي حدود الله في قتل الأبرياء من المسلمين، والدخول بنسائهم من غير احترام للعدّة^(٢)، وكتغييرهم أحكام الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم المبيّنة في الكتاب والسنة، وإبدالها بأحكام اجتهادية تخدم مصالحهم الشخصية^(٣)، وكشرب بعضهم الخمر، والمداومة على الزنا، وهم ولاية المسلمين والحاكمون فيهم^(٤).

وكنفسي أبي ذر الغفاري وطرده من مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى

مات

(١) قضية مالك بن نويرة مشهورة في كتب التاريخ (المؤلف).

(٢) قضية خالد بن الوليد ودخوله بليلى بنت المنهال بعد قتل زوجها (المؤلف).

(٣) كتعطيل إرث الزهراء، وسهم ذي القربى. وسهم المؤلفة قلوبهم. ومتعة الزواج ومتعة الحج وغيرها كثير (المؤلف).

(٤) كقضية المغيرة بن شعبة وزناه بأُم جميل، والقصة مشهورة في كتب التاريخ (المؤلف).

وحيداً بدون ذنب اقتضضوب عمّار بن ياسر حتى وقع له فتق ، وضرب عبد الله بن مسعود حتى كُسرت أضلاعهم عزل الصحابة المخلصين من المناصب وتولية الفاسقين والمنافقين من بني أمية أعداء الإسلام.

وكَسب ولعن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وقتل من تشييع لهم من الصحابة الأبرار^(١).

وكاستيلائهم على الخلافة بالقهر والقوة والقتل والإرهاب وتصفية من عارضهم بشق الوسائل كالاعتقال ودس السم وغير ذلك^(٢) ، وكإباحتهم مدينة الرسول لجيش يزيد يفعل فيها ما يشاء رغم قول الرسول : «إن حرمي المدينة ، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين»^(٣).

وكرمهم بيت الله بالمنجنيق ، وحرقتهم الحرم الشريف وقتلهم بعض الصحابة بداخله. وكحربهم لأمر المؤمنين وسيد الوصيين سيد العترة الطاهرة الذي كان من رسول الله بمنزلة هارون من موسى في حرب الجمل ، وحرب صفين ،

(١) كما قتل معاوية بن أبي سفيان حجر بن عدي الصحابي الجليل وأصحابه؛ لأذنه امتنع عن لعن علي بن أبي طالب (المؤلف).

(٢) يقول المؤرخون : كان معاوية يستدعي معارضيه ويسقيهم عسلاً مسموماً فيخرجون من عنده ويموتون فيقول إن الله جنداً من عسل (المؤلف).

(٣) نحوه مسند أحمد ٣ : ٢٣٨ ، صحيح البخاري ١ : ٤٦٠ ، كتاب فضائل المدينة ، باب حرم المدينة ، ٤ : ٤٢٠ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب إثم من آوى محدثاً .

وحرب النهروان من أجل أطماع خائسة ، ودنيا فانية.

وكتلتهم سيدي شباب أهل الجنة الإمام الحسن بالسم والإمام الحسين بالذبح والتمثيل ، وقتل عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأجمعهم فلم ينج منهم إلا علي ابن الحسين ، وكأفعال أخرى يندى لها جبين الإنسانية وأنزّه قلبي عن كتابتها ، وأهل السنة والجماعة يعرفون الكثير منها ولذلك يحاولون جهدهم صدّ المسلمين عن قراءة التاريخ والبحث في حياة الصحابة.

وما ذكرته الآن من كتب التاريخ من جرائم وموبقات هي من أعمال الصحابة بلا شك فلا يمكن لعاقل بعد أن يقرأها أن لا يصرّ على تنزيه الصحابة والحكم بعد التمهّم وعدم الطعن فيهم إلا إذا فقد عقله.

مع الملاحظة الأنيقة بأننا واعون جداً إلى عدالة البعض منهنّ، أهتتم وتقدواهم ، وحبّهم لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وثباتهم على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى قضوا نحبهم وما بدّوا تبديلاً فرضي الله عنهم وأسكنهم بجوار حبيهم ونبيهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وهؤلاء هم أكبر وأعظم وأسمى من أن يخدش في سمعتهم خادش أو يتقول عليهم متقولاً لو قد مدحهم ربُّ العزّة والجلالة في عدّة مواضع من كتابه العزيز كما نوه بصحبته وإخلاصهم نبي الرحمة أكثر من مرّة، كما لم يسجل لهم التاريخ إلا الملفقة المشرفة المليئة بالمروءة ، والنبيل ، والشجاعة ، والتقوى ، والخشونة في ذات الله ، فهنيئاً لهم وحسن مآب ، جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ورضاء من الله أكبر ذلك جزاء الشاكرين والشاكرين . كما ذكر كتاب الله . هم أقلية قليلة نسي !

أما الذين استسلموا ، ما يدخل الإيمان في قلوبهم ، وصاحبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رغبة ورهبة ، أو حاجة في نفس يعقوب ووبخهم القرآن وهداهم وتوعدهم ، وحذّرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحذّر منهم ، ولعنهم في عدة مواطن وسجّل لهم التاريخ أعمال ومواقف شنيعة أمّا هؤلاء فليسوا جديرين بأيّ احترام ولا تقدير فضلاً عن أن نترضى عليهم ونزلهم منزلة النبيين والشهداء والصالحين. وهذا العمري هو الموقف الحقّ الذي يزن الموازين بالقسط ، ولا يتعدّى حدود ما رسمه الله لعباده من موالاة المؤمنين ، ومعاداة الفاسقين ، والبراءة منهم.

ألم تَرَ قَالِ الْمُتَعَالِي فِي كِتَابِهِ تَلْعَزِزُ لَنَا (اقْوِ مَا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ) وَيَحْدِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَأَعْمَلُكُمْ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَنَدَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا تَحَدَّثُوا أَيْمَانَهُمْ كَيِّدًا جَمَّةً لَمُفَضَّلَةٌ دُوعًا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ لَنْ يُخَفِّنِي * عَنْهُمْ لَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ أُمَّةٍ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ وَأَوْ لَمْ يَكُنْ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدِينَ وَمَنْ يَعْشَقْهُمْ اللَّهُ جَمْعًا فِي حَوْلٍ لَكُنْهُمْ لَوْ يَكْمَسُ سَاحِلُوكَ لَطَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمْ الْكَاذِبُونَ * طَانَ فَنَسِيَ سَاهَتُمْ ذُكْرَ عَمَلِهِمْ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمْ إِنَّ الَّذِينَ لَخِبَالُهُمْ دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَوْ لَكَ كَتِفَيْبِ الْأَلْهَاءِ بِلَا * غَدِينِ أَنَا وَرَسُولِي إِنَّ لَنَا لَبَدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ قَوْمًا عَزِيزًا يَوْمَ الْآخِرِينَ وَادُونَ مَنْ حَادَّ اللَّهُ وَوَلَّهُ سُوْلُو كَانُوا أَبَا كَاهُمْ أَوْ أَوْشَرِيْنِي تَكَاهُمْ أَوْ لَنِي كَو كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُحْمِنَهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَعَدَ اللَّهُ أُولَئِكَ

حَرْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١).

صدق الله العلي العظيم

ولا يفوتني في هذا الصدد أن أُسجّل بأن الشيعة هم على حقّ لأنهم لا يُلقون بالمودّة إلاّ لمحّمّد وأهل بيته ، وللصحابّة الذين ساروا على نهجهم ، وللمؤمنين الذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الّذين الشيعة من المسلمين يُلقون بالمودّة لكلّ الصّحابة أجمعين ، غير

مباين بمن حادّ الله ورسوله بعادة هم يستدلّون بقوله **لَطِيفٌ نَزِيرٌ** (لَنَا وَإِلَّاخْوَانِنَا

الَّذِينَ سَجَلْنَا بِأَيْدِيهِمْ وَأَعْيَالَهُمْ لِيُؤْتُوا لَنَا بِمَدِينَةٍ لَّعَنَّا لَمَّا كَفَرْنَا بِهِمْ لَقَدْ كُفِرُوا بِهِمْ) (٢).

فتراهم يترضّون على عليّ ومعاوية غير مباين بما ارتكبه هذا الأخير من أعمال أقلّ

ما يقال فيهما: كُفِرُوا وضلال ومحاربة لله ورسوله وقد ذكرتُ فيما سبق تلك الطريفة التي

لا بأس بتكررها أنّ أحد الصالحين زار قبر الصّحابي الجليل حجر بن عدي الكندي

فوجد عند رجاؤه لا يبكي ويكثر البكاء فظنّه من الشيعة فسأله: لماذا تبكي؟ أجاب:

أبكي على سيّدنا حجر رضي الله تعالى عنه!

قال: ماذا أصابه؟

أجابته: سيّدنا معاوية رضي الله تعالى عنه!

قالولماذا قتله؟

أجاب لأني امتنع عن لعن سيّدنا علي رضي الله تعالى عنه!

(١) المجادلة: ١٤ - ٢٢.

(٢) الحشر: ١٠.

فقال له ذلك الصَّوَّاعُ أبكي عليكَ أنتَ رضي اللهُ تعالى عنكَ !!
فلماذا هذا الإصرار والعناد على مَهْلِكَةِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ حتَّى نراهم لا يصلُّون على
محمَّد وآله إلَّا ويُضيفون وعلى أصحابه أَجْمَعِينَ فلا القرآن أمرهم بذلك ، ولا رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم طلب منهم ذلك ولا أحدٌ من الصَّحَابَةِ قال بذلك وإئمَّما
كانت الصَّلاة على محمَّد وآل محمَّد كما نزل بها القرآن ، وكما علَّمها لهم رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم.

وإن شككْتُ في شيء فلا ولن أشكَّ في أن الله طلب من المؤمنين مودَّةَ ذي القربى
وهم أهل البيت وجعلها فرضاً عليهم كأجر على الرسالة المحمَّديَّة ، فقال تعالى :

قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجُورًا إِلَّا فِيمَا الْقُرْبَىٰ ^(١).

وقد اتَّفَقَ المسلمون بلا خلاف على مودَّةِ أهل البيت عليهم الصَّلاة والسَّلام واختلفوا
في غيرهم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «يريبُكُ إلى ما لا يريبُكُ»
«^(٢).

وقولُ الشيعة في مودَّةِ أهل البيت ومن تبعهم لا ريب فيه وقولُ أهل السنَّة والجماعة
في مودَّةِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ فيه ريبٌ **كَيْفَ يُلْقَى الْمَسْلَمُ بِالْمُودَّةِ إِلَى أَعْدَاءِ أَهْلِ**
الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَاتِلِيهِمْ وَيَتَرْضَى عَنْهُمْ؟! أليس هذا هو التناقض المقيت؟

(١) الشورى : ٢٣ .

(٢) مسند أحمد ١ : ١٠٠ وصرَّحَ محقق المسند الشيخ أحمد شاكر بصحته ، صحيح البخاري ٣ : ٤ كتاب
البيوع ، باب تفسير المشبهات نقلها بعنوان مقولة لحسان بن أبي سنان .

ودع عنك قول أهل الشطحات وبعض المتصوّفة الذين يزعمون أن الإنسان لا يصفى قلبه، ولا يعرف الإيمان الحقيقي إلاّ عندما لا يبقى في قلبه مثقال ذرة من بغض لعباد الله أجمعين؛ من يهود ونصارى وملحدين ومشركين، ولهم في ذلك أقوال عجيبة وغريبة يلتقوا فيها مع المبشّرين من رجال الكنيسة المملسيحيين وهو على الناس بأن الله سبحانه والدين محبّين، أحبّ مخلوقاته فليس له حاجة بالصّلاة والصّوم والحج وغير ذلك!!

إنّها لعمرى خزعبلات لا يقرّها القرآن والسنة ولا العقل، فالقرآن الكريم يقول: (لا

يَأْتِيهِمْ يَوْمَئِذٍ مَنُّوْنَ بِاللّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّوْنَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُوْلَهُ)^(١).

خَوَاتِمُ الْبِرِّ أَهْلِ الْبَيْتِ (أهل البيت) الَّذِينَ كَانُوا يُرَوِّجُونَ كَلِمَاتِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ (١)

يَتَوَلَّوْهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُم مِّنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)^(٢).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قِيلَ لَكُم مَّا كُنْتُمْ تُجَاهِلُونَ (الآن ننبئكم بما كنتم تعلمون) (١)

وَمَنْ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّوْهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)^(٣).

مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَآخَذَ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَخَلَصَ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْعَى إِلَى الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْعَى إِلَى الْإِيمَانِ (١)

بِكْفَلُوْهُم وَاذْعَبُوا قُلُوْبَهُمْ مِّنَ الْحَقِّ)^(٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يتيمّ إيمان المؤمن حتى يكون حبه في

الله وبغضه في الله ».

(١) المجادلة : ٢٢ .

(٢) المائدة : ٥١ .

(٣) التوبة : ٢٣ .

(٤) الممتحنة : ١ .

وقال - أيضاً. يجتمع في قلب مؤمن حبّ الله وحبّ عدوّه .»
والأحاديث في هذا المجال كثيرة جداً ، ويكفي العقل وحده دليلاً بأنّ الله سبحانه
حبّ حبّ للمؤمنين الإيمان وزيدّنه في قلوبهم وكرهه إليهم الكفر والفسوق والعصيان ، فقد يكره
الإنسان ابنه أو أباه أو أخاه لمعادنة الحقّ والتمادي في طريق الشيطان وقد يحبّ ويوالي
أجنبي لا تربطه به إلاّ إخوة الإسلام.

ولكلّ هذا يجب أن يكون حُبنا وودنا وموالاتنا لمن أمر الله بمودتهم، كما يجب أن
يكون بغضنا وكرهنا وبراءتنا لمن أمر الله سبحانه بالبراءة منهم.

ومن أجل ذلك كانت موالاتنا لعلوي الأئمة من بنيهم من غير أن تكون لنا علاقة
مسبقة بمودتهم وذلك لأنّ القرآن والسنة والتاريخ والعقل لم يتركوا لنا فيهم أي ريب.
ومن أجل ذلك كانت - أيضاً - براءتنا من الصّحابة الذين اغتصبوا حقّه في الخلافة ،
من غير أن تكون لنا علاقة مسبقة ببغضهم؛ وذلك لأنّ القرآن والسنة والتاريخ والعقل تركوا
لنا فيهم ريباً كبيراً .

وبما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرنا بقوله : «دع ما يريبك إلى ما لا
يريبك» ينبغي لمسلم أن يتبع أيّ أمر مريب ، ويترك الكتاب الذي لا ريب فيه.
كما يجب على كلّ مسلم أن يتحرّر من قيوده وتقاليده ، ويحكّم عقله بدون أفكار
مسبقة ولا أحقاداً فنيئلاً نفس والشيطان عدوّ ان خطيران يزيدّنان للإنسان سوء عمله
فيراها حسناً ، ولنعم ما قاله الإمام البوصيري في البردة :

يخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم
وعلى المسلمين أن يتقوا الله في عباده الصالحين منهم أمّا الذين لم يكونوا من المتّقين
فلا حرمة لهم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا نعمة في فاسق »
ليكشف المسلمون أمره فلا يعترّون به ولا يوالونه .

وعلى المسلمين أن يكونوا اليوم صادقين مع أنفسهم ، وينظروا إلى واقعهم المؤلم الحزين
المخزي ويكفّهم من التّعنيّ والتفاخر بأجداد أسلافهم وكبرائهم فلو كان أسلافنا على حقّ
كفصوّهم اليوم لما وصلنا نحن إلى هذه النتيجة التي هي حتماً حصيلة الانقلاب الذي
وقع في الأمّة بعد وفاة نبيّها ، وروحي وأرواح العالمين له الفداء .

اَكُونُوا قَوِيًّا بِرَبِّهِمْ لِلَّهِ يَطِئُونَ أَمْرَهُمْ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ يَأْتُوا اللَّهَ تَوَّابِينَ
وَالْأَقْرَبُونَ بِرَبِّهِمْ إِذْ يُفَكَّلُونَ لِيُؤْمِنُوا بِهِمْ مَا فَلَا تَنْتَعِبُوا اللَّهَ حَتَّىٰ تَأْتُوا اللَّهَ تَوَّابِينَ أَوْ
تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَأَنَّمَاتَعِبُهُ لَمُنَّ خَيْرًا (١)

قول أهل الذكر بخصوص بعض الصحابة

قال الإمام علي عليه السلام هؤلاء الصحابة المعدودين من السابقين

الأوليين :

فلمّا نهضت بالأمر ، نكثت طائفةٌ ، ومرقت أخرى ، وقسط آخرون (٢) ،

(١) النساء : ١٣٥ .

(٢) يهول محمد عبده في شرح نهج البلاغة من الخطبة الشقشقية في هذا : الناكثون أصحاب الجمل ، والمارقون
أصحاب النهروان ، والقاسطون أي الجائرون وهم أصحاب صفين . (المؤلّف) .

كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ لَدَّ اللَّهِ حَلِيحًا يَقُولُ: ﴿فَلْيَلْعَلْهَا الْمَلْدِينِ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١)!! بلى والله لقد سمعوها ووعوها ، ولكنهم حليت
الدنيا في أعينهم ، وراقهم زب رجوها^(٢) .

وقال . أيضاً . سلام الله عليه فيهم : «اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً ، واتخذهم له
أشقيكاً وفريخاً في صدورهم ، ودبّ ودرج في حججهم ، فنظر بأعينهم ، ونطق
بنتهبالسفركب بهم الزلل ، وزيد من لهم الخطل ، فعل من قد شرّكه الشيطان في سلطان ،
ونطق بالباطل على لسانه»^(٣) .

وقال عليه السلام في الصّحابي المشهور عمرو بن العاص : «جبا لابن النّابغة ...
لقد قال باطلا ، ونطق إثماً ، أما وشرُّ القول الكذب ، إنّه يقول فيكذب ، ويعد في خليف ،
ويؤسّأل في ملحف ، ويسأل في بخل ، ويخون العهد ويقطع الإل»^(٤) .
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب
، وإذا وعد أخلف ، وإذا اتّمن خان »^(٥) .

وكلّ هذه الرّذائل وأكثر منها موجودة في عمرو بن العاص .
وقال عليه السلام في مدح أبي ذر الغفّاري وذمّ عثمان ومن معه الذين أخرجوه إلى
الريذة بونفوه إلى أن مات وحيداً :

(١) القصص : ٨٣ .

(٢) نصح البلاغة ١ : ٣٦ ، الخطبة ٣ .

(٣) نصح البلاغة ١ : ٤٢ ، الخطبة ٧ .

(٤) نصح البلاغة ١ : ٤٧ ، الخطبة ٨٤ .

(٥) تحف العقول : ١٠ ، صحيح البخاري ١ : ١٤ كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق ، صحيح مسلم ١ :

٥٦ كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق .

أبا ذريره إنك غضبت لله فارح من غضبت له ، إن القوم خافوك على دنياهم
وخفتهم على دينك ، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه ، واهرب منهم بما خفتهم عليه ، فما
أحوجهم إلى ما منعهم ، وما أغناك عما منعوك ، وستعلم من الرابع غداً والأكثر حسداً ،
ن وللأسأ ماوات والأرضين كانت على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً ، ولا
يؤنسك إلا الحق ، ولا يؤحشك إلا الباطل ، فلو قبلت دنياهم لأحبوك ، ولو قرضت منها
لأمنوك « (١) .

وقال عليه السلام في المغيرة بن الأحنس ، وهو أبطء من أكابر الصحابة : « يا ابن
اللعين الأبتى ، والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع ، والله ما أعز الله من أنت ناصر ه ، ولا قام
من أنت منهض ه ، اخرج عنا أبعده الله نواك ، ثم أبلغ جهدك فلا أبقى الله عليك إن أبقيت
» (٢) .

وقال عليه السلام فيلحظ والزبير الصحابيين الشهيرين اللذين حاربا بعد ما بايعاه
ونكنا بيعته :

والله ما أنكروا هلي منكر ، ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً ، وإنهم ليطلبون حقاً ه ه م
تركوه ، ودماً ه م سفكوه ... « (٣) .
وإنها للفتنة الباغية فيها الحرم ما يطلبه قائلها ، والغدقة ، وإن الأمر لواضح ، وقد
زاح الباطل عن نصابه ، واقطع لسانه عن شغبه ...

(١) نهج البلاغة ٢ : ١٣ ، الخطبة ١٣٠ .

(٢) نهج البلاغة ٢ : ١٨ ، الخطبة ١٣٥ .

(٣) نهج البلاغة ١ : ٥٩ ، الخطبة ٢٢ .

فأقبلتُمُ إلي إقبال العوذِ المطافيلِ على أولادها ، لتفيلحنَ المبيعةَ ، قبضتُ كَفَّيْ
فبسطةُ موها ، ونازعتكم يدي فجازبتموها .

اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطْعَانِي وَظَلْمَانِي ، وَنَكْتَا بِيْعَتِي ، وَأَلْبَا النَّاسَ عَلَيَّ ، فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا ، وَلَا
تَحْكُمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا ، وَأَرْهَمَ الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمْسَلَا وَعَمَّ اللَّقْدَ ، وَاسْتَبْتَبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ ،
وَاسْتَأْنَيْتُ بِهَمَا أَمَامَ الْوَقَاعِ ، فَغَمَّ طَا الذَّعْمَةَ ، وَرَدَّ الْعَافِيَةَ « (١) .

وفي رسالة منه إليهما أيضاً :

فارجعَا أيها الشيخان عن رأيكما ، فإن الآن أعظمُ أمركما العارُ من قبل أن يجتمع
العارُ والنارُ ، والسلام « (٢) .

وقال عليه السلام في مروان بن الحكم بوقد أسره في حرب الجمل ثم أطلق سراحه ،

وهو من الذين بايعوا ونكثوا البيعة :

لَا حَاجَةَ لِي كَيْفَ يُبْعِثُونِي ، لَوْ بَايَعْتَنِي بِكَفِّهِ لَعَدَرْتُ بِسَبْتِهِ ، أَمْ مَا إِنْ لَهْ
إِمْرَةٌ كَلْعَقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ ، وَهُوَ أَبُو الْأَسْكَقَيْنِ الْأُرْمَعَةِ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَحْمَرُ
« (٣) .

وقال عليه السلام الصَّحَابَةُ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ عَائِشَةَ إِلَى الْبَصْرَةِ فِي حَرْبِ الْجَمَلِ ،

وفيهم طلحة والزبير :

فخرجوا يجرّون حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَجُرُّ الْأُمَّةَ عِنْدَ

شَرَائِهِمَا ،

(١) نهج البلاغة ٢ : ٢١ ، الخطبة ١٣٧ .

(٢) نهج البلاغة ٣ : ١١٢ ، الخطبة ٥٤ .

(٣) نهج البلاغة ١ : ١٢٣ ، الخطبة ٧٣ .

متوجّهين بها إلى البصرة ، فجلبنسأهـ ما في بيوتهما وأبرزاً حبيس رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلّمها ولغيرهما ، في جيش ما منهم رجلٌ إلاّ وقد أعطاني الطاعة ،
وسمح لي بالبيعة طائعاً غير مكره.

فقد مـوا على عاملي بها ، وخـزّان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها ، فقتلوا طائفة
صبراً ، وطائفة غدراً ، فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلاّ رجلاً واحداً متعمدين لقتله بلا
جرم جرّه ، لحلّ لي قتل ذلك الجيش كلّهُ إذ حضره فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا يد
، دع ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم» (١).

وقال عليه السّلافي عائشة وأتباعها من الصّحابة في حرب الجمل :
«كنّا أمّةً جنباً تلبغ البهيمة ، رغماً فأجبتهم ، وعقر فهرتهم ، أخلاقكم دقاقٌ ،
وعهدكم شقاقٌ ، ودينكم نفاقٌ» (٢).
أمّا فلانة فأرّكها رأي النساء ، وضغن غلاً في صدرها كمرجّال القين ، ولو دُعيت
لتنال من غيري ما أتت إلى لم تفعل ، ولها بعد حُرمتها الألق ، والحسابُ على الله تعالى»
(٣).

وقال عليه السّلافي قريش عامّة وهم صحابة بلا شكّ :
«أمّا الاستبدالنا بهذا المقام ونحن الأعلون نسباً ، والأشدّون برسول الله
صلى الله عليه وآله وسلّمها كانت أثرّة شحّت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها

(١) نهج البلاغة ٢ : ٨٦ ، الخطبة ١٧٢ .

(٢) نهج البلاغة ١ : ٤٥ ، الخطبة ١٣ .

(٣) نهج البلاغة ٢ : ٤٨ ، الخطبة ١٥٦ .

نفوس قوم آخرين ، والحكم الله ، والم عود إليه القيامة .

ك نهباً صريح في حراته ، لكن حديثاً ما حديث الرواحل
لم الخطيب في ابن أبي سفيان ، فلقد أضحكني الدهر بعد إبكائه ، ولا غرو والله
فيا له خطباً يستفرغ العجب ويكثر الأود ، حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه ، وسد
فواره من ينبوعه ، وجد حوا بيني وبينهم شديداً وبيئاً ، فإن ترتفع عنّا وعنهم محزن البلى أحملهم
من الحق على محض هفلة ولأنه تبكّن بالأخريين علمهم حسرات إن الله علمهم
بما يصنعون» (١)

وقال في هذا المعنى عند دفنه سيدة النساء فاطمة الزهراء ، وهو يخاطب رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم :

وستنبئك ابتلاك بتضافر أمّتك على هضمها ، فأحفها السؤال ، واستخبرها الحال
، هذا ولم يطل العهد ، ولم يخل منك الذكر ...» (٢)

وقال عليه السلام في رسالة إلى معاوية بعث بها إليه :

فإنك مترف قد أخذ الشيطان منك مأخذه ، وبلغ فيك أمّ له وجري منك مجرى
الروح والدم .

ومتى كنتم - يا معاوية - ساسة الرعيّة ، وولاة أمر الأمّة بغير قدم سابق ولا شرف باسق
، ونعوذ بالله من لزوم سوابق وأخلاقك؟ أن تكون متمادياً في غرّة الأمانة مخلتلف
العلانية والسريّة .

وقد دعوت إلى الحرب ظلعاً جانباً ، وأخرج إلى وأعف الفريقين

(١) نهج البلاغة ٢ : ٦٤ ، الخطبة ١٦٢ .

(٢) نهج البلاغة ٢ : ١٨٢ ، الخطبة ٢٠٢ .

يُعلمَ أَيَّ مَنْ الْقِتَالِ رِيْرٌ عَلَى قَلْبِهِ ، وَالْمُ غَطَّى عَلَى بَصْرِهِ ، فَأَنَا أَبُو الْحَسَنِ قَاتِلُ جَدِّكَ
وَخَالَكَ وَأَخِيكَ شَدْخًا يَوْمَ ، بِوَذَلِكَ السِّيفِ مُعِي ، وَبِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي ، مَا
تُ اهْتَبَدَهُ وَلَا اسْتَحْدَثْتُ نَبِيًّا ، وَإِنِّي لَعَلَى الْمَنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ وَدَخَلْتُمْ فِيهِ
مُ كَرِهِينَ ... » (١).

وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِيَّةَ كَهَاشِمٍ ، وَلَا حَرْبُ
كَعْبِ الْمِ ، وَطَلَّيْبِ سَفِيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ ، وَلَا الْمَهَاجِرُ كَالطَّلِيْقِ ، وَلَا الصَّرِيْحُ كَاللَّصِيْقِ ،
الْمَوْءَلَاءُ لِلْحَقِّ كَالْكَلَامِ بَطْغِيْلٍ ، وَلَا لِبَيْتِ الْخَلْفِ سِ الْخَلْفِ يُتَّبَعُ سَلْفًا هُوَ فِي نَارِ
جَهَنَّمَ .

وَفِي أَيَّدِينَا بَعْدُ فَضْلَ النَّبِيِّ الَّتِي أَدَلَّلْنَا بِهَا الْعَزِيْزِ ، وَنَعَشْنَا بِجَلِيْلِئِذِهِ وَمَا أَدْخَلَ اللَّهُ
الْعَرَبَ فِي دِيْنِهِ أَفْوَاجًا ، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعًا وَكَرْهًا كُنْتُمْ مَدْنُ دَخَلِ فِي الدِّيْنِ إِمَّا رَغْبَةً
وَإِمَّا رَهْبَةً ، عَلَى حِيْنَ فَازَ أَهْلَ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ ، وَذَهَبَ الْمَهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ » (٢) .
وَقَدْ دَعَوْتَهَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتُ لِكَلِمَةٍ مِنْ وَأَلْمَنَّا إِيَّاكَ أَجْبَدْنَا ، وَلَكِنَّا أَجْبَدْنَا
الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ ، وَالسَّلَامُ » (٣) .

وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَّقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٤) .

(١) نَحْجُ الْبَلَاغَةَ ٣ : ١٢ ، الْخُطْبَةُ ١٠ .

(٢) نَحْجُ الْبَلَاغَةَ ٣ : ١٧ ، الْخُطْبَةُ ١٧ .

(٣) نَحْجُ الْبَلَاغَةَ ٣ : ٧٨ ، الْخُطْبَةُ ٤٨ .

(٤) الْإِسْرَاءُ : ٤٨ .

الفصل الخامس

فيما يتعلّق بالخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان

إنّ أهل السنّة والجماعة . وكما قدّ منا . لا يسمحون بنقد وتجرّيح أيّ صحابي من صحابته صلى الله عليه وآله وسلم ، ويعتقدون بعدالتهم جميعاً وإذا كتب أيّ مفكر حرّ ، وتناول بالنقد أفعال بعض الصّحابة فهم يُشنعون عليه بل ويكفّرونه ولو كان من علمائهم . وذلك ما حصل لبعض العلماء المتحرّرين المصريين وغير المصريين أمثال الشيخ محمود أبو ريّة صاحب «أضواء على السنّة المحمدية» ، وكتاب «شيخ المضيرة» ، وكالقاضي مثليخ محمد أمين الأنطاكي صاحب كتاب «لماذا اخترت مذهب أهل البيت» وكالسيّد محمد بن عقيل الذي ألّف كتاب «النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية» ، بل ذهب بعض الكتّاب المصريين إلى تكفير الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر عندما أفتى بجواز التعبد بالمذهب الجعفري .

وإذا كان شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية يُشنع عليه لمجرّد اعترافه بالمذهب الشيعي ، الذي ينتسب لأستاذ الأئمة ومعلّمهم جعفر الصادق عليه السلام ، فما بالك بمن اعتنق هذا المذهب بعد بحث وقناعة ، وتناول بالنقد المذهب الذي كان عليه وورثه من الآباء والأجداد؟! فهذا ما لا يسمح به أهل السنّة

والجماعة ويعتبرونه مروفاً عن الدين وخروجاً عن الإسلام، وكأنّ الإسلام على زعمهم هو المذاهب الأربعة ، وغيرها باطل!!

إنّها عقول متحجّرة وجامدة تُسبّه تلك العقول التي يحدّثنا عنها القرآن ، والتي واجهت دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعارضته معارضة شديدة؛ لأنّه دعاهم إلى التوحيد وتركوا الآلهة المتعولّثة، **جَاءَ لِيَتَعَلَّمَ** : (مُنْذَرٌ مِنْهُمْ) **وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا جَسَدٌ مِثْلُ الْآلِهَةِ الْبُلْغَاءِ وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ** (١).

ولكلّ ذلك فأنا واثقٌ من الهجمة الشرسة التي سوف تُواجهني من أولئك المتعصّبين الذين جعلوا أنفسهم قوّامين على غيرهم فلا يحقّ لأحد أن يخرج عن المؤلف لديهم، ولو كان هذا المؤلف لا يمتّ للإسلام بشيءٍ؛ وإلاّ كيف يحكم على من انتقد بعض الصّحابة في أعمالهم بالخروج عن الدين والكفوالدين بأصوله وفروعه ليس فيه شيء من ذلك؟! بعض المتعصّبين كان يروج في أوساطه بأنّ كتابي «ثمّ اهتديت» يشبه كتاب سلمان رشدي ليصدّ الناس عن قراءته بل ويحثّهم على لعن كاتبه!!

إنّه الدسّ والتزوير والبهتان العظيم الذي سوف يحاسبه عليه ربّ العالمين، وإلاّ كيف يُقارن كتاب «ثمّ اهتديت» الذي يدعو إلى القول بعصمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتنزيهه ، والاقتداء بأئمة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً؛ بكتاب «الآيات الشيطانية المهذي يشتم» فيه صاحبه الملعون الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم، ويعتبر أنّ الدين الإسلامي هو نفثة الشياطين!؟

(١) ص : ٥ .

يُهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُفُّوا أَلْسِنَتِكُمْ إِنَّا نَرَى أَعْيُنَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١)

ومن أجل هذه الآية الكريمة فأنا لا أبالي إلا برضاء الله سبحانه وتعالى ، ولا أخشى فيه لومة لائم ما دمتُ أدفعُ عن الإسلام الصلحُ نبيّه الكريم عن كل خطأ، ولو كان ذلك على حساب نقد بعض الصحابة المقرّبين ، ولو كانوا من « الخلفاء الراشدين »؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولى بالتنزيه من كل البشر. والقارئ الحرّ اللبيب يفهمُ من كلِّ مؤلّفاتي ما هو الهدف المنشود ، فليست القضية هي انتقاصُ الصحابة والنيل منهم بقدر ما هو دفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعصمته ، ودفع الشبهات التي ألصقتها الأمويون والعباسيون بالإسلام وبنبيّ الإسلام ، خلال القرون الأولى التي تحكّموا فيها على رقاب المسلمين بالقهر والقوّة وغيره ، ودين الله بما أملتة عليهم أغراضهم الدنيئة ، وسياستهم العقيمة ، وأهواؤهم الخسيسة.

وقد أثرت مؤامرتهم الكبرى على كتلة كبيرة من المسلمين الذين اتبعوهم عن حسن نيّة فيهمّهم بما كل ما رووه من تحريف وأكاذيب على أنّها حقائق، وأنّها من الإسلام ، ويجب على المسلمين أن يتعبّدوا بها ولا يُناقشوها!!

ولو عرف المسلمون حقيقة الأمر لما أقاموا لهم ولا مروياتهم وزناً .
ثمّ إنّ لو كان التاريخُ يروعيّ لبأنّ الصحابة كانوا يمثلون أوامر رسول

(١) النساء : ١٣٥ .

الله صلى الله عليه وآله وسلم ونواهيهِ ، ولا يناقشونه ولا يعترضون على أحكامه ، وأنهم لم يعصوه في أواخر أيام حياته في عدة أحكام كما بعد التهم جميعاً ، ولما كان لنا في هذا المجال بحثٌ ولا كلام.

أمّا وإنّ منهم مكذّبون ، ومنهم منافقون ومنهم فاسقون بنصّ القرآن والسنة الثابتة الصحيحة أمّا وأنهم اختلفوا بحضرتهم ومعصومهم في أمر الكتاب حتى اتهموه بالهذيان ، ومنعوه من الكتابة ولم يمتثلوا أوامره عندما أمرهم عليهم أسامة أمّا وإنهم اختلفوا في خلافتهم صلى الله عليه وآله وسلم حتى أهملوا تغسيله وتجهيزه ودفنه ، واختصموا من أجل الخلافة ، فرضي بها بعضهم ورفضها بعضهم الآخر وإنهم اختلفوا في كل شيء بعده حتى كفر بعضهم بعضاً ولعن بعضهم بعضاً ، وتجاروا فقتل بعضهم بعضاً وتبرأ بعضهم من بعض .

أمّا وإنّ دين الله الواحد أصبح مذاهب متعدّدة وآراء مختلفتة لا بدّ والحال هذه أن نبحث عن العلة وعن الخلل الذي أرجع خير أمّة أخرجت للناس ، وأهوى بها إلى الحضيض فأصبحت أذلّ وأجهل وأحقر أمّة على وجه البسيطة تنهك حُرماها ، وتحتل مقدساتها ، وتستعمر شعوبها وتترد من أراضيها ، فلا تقدر على دفع المعتدين ، ولا مسح العار عن جبينها!؟

والعلاج الوحيد فيما أعتقد لهذه المعضلة هو النقد الذّاتي فكفانا التغيّ بآسلافنا وبأجدادنا المزيّفة التي تبخّرت وأصبحت متاحف أثرية خالية حتى مرّوا ، والواقع يدعونا أن نبحث عن أسباب أمراضنا وتخلّفنا ، قنا وفشلنا حتى نكتشف الداء فنشخص له الدواء الناجع لشفائنا ، قبل

أن يقضي علينا ويأتي على آخرنا.

هذا هو الهدف المنشود ، والله وحده هو المعبود ، وهو الهادي عباده إلى سواء

الصراط.

وما دام هلفاً سليماً فما قيمة اعتراض المعترضين والمتعصّبين الذين لا يعرفون إلاّ

السبّ باب والشتائم بحجّة الدفاع عن الصّحابة ، وهؤلاء لا نلومهم ولا نخذلهم عليهم بقدر ما

نرثي لأخطائهم فساكين منهم حسنٌ ظنّهم بالصّحابة وحجبتهم عن الوصول للحقيقة ،

فما أشبههم بأولاديهلود والنصارى الذين أحسنوا الظنّ بأبائهم وأجدادهم ، ولم يكلفوا

أنفسهم جهد البحث في الإسلاميين بمقالة أسلافهم بأنّ محمداً كذابٌ ، وليس هو

وَمَا تَفَرَّقَ بَنِي إِدْرِيسَ قَالَوا تَوَالِكُ (بَابِ إِلا مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهْمُ الْبَيِّنَةُ) (١).

ومرور القرون المتتالية أصبح من العسير اليوم على المسلم أن يُقنع يهودياً أو نصرانياً

بعقيدة الإسلام بما بالك بمن يقول لهم بأنّ التوراة والانجيل اللذين يتداولهما هما محرّقان ،

ويستدلّ على ذلك بالقرآن ، فهل يجد هذا المسلم آذاناً صاغية لديهم؟

وكذلك المسلم البسيط الذي يعتقد بعدالة كلّ الصّحابة ويتعصّب لذلك بدون دليل

، فهل يمكن لأحد من النّاس أن يقنعه بعكس ذلك؟

وإذا كان هؤلاء لا يطيقون جرح ونقد معاوية وابنه يزيد وأمثالهم كثير الذين شوّ هوا

الإسلام بأعمالهم القبيحة؛ فما بالك إذا كلمتهم عن أبي بكر وعمر وعثمان (الصديق

والفاروق ومن تستحي منه الملائكة) ، أو عن عائشة

(١) البيهقي : ٣٠٣.

أمّ المؤمنين زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابنة أبي بكر ، والتي تكلمنا عنها في فصل سابق بما رواه عنها أصحاب الصحاح المعتمدين عند أهل السنة؟! وجاء الآن دور الخلفاء الثلاثة لنكشف عن بعض أفعالهم التي سجّ لها عليهم صحاح السنّة ومسانيدهم وكتب التاريخ المعتمدة للبيهم ، . أو لا . أن مقولة عدالة الصّحابة غير صحليخة العدالة انتفت حتى عن بعض الصّحابة المقرّبين . ولنكشف . ثانياً . لإخواننا مرأهل السنّة والجماعة بأنّ هذه الانتقادات لا تدخل في السبّ والشتم والانتقاص بقدر ما هي إزالة للحجب للوصول إلى الحقّ ، كما أنّها ليست من مختلقات وأكاذيب الروافض كما يدعي عامّة النّاس ، وإنّما هي من الكتب التي حكموا بصّحتها وألزموا أنفسهم بها .

أبو بكر الصّدّيق في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء السادس صفحة ٤٦ في كتاب تفسير القرآن سورة الحجرات ، قال :حدّثنا نافع بن عمر ، عن ابن أبي مليكة ، قال كاد الخير أن يهلكا؛ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما؛رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين قدم عليه ركبٌ بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع ، وأشار الآخرُ برجل آخر ، قال نافع : لا أحفظ اسمه ، فقال أبو بكر لعمر ما أردت إلاّ خلافي ، قال ما أردتُ خلافاً فلارتفعتُ أصواتهما في ذلك ، فأنبى الله بينهما (الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَابَهُمْ وَاتَّكُمُ) (١) الآية .

(١) الحجرات : ٢ .

قال ابن الزبير: كان عمر يُسمَعُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه ، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر.

كما أخرج البخاري في صحيحه في الجزء الثامن صفحة ١٤٥ من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يكره من التعمق والتنازع ، قال : أخبرنا وكيع ، عن نافع بن عمر ، عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخير أن يهلك أبو بكر وعمر؛ لما قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدُني بني تميم ، أشار أحدُهما بالأقرع ابن حابس التميمي الحنظلي أخي بني مجاشع وأشار الآخرُ بغيره ، فقال أبو بكر لعِقرًا: أردتَ خلافي ، فقال عمر ما أردتُ خلافاً ، فارتفعت أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فنزلت : (

عُوا أَصْوَابَهُمْ فَلَوْ أَنَّ يَصْوَءُوا لَتَنَبَّأُوا لَنَا وَوَأَمَّا وَاللَّتِي فَسَّوْا لَتَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَلَّا تَلْمِزُوهُ لَئِن تَشْيِعْغُصْبُونَ أَنتُمْ وَآتَهُمُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ أَقْلُوبِينَ لَهُمْ مَلْحَنَتُهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)^(١).

قال ابن أبي مليكة : قال ابن الزبير : فكان عمر بعدُ ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر إذا حدث النبي صلى الله عليه وآله وسلم حدثه كأخي السرار لم يُسمعه حتى يستفهمه.

كما أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الخامس صفحة ١١٦ من كتاب المغازي . وفد بني تميم قال : حدثنا هشام بن يوسف ، أن ابن جريج أخبرهم عن ابن أبي مليكة ، أن عبد الله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركبٌ من بني تميم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال أبو بكر أمز القعقاع بن معبد بن زرارة ،

(١) الحجرات : ٣٠٢ .

فقال عميل: أمّ ر الأقرع بن حابس ، قال أبو بكر ما أردت إلا خلافي ، قال عمر : ما أردت خلافتكما يوماً حتى ارتفعت أصواتهما ، فنزلت في ذلك: (الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ يَدُ الْمُجْرِمِ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَتًا مِمَّا جَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا) (١) حتى انقضت.

والظاهر من خلال هذه الروايات أنّ أبا بكر وعمر لم يتأدّبا بحضرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالأداب الإسلامية لانتهاجها لأنفسهما بأن يُقدّم ما بين يدي الله ورسوله بغير إذن ولا طلب منهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يديا رأيهما في تأمير أحد من بني تميم، ثمّ لم يكتفيا حتى تشاجرا بحضرتيه وارتفعت أصواتهما أمامه من غير احترام ولا مبالاة بما تفرضه عليهما الأخلاق والآداب التي لا يمكن لأيّ أحد من الصّحابة أن يجهلها أو يتجاهلها ، بعد ما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حياته في تعليمهم وتربيتهم.

ولو كانت هذه الحادثة قد وقعت في بداية الإسلام لالتمسنا للشيخين في ذلك عذراً ، ولحاولنا أن نجد لذلك بعض التاويلات.

ولكنّ الروايات تثبت بما لا يدع مجالاً للشكّ بأنّ الحادثة وقعت في أواخر أيام النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ أنّ وفد بني تميم قدم على رسول الله في السنة التاسعة للهجرة ، ولم يعيش بعدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا بضعة شهور، كما يشهد بذلك كلّ المؤرخين والمحدثين الذين ذكروا قدوم الوفود على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والتي تحدّث عنها القرآن الكريم في أوائل السّور بقوله: (رُئِيَ اللَّهُ وَافْتَتِحَ رَأْيُ النَّاسِ إِذْ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً) (٢).

(١) الحجرات : ١ .

(٢) النصر : ١ - ٢ .

وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف يعتذر المعتذرون عن موقف أبي بكر وعمر بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟! ولو اقتصرنا الرواية على الموقف الذي مثلته الصحابة إن فحسب لما وسعنا النقد ولا الاعتراضين^١ الله الذي لا يستحي من الحق سجّل لها وأنزل فيها قرآناً يُتلى ، فيه التنديد والتهديد لأبي بكر وعمر بأن يجبط الله أعمالهما إن عادا لمثلها!! حتى إن راوي هذه الحادثة بدأ كلامه بقوله : كاد الخير أن يهلكا أبو بكر وعمر !!«

ويحاول راوي الحادثة بعد ذلك . وهو عبد الله بن الزبير . أن يُقنعنا بأن عمر بعد نزول هذه الآية في شأنه إذا حدث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يسمعه صوته حتى يستفهمه ووغم أنه لم يذكر ذلك عن جدّه أبي بكر ، فالتاريخ والأحداث التي ذكرها المحدثون تُثبت عكس ذلك ، ويكفي أن تذكر رزية يوم الخميس قبل وفاته صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثة أيام حتى نجد بأن عمر نفسه قال قولته المشؤومة : «إن رسول الله يهجر وحسبنا كتاب الله» ، فاختلف القوم ، فمنهم من يقول قزّ بوا إلى الرسول يكتب لكم ، ومنهم من يقول مثل قول عمر فلهما أكثروا اللّغظ والاختلاف^(١) قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «موا عني لا ينبغي عندي التنازع»^(٢) .

فالمفهوم من كثرة اللّغظ والاختلاف والتنازع أنهم تجاوزوا كل الحدود التي رسمها الله لهم في سورة الحجرات كما مرّ . ولا يمكن اقناعنا بأن اختلافهم وتنازعهم ولغظهم كان همّساً في الآذان، يُفهم من كل ذلك

(١) صحيح البخاري ٥ : ١٣٨ كتاب المغازي ، باب مرض النبي ووفاته .

(٢) صحيح البخاري ١ : ٣٧ كتاب العلم ، باب كتابة العلم .

بأنهم رفعوا أصواتهم حتى أن النساء اللاتي كنَّ وراء الستر والحجاب شاركن في النزاع وقلنَّ :
قرَّبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكتب لكم ذلك الكتاب فقال لمنَّ عمر :
إنكنَّ صويحبات يوسفٍ إذا مرضتَّ عَصرتنَّ أعيُنكنَّ وإذا صحَّ ركبتنَّ عنقه ، فقال له
رسول الله : «دعوهنَّ فإنَّهنَّ خير منكنَّ»^(١).

والذي نفهمه من كلِّ هذا بأنهم لم يمتثلوا أمر الله في قوليه: (الَّذِينَ آمَنُوا لَا
تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ اللَّهُ يَرَاهُ إِنَّكُمْ لِفَوْقِهِمْ مُّكِبُونَ) (٢)
(٢) ولم يحترموا مقام الرسول بولا تأدُّبوا عندما طعنوه بكلمة المهجر.

وقد سبق لأبي بكر أن تلفظ بكلام بذيئٍ بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ،
وذلك عندما قال لعروة بن مسعود أمصَّ بصَّ ببطر اللات^(٣). وقال القسطلاني شارح البخاري
معلقاً على هذه العبارة والأمر بمصَّ البطر من الشتائم الغليظة عند العرب^(٤) ، فإذا كانت
أمثال هذه الكلمات تُقال بحضرة صلى الله عليه وآله وسلم ، فما هو معنى قوله تعالى :
وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ!^(٥)

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على خلق عظيم كما وصفه ربُّه ، وإذا

كان أشدَّ

(١) الطبقات الكبرى ٢ : ٢٤٤ وسند الحديث حسن ، المعجم الأوسط ٥ : ٢٨٨ ، كنز العمال ٥ : ٦٤٤ ح
١٤١٣٣ .

(٢) الحجرات : ٢ - ١ .

(٣) صحيح البخاري ٣ : ١٦٩ .

(٤) إرشاد الساري ٦ : ٢٢٦ ، وفتح الباري ٥ : ٢٤٨ ، والشوكاني في نيل الأوطار ٨ : ١٩٧ واستدلوا به على
جواز النطق بما يستبشع من الألفاظ!! (والمؤلف نقله بالمضمون).

(٥) الحجرات : ٢ .

حياءً من العذراء في خدرها، كما أخرج ذلك البخاري ومسلم^(١) وقد صرح الشيخان البخاري ومسلم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليكن فاحشاً ولا مٌتفحشاً ، وكان يقول إن « من خياركم أحسنكم أخلاقاً » (فما بال صحابته المقرّبين لم يتأثروا بهذا الخلق العظيم؟

أضف إلى كل ذلك بأن أبا بكر لم يمثل أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما أمر عليه أسامة بن زيد ، وجعله من جملة عساكره يوشدّد النكير على من تخلف عنه ، حتى قال : « لعن الله من تخلف عن جيش أسامة »^(٢) ، وذلك بعدما بلغه صلى الله عليه وآله وسلم طعن الطاعنين عليه في مسألة تأمير أسامة ، التي ذكها جلّ المؤرّخين وأصحاب السير .

كما أنه سارع إلى السّقيفة وشارك في إبعاد علي بن أبي طالب عن الخلافة ، وترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جسي بأبي هو وأمّ سي ولم يهتم بتغسيله وتكفينه وتجهيزه ودفنه ومتشاغلاً عن كل ذلك بمنصب الخلافة والزعامة الشّريفة لها عنقه ، فأين هي الصّحبة المقرّبة ، والخلة المزعومة؟! وأين هو الخلق؟!

وأنا أستغرب موقف هؤلاء الصّحابة من نبيّهم الذي قضى حياته في هدايتهم وتربيتهم

عَزِيزٌ عَلَيْنَهُمُ الْفِصْحُ عَنْهُمْ تُحْمُ حَرِيصٌ عَلَيْنَا كُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ

(١) صحيح البخاري ٤ : ١٦٧ كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، صحيح مسلم ٧

: ٧٨ كتاب الفضائل باب كثرة حياته صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) صحيح البخاري ٤ : ١٦٦ كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، صحيح مسلم ٧

: ٧٨ كتاب الفضائل باب كثرة حياته صلى الله عليه وآله وسلم .

(٣) كتاب الملل والنحل للشهرستاني ١ : ٢٣ المقدّمة الرابعة .

رؤوفٌ رحيمٌ ^(١) . فيتركونه جثة هامدة ويسارعون للسَّقيفة لتعيين أحدهم خليفة له!!
ونحن نعيش اليوم في القرن العشرين الذي نقول عنه بأنه أتعس القرون ، ولَّ الأخلاق
تدهورًا والقيم تبخَّرُ وروضع كلَّ ذلك فإنَّ المسلمين إذا ماتَ جارٌ لهم أسرعوا إليه ،
وانشغلوا به حتىَّ يواروه في حفرتَه ، ممثلين قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « إكرام
الميتِ دفنه » ^(٢) .

وقد كشف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن تلك الوقائع بقوله : « أما والله لقد
تقمَّصها ابن أبي قحافة ، وإنَّه ليعلمُ أنَّ محليَّ منها محلَّ القطب من الرِّحاح ... » ^(٣) .
ثمَّ بعد ذلك استباح أبو بكر مهاجمة بيت فاطمة الزَّهراء ، وتهديده بحرقه إن لم يخرج
المتخلِّفون فيه لبيعتهم وكان ما كان ممَّا ذكره المؤرِّخون في كتبهم ، وتناقله الرواةُ جيلا بعد
جيل ، ونحن نضرب عن ذلك صفحا ، وعلى من أراد المزيد أن يقرأ كتب التاريخ .

أبو بكر بعد حياة النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم

تكذيبه للصَّديقة الطَّاهرة فاطمة الزَّهراء وخصبه حقَّها

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الخامس صفحة ٨٢ في كتاب المغازي باب غزوة
خيبر ، قال : عن عروة ، عن عائشة : أنَّ فاطمة عليها السلام بنت

(١) التوبة : ١٢٨ .

(٢) كشف الخفاء للعجلوني ١ : ١٦٨ .

(٣) نهج البلاغة ١ : ٣٠ ، الخطبة رقم ٣ المعروفة بالشقشقية .

النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم أفاء الله عليه بالمدينة وفدك ، وما بقي من خمس خبير ، فقال أبو بكر : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة ، إنما يأكل آل محمد في هذا المولى ، والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً ، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك ، فهجرته فلم تكلم حتى توفيت وبهاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ستة أشهر ، فلمّا توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ، وصلى عليها ، ولم يؤذن بها أباً بكر ، وكان لعلي من الناس وجهه في حياة فاطمة ، ما توفيت استنكر علي وجه الناس ، فالتمس مصالحه أبي بكر ومبايعته ، ولم يكن يبائع تلك الأشهر ... (١) .

وأخرج مسلم في صحيحه من الجزء الثاني كتاب الجهاد ، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لا نورث ما تركنا فهو صدقة » :

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : أن فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألمت أباً بكر الصديق ، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وممّا أفاء الله عليه ، فقال لها أبو بكر : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » .

فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هجرت أباً بكر ، فلم تنزل مهاجرة

(١) صحيح مسلم ٥ : ١٥٣ أيضاً في كتاب الجهاد ، باب قول النبي : لا نورث ما تركنا فهو صدقة .

حتى توفيت^١ ، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستة أشهر^(١) .
القتُ وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَسْلَى أَبَا بَكْرٍ نَصِيحًا مِمَّا تَرَكَ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَيْبَرَ وَفُلُوهُمَ ، دَقَّتْهُ بِالْمَدِينَةِ ، فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهَا ذَلِكَ
وَقَالَ لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ ،
فِي بَيْتِي أَخْشَى أَنْ تَرَكَتْ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزْفُغَ ، مَا صَدَقْتَهُ بِالْمَدِينَةِ فَدَفَعَهَا عُمَرَ إِلَى عَلِيٍّ
وَالْعَبْرَةَ فَأَلَمَّ مَا خَيْبَرَ وَفَدَكَ فَأَمْسَكَهَا عُمَرُ ، وَقَالَ : هُمَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ كَانَتْ لِحَقْوَقِهِ الَّتِي
تَعْرُوهُ وَنَوَاطِبُهُمْ إِلَى مِنْ وَلِي الْأُمُورَ فَهِيَ مَا عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ .
ورغم أنَّ الشَّيْخِينَ الْبُخَارِيَّ وَمُسْلِمَ اقْتَضَبَا هَذِهِ الرِّوَايَاتِ وَاحْتَصَرَاهَا لَعَلَّ تَنْكُشِفَ
الْحَقِيقَةَ لِلْبَاحِثِينَ ، وَهَذَا مِنْ مَعْرُوفٍ لَدَيْهِمَا تَوْخِيَاهُ لِلْحِفَازِ عَلَى كِرَامَةِ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ . وَلَنَا
مَعَهُمَا بَحْثٌ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَنُوفِيكَ بِهِ عَمَّا قَرِيبَ . إِلَّا أَنَّ الرِّوَايَاتِ الَّتِي نَمَّ قَوْلُهَا
كَافِيَةً لِلتَّكْشِفِ عَنْ حَقِيقَةِ أَبِي بَكْرٍ الَّذِي رَدَّ دَعْوَى فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ ، مِمَّا اسْتَوْجِبَ غَضَبَهَا
عَلَيْهِ وَهَجْرَانَهَا لَهُ حَتَّى مَاتَتْ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَدَفَنَهَا زَوْجُهَا سِرًّا فِي اللَّيْلِ بِوَصِيَّةٍ مِنْهَا دُونَ
أَنْ يُؤْذَنَ بِهَا أَبُو بَكْرٍ ، كَمَا نَسْتَفِيدُ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ بِأَنَّ عَلِيًّا لَمْ يَبَايِعْ أَبَا بَكْرٍ طِيلَةَ
سِتَّةِ أَشْهُرٍ وَهِيَ حَيَاةُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ بَعْدَ أَنْ أَبْهَلَ ضَعْفُ لَبِيعَتِهِ اضْطِرَارًا لِمَا رَأَى وَجْهَ
النَّاسِ قَدْ تَنَكَّرَتْ لَهُ فَالْتَمَسَ مِنْ صَالِحَةِ أَبِي بَكْرٍ .
والذي غير ه البخاري ومسلم من الحقيقة هو أدعاء فاطمة عليها السلام بأن أبها

(١) هذا المقطع لا يوجد في صحيح مسلم ، بل أخذه المؤلف من صحيح البخاري ٤ : ٤٢ ، كتاب الخمس
باب فرض الخمس .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطاهما فذك نحلة في حياته ، فليس هي من الإرث ، وعلى فرض أن الأنبياء لا يورثون ، كما روى أبو بكر ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذبته فاطمة الزهراء عليها السلام ، وعارضت روايته بنصوص القرآن والنبي يقول **سَهْلٌ مَّا نَدَاؤُهُ** (١) فإن فذك لا يشملها هذا الحديث المزعوم؛ لأنها نحلة وليست هي من الإرث في شيء.

ولذلك تجد كل المؤرخين والمفسرين والمحدثين يذكرون بأن فاطمة عليها السلام دعت بأن فذك ملك لها ، فكذبها أبو بكر وطلب منها شهوداً على دعواها ، فجاءت بعلي بن أبي طالب وأم أيمن ، فلم يقبل أبو بكر شهادتهما واعتبرها غير كافية (٢).

(١) النمل : ١٦ .

(٢) إعطاء فذك لفاطمة عليها السلام كل من أبي يعلى في مسنده ٢ : ٣٣٤ ، والحسكاني في شواهد التنزيل ١ : ٤٣٨ بطرق معددة ، والسيوطي في الدر المنثور عن البزار وأبي يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه ، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣ : ٧٦٧ ح ٨٦٩٦ ، والقندوزي في ينباع المودة ١ : ٣٥٩ وغيرهم.

ويدل على أن فذك كانت بيد فاطمة عليها السلام أمور :

(١) قول علي عليه السلام في كتابه لعثمان بن حنيف : « بلى كانت في أيدينا فذك ... » (نصح البلاغة ٣ : ٧١ ، الكتاب ٤٥).

(٢) الأحاديث التي وردت في إعطاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكاً لفاطمة عليها السلام.

(٣) في الأخبار من رد فذك لبني هاشم مما يدل على أنها كانت بيدهم ثم أخذت ثم ردت.

(٤) ما ورد في الاختصاص للشيخ المفيد : ١٨٣ من أن أبا بكر بعث إلى وكيل فاطمة عليها السلام فأخرجه من فذك.

(٥) شهادة بعض الصحابة بكون فذك لفاطمة ، وهم عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام ، وأمّ أئمن ، وغيرهم حفظاً إلى ادّعاء فاطمة ذلك وهي معصومة لا تكذب ، وقد أقرّهما عليّ عليه السلام وابناها المعصومون على ذلك.

لا يقال : ليس من العدل أن يعطي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذك لفاطمة دون سائر بناته؟
لأننا نقول :

أولاً : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معصوم لا يفعل القبيح ولا يظلم أحداً .
ثانياً : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امتثل أمر الله تعالى في إعطاء فذك لفاطمة ، ورد في الكافي ١ : ٥٤٣ ح ٥ عن موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال للمهدي العباسي بخصوص فذك لما كان يردّ المظالم : « فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها : يا فاطمة إن الله أمرني أن أدفع إليك فذك ، فقالت : قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك » ولا اعتراض على فعل الله تعالى .
ثالثاً : لا نسلم أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنات غير فاطمة عليها السلام والباقي رباب ، كما حقق في محله .

رابعاً : سلّمنا جدلاً أنّ بناته ، ولو سلّمنا أيضاً أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي أعطى فذك لفاطمة من تلقاء نفسه ، فنقول : كان ذلك لعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ ذريته ستكون من فاطمة دون سائر بناته ، فكيف لايهتم بشؤونهم ويدعهم عيال على الناس يتصدّ قون متى شاؤوا؟ أقمّن العدل تركهم هكذا؟! ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي منع سعد بن أبي وقاص أن يتصدّق بثلّة بي ماله وقال له : «إنّك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكفّفون الناس » (صحيح البخاري ٢ : ٨٢) والطريف أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : « ورثتك » ولم يكن لسعد إلاّ ابنة واحدة ، ولذا قال الفاكهي شارح العمدة . كما في نيل الأوطار للشوكاني ٦ : ١٥٠ . : « إنّما عبر صلى الله عليه وآله وسلم بالورثيّة أنه اطلع على أنّ سعداً سيعيش ويحصل له أولاد غير البنات المذكورة ... » .

خامساً : لقد نحل أبو بكر ابنته عائشة دون سائر ولده ، وكذلك فعل عمر حيث

نحل ابنه عاصماً دون سائر ولده (فتح الباري ٥ : ١٥٨) فلو قالوا: إنمّا فعلا ذلك مع رضى سائر الأولاد ، قلنا: إنمّا فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك مع رضى سائر البنات.

قد يقال: أَلستم تقولون بأنّ فذك إرث ، والآن تقولون هبة؟

فنقول في الجواب: الثابت الصحيح أنّ فذك لم تكن إلّا نحلة وهبة لفاطمة عليها السلام ، والزهرءاء بدعواها الإرث قد طالبت بجميع متروكات النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي قبضها أبو بكر بلا فرق بين فذك ومال بني النضير وسهمه من خمس خيبر وغيرها ، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ترك أموالاً كثيرة من صدقات وموقوفات وضياع وأملاك ، والقوم أطلقوا على كلّها اسم الصدقة لمصالح سياسية ، فأخذوها من أهلها ومن له ولاية التصرف فيها ، قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٥ : ١٤٧ « وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وله ضياع كثيرة جلييلة جداً بخيبر وفذك وبني النضير ، وكان له وادي نحلة وضياع أخرى كثيرة بالطائف ، فصارت بعد موته صدقة بالخبر الذي رواه أبو بكر ».

مّمّا يؤيد أنّ الأمر تمّ لمصالح سياسية ما روي في المعجم الأوسط ٥ : ٢٨٨ عن عمر قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا وأبو بكر إلى عليّ فقلنا : ما تقول فيما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال : «نحن أحقّ الناس برسول الله وبما ترك » ، قال : فقلت : والذي بخيبر؟ قال : « والذي بخيبر » ، قلت : والذي بفذك؟ فقال : « والذي بفذك » ، قلت أمّا والله حتى تحزّ وارقابنا بالمناشير فلا.

فتلخّص : أنّ فاطمة عليها السلام حاکمت القوم بعدّة محاكمات في عرض واحد : نخلتها ، إرثها ، موقوفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي لها عليها السلام ولاية التصرف فيها ، خمس خيبر ، سهم ذوي القربى ، وذلك لأنّ القوم أرادوا اغتصامها جميعاً بعنوان أنّهم صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحقّ بها والنبي لا يورث ، وإلّا كيف جاز لعمر أن يردّ صدقات النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة إلى عليّ والعباس . كما في البخاري كتاب فرض الخمس . مع أنّّه هو الذي شهد مع أبي بكر بأنّ النبي لا يورث؟! فلتبين

وهذا ما اعترف به ابن حجر في الصواعق المحرقة ذكر بأن فاطمة ادّعت أنه صلى الله عليه وآله وسلم نكحها فذكر لم تأت عليها بشهود إلا بعلي بن أبي طالب وأم أيمن فلم يكمل نصاب البيّنة^(١).

كملك الإمام الفخر الرازي في تفسيره فلمّا مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عت فاطمة عليها السلام أنّه كان ينحلها فدكاً ، فقال لها أبو بكر أئنت التي لعن عليّ وأحبّهم إلى غيبي لكني لا أعرف صحة قولك ، فلا يجوز أن أحكم لك ، قال فشهدت لها أم أيمن ومولى لرسول الله ، فطلب منها أبو بكر الشاهد الذي يجوز قبول شهادته في الشرع ، فلم يكن^(٢).

ودعوى فاطمة عليها السلام أنّ فدكاً أنحلها لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنّ أبا بكر ردّ دعوتها ، ولم يقبل شهادة علي عليه السلام وأم أيمن معلومة لدى المؤرخين وقد ذكرها كل من ابن تيمية ، وصاحب السيرة الحلبية ، وابن القيم الجوزية وغيرهم.

ولكن البخاري ومسلم اختصراها ، ولم يذكرها إلا طلب الزهراء بخصوص الإرث حتى وهما القارئ بأن غضب فاطمة على أبي بكر في غير محلّه ، ولم يعمل أبو بكر إلا بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهي ظالمة وهو

مما مضى أن الأمر كان ذا أبعاد متشعبة.

ومن هنا يعرف أنّ ما ذكره مؤلّف كتاب كشف الجاني في الصفحة ١٣٤ ما هو إلا ارتجال ناشئ عن الجهل الذي أطبق عليه.

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر الميمني ١ : ٩٣ الشبهة السابعة.

(٢) تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٠ : ٥٠٦ تفسير سورة الحشر الآية السادسة.

مظلوم بكل ذلك حفاظاً منهما على كرامة أبي بكر ، فلا مراعاة للأمانة في النقل ، ولا لصدق الأحاديث التي كانت تكشف عن عورات الخلفاء ، وتزِيل الأكاذيب والحجب التي تمّتها الأمويون وأنصار الخلافة الراشدة ، ولو كان ذلك على حساب النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه أو بضعة الزهراء سلام الله عليها!!

ومن أجل ذلك حاز البخاري ومسلم على زعامة المحدثين عند أهل السنة والجماعة ، واعتبروا كتبهما أصحّ الكتب بعد كتاب الله ، وهذا تليفق لا يقوم على دليل علمي ، وسنبحثه إن شاء الله في باب مستقل حتى نكشف الحقيقة لمن يريد معرفتها.

ومع ذلك فإننا نناقش البخاري ومسلم اللذين أخرجنا في فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام الشيء اليسير ، ولكن فيه ما يكفي لإدانة أبي بكر الذي عرف الزهراء وقيمتها عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر مما عرفه البخاري ومسلم ، ومع ذلك كذبها ولم يقبل شهادتها ، وشهادة بعلها الذي قال فيه رسول الله : عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه حيث دار ^{الكتف} بشهادة البخاري وشهادة مسلم في ما أقرّه صاحب الرّسالة صلى الله عليه وآله وسلم ، في فضل بضعة الزهراء.

فاطمة عليها السلام معصومة بنصّ القرآن

أخرج مسلم في صحيحه الجزء السّابع باب فضائل أهل البيت ، قالت عائشة : خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثمّ جاء الحسين فدخل معه ثمّ جاءت فاطمة

(١) راجع باختلاف ألفاظه تاريخ بغداد ١٤ : ٣٢٢ ح ٧٦٤٣ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٤٤٩ ، الإمامة والسياسة

فأدخلها، **بِئْسَ مَا جَاءَ عَلِيَّ اللَّهُ دَخَلَهُ يَأْتِمُّ هَقَالِبَ: (عَنْكُمْ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَ يُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً) (١).**

فإذا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام هي المرأة الوحيدة التي أذهب الله عنها
الرجس جسطهـ رها من كل الذنوب لمعاصي في هذه الأمة ، فما بال أبي بكر يكذبها ،
يطلب منها الشهود يا ترى؟

فاطمة عليها السلام مدة نساء المؤمنين وسيدة نساء هذه الأمة

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء السادس في كتاب الاستئذان في باب من ناجى
بين يدي الناس ومن لم يخبر بسر صاحبه فإذا مات أخبر به ، ومسلم في كتاب الفضائل ،
عن عائشة أم المؤمنين قالت: كذا أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنده جميعاً لم
تغادر مناً واحدة ، فأقبلت فاطمة عليها السلام تمشي لا والله ما تخفى مشيتها من مشية
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما رأها هلت بها ، قال : «مرحباً بابنتي» ثم
أجلسها عن يمينه أو عن شمله سارها فبكت بكاء شظيلاً ، رأى حزنها سارها
الثانية إذا هي تضحك فقلت لها أنا من بين نسائه خصك رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من بيننا ثم أنت تبكين فلم أقام رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم عمها سارك ؟ قالت : «ما كنت لأفشي على رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم» فلم أتوفي قلت لها عزمتم علي بما لي عليكم من
الحق لما أخبرتني ، قالت أمها الآن فنعم ، فأخبرتني قالت أمها حين سارني في الأمر
الأول ، فإنه أخبرني أن جبرئيل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة ، وأنه قد

(١) الأحزاب : ٣٣ .

عارضني به العامَ مرتين ، ولا أرى الأجلَ إلاَّ قد اقتربَ ، فاتَّقني الله واصبري فينيَّ نعم السَّلف
أنا لك ، قالت فبكِيتُ بكائي الذي رأيت فلمَّا رأى جزعي سارني الثانية قال : يا
فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيِّدة نساء المؤمنين ، أو سيِّدة نساء هذه الأُمَّة .»
فإذا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام وهي سيِّدة نساء المؤمنين ، كما ثبت ذلك
عن رسول الله يُكذِّبها أبو بكر في أدعائها فذلك ولا يقبل شهادتها فيَّ شهادة تُقبل بعدها
يا تُرى!؟

فاطمة الزهراء عليها السلام سيِّدة نساء أهل الجنَّة

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الرابع في كتاب بدء الخلق باب مناقب قرابة
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « فاطمة
سيِّدة نساء أهل الجنَّة .»
فإذا كانت فاطمة عليها السلام سيِّدة نساء أهل الجنَّة ، ومعناه أنَّها سيِّدة نساء
العالمين؛ أهل الجنَّة ليسوا أمَّة محمدٍ وحدهم كما لا يخفى ، فكيف يكذِّبها أبو بكر
الصديق؟

ألم يدعوا بأنَّ لقب الصديق أحرزه لأنَّه كان يصدِّق كلَّ ما يقوله صاحبه محمدٌ! فلماذا
لم يصدِّقه فيما قاله بخصوص بضعته الزهراء! أنَّ الأمر لم يكن يتعلَّق بفدك وبالصدِّقة
والنَّحلة بقدر ما يتعلَّق بالخلافة التي هي من حقِّ علي زوج فاطمة! فتكذيب فاطمة
وزوجها الذي شهد معها في قضية النَّحلة أيسر عليه ليَقطع بذلك عليهما الطريق للمطالبة
بما وراء ذلك إنَّه مكرٌ كبير تكاد تزول منه الجبال!!

فاطمة بضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الرسول يغضب لغضبها

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الرابع من كتاب بدء الخلق في باب منقبة فاطمة عليها السلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : حدثنا أبو الوليد ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن أبي مليكة ، عن المسور بن مخرمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «فاطمة بضعة مني» فمن أغضبها أغضبني .»

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يغضب لغضب بضعته الزهراء ، ويتأذى بأذاها ، فمعنى ذلك أنها معصومة عن الخطأ وإلا لما جاز للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول مثل هذا ؛ لأن الذي يرتكب معصية يجوز إيذاؤه وإغضابه مهما علت منزلته ؛ لأن الشرع الإسلامي لا يراعي قريبا ولا بعيدا شريفا أو ضيعا غنيا أو فقيرا .

وإذا كان الأمر كذلك ، فما بال أبي بكر يؤدي الزهراء ولا يبالي بغضبها ، بل يغضبها حتى تموت وهي واجدة عليه ، بل ومهاجرته فلم تكلمه حتى توفيت وهي تدعي عليه في كل صلاة تصلّيها ، كما جاء ذلك في تاريخ ابن قتيبة وغيره من المؤرخين؟!

نعم إنها الحقائق المرّة ، الحقائق المؤلمة التي تهز الأركان وتزعزع الإيمان ؛ لأن الباحث المنصف المتجرد للحق والحقيقة لا مناص له من الاعتراف بأن أبا بكر ظلم الزهراء واغتصب حقها وكان بإمكانه وهو خليفة المسلمين أن يرضيها ويعطيها ما أدرت ؛ لأنها صادقة والله يشهد بصدقها بالنبي يشهد بصدقها ، وللسلمون كلهم بما فيهم أبو بكر يشهدون بصدقها ، السياسة هي التي تقلب كل شيء فيصبح الصّادق كاذبا ، والكاذب صادقا .

نعم ، إنّه فصل من فصول المؤامرة التي حيكت لإبعاد أهل البيت عن المنصب الذي اختاره الله لهم ، وقد بدأت بإبعاد علي عن الخلافة ، واغتطبت نحلة الزهراء وإرثها ، وتكذيبها واهانتها حتى لا تبقى هيبتها في قلوب المسلمين ، وانتهت بعد ذلك بقتل علي والحسن والحسين وكل أولادهم ومهـُـ بيت نساؤهم وتل شيعتهم ومجـُـ وهم وأتباعهم ولعلّ المؤامرة متواصلة ولا زالت حتى اليوم ، تفعل فعلها وتأتي بثمارها .

نعلّي ، مسلم حرّ ومنصف سوف يعلم عندما يقرأ كتب التاريخ ص الحقّ من الباطل بأنّ أبا بكر هو أوّل من ظلم أهل البيت ، ويكفيه قراءة صحيح البخاري ومسلم فقط لتتكشف له الحقيقة إذا كان من الباحثين حقّاً .

فها هو البخاري وكذلك مسلم يعترفان عفوّاً بأنّ أبا بكر يـُـكـُـدّ ق أيّ واحد من الصّحابة العاديين في ادّعائه ويـُـكـُـدّ فاطمة الزهراء سيّدة نساء أهل الجنّة ، ومن شهد لها الله بإذهاب الرّجس والطّهارة وكذلك يـُـكـُـدّ عليّاً وأمّ أيمن ، فافقروا الآن ما يقوله البخاري ومسلم :

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الثالث من كتاب الشّهادات باب من أمر بإنجاز الوعد .

ومسلم في صحيحه من كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً قط فقال لا ، وكثرة عطائه .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قلت للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جاء أبا بكر مالٌ من قبل العلاء بلخظرمي ، فقال أبو بكر : من كان له علي

الذبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت له قبلة عِدَّة فليأتنا، قال جابر فقلت :
وعندي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعطيني هكذا وهكذا وهكذا ، فبسط يديه
ثلاث مرات ، قال جابر فعند في يدي خمسًا ثم خمسمائة ثم خمسمائة .
فهل من سائل لأبي بكر يسأل لماذا صدق جابر بن عبد الله في ادعائه بأن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم وعده أن يعطيه هكذا وهكذا وهكذا ، فيما أبو بكر يديه ثلاثة
مرات بما قدره ألف وخمسمائة بدون أن يطلب منه شاهد واحد على ادعائه؟
وهل كان جابر بن عبد الله أتقى لله وأبر من فاطمة سيمة نساء العلمين؟ والأغرب
من كل ذلك هو رد شهادة زوجها علي بن أبي طالب الذي أذهب الله عنه الرجس وطهره
تطهيرًا جعل الصلاة عليه فرض على كل المسلمين كما يصلي على النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ، والذي جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إيمان
وبغضه نفاق^(١) .

أضف إلى ذلك بأن البخاري نفسه أخرج حادثة أخرى تعطينا صورة حقيقية عن ظلم
الزهراء وأهل البيت .

فقد أخرج البخاري في صحيحه في باب لا يجل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته من
كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، قال إن بني صهيب مولى ابن جدعان ادعوا بيتين
وحجرة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطى ذلك

(١) صحيح مسلم ١ : ٦١ ، سنن ابن ماجه ١ : ٤٣ ، سنن النسائي ٨ : ١١٧ ، المصنف لابن أبي شيبة ٧ :
٤٩٤ ، السنة لعمر بن أبي عاصم : ٥٨٤ ، مسند أبي يعلى ١ : ٣٤٧ ، صحيح ابن حبان ١٥ : ٣٦٧
وغيرها من المصادر .

صه هيباً ، فقال مروان : من يشهد لكُما على ذلك؟ قالوا :ابن عمر! فدعاه ، فشهد لأعطي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هيباً بيتين وحجراً ، فقضى مروان بشهادته لهم^(١) .
أنظر أياً للهلسلم إلى هذه التصرّفات والأحكام التي تنطبق على البعض دون البعض الآخر ، أليس هذا من الظلم والحيق؟ إذا كان خليفة المسلمين يحكم لفائدة المدّعين لمجرّد شهادة ابن عفهل، لمسلم أن يتساءل لماذا رُدّت شهادة علي بن أبي طالب وشهادة أم أيمن معه؟ والحال أن الرجل والمرأة أقوى في الشهادة من الرجل وحده ، إذا ما أردنا بلوغ النّصاب الذي طلبه القرآن.

أم أن أبناء صه هيب أصدق في دعواهم من بنت المصطفى عليها السلام؟ وأن عبد الله بن عمر موثوق عند الحكّام بينما علي عليه السلام غير موثوق عندهم؟!
وأما دعوى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يورث ، وهو الحديث الذي جاء به أبو بكر ، وكذبته فاطمة الزهراء وعارضته بكتابه لله للحجّة التي لا تُدحض أبداً ؛ فقد صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله :«إذ جاءكم حديث عني فأعرضوه علي كتاب الله ، فإن وافق كتاب الله فاعملوا به ، وإن خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار»^(٢) .

ولا شكّ أن هذا الحديث تعارضه الآيات العديدة من القرآن الكريم ، فهل من سائل يسأل أبا بكر ، ويسأل المسلمين كافقاً إذا تُقبل شهادة أبي بكر

(١) صحيح البخاري ٣ : ١٤٣ .

(٢) تفسير أبي الفتوح الرازي ٣ : ٣٩٢ نحوه ، والأخبار في ذلك كثيرة ، راجع الكافي ١ : ٦٩ باب الأخذ بالسنة ، في أن ما خالف كتاب الله فهو مردود وزخرف .

وحده في رواية هذا الحديث الذي يُناقض النقلَ والعقلَ ، ويعارض كتاب الله ولا تقبلُ شهادة فاطمة وعليّ عليهما السلام التي توافق النقلَ والعقلَ ، ولا تتعارض مع القرآن؟! أضف إلى ذلك بأنّ أبا بكر مهما علتُ مرتبتهُ ، ومهما انتحل له مؤيدوه والمدافعون عنه من فضائلٍ فإِنَّه لا يبلغ مكانة الزهراء سيدة نساء العالمين ، ولا مرتبة علي بن أبي طالب الذي فضّله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الصّحابة في المواطن كلّها ، أذكر منها على سبيل المثال يوم إعطاء الرّسولِ ايّما أقرّ له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله وتطاول لها الصّحابة كلٌّ يُرجى أن يُعطاها ، فلم يدفعها إلّا إليه . وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ عليّاً مني وأنا منه ، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي »^(١) .

ومهما شكّك المتعصّبون والنوّاصب في صحة هذه الأحاديث ، فإِنَّ يشكّكوا في أنّ الصّلاة على علي وفاطمة هي جزء من الصّلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا تقبل صلاة أبي بكر وعمر وعثمان والمبشّرين بالجَنّة وكلّ

(١) المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ٥٠٤ ، مسند الطيالسي : ١١١ ، كتاب السنّة لابن أبي عاصم : ٥٥٠ ح ١٨٧ ، وقال محقّق الكتاب الشيخ حمّد الألباني : « إسناده صحيح ، رجاله ثقات على شرط مسلم . والحديث أخرجه الترمذي ٢ : ٢٩٧ ، وابن حبان : ٢٢٠٣ ، والحاكم ٣ : ١١٠ . ١١١ ، وأحمد ٤ : ٤٣٧ ، من طرق أخرى ... وقال الترمذي : حديث حسن غريب ، وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ، وأقرّه الذهبي ، وله شاهد من حديث بريدة مرفوعاً به أخرجه أحمد ٥ : ٣٥٦ ، من طريق أجليح . وإسناده جيّد رجاله ثقات رجال الشيخين غير أجليح ... وهو شيعي صدوق . »

الصَّحابة ومعهم كلَّ المسلمين يُصَلُّوا على محمَّد وآل محمَّد ، الذين أذهب الله عنهم
الرجس وطهَّهم، كما جاء ذلك في صحاح أهل السنَّة من البخاري ومسلم^(١) وبقية
الصَّحاح حتى قال الإمام الشافعي في حقِّهم «من لم يصلِّ عليكم لا صلاة له»^(٢).
فإذا كان هؤلاء يجوز عليهم الكذب والادعاء بالباطل فعلى الإسلام السلام وعلى
الدنيا العقل، ما إذا سألتَ لماذا تقبل شهادة أبي بكر وتردَّ شهادة أهل البيت؟ فالجواب :
لأنَّه هو الحاكم ، وللحاكم أن يحكم بما يشاء والحقُّ معه في كلِّ الحالات فدعوى القوى
كدعوى السَّباع من الذَّاب والظَّفَر بُرْهانُهُ أ.

وليتبين لك أيها القارئ الكريم صدق القول ، فتعال معي لتقرأ ما أخرجه البخاري في
صحيحه من تناقض بخصوص ورثة النَّبي الذي قال حسبما رواه أبو بكر : « نحن معشر
الأنبياء لا نورُّث ما تركنا صدقةً وللمنَّدي يصدِّقه أهل السنَّة جميعاً ، ويستدلُّون به على عدم
استجابة أبي بكر لطلب فاطمة الزَّهراء سلام الله عليها.

وممَّا يدلُّك على بطلان هذا الحديث وأزَّه غير معروف ، أنَّ فاطمة عليها السلام
طالبت بإرثها وكذلك فعل أزواج النَّبي أمَّهات المؤمنين ، فقد بعثن لأبي بكر

(١) صحيح البخاري ٦ : ٢٧ باب إنَّ الله وملائكته يصلُّون على النبي من سورة الأحزاب ، وصحيح مسلم ٢ :

١٦ كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي ٢ : ٤٣٥ ، الآية الثانية النازلة في أهل البيت عليهم السلام.

يُطالبه بميراثهن^(١). فهذا ما أخرجه البخاري وما يُستدلُّ به على عدم توريث الأنبياء. كُنَّ وللبخاري ناقض نفسه وأثبت بأنَّ عمر بن الخطاب قسَّم ميراث النَّبي على زوجاته ، فقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الحرث والمزارعة من باب المزارعة بالشطر ونحوه ، عن نافع : أنَّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنَّه ما يخرج منها من ثمر أو زرع فكان يُعطي أزواجه مائة وسق ثمانون وسق تمر وعشرون وسق شعيرته مائة وسق تمر وخمسة عشر وسق من الأَرْضِ ، وكانت عائشة قد اختارت الأَرْضَ . وهذه الرواية تدلُّ بوضوح بأنَّ خير التي طالبت الزهراء بنصيبها منها كميراث لها من أبيها هو أبو بكر دعوتها بأنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يورث ، وهذه الرواية تدلُّ أيضاً بوضوح بأنَّ عمر بن الخطاب قسَّم خير في أياً م خلافته على أزواج النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هن بين امتلاك الأَرْضِ أو الوسق ، وكانت عائشة ممَّن اختار الأَرْضَ فإذا كان النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يورث ، فلماذا ترث عائشة الزوجة ، ولا ترث فاطمة البنت؟!^(٢).

(١) صحيح البخاري ٥ : ٢٤ باب حديث بني النضير من كتاب المغازي ، وصحيح مسلم ٥ : ١٥٣ باب قول النبي : « لا نورث » من كتاب الجهاد والسير .

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري ٦ : ١٤١ : « وكان أبو بكر يقدِّم نفقة نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وغيرها ممَّا كان يصرفه ، فيصرفه من خير وفدك » ، فنقول لابن

أفتونا في ذلك يا أولى الأبصار ولكم الأجر والثواب .
أضف إلى ذلك أن عائشة ابنة أبي بكر استولت على بيت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم بأكلمه ولم تحظ أي جرة أخرى بما حظيت به عائشة ، وهي
التي

حجر وغيره : كيف إذا منع فاطمة عليها السلام حتى جاءت وسألته نصيبها ، كما روى ذلك البخاري في
كتاب فرض الخمس عن عائشة حيث قالت : «وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من خير وفدك وصدقته بالمدينة ، فأبى أبو بكر عليها ذلك . فأما ما صدقته بالمدينة
فدفعها عمر إلى عليّ والعباس ... » ولا أدري كيف اجتهد عمر أمام النصّ الثابت . بحسب زعمهم . الذي
تمسك به أبو بكر في منع الإرث ، فخالفه عمر ودفع صدقات المدينة إلى عليّ والعباس؟ وما معنى هذا التناقض
من الخليفتين؟

ثم لا يقال : يشهد لصنيع أبي بكر حديث أبي هريرة المرفوع ... بلفظ : « ما تركت نفقة نسائي ومؤنة
عاملي فهو صدقة » (فتح الباري ٦ : ١٤١) لأذنه

أولا مرفوع كما صرح به ابن حجر ، فكيف يعتمد عليه في مثل هذه الأمور الخطيرة وقفال محمد
رشيد رضا : ليس كل ما صح سنده من الأحاديث المرفوعة يصح متنه ؛ لجواز أن يكون في بعض الرواة من
أخطأ في الرواية عمداً أو سهواً ... » (أضواء على السنة المحمدية لأبي رية : ٢٩١) .

ثانياً : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعدل من أن يفكر بمستقبل أزواجه وعامله ويدع ذريته
من دون أن يوصي لهم أو يترك لهم شيئاً بل ويمنعهم ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم القائل لسعد بن أبي
وقاص لما أراد أن يتصدق بثلثي ماله لما ظنّ دنو أجله : «إذ لك إن تذر ورثك أغنياء خير من أن تدعهم عالة
يتكففون الناس » (البخاري ٢ : ٨٢) فكيف يصح أن يترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربه
وأحب الخلق إليه الذين أوصى بهم كثير لعالمية يتكففون الناس؟ نحن ننزه ساحة نبي الإسلام
صلى الله عليه وآله وسلم من هذا الأمر ولا نسلم بحديث أبي هريرة ولا بحديث أبي بكر ، كيف وأول من
رفض حديث أبي بكر وخالفه هو عمر بن الخطاب حيث سلم صدقات المدينة إلى عليّ والعباس في حين أن أبا
بكر منع فاطمة منها تمسكاً بحديث : « لا نورث » .

دفنت أباه في ذلك البيت ، ودفنت عمر إلى جانب أبيها ومنعت الحسين أن يدفن أخاه الحسن بجانب جدّه مما حدى بابن عبّاس أن يقول فيها :

تبعّلت ولو عشت تفيّلت التسع من الثمن وفي الكلّ تصرّفت
وعلى كلّ حال فأنا لا أريد الإطالة في هذا الموضوع فإنّه لا بدّ للباحثين من مراجعة التاريخ ، ولكن لا بأس بذكر مقطع من الخطبة التي ألقتها فاطمة الزهراء عليها السلام حضره أبي بكر وجلّ الصّحابة ليهلك من هلك منهم عن بيّنة ، وينجو من نجا منهم عن بيّنة. قالت لهم :

أهلّمي عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم ، إذ يقولون (سأله عليه السلام) إن داود (١) وقال فيما اقتص من خبره كعب بن (٢) من ليد وثلي ما ويرث من آل يعقوب و اجعله رب و روض لولد الأبر (٣) ما قبله : (٤) أو لي بيه بعض في كتاب يوصيكم الله الله (٥) ، أوقالات (٦) للمذكور مثل حظ الأنثيين (٧) ، وقال كتب وعلمت كهنّ تأثرا كخبرين أحالدهم بيّنا لمو الدين والأقر بين بالمعروف حقا على المتقين (٨) .

أفخّصكم الله بآية أخرج منها أبي؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن

(١) النمل : ١٦ .

(٢) مريم : ٦٠٥ .

(٣) الأنفال : ٧٥ .

(٤) النساء : ١١ .

(٥) البقرة : ١٨٠ .

وعمومه من أبي وابن عمّي؟ أم تقولون : أهل ملتين لا يتوارثان؟ فدونكهما مخطومة مرحولة ،
تلتاك يوم حشرِك ، فنعم الحكم الله ، والزعيم محمد ، والموعِد القيامة ، وعند الساعة يخسر
المبطلون «^(١) .

أبو بكر يقتل المسلمين الذين امتنعوا عن إعطائه الزكاة

أخرج البخاري في صحيحه كتاب استنابة المرتدّين باب قتل من أبي قبول الفرائض وما
نُسبوا إلى الردّة ، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس ، عن أبي هريرة
لمقالنا توفيّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم خليف أبو بكر وكفر من كفر من العرب
، قال عمر : يا أبا بكر، كيف تُقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أُنزرتُ أن أُقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله، إله إلا الله عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ
ونفسَهُ إلهٌ بحجِّ وحسابه على الله؟
قال وألله بلأقَاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة فإنَّ الزكاة حقّ المال ، والله
لو منعوني عن ناقأ كانوا يؤدّونها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقاتلتهم على منعها ،
قال عُمرفوالله ما هو إلا أن رأيتُ أن قد شرَّ الله صدر أبي بكر للقتال ، فعرفتُ أنَّهُ
الحقّ .

وليس هذا بغريب على أبي بكر وعمر اللذين هدّدا بحرق بيت الزهراء

(١) وردت خطبة الزهراء عليها السلام عدّة مصادر وبألفاظ مختلفة ، انظر : شرح نهج البلاغة لابن أبي
الحديد ١٦ : ٢١٠ ، كشف الغمة للإربلي ٢ : ١٠٨ ، مروج الذهب ٢ : ٣٠٤ ، الاحتجاج للطبرسي ١ :
٢٥٣ ح ٤٩ ، بلاغات النساء لأحمد بن أبي طاهر : ١٤ ، المقتل للخوارزمي ١ : ٧٧ ، أعلام النساء ٤ :
١١٦ ، شرح الأخبار ٣ : ٣٤ ، دلائل الإمامة : ١٠٩ ح ٣٦ ، وغيرها .

سيّدة النساء بمن فيه من الصّحابة المتخلّفين عن البيعة^(١) ، وإذا كان حرق علي وفاطمة والحسن والحسين ونخبة من خيرة الصّحابة الذين امتنعوا عن البيعة أمراً هيّناً عليهما ، فليس قتال مانعي الزّكاة إلاّ أمراً ميسوراً ، وما قيمة هؤلاء الأعراب الأبعد مقابل العترة الطاهرة والصّحابة الأبرار!!

أضف إلى ذلك هؤلاء المتخلّفين عن البيعة يرون أنّ الخلافة هي حقّ لهم بنصّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم^(٢) على فرض عدم وجود النصّ عليهم فمن حقّهم الاعتراض والنقد والإدلاء بأرائهم إن كان هناك شورى كما يزعمون ، ومع ذلك فإنّ تهديدهم بالحرق أمرٌ ثابتٌ بالثبوت والتواتر استسلام عليّ وأمره للصّحابة بالخروج للبيعة حفاظاً على حقن دماء المسلمين ووحدة الإسلام لما تأخّر القائمون بالأمر عن إحراقهم. أمّا وقد استتب الأمر لهم ، وقويت شوكتهم ولم يعدّ هناك معارضة تذكر بعد موت الزّهاء ومصالحة عليّ لهم ، فكيف يسكتون عن بعض قبائل التي امتنعت عن دفع الزّكاة لهم بحجّة التريث حتى يتبيّنوا أمر الخلافة ، وما وقع فيها بعد نبههم صلى الله عليه وآله وسلم ، تلك الخلافة التي اعترف عمر نفسه بأنّها فلتة^(٣).

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١ : ٣٠ ، العقد الفريد ٥ : ١٣ في الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر ، تاريخ أبي الفداء ١ : ٢١٩ ، المصنّف لابن أبي شيبة ٨ : ٥٧٢ بسند حسن ، كنز العمال ٥ : ٦٥١ ح ١٤١٣٨ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ٤٥ ، فقد ورد فيها تهديد عمر بإحراق الدار.

(٢) صحيح البخاري ٨ : ٢٦ كتاب المحاربين من أهل الكفر والردّة ، باب رجم الجبلي من الزنا.

إذاً ، ليس بالغريب أن يقوم أبو بكر وحكومته بقتل المسلمين الأبرياء ، وانتهاك حرمتهم ، وسبي نسائهم وذريتهم وقد ذكر المؤرخون بأنّ أبا بكر بعث بخالد بن الوليد فأحرق قبيلة بني سليم^(١) ، وبعثه إلى اليمامة ، وإلى بني تميم قتلهم غدراً بعدما كلفهم ، وضرب أعناقهم صبراً وقتل مالك بن نويرة الصّحابي الجليل الذي ولاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على صدقات قومه ثقة به ، ودخل بزوجه في ليلة قتل زوجها^(٢) فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

وما ذنب مالك وقومهم إلاّ ما سمعوا بما حدث من أحداث بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقع من إبعاد عليّ وظلم الزّهاء حتى ماتت غاضبة عليهم وكذلك مخالفة سيد الأنصار سعد بن عباد وخروجه عن بيعتهم ، وما تناقله العرب من أخبار تُشكّك في صحّة البيعة لأبي بكر لكل ذلك ترى أنّ مالك وقومه لإعطاء الزّكاة ، فكان الحكم الصّادر من الخليفة وأنصاره بقتلهم ، وسبي نسائهم وذريتهم ، وانتهاك حرمتهم ، وإخماد أنفاسهم حتى لا يتفشّى في العرب رأي للمعارضة أو المناقشة في أمر الخلافة. والمؤسف حقّاً أنّك تجد من يدافع عن أبي بكر وحكومته بل ويصحّح أخطاءه التي اعترف هو بها^(٣) ، ويقول كقول عمرو بالله ما هو إلاّ أن رأيتُ أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتل لعرفتُ أنّه الحقّ .

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١ : ٣٧٢ ، الرياض النضرة ١ : ١٢٩ ح ٣٠٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ٥٠٤ ، أسد الغابة ٤ : ٢٩٦ ، البداية والنهاية ٦ : ٣٥٥ .

(٣) عندما اعتذر لأخي مالك متمم وأعطاه ديّة مالك من بيت مال المسلمين وقال: خالدٌ تأوّل فأخطأ (المؤلف) .

وهل لنا أن نسأل عمر عن سرِّ اقتناعه بقتال المسلمين، الذين شهد هو نفسه بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم م قتلهم بمجرِّد قولهم: لا إله إلاَّ الله، وعارض هو نفسه أبا بكر بهذا الحديث، فكيف انقلب فجأة واقتنع بقتالهم عرف أنَّه الحقَّ بمجرِّد أن رأى أن قد شرح الله صدر أبي بكفك كيف تمت عمليَّة شرح الصِّدِّق هذه، وكيف رآها عمر دون سائر الناس؟

وإن كانت عمليَّة الشرح هذه معنوية وليست حقيقيَّة، فكيف يشرح الله صدور قوم بمخالفتهم لأحكامه التي رسمها على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم؟! وكيف يقول الله لعباده على لسان نبيِّه: من قال: لا إله إلاَّ الله حرامٌ عليكم قتله وحسابه علىَّ ثمَّ يشرح صدر أبي بكر وعمر قتلهم؟ لم ينزل وحىٌ عليهما بعد محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم أم هو الاجتهاد الذي اقتضته المصالح السيِّئَة، والتي ضربت بأحكام الله عرض الجدار؟

أمَّ ما دعوى المدافعين بأنَّ هؤلاء ارتدَّوا عن الإسلام فوجب قتلهم، فهذا غير صحيح ومن له أيَّ اطلاع على كتلتاريخ يعلم علم اليقين أنَّ مانعي الزكاة لم يرتدَّوا عن الإسلام، كيف وقد صلَّوا مع خالد وجماعته عندما حلَّوا بفنائهم.

ثمَّ إنَّ أبا بكر نفسه أبطل هذه الدعوى الكاذبة بدفعه ديَّة مالِك من بيت مال المسلمين واعتذر عن قتلهم ولا يُعْتذر عن قتله ولا تُدفع ديَّته من بيت المال، ولم يقل أحدٌ من السِّبِّ للفصالح أنَّ مانعي الزكاة ارتدَّوا عن الإسلام إلاَّ في زمن متأخِّر عندما أصبحتُ هناك مذاهب وفرق فلهل السنة حاولوا جهدهم وبدون جدوى أن يبرِّروا أفعال أبي بكر فلم يجدوا

بدّاً من نسبة الارتداد إليهم عرفوا أن سباب المسلم فسوقٌ وقتاله كفرٌ ، كما جاء في صحاح أهل السنة^(١) .

وحتى إنّ البخاري عندما أخرج حديث أبي بكر وقوله : «الله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة»^(٢) لجعل له باباً بعنوانن أبي قبول الفرائض وما نُسب به أو إلى الردّة ، وهو دليل على أنّ البخاري نفسه لا يعتقد بردّهم (كما لا يخفى) .

وحاول البعض الآخر تأويل الحديث كما تأوّل له أبو بكر بأنّ الزكاة هي حقّ المال ، وهو تأويل في غير محلّه .

أو لا : لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يقتل من قال : لا إله إلاّ الله فقط ، وفي ذلك أحاديث كثيرة أثبتت لطلّح حاح سنؤايفيك بها .
ثانياً لو كانت الزكاة حقّ المال فإنّ الحديث يُبيح في هذه الحالة أن يأخذ الحاكم الشرعي الزكاة بالقوّة من مانعها بدون قتله وسفك دمه .

ثالثاً : لو كان هذا التأويل صحيحاً لقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثعلبة الذي امتنع عن أداء الزكاة له (لقصّة معروفة لا داعي لذكرها)^(٣) .

رابعاً إليك ما أثبتته الصّحاح في حرمة من قال : لا إله إلاّ الله ، وسأقتصر على البخاري ومسلم ، وعلى بعض الأحاديث روماً للاختصار .

(١) صحيح البخاري ١ : ١٧ كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ، وصحيح

مسلم ١ : ٥٨ كتاب الإيمان ، باب قول النبي : سباب المسلم فسوق وقتاله كفر .

(٢) صحيح البخاري ٨ : ٥٠ ، كتاب استنابة المرتدين .

(٣) راجع كتاب «ثمّ اهتديت» : ١٨٣ ، نشر مؤسسة الفجر لندن (المؤلّف) .

(أ) أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لا إله إلا الله .

والبخاري في صحيحه في كتاب المغازي ، باب حدّ ثني خليفة عن المقداد بن الأسود أنّه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتلنا ، فضرِب إحدى يديّ بالسيف فقطعها؟ ثمّ لاذَ مني بشجرة ، فقال أسلمتُ اللهُ أقتلهُ يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تقتلهُ » فقال : يا رسول الله إنّه قطع إحدى يديّ ثمّ قال ذلك بعدما قطعها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله لم يزل يبعث رسله من قبلك ، وإنك بمنزلته .

هذا الحديث يفيد بأنّ الكافر الذي قال : لا إله إلا الله ولو بعد اعتدائه على مسلم بقطع يده فإنّه يحرم قتلهُ وليس هناك اعتراف بمحمّد رسول الله ، ولا إقامتُ صلاة ، ولا إيتاء الزكاة ، ولا صوم رمضان ولا حجّ البيئتين تذهبون وماذا تتأولون؟

(ب) أخرج البخاري في صحيحه من كتاب المغازي باب بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة ، وصحيح مسلم في كتاب الإيمان ، في باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لا إله إلا الله ، عن أسامة بن زيد قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحُرّة فصبحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجلٌ من الأنصار رجلاً منهم فلما غشينا ما قال : لا إله إلا الله فكفّ الأنصاري عنه ، وطعنته يرحمى قتلهُ فلمّا قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « يا أسامة أقتلهُ بعدما قال : لا إله إلا الله؟ قلتُ كان متعوّداً ، فما زال

تأولاً جُلِّدَ أحكام الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم على علم وبيّنة .
ولعلَّ أبابكر لمَّا لعزم على قتال مانعي الزكاة ومعارضه عمر بحديث الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم يجرم ذلك أقنع صاحبه بأنّه هو الذي حمل الحطب ليحرق
بيت فاطمة بنفسه وأنَّ فاطمة أقلُّ ما يقال بحقها: نكحها كانت تشهد أن لا إله إلا الله ثمَّ
أقنعه بأنَّ فاطمة وعلى لم يعد لهما كبير شأن في عاصمة الخلافة ، بينما هؤلاء القبائل الذين
منعوا الزكاة لو تركوهم واستشرى أمرهم في داخل البلاد الإسلامية ، فسيكون لهم تأثير كبير
على مركز الخلافة ، عند ذلك رأى عمر أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال ، فاعترف
بأنّه الحق .

أبو بكر يمنع من تآكل السنة النبويّة

وكذلك يفعل بعده عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان

إنَّ الباحث إذا ما قرأ كتب التواريخ ، ما طبع بعض الخلفاء التي توخَّتها حكومتها
الخلفاء الثلاثة لعلم عمر لم يقين بأنَّهم هم الذين منعوا من كتابة الحديث النبوي الشريف
وتدوينه ، بل منعوا حتَّى تحدّث به ونقله إلى الناس لأنَّهم بلا شكَّ علموا بأنّه لا يخدم
مصلحتهم ، أو على الأقل يتعارض ويتناقض مع الكثير من أحكامهم ومما تأوَّ له حسب
اجتهاداتهم ، وما اقتضته مصالحهم .

وبقي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والذي هو المصدر الثاني للتشريع
الإسلامي هو المفسَّر والمبين للمصدر الأوَّل ألا وهو القرآن الكريم ، ممنوعاً ومحرماً
على عهدهم لذلك اتفقت كلمة المحدثين والمؤرِّخين على بداية جمع الحديث والتدوين في
عهد عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) أو بعده بقليل .

فقد نقل البخاري في صحيحه في كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم قال : وكتب
عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم : أنظر ما كان من حديث رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فاكْتَبْهُ لِي خفتُ دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا يقبل إلا
حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وليفشوا العلم ، ولْيَجْلِسُوا عَلَّمًا من لا يعلم ،
فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرًّا .^(١)

فهذا أبو بكر يخطب في الناس بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً لهم :
إنكم تحدّثون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث تختلفون فيها بالناس
بعدكم أشدّ اختلافاً فلا تحدّثوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً ، فمن
سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه^(١) .

عجيبٌ والله أمر أيها بكونوا! وبعد أيام قلائل من ذلك اليوم المشؤوم الذي سمّي
برزّة يوم الخميس يوافق ما قاله صاحبه عمر بن الخطّاب بالضبط عندما قال : إن رسول
الله يهجر وحسبنا كتاب الله يكفيننا!!

وها هو يقولون: تحدّثوا عن رسول الله شيئاً ، فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم
كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه .

والحمد لله على اعترافه صراحة بأنهم نبذوا سنة نبيهم وراء ظهورهم ، وكانت عندهم
نسياناً منسياً !!

والسؤال هنا إلى أهل السنة والجماعة الذين يدافعون عن أبي بكر وعمر ، ويعتبرانهما
أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإذا كانت صحاحكم كما تعتقدون
تروي بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « تركت فيكم خليفتين ما إن

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ١ : ٣ .

تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبي « على فرض أننا سلمنا بصحة هذا الحديث . فما بال أفضل الخلق عندهم يرفضان السنة مولا يقيمان لها وزناً بل ويمنعان الناس من كتابتها والتحدث بهوهلل من سائل يسأل أبا بكر في أي آية وجد قتال المسلمين الذين يمنعون الزكاة ، وسي نسايمهم وذاريهم!؟

فكتاب الله الذي بيننا وبين أبي بكر يقول في حق موانعي للزكاة: (مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ آتَا نَا مَنْ فَضَّلَهُ لَمْ يَكُنْ فِي ذُنُوبٍ وَلَا فِي مَعْصِيَةٍ مِنَ اللَّهِ فَضَّلَهُ بَخْلًا أَوْ كِبًا فَذَرْهُ حَيْثُ يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) وَهُوَ جَاهِلٌ بِمَا فِي سُلُوكِهِمْ مِنْ نَجَسٍ وَلَا يَلْمُوكَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَعْطَى اللَّهُ مَالًا وَعَدُوهُ وَمِمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ (١).

وباتفاق جميع الفسرين ، فإن هذه الآيات نزلت بخصوص ثعلبة الذي منع الزكاة على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أضف إلى ذلك بأن ثعلبة منع الزكاة ، وامتنع من أدائها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه أنكرها وقال هي جزية (٢).

وقد شهد الله في هذه الآيات على نفاقه ، ومع ذلك فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقاتله ، ولم يأخذ أمواله بالقوتوكهان قادراً على كل ذلك ، أم مالك بن نويرة وقومه فلم ينكروا الزكاة كفرض من فروض الدين ، وإنما أنكروا الخليفة الذي استولى على الخلافة بعد الرسول بالقوة والقهر ، وانتهاز الفرصة.

ثم إن أمر أبي بكر أغرب وأعجب عندما نبذ كتاب الله وراء ظهره ، وقد

(١) التوبة : ٧٥-٧٧.

(٢) تفسير الطبري ١٠ : ٢٤٢ ، تفسير ابن كثير ٢ : ٣٨٨ ، زاد المسير لابن الجوزي ٣ : ٣٢١.

احتجّت به عليه فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين وتلت عظمي سامعه آيات بيّنات
محكمات من كتاب الله الذي يُقرّ وراثته الأنبياء ، فلم يقبل بها ونسخها كلّها بحديث جاء به
من عنده لحاجة في نفسه!! وإذا كان يقول: إنكم تحدّثون عن رسول الله أحاديث تختلفون
فيها والنّاس بعدكم أشدّ اختلافاً بخلاف تحدّثوا عن رسول الله شيئاً ، فمن سألكم فقولوا :
بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه فلماذا لم يفعل هو بما يقول عندما
اختلف مع بضعة المصطفى الصديقة الطاهرة في حديث النبي « نحن معشر الانبياء لا
نورّث » ولم يحتكم معها إلى كقيلب حلاله ويحرّم حرامه؟

والجواب معروف ، في تلك الحالة سوف تجد كتاب الله ضدّه ، وسوف تنتصر عليه
فاطمة في كلّ ما ادّعتّه ضدّه ، وإذا ما انتصرت عليه يوماً فسوف تحتاجه بنصوص الخلافة
على ابن عمّها وأبيّ له عندئذ دفعها وتكذيبها ، والله يقول بهذا الصلّد أيّها **مَا آتَيْنَا**
نُورًا لَمْ آتَمَقُولُونَ كَهَيِّئِذَا لَمْ تَمَقْتَلُوا بِإِذْنِ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (١).

نعم لكلّ ذلك ما كلن أبو بكر ليرتاح إذا ما بقيت أحاديث النبي
صلى الله عليه وآله وسلم تداوله بين النّاس ، يكتبونها ويحفظونها ويتناقلونها من بلد لآخر
ومن قرية لأخرى وفيها ما فيها من نصوص صريحة تتعارض والسّياسة التي قامت عليها
دولته ، فلم يكن أمامه حلاً غير طمس الأحاديث وسترها بل ومحوها وحرقتها.

(١) الصف : ٢ . ٣ .

فها هي عائشة ابنته تشهد عليه ، قالت : جمع أبي الحديث عن رسول الله ، فلكت
خمسائة حديث ، فبات يتقلّب ، فقلت : يتقلّب لشكوى أو لشيء بلغه ، فلما أصبح قال
أي بنيّة هلمّ بي الأحاديث التي عندك فجننته بها ، فأحرقها ... الحديث (١).

**عمر بن الخطاب يتشدّد أكثر من صاحبه في الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ويمنع الناس من نقله**

لقد رأينا سياسة أبي بكر في منع الحديث حتى وصل به الأمر أن أحرق المجموعة
التي جمعت على عهده ، وهي خمسائة حديثاً لتفشي عند الصّحابة وغيرهم من
المسلمين الذين كانوا يتعطشون لمعرفة سنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم.

ولما ولي عمر الخلافة بأمر من أبي بكر كان عليه أن يتوخّى نفس السياسة ولكن
بأسلوبه المعروف بالشدّة والغلظة ، فلم يقتصر على حظر ومنع تدوين الحديث ونقله
فحسب بل تهدّد وتوعّد وضرب أيضاً ، واستعمل فرض الحصار هو الآخر.

روى ابن ماجة في سننه من الجزء الأول ، باب التوقي في الحديث . قال : عن قرظة
بن كعب ، بعثنا عمر بن الخطاب إلى الكوفة وشيئنا فمشى معنا إلى موضع صرار ، فقال
أندرون لم مشيت معكم؟ قال قلنا لحقّ ص حبة رسول الله لحقّ الأنصار ، قال لكنني
مشيت معكم لحديث أردت أن

(١) كنز العمال ١٠ : ٢٨٥ ح ٢٩٤٦٠ ، تذكرة الحفاظ ١ : ٥٠ .

أحدّ ثكم به فأردت^١ أن تحفظوه لمشاى معكم ، إنكم تقدمون على قوم للقرآن في صدورهم ازيز كأزيز المرجل ، فإذا رأوكم مدّوا إليكم أعناقهم وقالوا أصحاب محمد! فأقلّوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^١ أنا شريككم . فلما قدم قرظة بن كعب قالوا بحدّ ثنا ، قال : نهانا عمر^(١) .

كما روى مسلم في صحيحه في كتاب الآداب ، باب الاستئذان بأنّ عمر هدّ أبا موسى الأشعري بالضرب من أجل حديث رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال أبو سعيد الخدري : كنا في مجلس عند أبي بن كعب ، فأتى أبو موسى الأشعري م^١ غضباً حتى وقف فقال : أنشدكم الله هل سمع أحد منكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : الاستئذان ثلاث ، فإن أذن لك وإلا فارجع؟ قال أبي : وما ذاك ، قاليتأذنت^١ على عمر بن الخطاب أمس ثلاث مرّات فلم يؤذن لي فرجعت^١ ثمّ جئته اليوم فدخلت فأعطيته ، أبيّ جئت^١ بالأمس فسلمت^١ ثلاثاً ثمّ انصرفت ، قال : قد سمعناك ونحن حينئذ على شغل ، فلو ما استأذنت حتى يؤذن لك قلت^١ : استأذنت كما سمعت^١ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال فوالله لأوجعن^١ ظهرك وبطنك أو لتأتين^١ بمن^١ يشهد لك على هذا ، فقال أبي بن كعب فوالله لا يقوم معك إلاّ أحدثنا سنّاً ، قم يا أبا سعيد فقممت حتى أتيت^١ عمر ، فقلت : قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول هذا .

وروى البخاري هذه الحادثة ، ولكنه كعادته بترها وحذف منها تهديد

(١) سنن ابن ماجه ١ : ٢٥ ح ٤٨ ط دار الفكر وصرّح البوصيري في حاشيته على السنن بصحته ، تذكرة الحفاظ للذهبي ١ : ٧ .

عمر بضرب أبي موسى حفاظاً كعادته على كرامته^(١). مع أنّ مسلم في صحيحه زاد قول أبي بن كعب لعمر : يلين الخطاب فلا تكوننّ عذاباً على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد روى الذهبي في تذكرة الحفاظ من جزئه الأول الصفحة السابعة عن أبي سلمة قال : قلت لأبي هريرة كنتَ تحدّث في زمان عمر هذا؟ فقال لو كنتُ أحدّث في زمان عمر مثل ما أحدّثكم لضربني بمخفقتي^(٢).

كما أنّ عمر بعد منع الحديث والتهديد بالضرب ، أقدم هو الآخر على حرق ما دوّنّه الصّحابة من الأحاديث ففقد خطب النّاس يوماً قائلاً أيّها النّاس إنّه قد بلغني أنّّه قد ظهرت في أيديكم كتبٌ فأحجّ بها إلى الله أعدّها وأقومها، ييقينٌ أحدّ عنده كتاباً إلاّ أتاني به فأرى فيه رأيي فظنّوا أنّّه يريد النّظر فيها لميّةٍ مها على أمر لا يكون فيه اختلاف ، فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنّار^(٣).

كما أخرج ابن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم وفضله ، أنّ عمر بن الخطّاب أراد أن يكتب السنّة ثمّ بدّله أن لا يكتبها ثمّ كتب إلى الأمصار من كان عنده شيء فليمحه^(٤).

(١) صحيح البخاري ٦ : ٧٨ في كتاب الاستئذان ، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً .

(٢) تذكرة الحفاظ ١ : ٧ .

(٣) حجية السنّة لعبد الغني : ٣٩٥ ونحوه : الطبقات الكبرى لابن سعد ٥ : ١٨٨ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ٥ : ٥٩ .

(٤) كنز العمال ١٠ : ٢٩٢ ح ٢٩٤٧٦ ، عن ابن عبد البر وأبي خثيمة ، جامع بيان العلم وفضله : ٧٧ .

ولمّا أعيته الحيلة ورغم تهديده ووعيده ، ومنعه وتحريمه ، وحرقه كتب الأحاديث ، بقي بعض من الصّحابة يُدّثون بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما يلتقون في أسفارهم خارج المدينة بالنّاس اللذين يسألونهم عن أحاديث النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ، رأى عمر أن يجبس هؤلاء النفر في المدينة ، ويضرب عليهم حصاراً وإقامة جبريّة .

فقد روى ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال والله ما مات عمر حتىّ بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق : عبد الله بن حذيفة ، وأبي الدرداء ، وأبي ذر الغفاري ، وعقبة بن عامر . فقال : ما هذه الأحاديث التي قد أفشيتم عن رسول الله في الآفاق ، قالوا : تنهانا؟ قال : لا ، أقيموا عندي ، لا والله لا تفارقوني ما عشت^(١) . ثمّ جاء بعده ثالث الخلفاء عثمان الذي اتّبع نفس الطريق ، وسلك ما سطره له صاحبه من قبل ، فصعد على المنبر وأعلن صراحة قوله :

لا يحلُّ لأحد أن يرويَ حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم أسمع به في عهد أبي بكر وعمر^(٢) .

وهكذا دأب الحصار طيلة حياة الخلفاء الثلاثة ، وهي خمسة وعشرون عاماً ، بويا ليته كان حصاراً في تلك المدّة فحسب ، ولكنه تواصل بعد ذلك ، وعندما جاء معاوية للحكم صعد المنبر هو الآخر وقال إنّكم وأحاديث إلاّ

(١) كنز العمال ١٠ : ٢٩٣ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٠ : ٥٠٠ .

(٢) الطبقات لابن سعد ٢ : ٣٣٦ ، كنز العمال ١٠ : ٢٩٥ ح ٢٩٤٩٠ ، تاريخ مدينة دمشق ٣٩ : ١٨٠ .

حديثاً كان في عهد فلانٍ عمر كان يخيفُ الناسَ في الله عز وجلَّ . الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ، في كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة من جزئه الثالث .

ونهج الخلفاء الأمويون على هذا المنوال ، فمنعوا أحاديث الرسول الصحيحة ، وتفننوا في وضع الأحاديث المزورة والمكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى ابتلي المسلمون في كلِّ العصور بالمتناقضات ، وبالأساطير والمخاريق التي لا تمت للإسلام بشيء .

وإليك ما نقله المدائني في كتابه « الأحداث » قال : كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمِّه بعد عام الجماعة أن برئته من روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته (يقصد علي بن أبي طالب) الخطباء في كلِّ كورة وعلى كلِّ منبر يلعونون علياً ويبرؤون منه ، ويقعون فيه وفي أهل بيته .

ثمَّ كتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق : أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة .

ثمَّ كتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبِّيه ، وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقرَّبوهم وأكرموا كهتبهوا إلى بكلِّ ما يروي كلِّ رجل منهم ، واسمه واسم أبيه وعشيرته .

ففعّلوا ذلك حتى أكثروا من فضائل عثمان ومناقبه ، لما كان بيعته إليهم معاوية من الصِّلات والكساء والحباء والقطائع ، ويفيضة في العرب منهم والموالي فكثرت ذلك في كلِّ مصر ، وتنافسوا في المنازل والدينا فلا يأتي أحد مردود من الناس عاملاً من عمِّه معاوية ، فيروي في عثمان فضيلة أو

منقبة إلا كتب اسمه وقرَّب به وشفَّعه ، فلبثوا بذلك حيناً .

ثمَّ كتب معاوية إلى عمِّ لِّلله الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلِّ مصر وفي كلِّ وجه وناحية إذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصِّحابة والخلفاء الأولين ، ولا تتركوا خيراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلاَّ وتأتوني بمناقض له في الصِّحابة هذا أحبَّ إليَّ وأقرُّ لعيني وأدحض حجَّة أبي تراب وشيعته ، وأشدَّ عليهم من مناقب عثمان وفضله .

فقد رأيت كتبه على الناس فرويت أخباراً كثيرة في مناقب الصِّحابة مفتعلة لا حقيقة لها وجدَّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر ، وألقي إلى معلِّمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلماهم ، حتى رووه وتعلَّموه كما يتعلَّمون القرآن وحتى علَّموه بناهم ونسائهم وخدمهم وحشمهم ، فلبثوا بذلك ما شاء الله .

ثمَّ كتب إلى عمِّ ماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان :

أنظروا من قاموا بالبلد أذنه يجبَّ علياً وأهل بيته ، فامحوا اسمه من الديوان ، وأسقطوا عطاءه ورزقه .

ثمَّ شفَّع ذلك بنسخة أخرى : من اهتمموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به ، واهدموا داره .

فلم يكن البلاء أشدَّ ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة ، إنَّ الرِّجال من شيعة علي ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سرِّه ، ويخاف من خادمه ومملوكه ، ولا يجدُّه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمنَّ عليه .

فظهر حديث كثير موضوع ، وبهتان منتشر ، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة ، أعظم الناس بليّة القرّاء المرأون والمستضعفون ، الذين يظهرون الخشوع والنسك ، فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولائهم ويقرّوا مجالسهم ، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الذين لا يستحلّون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنّها حقّ ، ولو علموا أنّها باطلة لما رووها ولا تديّنوا بها^(١).

وأقول: المسؤولة في كلّ ذلك يتحمّلها أبو بكر وعمر وعثمان ، الذين منعوا من كتابة الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بدعوى خوفهم بأن لا تختلط السنّة بالقرآن ، هذا ما يقوله أنصارهم والمدافعون عنهم. وهذه الدعوى تضحك المجانين فهل القرآن والسنّة سكرٌ وملح إذا ما اختلطا فلا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، وحتى السكر والملح لا يختلطان كلّ واحد محفوظ في علبته الخاصّة به فهل غاب عن الخلفاء أن يكتبوا القرآن في مصحف خاصّ به ، والسنّة النبوية في كتاب خاصّ بها ، كما هو الحال عندنا اليوم ولمنذوّنت الأحاديث في عهد عمر ابن عبد العزيز (رضي الله عنه) ، فلماذا لم تختلط السنّة بالقرآن ، رغم أن كتب الحديث تُعدّ بالملفات؟! فصحيح البخاري لا يختلط بصحيح مسلم ، وهذا لا يختلط بمسند أحمد ، ولا بموطأ الإمام مالك ، فضلا عن أن يختلط بالقرآن الكريم.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١ : ٤٤ .

فهذه حجة واهية كبيت العنكبوت لا تقوم على دليل ، بل الدليل على عكسها أوضح فقد روى الزهري عن عروة أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن ، فاستفتى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأشاروا عليه أن يكتبها ففطفت عمر يستخير الله فيها شهراً ثم أصبح يوماً فقال لبيّ كنت أريد أن أكتب السنن وإني ذكرت قوماً قبلكم كتبوا كتباً فأكتبوا عليها وتركوا كتاب الله وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً^(١).

أنظر أيها القارئ إلى هذه الرواية، كيف أشار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عمر بأن يكتب السنن وخالفهم جميعاً واستبد برأيه ، بدعوى أن قوماً قبلهم كتبوا كتباً فأكتبوا عليها ، وتركوا كتاب الله ، فأين هي دعوى الشورى التي يتشدق بها أهل السنة والجماعة؟! أين هؤلاء القوم الذين أكتبوا على كتبهم وتركوا كتاب الله ، لم نسمع بهم إلا في خيال عمر بن الخطاب؟! وعلى فرض وجود هؤلاء القوم فلا وجه للمقارنة إذ إنهم كتبوا كتباً من عند أنفسهم لتحريف كتاب الله ، فقد جاء في

ذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِاللَّهِ يَلْمُوكَ لِيَشْتَرُوا بِهِ
بِلَا فَوْزٍ يَلْتَمِسُ لَهُمْ مَا كَتَبْتَ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ
مِمَّا يَكْتَسِبُونَ^(٢).

أمّا كتابة السنن فليست كذلك لأنها صادرة عن نبي معصوم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى بيّنة ومفسرة لكتاب الله ، قال

(١) كنز العمال ١٠ : ٢٩١ ح ٢٩٤٧٤ عن ابن عبد البر ، المصنّف لعبد الرزاق ١١ : ٢٥٧ ح ٢٠٤٨٤ ، نحوه الطبقات لابن سعد ٣ : ٢٨٧ ، جامع بيان العلم وفضله : ٧٦ .
(٢) البقرة : ٧٩ .

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ كَعَمَلِي لِأُولِي الْأَلْبَابِ لِيُذَكَّرَ بِهِ أُولُو الْأَلْبَابِ الَّذِينَ كَانُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمْ الْحُكْمُ وَأُولُو الْأَلْبَابِ الَّذِينَ كَانُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمْ الْحُكْمُ وَأُولُو الْأَلْبَابِ الَّذِينَ كَانُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمْ الْحُكْمُ (١)

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كُتِبَتْ الْقُرْآنُ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» (٢)، وهذا أمرٌ بديهي لكل من عرف القرآن فليس هناك الصلوات الخمس، ولا الزكاة بمقاديرها ولا أحكام الصوم ولا أحكام الحج إلى كثير من الأحكام التي بيّنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكل ذلك وقال الله تعالى: (الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَزَلَ بِهِ السُّورَةُ فَذُكُّوا) (٣).

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ (٤)

وليت أمر عرف كتاب الله وأكب عليه ليتعلم منه الامتثال إلى أوامر الرسول، ولا يُناقشها ولا يطعن فيها (٥).

وليت عرف كتاب الله وأكب عليه، ليتعلم منه حكم الكلاله (٦) التي ما عرفها حتى مات ووحكم فيها أيام خلافته بأحكام متعدّدة ومتناقضه له عرف كتاب الله وأكب عليه ليتعلم منه حكم التيمم الذي ما عرفه حتى أيام خلافته وكان يفتي بترك الصلوة لمن لم يجد الماء (٧) عرف كتاب الله وأكب عليه ليتعلم منه حكم اللطق مرتان، فإمسك بمعروف أو تسريح

(١) النحل: ٤٤.

(٢) مسند أحمد ٤: ١٣١، تفسير ابن كثير ١: ٤.

(٣) الحشر: ٧.

(٤) آل عمران: ٣١.

(٥) صحيح البخاري ١: ٣٧ باب كتابة العلم، و ٥: ١٣٨، في رزية الخميس.

(٦) صحيح مسلم ٢: ٨١، باب نهي من أكل ثؤماً أو بصلاً.

(٧) صحيح البخاري ١: ٩٠، صحيح مسلم ١: ٩٣ باب التيمم وفيه: «إن رجلاً أتى عمر فقال ليني

أجنب فلم أجد ماء؟ فقال لا تحصل ...».

بإحسان ،والذي جعله هو طلقة واحدة^(١) ، وعارض برأيه واجتهاده أحكام الله ، وضرب بها عرض الحائط .

والحقيقة التي لا مجال لدفعها ،هي أن الخلفاء منعوا من انتشار الأحاديث ،وهذا دوا من يتحدث بها ، وضربوا عليها الحصار؛ لأنها تفضح مخططاتهم ، وتكشف مؤامراتهم ، ولا يجدون مجالاً لتأويلها كما يتأولون القرآن؛ كتاب الله صامتٌ وحمّالٌ أوجهٌ، لا السنن النبوية فهي أقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ،فلا يمكن لأحد من الناس دفعها .

ولذلك قال أمير المؤمنين علي لابن عباس عندما بعثه للاحتجاج على الخوارج : « لا تخُصمهم بالقرآن ، فإن القرآن حمّال ذو وجوه ، تقول ويقُولون ، ولكن حاججهم بالسنة ، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً »^(٢) .

أبو بكر يسلم الخلافة لصاحبه عمر ويخالف بذلك النصوص الصريحة

يقول الإمام علي عليه السلام في هذا الموضوع بالذات :

أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة ، وإنه ليعلمُ أن محلي منها محلّ القطب من الرّحى ، ينحدر عني السّيلُ ولا يرقى للطير له فسدتُ دونها ثوباً ، وطويتُ عنها كشحاً ، وطفقتُ أرتمي بين أن أصول بيد جدّاء ، أو أصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب المصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربّه ، فرأيتُ أن الصبر على هاتا أحجى ، فصبرت وفي العين

(١) صحيح مسلم ٤ : ١٨٣ في كتاب الطلاق ، باب طلاق الثلاث من جزئه الأول .

(٢) نهج البلاغة ٣ : ١٣٦ ، الخطبة ٧٧ .

قذوفني، الحلق شجا ، أرى تراثي نهباً ، حتى مضى الأول لسبيله ، فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده .

(شتان ما يومي على كورها وبوم حياً ان أخي جابر)
فيا عجباً !بينا هو يستقبلها في حياته ، إذ عقدها لآخر بعد وفاته ، لشدة ما تشظراً ،
، فصير هلهله خشناء ، يغلظُ كلامُها ، ويخشنُ مسُها ، ويكثرُ العثارُ فيها ،
والاعتذار منها ... » الخطبة (١).

يعرفُ كلُّ محققٍ وباحثٍ بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ز بالخلافة وعين
علي ابن أبي طالب قبل وفاته، كما يعرف ذلك أغلب الصَّحابة توفي مقدّمهم أبو بكر
وعمر ، ولهذا كان الإمام علي يقول: ليعلمُ أنَّ محلي منها محلُّ القطب من الرّحى .
ولعلَّ ذلك ما دعا أبو بكر وعمر أن يمنعا رواية الحديث عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم كما قدّنا في الفصل السَّابِق. كما بالقرآن لأنَّ القرآن وإن
كان فيه آية الولاية غير أنَّ اسم علي لم يذكر صراحة كما هو الحال في الأحاديث النبوية،
كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «من كنت مولاه فهذا عليُّ مولاه» (٢) ، وعلى مني

(١) نهج البلاغة ١ : ٣٠ ، الخطبة ٣ ، المعروفة بالشقشقية.

(٢) مسند أحمد ١ : ١٠٠٠ : مؤهراً محقق الكتاب الشيخ أحمد شاکر بصحة متن الحديث وقال : (ورد عن طرق
كثيرة ، ذكر المناوي في شرح الجامع الصغير في الحديث ٩٠٠٠ عن السيوطي أنه قال : « حديث متواتر ... »)
، سنن ابن ماجه ١ : ٤٥ ح ١٢١ ، سنن الترمذي ٥ : ٢٩٧ ح ٣٧٩٧ ، المستدرک للحاکم ٣ : ١١٠ ،
كتاب السنة لابن أبي عاصم : ٥٩٠ ، وغيرها من المصادر الكثيرة وهو حديث متواتر كما صرح الشيخ الألباني
في صحيحته ٤ : ٣٤٣ .

بمنزلة هارون من موسى»^(١) و «علي أخي ووصيِّي وخليفتي من بعدي»^(٢) «علي»^(٣) مني
وأنا منه وهو وليّ كلِّ مؤمن بعدي»^(٣).

(١) صحيح مسلم ٧ : ١٢٠ كتاب الفضائل ، باب فضائل علي بن أبي طالب ، سنن الترمذي ٥ : ٣٠٢ ، ح ٣٨٠٨ ، المستدرک للحاکم ٣ : ١٠٩ ، السنن الكبرى للبيهقي ٩ : ٤٠ ، المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ٤٩٦ ، كتاب السنّة : ٥٨٦ ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ٤٤ ح ٨١٣٨ ، وغيرها .

(٢) قريب منه في تاريخ الطبري ٢ : ٦٣ ، الخصائص للنسائي ٤٩ : ح ٦٥ في حكاية يوم الدار ونزول قوله
وَأَنْذِرْ عِبَادِيَ بِرَتِّكَ الْأَقْرَبِينَ .

(٣) سنن الترمذي ٥ : ٦٣٢ ح ٣٧١٢ وقال : « هذا حديث حسن غريب » ، خصائص أمير المؤمنين ١٠٩ ح ٨٩ . ٩٠ ، مسند أحمد بن حنبل ٤ : ٤٣٧ ، فضائل الصحابة ٢ : ٦٠٥ ح ١٠٣٥ ، مسند أبي داود الطيالسي : ١١١ ح ٨٢٩ ، المصنّف لابن أبي شيبة ٦ : ٣٧٥ ح ٣٢١١٢ ، صحيح ابن حبان ٥ : ٣٧٣ ح ٦٩٢٩ ، المستدرک ٣ : ١١٠ ، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ولم يتعقبه الذهبي بشيء ، حلية الأولياء ٦ : ٢٩٤ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥ : ٢٦١ ح ٢٢٢٣ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٥١ ، مختصر إتحاف السادة المهرة ٩ : ١٧٠ ح ٧٤١ وقال البوصيري : رواه أبو داود الطيالسي بسند صحيح .

ولأجل وضوح دلالة هذا الحديث على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام أنكره ابن تيمية وطعن فيه ، قال في منهاج سنته ٤ : ١٠٤ : « قوله هو وليّ كلِّ مؤمن بعدي » كذب على رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، بل هو في حياته وبعد مماته وليّ كلِّ مؤمن ، وكلِّ مؤمن وليّه في الحيا والممات . الفلوية التي هي ضدّ العداوة لا تختصّ بزمان ، أما الولاية التي هي الامارة فيقال فيها : ولي كل مؤمن بعدي .»
ويكفي ردّ أيّ عكلام ابن تيمية ما ذكره شيخ السلفية المحدث محمد ناصر الدين الألباني في سلسلته الصحيحة ٥ : ٢٦٣ إذ قال بعد تخرجه الحديث :

وبذلك نفهم مدى نجاح المخطّط الذي رسمه أبو بكر وعمر في منع وحرق الأحاديث النبويّة ويجعل كمّ آيات على الأفواه حتى لا يتحدث الصّحابة بها، كما قدّ منا في رواية قرظة بن كعب واستمرّ ذلك الحصار ربع قرن يوهي مدّة الخلفاء الثلاثة ، حتى إذا جاء علي للخلافة نرى أنّه اسشهد الصّحابة يوم الرحبة على حديث الغدير ، فشهد له ثلاثون صحابياً منهم سبعة عشر بدرياً^(٢).

وهذا يدلّ دلالة واضحة بأنّ هؤلاء الصّحابة ، وعددهم ثلاثون ، ما كانوا ليتكلموا لولا أن طلب منهم أمير المؤمنين ذلك لم يكن عليّ خليفة وبيده القوّة لأقعدهم الخوف عن أداء الشّهادة، كما وقع ذلك فعلا من بعض الصّحابة الذين أقعدهم الخوف أو الحسد عن الشّهادة ، أمثال أنس بن مالك والبراء بن عازب ، وزيد بن أرقم ، وجريير بن عبد الله البجلي ، فأصابتهم دعوة علي بن أبي طالب^(٣).

ولم ينعم أبو تراب عليه السلام بالخلافة ، فكانت أيامه كلّها محن وفتن ، ومؤامرات وحروب شنت عليه من كلّ حذب وصوب ، وبرزت تلك الأحقاد

«الصحّاب حقّاً أن يتجرّأ شيخ الإسلام ابن تيمية على إنكار هذا الحديث وتكذيبه في منهاج السنّة (٤ / ١٠٤) كما فعل بالحديث المتقدّم هناك .. فلا أدعي ذلك وجه تكذيبه للحديث إلاّ التسرّع والمبالغة في الردّ على الشيعة».

(١) مسند أحمد ٤ : ٣٧٠ وفيه أيضاً « وقال أبو نعيم : فقام ناس كثير فشهدوا ... ».

(٢) مسند أحمد ١ : ٩ وطرّح محقّق الكتاب أحمد شاکر بصحته ، وفيه أيضاً : « فقام إلاّ ثلاثة لم يقوموا ، فدعا عليهم فأصابتهم دعوته ».

(٣) أنساب الأشراف ١٥٧ ح ١٦٩ ، ونحوه السيرة الحلبية ٣ : ٣٨٥ ، المعجم الكبير ٥ : ١٧٥ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٢٠٨ ، شرح نصح البلاغة لابن أبي الحديد ١٩ : ٢١٨ .

والضعائن البدرية والحينية والخيرية حتى سقط شهيداً لم تهد تلك السن النبوية آذاناً صاغية لدى الناكثين والقاسطين والمارقين لا تهازين الذين ألقوا الفساد والرشوة وحب الدنيا أيام عثمان ، فلم يكن ابن أبي طالب ليصلح فساداً وانحراف ربع قرن في ثلاث أو أربع سنوات إلا بفساد نفسه ، وهيئات منه ذلك وهو القائل : «الله إني لأعرف ماذا يصلحكم ، ولكن لا أصلحكم بفساد نفسي» (١).

ولم تطل المدّة حتى اعتلى سدّة الخلافة معاوية بن أبي سفيان ، فواصل المخطّط ، كما قدّ منا في منع الأحاديث إلا ما كان في زمن عمر ، وذهب شوطاً أبعد من ذلك ، فانتدب من الصّحابة والتّابعين زمرة لوضع الأحاديث فضاعت سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خضمّ تلك الأكاذيب والأساطير والفضائل المختلفة . واستمرّ المسلمون على ذلك قرناً كاملاً لا يباحث سنة معاوية هي المتبعة لدى عامة المسلمين وإذا قلنا سنة معاوية فمعناها السنة التي ارتضاها معاوية من أفعال الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ، وما أضافه هو وأتباعه من وضع وتزوير ، من سبّ لعلي وأهل بيته وشيعته من الصّحابة المخلصين .

ولذلك أعود وأكرر بأنّ أبا بكر وعمر نجحا في هذا المخطّط لطمس السن النبوية بدعوى الرجوع إلى القرآن ، فإنّك ترى اليوم وبعد مرور أربعة عشر قرناً إذا ما حاججت بالنصوص النبوية المتواترة التي تثبت بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً خليفة له فسيقتلن : السنة النبوية التي اختلف فيها وحسبنا كتاب الله ، وكتاب الله لم يذكر بأنّ عليّاً هو خليفة النبي ، بل

(١) نحوه الكافي ٨ : ٣٦١ ، أنساب الأشراف : ٤٥٨ .

قال : « وأمرهم شورى ».

وهذه هي حجّة فهمه كَلِّمْتُ أحداً من علماء أهل السنّة إلاّ وكانت الشورى هي شعارهم ودينتهم.

وبقطع النظر على أنّ خلافة أبي بكر كانت فلتةً وقى الله المسلمين شرّها^(١) ، فلم تكن عن مشورة كما يدعي البعض ، بل كانت بالغفلة وبالقوة والقهر والتهديد والضرب^(٢) ، وتخلّف عنها وعارضها الكثير من خيرة الصّحابة ، وعلى رأسهم علي بن أبي طالب ، وسعد بن عباد ومعه سار ، وسلمان ، والمقداد ، والزبير والعَبَّاس ، وغير هؤلاء كثيرين ، كما فيعتز بذلك جلّ المقرّخين لهذا الحدث.

ولنغضّ الطّرف عنها ونأتي إلى استخلاف أبي بكر لعمر بعده ، ونسأل أهل السنّة الذين يتشدّدون بمبدأ الشورى لما إذا عينّ أبو بكر خليفته ، وفرضه على المسلمين بدون أن يترك الأمر شورى بينهم كما تدّعون؟

ولمزيد من التّوضيح وكالعادة لاستدلّ إلاّ بكتب أهل السنّة ، أقدم إلى القارئ كيفية استخلاف أبي بكر لصاحبه.

ينقل ابن قتيبة في كتابه تاريخ الخلفاء ، في باب مرض أبي بكر واستخلافه عمر رضي الله عنهما ، قال :

« .. ثمّ دعا عثمان بن عفّان فقال : أكتب عهدي ، فكتب عثمان وأملئ »

(١) البخاري ٨ : ٦٦ كتاب المحاربين من أهل الكفر والردّة ، باب رجم الحبلي من الزنا.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١ : ٢٦٦ بيعة أبي بكر وكيفية أخذ البيعة من عليّ عليه السلام.

عليه : « بَيْتِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة ، آخر عهده في الدنيا نازحاً عنها وأوّل عهده بالآخرة داخلاً فيطيني ، استخلفتُ عليكم عمر بن الخطاب فإن تروه عدلاً فيكم فذلك ظنيّ به ورجائي فيوإن بدّل وغيرّ فالخير أردت ، ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون .»

ثمّ ختم الكتاب ودفعه ، فدخل عليه المهاجرون والأنصار حين بلغهم أنّه استخلف عمر ، فقالوا استخلفتَ علينا عمر ، وقد عرفته هـ ، وعلمت بوائقه فينا وأنت بين أظهرنا ، فكيف إذا وليتَ عدلاً ، وأنت لاق الله عزّ وجلّ فسائلك ، فما أنت قائل؟ فقال أبو بكر : لئن سألتني الله لأقولن : استخلفت عليهم خيرهم في نفسي «^(١) .

ويذكر بعض المؤرّخين أبا بكر لمّا استدعى عثمان ليكتب عهداً على عليه أثناء الإماء ، فكتب عثمان اسم عمر بن الخطاب فلمّا أفاق قال اقرأ ما كتبت ، فقرأ وذكر اسم عمر ، فقال أئنّ لك هذا؟ قال ما كنت لتعدّوه ، فقال أصبحت .

فلمّا فرغ من الكتاب دخل عليه قوم من الصحابة منهم طلحة ، فقال له : ما أنت قائل لربّك غداً وقد وليت علينا فظاً غليظاً تفرق منه النفوس وتنفض عنه القلوب؟ فقال أبو بكر : أسندوني وكان مستلقياً ، فأسندوه فقال لطلحة : أباالله

(١) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة المعروف بالإمامة والسياسة ١ : ٣٧ .

تخوَّ في إذا قال لي ذلك غداً قلتُ له وُلِّيتُ عليهم خير أهلِكَ^(١) .
 وإذا كان المؤرِّخون يتفقون على استخلاف أبي بكر لعمر بدون استشارة الصَّحابة ،
 فلنا أن نقول بأذنه استخلفه رغم أنف الصَّحابة وهم له كارهون ، وسواء أقال ابن قتيبة : «
 دخل عليه المهاجرون والأنصار فقال : قد علمت بوائقه فينا » أم كما قال غيره : « دخل
 عليه قوم من الصَّحابة منهم طلحة فقال له أنت قائل لرَبِّكَ وقد وُلِّيت علينا فظاً غليظاً
 تفرق منه النفوس وتنفض عنه القلوب » فالنتيجة واحدتوهي إن الصَّحابة لم يكن أمرهم
 شوري ، ولم يكونوا راضين عن استخلاف عمر ، وقد فرضه عليهم أبو بكر فرضاً بدون
 استشارتهم والنتيجة هي التي تنبأ بها الإمام علي عندما شدَّ د عليه عمر بن الخطَّاب ليبياع
 أبا بكر ، فقال له : «أحلب حلباً لك شطره ، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً »^(٢) .
 وهذا بالضبط ما قاله أحد الصَّحابة لعمر بن الخطَّاب ، عندما خرج بالكتاب الذي
 فيه عهد الخلافة ، فقال له : ما في الكتاب يا أبا حفص؟ قال : لا أدري لكني أوَّل من
 سمع وأطاع فقال الرَّجل : لكني والله أدري ما فيه ،

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ١٦٣ ، البداية والنهاية لابن كثير ٥ : ١٦ : « وفي أثناء هذا المرض
 عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطَّاب ». تاريخ الطبري ٣ : ٤٣٣ ، ط روائع التراث ، الكامل في التاريخ ٢
 : ٤٢٥ والذي قال عن تاريخه : « لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة ، والكتب المشهورة ممَّن يعلم بصدقهم فيما
 نقولوه وصحة ما دونوه ولم أكن كالحابط في ظلماء الليالي ، ولا كمن يجمع الحصباء واللالآي » الكامل في ١ : ٣
 المقدِّمة.

(٢) الإمامة والسياسة ١ : ٢٩ .

أمّرتَه عام أوّل وأمرّك العام^(١).

وبهذا يتبين لنا بوضوح لا شكّ فيه بأنّ مبدأ الشورى الذي يطبّق له أهل السنّة لا أساس له عند أبي بكر وعمر ، أو بتعبير آخر إنّ أبا بكر هو أوّل من هدم هذا المبدأ وألغى فتح الباب أمام الحكّام من بني أميّة أن يُعيدوها ملكية قيصريّة يتوارثها الأبناء عن الآباء وكذلك فعل بنو العبّاس من بعدهم ، وبقيت نظريّة قوليّ حُلماً يراود أهل السنّة والجماعة لم ولن يتحقّق.

وهذا يذكرني بمحاورة دارت بيني وبين عالم من علماء الوهّابية السعوديين في مسجد نيروبي بكينيا على مشكلة الخلافة فكانتُ من أنصار النصّ على الخليفة هو أنّ الأمر كلّهُ لله يجعله حيث يشاء ، ولا دخل لاختيار الناس في ذلك.

وكان هو من أنصار الشورى ويدافع عنها دفاعاً مستميتاً ، وكان حوله مجموعة من الطلبة الذين يأخذون العلم عنهم يؤيّدونه في كلّ ما يقول بدعوى أنّ حجّته من القرآن الكريم ، إذ يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلّم: **(هُم فِي الْأُمُور)**^(٢) **وَأَمْرٌ يُهْتَمُّ بِهِ بَيْنَهُمُ**^(٣).

ولمّا عرفتُ أنّني مقهور مع هؤلاء لأنّهم تعلّموا من أستاذهم كلّ الأفكار الوهّابية، كما عرفت أنّهم غير قابلين للاستماع إلى الأحاديث الصّحيحة ، وهم يتشبثون ببعض الأحاديث التي يحفظونها وأغلبها من الموضوعات ،

(١) الإمامة والسياسة ١ : ٣٨ .

(٢) آل عمران : ١٥٩ .

(٣) الشورى : ٣٨ .

عند ذلك استسلمتُ لمبدأ الشورى وقلت لهم ولأستاذهم :

هل لكم أن تقنعوا حكومة جلاله الملك عندكم بمبدأ الشورى حتى يتنازل عن عرشه ، ويقتدي بسلفكم الصالح ، ويترك للمسلمين في الجزيرة العربية حرية اختيار رئيساً لهم ، وما أظنّه يفعل ذلك ، فأبأؤه وأجداده لم يملكوا الخلافة فحسب ، بل والجزيرة العربية أيضاً أصبحت من ممتلكاتهم حتى أطلقوا على أرض الحجاز كلها اسم المملكة السعودية.

وعندئذ تكلم سيدهم العالم ليقول : نحن لا شغل لنا في السياسة ، ونحن في بيت الله الذي أمر أن يذكر فيه اسمه وأن تقام فيه الصلوات.

قلت : وكذلك لطلب العلم.

قال : نعم وهو كذلك ، نحن نعلم الشباب هنا.

قلتُ : كذا في بحث علمي!

قال : لقد أفسدته بالسياسة.

خرجتُ مع مرافقي وأنا أتحدث على شباب المسلمين الذين استنكوا الوهابية على أفكارهم بكل الطرق ، فأصبحوا حرباً على آبائهم ، وكلهم من معتنقي المذهب الشافعي ، وهو أقرب المذاهب إلى أهل البيت على ما أعتقد.

وكان للشيوخ احترام ووقار لدى المثقفين وغير المثقفين باعتبار أن أغلبهم من السادة المنحدرين من السلاله الطاهرة ، فجاء الوهابيون للشباب واستغلوا فقرهم ، فأغروهم بالأموال والإمكانات الماديّة وقلّبوا نظرهم بأن ما يفعلونه من احترام للسادة هو شرك بالله؛ لأذنه تقديس للبشر ، فأصبح

الأبناء نعمة على الأبوهذا ما يحدثُ في كثير من البلدان الإسلامية في أفريقيا للأسف .
ونعود لوفاة أبي بكر لنجد أنه وقبل موته ندم على ما اقترفت يده ، فقد نقل ابن
قتيبة في تاريخ الخلفاء قوله :أجل والله ما آسى إلا على ثلاث فعلتهن ليتني كنتُ تركتهنَّ
فليتني تركتُ بيت علي ، وفي رواية لم أكشف بيت فاطمة عن شيء ، وإن كانوا قد أعلنوا
على الحرب ، وليتني يوم سقيفة بني ساعدة كنتُ ضربتُ على يد أحد الرجلين أبي عبيدة أو
عمر ، فكان هو الأمير وكنتُ أنا الوزير ، وليتني حين أتيتُ ذي الفجاءة السلمي أسيراً أني
قتلته ذبيحاً أو أطلقته نجيحاً ، ولم أكن أحرقتُه بالنار» (١).

ونحن نضيف : ليتك يا أبا بكر لم تظلم الزهراء ، ولم تؤذها ، ولم تغضبها ، وليتك
ندمتَ قبل موتها وأرضيتها بخصوس بيت علي الذي كشفته وأبجت حرقة .
أما بخصوص الخلافة فليتك تركتَ صاحبك وعضدك أبا عبيدة وعمر ، وضربت
على يد صاحبها الشرعي الذي استخلفه صاحب الرسالة ، فكان هو الأمير ، إذن لكان
العالم اليوم غير ما نشاهده ، ولكان دين الله هو الذي يسود الكرة الأرضية، كما وعد الله
ووعده حق .

وأما بخصوص الفجاءة السلمي الذي أحرقتَه بالنار فليتك لم تحرق السنن النبوية
التي جمعها ، ولكنت تعلمت منها الأحكام التشريعية

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٦١٩ ، تاريخ دمشق ٣٠ : ٤٢٠ ، الإمامة والسياسة ١ : ٣٦ ، تاريخ البعقوبي ٢ :
١٣٧ ، ط دار صادر ، باختلاف في الألفاظ.

الصحيحة ، وما التجأت إلى الاجتهاد بالرأي.

وأخيراً وأنت على فراش الموت ليتك إذا فكّرتَ في الاستخلاف أُرجمت الحقَّ إلى نصابه إلى من كان محلّه منها محلّ القطب من الرّحى غانت أعلم النّاس بفضله وفضائله ، وزهده وعلمه وتقواه وأزّه كان كنفس النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وخصوصاً أنّه سلّم لك الأمر ، ولم يناجزك حفاظاً على الإسفلكم، حرياً بك أن تنصح لأمة محمد صلي الله عليه وآله وسلم ، وتختار لها من يصلح شأنها ويقيم شعثها ، ويوصلها إلى ذروة المجد.

وندعو الله سبحانه وتعالى أن يغفر لك ذنوبك، رضي عنك فاطمة وأباها ،

وزوجها وبنيتها ، فقد أغضبت بضعة المصطفى والله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها، كما

وأن من من آذى فاطمة فقد آذى أباها بنص حديثه صلى الله عليه وآله وسلم ، والله تعالى

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ أَن يَدْعُوا بِهِمْ وَيَقُولُونَ ز (سُؤْلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (١).

ونعوذ بالله من غضب الله ونسأله أن يرضى عنّا وعن جميع المسلمين والمسلمات ،

والمؤمنين والمؤمنات.

عمر بن الخطّاب يعارض كتاب الله باجتهاده

إنّ للخليفة الثاني عمر تاريخاً حافلاً من اجتهاده مقابل النصوص الصريحة من القرآن

الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وأهل السنة يجعلون ذلك من مفاخره ومنافبه التي يمدحونه لأجلها ولنصنفون منهم

يلتمسون لذلك أعذاراً وتأويلات باردة لا يقبلها عقل ولا

(١) التوبة : ٦١.

منطوقه لا كيف يكون من يعارض كتاب الله وسنة نبيه من المجتهدين ، والله يقول: (مَا مَنَعَتْهُ إِذَا قَضَىٰ كِتَابَ اللَّهِ لَهُ فَوَيْسُؤُلُوْهُ لَمْ يُرَأَوْا أَنْ يُكُوْن لَهُمْ الْخَيْرُ رَرَةٌ مِّنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ عَصَىٰ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) (١).

وَمَنْ وَقَلَّمْ بِحُزْنِكُمْ بَيِّنًا: أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ وَفَوَيْسٌ (مَنْ لَمْ يَكُفُّمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (لَمْ يَلَلْ يَلَالَكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (٢).

وأخرج البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة في باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف قلياس ولا تقف ولا تقل ما ليس لك به علم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الله لا ينزع العلم بعأن أعطاهم وه انتزاعاً ولكن ينتزعه منهم مغبضين من العلماء جبعهم هلم، يسهتم فتون في فتون برأيهم في ضلوتون ويضلون (٣).

كما أخرج البخاري في صحيحه من نفس الكتاب في الباب الذي يليه : « ما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يُمْنَزَلْ عليه الوحي فيقول لا أدري ، أو لم يُجِبْ حتى ينزل عليه الوحي ، ولم يقل برأي ولا قياس ، لقوله تعلى ما أراك الله » (٤).
وقد قال العلماء قديماً وحديثاً قولاً واحداً : إنه من قال في كتاب الله

(١) الأحزاب : ٣٦ .

(٢) المائدة : ٤٤ . ٤٥ . ٤٧ .

(٣) صحيح البخاري ٨ : ١٤٨ .

(٤) المصدر السابق .

برأيه فقد كفر ، وهذا بديهي من خلال الآيات المحكمات ، ومن خلال أقوال وأنفال
الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فكيف تُنسى هذه القاعدة إذا ما تعلق الأمر بعمر بن الخطاب أو بأحد الصحابة أو
مدائح المذاهب الأربعة ، فيصبح القول بالرأي أي في معارضة أحكام الله اجتهاداً ، يؤجر
عليه صاحبه أجراً واحداً إن أخطأ ، وأجران إن أصاب؟!!

ولقائل أن يقول: هذا ما اتفقت عليه الأمة الإسلامية قاطبة سنة وشيعة للحديث
النَّبوي الشريف الوارد عندهم.

أقول : هذا صحيح ولكن اختلفوا في موضوع الاجتهاد ، فالشيعة يوجبون الاجتهاد
في ما لم يرد بشأنه حكم من الله أو من رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أما أهل السنة
فلا يتقيّدون بهذا ، واقتداء بالخلفاء والسلف الصالح عندهم لا يرون بأساً في الاجتهاد مقابل
النصوص.

وقد أوالعلاّمة السيّد شرف الدين الموسوي في كتابه «النص والاجتهاد» أكثر من
ماتقورد خالف فيه الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الثلاثة النصوص الصريحة من القرآن
والسنة ، فعلى الباحثين مطالعة ذلك الكتاب.

وما دمتنا في هذا الموضوع بالذات ، فلا بدّ لنا من إيراد بعض النصوص التي خالف
فيها عمر صريح النص ، وذلك إما جهلاً منه بالنصوص ، وهذا أمر عجيب !! لأنّ الجاهل
ليس له أن يحكم فيحلل ويجرم من عند نفسه **وَقَلَّالَ تَعْمَلُوا: (لِمَ مَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ**

الكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَلْفَتَنَ رُؤَا عِيَالَهُ

الكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَيَّ اللَّهُ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١).

وليس للجاهل أن يتقدّم منصب الخلافة لقيادة أمة بأكملها ، قال تعالى **أَفَلَا يَنْ**
يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٢).

وإمّا أنّه لا يجهل النصوص ويعرفها ، ولكنّه يتعمّد الاجتهاد لمصلحة اقتضاها الحال
بحسب رأيه الشخصي ، لا يعد أهل السنّة هذا كفراً ومروقاً ، كما لا بدّ أن يكون جاهلاً
بوجود من يعرف الأحكام الصحيحة من معاصريه ، وهذا باطل لمعرفته بإمام علي
عليه السلام الكتاب والسنّة إماماً تاماً ، وإلاّ لما استفتاه في كثير من المعضلات حتى قال
فيه : « لولا علي لهلك عمر » (٣) ، فلماذا يأتى لم يستفته في المسائل التي اجتهد فيها
برأيه الذي يعرف قصوره؟

وأعتقد بأنّ المسلمين الأحرار يوافقون على هذا؛ لأنّ هذا النوع من الاجتهاد هو
الذي أفسد أمة ، وأفسد الأحكام وعطلها ، وتسبّب في اختلاف علماء الأئمّة ،
وتفريقها إلى المذاهب المتعدّدة ، ومن ثمّ النزاع والخصام ، فالفشل وذهاب الرّيح
والتخلّف المادي والروحي.

ولنا أن نتصوّر حتى بوجود أبي بكوعمر على منصّة الخلافة وإزاحة

(١) النحل : ١١٦ .

(٢) يونس : ٣٥ .

(٣) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة : ١٥٢ ، فيض القدير للمناوي ٤ : ٤٧٠ ، المناقب للخوارزمي : ٨١ ،

ذخائر العقبى : ٨٢ ، نظم درر السمطين : ١٣٠ ، ينابيع المودة ١ : ٢١٦ .

صاحبها الشنقيطي، ر لو أن أبا بكر وعمر جمعَا السنن النبويَّة ، وحفظها في كتاب خاصَّاً ، يملوفاً على أنفسهما وعلى الأمة الخير العميم ، ولما دخلت في السنَّة النبويَّة ما ليس منه للكان الإسلام بكتابه وسنَّته واحداً ، ملَّة واحدة ، وأمَّة واحدة ، وعقيدة واحدة ، ولكان لناليوم كلامٌ غير هذا .

أمَّا وأنَّ السنَّ ن قد جمعتُ وأُحرقتُ ، ومنعت من التدوين ومن النقل حتى شفويّاً ، ههذه هي الطَّامة الكبرى ، وهذه هي البائقة العظمي ، فلا حول ولا قوَى إلاَّ بالله العلي العظيم .

واليك بعض النصوص الصريحة التي اجتهد فيها عمر بن الخطاب في مقابل القرآن :

وَإِنْ كُنْتُمْ (جاء) يُقُولُ اللَّهُ أَنْ (و) إِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا (١) .

والمعروف في السنن النبويَّة بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصَّحابة كيفية التيمم ، وبحضور عمر نفسه .

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التيمم ، في باب الصَّعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه عن الماء . قال : عن عمران ، قال كُنَّا في سفر مع النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حِينِ اسْلَيْفْنَا فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَقَعْنَا وَقْعَةً وَلَا وَقْعَةَ أَحَدٌ لَى عِنْدَ الْمَسَافِرِ مِنْهَا ، فَمَا أَيْعُظُنَّا إِلَّا شَمْسٌ ، وَكَانَ أَوْ لٍ مِنْ اسْتَيْقِظَ فَلَانَ ثُمَّ فَلَانَ يَسْمُ بِهِمْ أَبُو رَجَاءٍ فَنَسِي عَوْفٌ ثُمَّ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ الرَّابِعُ .

وكان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَامَ يُحْفَظُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ يَسْتَيْقِظُ لِأَنَّ لَا

ندري

(١) المائة : ٦ .

ما يجدُّ ثُلَّه في نومٍ بهِ ، فلمَّا استيقظَ عُمرٌ ورأى ما أصابَ النَّاسَ وكان رجلاً جليداً ، فكبرٌ
ورفع صوتَه بالتكبيرِ لِإِذْ يُكَبِّرُ ويرفَعُ صوتَه بالتكبيرِ حتى استيقظَ بصوته النبيُّ
صلى الله عليه وآله وسلم . استيقظَ شكوا إليه الذي أصابهم ، قال: يا ربِّ ولا
يُضَيِّرُ ارتحَلوا.

فارتحل فسار غير بعيد ، ثمَّ نزلَ فدعا بالوضوءِ فتوضأ ونودي بالصلوة فصَلَّى بالنَّاسِ ،
فلمَّا انفَتَلَ من صلاته إذا هو برجلٍ لم يعتزل لم يصل مع القوم ، قال : مانعك يا فلانُ أنْ
تُصَلِّيَ مع القوم؟ قال : أصابني جنابةٌ ولا ماء! قالليلك بالصلوة عيد فإنه يكفيك ...^(١)
ولكنَّ عمر يقول معارضة لكتاب الله وسنة رسوله لم يجد الماء لا يصل .. وهذا
مذهبه سجَّله عليه أغلب المحدثين. فقد أخرج مسلم في صحيحه ج ١ من كتاب الطهارة
باب التيمم أنَّهم زجلاً أتى عُمرَ فقال ليني: أجنبت فلم أجد ماءً ، فقالتُ صلِّ^(٢) ،
مقتلِكِ كَعَمِّ يارأمةً المؤمنين إذ أنا وأنتَ في سريَّة ، فأجبتُ ما فلم نجد ماءً ، فأما
أنت فلم تُصَلِّ وأما أنا فتمعَّكتُ في التراب وصلَّيتُ ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم
إنَّما كان يكفيك أنْ تضربَ بيديك الأرضَ ، ثمَّ تنفُخَ ثمَّ تمسحَ بهما وجهك وكفَّيك ، فقال
عمر :

(١) صحيح البخاري ١ : ٨ كتاب التيمم ، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء.

(٢) وفي جامع الأصول ٧ : ٢٩٣ ذيل حديث ٥٢٩٠ عن أبي داود أنَّ عمر قال : «أنا فلم أكن أصلي
حتى أجد الماء»! ولا ندري كم من الصلاة فاتته في حياته لجهله بالأحكام.

اتَّقِ اللَّهَ يَا عَمْرُؤَ إِنَّكَ قَالِمٌ لَمْ أَحَدٌ ثَبَّ بِهِ (١).

(١) وزاد في بعض الروايات إضافة قول عمر : « بل نوليك ما توليت به كأنَّ عمر جعل عمارةً مصداقاً لقوله مِنْ بَعْدِهِ وَمَعْتَلِينَ (شَلَقَ قَائِلُ الرَّكْمِ بَوْلَهُ تَتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تَوَّابًا وَبَدَنُهُ لَمْ يَجْعَلْهُمُ وَوَسَاءَتُ مَصِيرًا) .

وقد حاول عثمان الخميس في كتابه كشف الجاني : ص ١٣٦ إظهار المؤلف بلباس المدلس ، كما هي عادته دائماً مع أنَّه مجهل فن الحديث والروايات الرواية قد انتهت إلى ما نقله المؤلف ، ثمَّ قال مسلم : قال الحكم وحدثنه ابن عبد الرحمن .. فقال عمر : نوليك ما توليت . وهذه زيادة في الرواية أضافها الراوي . وهذه الزيادة لا تصلح لأنَّ الروايات التي وردت في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم نفسه تصرَّح على لسان عبد الله بن محمد أنَّ عمر بن الخطاب لم يقتنع بكلام عمَّار بن ياسر ، ولم يرتضه ، فكيف بعد ذلك يوافق عمَّار على التحدُّث به وهو لم يقبله ، وعلوم من عمر أنَّه منع الحديث الذي لا يعرفه ، فما بالك بالحديث الذي رفضه ! ، وأيضاً طلب مربي أموسى أن يشهد معه شاهداً عندما حدَّثه حديثاً عن رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** الاستئذان ، فلمَّا أنكره عمر طالب أبا موسى بشاهد يشهد معه على أنَّه سمع الحديث من رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** حتى إنَّ أبا موسى ذهب يبحث عمَّن يشهد معه ، وإلاَّ ضرب به عمر ، ولمَّا شهد معه بعض الصحابة عند ذلك تخلَّص من وطأة عمر ، (البخاري ٤ : ٤٣٠ ، ح ٧٣٥٣) .

وأمر تثبت عمر في الرواية معروف لديكم ومتسالم ، فكيف يقبل عمر أن يحدِّث عمارةً مع عدم قناعته بالحديث؟! بل إنَّ ملقو سيرة عمر وعمله من الروايات أنَّ عمر لم يقبل بقول عمَّار ، وعدم قبوله يعني منعه من التحدُّث .

أضف إلى هذا أنَّ هذه الزيادة وإن كانت من ثقة ، إلاَّ أنَّها تخالف الروايات الكثيرة التي رواها الثقات من أنَّ عمر لم يقتنع بقول عمَّار ، ومعلوم أنَّ عدم قناعة عمر تساوي رفضه للتحدُّث كما هو واضح . وأنصح عثلف الخميس أن يطالع كتب علم الحديث البدائية كي يطلَّع على هذا الفنِّ ، حتى يصلح أخطاءه الفظيعة في كتابه كشف الجاني وغيره .

وأما ما ذكره بقوله : «وهنا يجدر بنا أن نذكر الشيعة العقلاء بموقف فاطمة عندما ذكرها أبو بكر حديث رسول الله فعارضته وذلك في قصة فدك ، فهل يتهمون فاطمة بمثل ما يتهمون به عمر؟!» وهذا من عجائب الأمور وذلك :

أولاً : إن حديث «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ...» رواه أبو بكر فقط دون غيره ، بخلاف التميمي من الخليفة ، فقد رواه الكثير من الصحابة ، ومعنى ذلك أم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حين هذا الأمر المهم لأهل بيته فضلاً عن عامة المسلمين وخصاً به أبو بكر ، وهذا لا يمكن قبوله في حق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم!

وثانياً : إن حديث أبي بكر يخالف القرآن الكريم ، وما خالف القرآن الكريم لا يؤخذ به كما هو واضح لدى علماء السنن بخديث عمر فإنه يوافق القرآن ، خصوصاً وأن عملاً ذكر به عمر بعد أن تم جمع **وَالْقُرْآنُ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى فَأَمَّا (يَهْرُؤُا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَقًا صَلُّوا أَوْ جَاءَ لِي حَسَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لَمْ تَسْتُمْ النَّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ...)** المائدة : ٦ .

فكيف تقيس مسألة عمر مع مسألة فاطمة سلام الله عليها ، مع أن الفارق يعرفه أقل طالب علم!! لكن لا يبعد ذلك عن غير الخطأ ، فإنه يجهل الكثير من أحكام القرآن والسنة النبوية المطهرة ... كما هو معلوم لديك .

وثالثاً : إن فاطمة سلام الله عليها سيده نساء العالمين ، وأنها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها ، فهل تطالب من هذه صفتها حقاً ليس لها؟!

وهل تغضب على أبي بكر . كما أخرج ذلك البخاري ومسلم . وتموت غاضبة عليهما لأجل حق منعه الله عنها . على فرض صدق أبي بكر . مع أن الله يغضب لغضبها؟! فما ذلك إلا تناقض في الحكمة الإلهية . والعياذ بالله . ومن ذلك يتضح أنها طلبت حقاً ، وغضت صدقاً ، وأن اللذين منعها إرثها ، وهدداها بإحراق بيتها

سبحانم اللّٰه كُتِفَ عُمَرُ بِمَعَارِضَتِهِ لِلنَّصُوصِ الصَّرِيحَةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، حَتَّى يَحَاوِلَ مَنَعَ الصَّحَابَةَ مِنْ مَعَارِضَتِهِ فِي رَأْيِهِ ، وَيَضْطَرُّ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ أَنْ يَعْتَذِرَ لِلْخَلِيفَةِ بِقَوْلِهِ :
«إِنَّ شَعْتَ لَمْ أُحْدِثْ بِهِ» .

وكيف لا أعجب ولا تعجبون من هذا الاجتهاد ، وهذه المعارضة وهذا الإصرار على الرأي رغم شهادة الصحابة بالنصوص ، فإنَّ عمر لم يقتنع إلى أن مات وهو مصرٌّ على هذا الاعتقاد ، وقد أثر مذهبه هذا في كثير من الصحابة الذين كانوا يرون رأيه ، بل ربما كانوا يقدّمونه على رأي رسول الله .

فقد أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة ، باب التيمّم من جزئه الأول صفحة ١٩٢ قال : عن شقيق كنتُ جالساً مع عبد الله وأبي موسى فقال أبو موسى : يا أبا عبد الرحمن أرايت لو أنّ رجلاً أجانب فلم يجد الماء شهراً كيف يصنع بالصلاة ؟ فقال عبد الله : لا يتيمّم وإن لم يجد الماء شهراً !

ما هما إلاّ من الذين غضب الله عليهم .

رابعاً : إنّ لحظمة سلام الله عليها ، قد أشهدت زوجها وابناها وأمّ أيمن على أنّ فدك هبة ، فرفض أبو بكر وردّ شهادتهم ، وهنا لا يمكن الاستدلال بحديث (ما تركناه صدقة) ، لأنّها طالبت بمبتها لا بتركة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ طالبت بتركة رسول الله ، فقرأ عليها هذا الحديث ، ثمّ بعد ذلك أعطى عمر صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة إلى العباس وعلي !! وأعطى أرض فدك إلى عائشة باعتبار أنّها لها !! وهذا كلفقدّم ، وتبقى المسألة مضطربة وشائكة ، وتبقى هذه المسألة وهي : هل إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو أم لا ؟ وإذا كان نعم فلماذا لم تورث فاطمة ؟ وإذا كان لا فلماذا أعطيت صدقات المدينة إلى العباس وعلي ، وأعطيت عائشة بعض أرض فدك ؟ .. وغير ذلك من مناقضات الكثيرة التي يعجز عثمان الخميس وغيره من إيجاد حلال لها ، دفاعاً عن سيديهما أبي بكر وعمر !

فقال أبو موسى فكيف بهذه الآية في سفر **الْمَاءِ** (وَأَمَّا مَاءٌ فَتَيَمَّمُوا) **صَاعِدًا طَيِّبًا** فقال عبد الله بن مسعود لهم في هذا الآية: لأورد عليهم الماء أن يتيمموا بالصَّعِيدِ.

فقال أبو موسى لعبد الله ألم تسمع قول عمَّار: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حاجة، فأجبت فلم أجد الماء، فتمرَّغت في الصَّعِيدِ كما تمرَّغ الدابة، ثم أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له، فقال: إنما يكفيك أن تقولَ بيدك هكذا ثمَّ ضرب بيديه الأرضَ ضربةً واحدةً، ثمَّ مسحَ الشمالَ على اليمينِ وظاهرَ كفيه ووجهه. فقال لعبد الله: عمَّار لم يقنع بقول عمَّار^(١).

ونحن إذا تأملنا في هذه الرواية التي أثبتتها البخاري ومسلم وغيرهم من الصحاح، نفهم من خلالها مدى تأثير مذهب عمر بن الخطَّاب على الكثير من كبار الصَّحابة، ومن هذا نفهمُ أيضاً مدى تناقض الأحكام، وتهاافت الروايات وتضاربها، ولعلَّ ذلك هو الذي يُفسِّرُ استخفاف الحكماء الأمويين والعبَّاسيين بالأحكام الإسلامية ولا يُقيمون لها وزناً، ويسمحون بتعدد المذاهب المتعارضة في الحكم الواحد، ولسان حالهم يقول لأبي حنيفة ومالك وأحمد والشافعي قولوا ما شئتم بأرائكم، فإذا كان سيِّدكم وإمامكم عمر يقول برأيه ما شاء^(٢) مقابل القرآن والسنة، فلا لوم عليكم، فما أنتم إلا

(١) كما أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التيمم، باب التيمم ضرباً، والمؤلف لفق بين ما ورد في المصدرين.

(٢) كما جاء ذلك في صحيح البخاري ٥ : ١٥٨ من كتاب تفسير القرآن، باب قوله: وأنفقوا في سبيل الله، عن عمران بن حصين قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله

تابعون وأتباع التابعين ولستم مبتدعين.

والأعجب من كل ذلك قول عبد الله بن مسعود لأبي موسى لا يتيمّم وإن لم يجد الماء شهيداً لله بن مسعود من أكابر الصحابة يرى أن المجنب إذا لم يجد الماء يترك الصحلة شهراً كاملاً ولا يتيمّم ، ويبدو أن أبا موسى حاول إقناعه بالآية الكريمة النازلة بخصوص هذا الموضوع في سورة المائدة ، فأجابه بأذنه لو رخص لهم في هذه الآية لأوشك إذا برد عليهم الماء أن يتيمّموا بالصحّة عيداً!!

ومن هذا نفهم أيضاً كيف يجتهدون في النصوص القرآنية على حسب ما يرونه ، وما يرونه مع الأسف هو اللثّة والتعسير على الأمة ، في حين يقول الله (بِكُمْ أَلَيْسَ رَ وَالَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ) (١).

يقول هلفوا الحسكين : لهم في هذه الآية لأوشك إذا برد الماء أن يتيمّموا ، فهل وضع نفسه مبلغاً عن الله ورسوله؟ وهل هو أحرص وأرف على العباد من خالقهم ومرّبّهم؟

وبعد ذلك يحاول أبو موسى أن يقنعه بالسنة النبوية التي رواها عمّار ، وكيف علمه رتل عليه اللهم ، فيردّ عبد الله هذه السنة النبوية المشهورة بأن عمر بن الخطاب لم يقنع بقول عمّار!

ومن هنا نفهم أن قول عمر بن الخطاب هو الجّارة المقنعة لدى بعض

ففعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم ينزل قرآن يجرمه ، ولم ينه عنها حتى مات ، قال رجل برأيه ما شاء قال محمد : يقال : إنّه عمر .

(١) البقرة : ١٨٥ .

الصحابة ، وأن قناعة عمر بالحديث أو الآية هي المقياس الوحيد لصدق الحديث أو لمفهوم الآية ، وإن تعارض مع أقوال وأفعال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .
ولذلك نجد أن كثيراً من أفعال الناس اليوم تتناقض مع القرآن والسنة سواء في الخلية للأطهر ملتجئهااد عمر في مقابل النصوص أصبح مذهباً ممتبعا ، ولمّا رأى بعض المتزلفين لهم دراية بمبدأ الأحاديث التي منعت في عهد الخلفاء ، قد دؤنت فيما بعد وسجّل لها الرواة والحفاظ ، وهي تتعارض مع مذهب عمر بن الخطّاب ، اختلقوا روايات أخرى من عندهم ونسبوهما إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .
كمسألة زواج المتعة ، وصلاة التراويح وغيرها .

فجاءت الروايات متناقضة ، وبقيت حتى اليوم محلّ خلاف بين المسلمين ، وستبقى هلم هناك من يدافع عن عمر لأزّنه عمر ، ولا يريد البحث من أجل الحق ، وأن يقول لعمر أخطأت يا عمر فإن الصلاة لا تسقط بفقدان الماء ، وأن هناك آية مذكورة في كتاب الله ، وهناك حديث التيمّم المذكور في كلّ كتب السنة ، فجهلك بما لا يسمح لك باعتلاء منصة الخلافة ولا قيادة أمّة ، وعلمك بما يكفرك إذا عارضت أحكامهما ، فما كان لك إن كنت مؤمناً إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لك الخيرة ، فتحكم بما تشاء وتردّ ما تشاء ، وأنت أعلم مني بأن من يعصي الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً .

إِنَّ مَا الصَّدَقَاتُ (قَبَلَتْ) فَالَّذِي تَعَالَى (وَالْمَسَاكِينَ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهِمْ مَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ اللَّوْفِيَّ ابْنِ بَيْلِ فَرِيضَةَ مِنَ اللَّهِ

وَاللَّهُ عَزِيمٌ حَكِيمٌ (١)

وكان من السنّة النبويّة المعروفة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خصّ المؤلّفه قلوبهم بسهمهم الذي فرضه الله لهم ، كما أمره الله تعالى ، ولكنّ عمر بن الخطّاب أبطل هذا العطاء المفروض في خلافته ، واجتهد مقابل النصّ وقال لهم : « لا حاجة لنا بكم ، فقد أعزّ الله الإسلام وأغنى عنكم ».

بل دلّ على هذا الحكم في خلافة أبي بكر ، إذ جاءه المؤلّفه قلوبهم جرياً على عادتهم مع رسول الله ، فكتب لهم أبو بكر بذلك ، فذهبوا إلى عمر ليأخذوا نصيبهم ، فمزّق عمر الكتاب وقال لهم لا حاجة لنا بكم فقد أعزّ الله الإسلام وأغنى عنكم ، فإن أسلمتم وإلاّ فالسيف بيننا وبينكم ، فرجعوا إلى أبي بكر فقالوا أنت الخليفة أم هو؟ فقال : بل هو إن شاء الله ، وتراجع أبو بكر فيما كتب موافقاً لرأي صاحبه عمر (٢).
والعجيب أيضاً أنّك تجد حتى اليوم من يدافع عن عمر في هذه القضية ، ويعتبرها من مناقبه وعبقريّته ، ومن هؤلاء الشيخ محمد المعروف بالدواليبي ، إذ يقول في كتابه أصول الفقه في :
«لعلّ اجتهاد عمر (رضي الله عنه) في قطع العطاء الذي جعله القرآن الكريم للمؤلّفه قلوبهم ، كان في مقدّمة الأحكام التي قال بها عمر تبعاً لتغيّر المصلحة بتغيّر الأزمان ، رغم أنّ النصّ القرآني في ذلك لا يزال ثابتاً غير منسوخ ».

ثمّ أخذ بعد ذلك يعتذر لعمر بأنّه نظر إلى علّة النصّ لا إلى ظاهره .. إلى

(١) التوبة : ٦٠ .

(٢) بدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ٢ : ٤٥ النصّ والاجتهاد : ٤٣ .

آخر كلامه الذي لا تفهمه العقول السليمة ، ونحن نقبل شهادته بأن عمر غير الأحكام
القرآنية تبعاً لرأيه بأن المصلحة تتغير بحسب الأزمان ونرفض تأويله بأن عمر نظر إلى عدّة
النص ولم ينظر إلى ظاهره ، ونقول له ولغيره: النصوص القرآنية والنصوص النبوية لا
تتغير بتغير الأزمان ، فالقرآن صريح بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه ليس من
حقه أن يبدل ، قال تعالى :

وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ قَالُوا لَئِن لَّبِئْنَا بِلَا يُغَيَّرُهَا بِمَا جَاءُنَا مِنْ رَبِّهِمْ إِنْ لَبِئْنَا بِمَا نَزَّلْنَا مِنْ رَبِّهِمْ لَغَيُّونَ
لِي أَنْ أَبْلُغَهُ اللَّهُ قَوْلِينَ مَلَقْنَا عُرُوفَهُمْ لِيَإِذَا نَزَّلْنَاهُ مِنْ رَبِّهِمْ لَنُحِيطَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ
رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ (١).

والسنة النبوية الطاهرة تقول : « حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام إلى
يوم القيامة » (٢).

ولكن على زعم الدواليبي ، ومن يرى رأيه من أنصار الاجتهاد فإن الأحكام تتغير
بتغير الزمان ، ولا لوم إذن على بعض الحكماء الذين غيروا أحكام الله بأحكام الشعب ،
وبأحكام وضعيّة اقتضتها مصالحهم وهي مخالفة لأحكام الله ، فمنهم من قال أفطروا لتقوا
على عدوكم ، ولا حاجة بالصوم في الوقت الحاضر الذي نجاهد فيه التخلف والفقير والجهل
، والصوم يُقعدنا عن الانتاج!!

ومنع تعدد الزوجات لأنه يرى في ذلك ظلماً وتعدياً على حقوق المرأة ، وقال : بأن
في زمن محمّد كانت المرأة تعتبر « شقفة بول لهم ما الآن فقد

(١) يونس : ١٥ .

(٢) الكافي ١ : ٥٨ ح ١٩ .

حرّ رناها وأعطيناها حقوقها كاملة!!

ونظر هذا الرئيس إلى النصّ من حيث العلة ، ولم ينظر إلى ظاهره كما نظر عمر ، فقال :إنّ الميراث يجب أن يقسم الآن للذكر ولأنثى على حدّ سواء؛لأنّ الله أعطى للرجل سهيقنارياأنّه هو الذي يُعول الأسرة في حين كانت المرأة معطّلة ، أمّا اليوم وبفضل جهوده فُعلبت المرأة تشتغل وتُعول أسرتها ، وضربَ للشعب مثلاً بزوجته التي أنفقت على أخيها وأصبح وزيراً بفضلها وعنايتها.

ما وأنّه كلباح الزنا واعتبره حقّاً شخصياً لمن بلغ سنّ الرشد ما لم يكن غصباً أو حرفةً للعيش ، وفتح دوراً لحضانة الأطفال الذين يولدون من الزنا ، معلّلاً ذلك بأنّه رحيمٌ بأولاد الزنا الذين كانوا يدفنون أحياء خوف العار والفضيحة ، إلى غير ذلك من اجتهاداته المعروفة. والغريب أنّ هذا الرئيس كان لحد ما معجباً بشخصية عمر ، فقد ذكره مرّة بإعجاب ، وذكره مرّة بأنّه لم يتحمّل المسؤولية حيناً وميماً بينما هو (الرئيس) لمها حيناً وميماً ، ومرّة أخرى وكأنّه بلغه بأنّ المسلمين انتقدوا اجتهاداته فقال إنّ عمر بن الخطّاب كان من أولئك وأكبر المجتهدين في عصره ، فلماذا لا أجتهد أنا في عصريّ الجديد ، فقد كان عمر رئيس دولة وأنا أيضاً رئيس دولة!

والأغرب أنّ هذا الرئيس كان عندما يذكر محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترى في كلامه سخريّة واستهزاء ، فقد قال في خطابه بأنّ محمّداً كان لا يعرف حتىّ الجغرافيا ، فقد قال : « أطلبوا العلم ولو كان في الصين فلهذاً منه بأنّ

الصين خهي الدنيا ، فما كان محمد يتصور بأن العلم سيصل إلى هذه الدرجة ، وأن
أطناناً من الحديد ستطير في الهواء ، فما بالك لو قيل له أو حدثوه عن الأورانيوم ،
والبوتاسيوم ، والعلوم الذرية ، والأسلحة النووية !!

هذا ولا ألوّم شخصياً هذا المسكين الذي ما فهم من كتاب الله وسنة رسوله شيئاً ،
ووجد نفسه يوماً يحكم دولة باسم الإسلام ، وهو يسخر من الإسلام ، ويجري وراء الحضارة
الغربية ، ويريد أن يصنع من بلاده دولة أوروبية متطورة بالمفهوم الذي يراه هو .

وقد حللحنوه كثير من الرؤساء والملوك لما حصل عليه من تأييد الدول الغربية
واللائكي ومدحهم وإطرائهم له ، حتى لقبوه بالمجاهد الأكبر ، ثم لا ألوّمه فالشيء من
مآته لا يستغرب ، وكل إناء بالذي فيه ينضح .

وإذا كنت من نصفاً فسألني باللوم على أبي بكر وعمر وعثمان ، الذين فتحوا هذا
الباب من يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بوا في كل الاجتهادات التي دأب
عليها الحكماء لمؤيون والعباسيون وما أكثرهم ، سبع قرون خلت وكلها طمس لحقائق
الإسلام بنصوصه وأحكامه والافتح في القرون التي أعقبتها ، حتى وصل الأمر بأن
يخطب الرئيس أمام شعبه المسلم مستهزئاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا ينكر
عليه أحد لا في الداخل ولا في الخارج !!!

وهذا ما قلته وما أقوله لبعض الإخوة من الحركة الإسلامية : إن كنتم تنكرون اليوم
على الرئيس عدم اتباع النصوص القرآنية والسنة النبوية ، فواجب عليكم أن تنكروا على من
سن هذه البدعة في الاجتهاد مقابل

النصوص ، إن كنتم منصفين وتريدون فعلاً أتباع الحق .
فلا يقبلون هذا الكلام ، ويعيبون على كيف أقارن الرؤساء اليوم بالخلفاء
الراشدين؟

وأجيبهم بأن الرؤساء اليوم وملوك اليوم هم النتيجة الحتمية لما وقع في التاريخ ، وماتى
كان المسلمون يوماً أحزاباً منذ وفاة الرسول وحتى اليوم؟
فيقولون : أتم الشيعة تفترون وتشتمون الصحابة ، ولو وصلنا يوماً إلى الحكم
فسنحرقكم بالنار!

فأقول : لا أراكم الله ذلك اليوم.

الطَّلَاقُ (مَرَّتًا) نَقَالَ فِي اللَّهِ تَعَالَى كَيْفَ (بِمَعْرِفَةِ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ
مِمَّا آتَيْتُمُوهَا مِنْكُمْ تَلَا جُلْدًا فَإِنْ أَلَا يُقِيمُ مَا حُدَّ اللَّهُ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَا يُقِيمُ حِمْلًا وَدَّ
اللَّهُ فَلَا جُنْدٍ تَعَلَّكُوهَا مَدْفُودٍ مَلَلَهُ أَفْتَةً فَلَمَّا عَتِدُوا مِنْهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ
فَيُلْدُوْا طَلَّقَهَا مَا هَلُمَّ إِلَيْهَا اللَّهُ مُؤْنٌ * بَعْدَ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا مَا فَلَا
عَمَّا إِذْ ظَنَّ أَنْ يَفْتِيَهُمَا إِذْ وَدَّتْ لِلَّهِ آجُورٌ تَمْلِكُ حُدُودَ اللَّهِ يَبِيئُ مِنْهَا لِقَوْمٍ يُلْحَمُونَ)
(١)

نذرة النجاسة الشريفة فسرت بغير لبس بأن المرأة لا تحرم على زوجها إلا بعد ثلاثة
تطبيقات ، ولا يحق جلدوا أن يراجعها إلا بعد أن تنكح زوجاً آخر ، فإذا طلقها هذا
الأخير عند ذلك يمكن لزوجها أن يتقدم لخطبتها من جديد كبقية الرجال ، وعليها أن تقبل
أو ترفض فالخيرة لها.

ولكن عمر بن الخطاب وكعادته تخاطب حدود الله التي بيئها لقوم يعلمون ،

(١) البقرة : ٢٣٠ .

فأبدل هذا الحكم بحكمه الذي يقول طلقه^١ واحدة فعلية بلفظ الثلاثة ، تحرم على الزوج زوجه ، وخالف بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية .

فقد جاء في صحيح مسلم في كتاب الطلاق باب طلاق الثلاث عن ابن عباس قال : كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وستين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ، فأمضاه عليهم^(١) .

عجباً ! والله كيف يجرو الخليفة على تغيير أحكام الله بمحضر من الصحابة ، فيوافقون على كل ما يقول وما يفعل ولا من منكر ولا من معارض ، ويموّهون علينا نحن المساكين بأن أحد الصحابة قال لعمولاه لو رأينا فيك اعوجاجاً لقو مناك بحدّ السيِّف !!
فهذا زورهم والله تان ، ليتشدّ قوا بأن الخلفاء كانوا المثل الأعلى في الحرمة والطيقة ، والتاريخ يكدّبهم بواقعه العملي ، ولا عبرة بالأقوال إذا كانت الأعمال على نقيضها .

أو لعلهم كانوا يرون الاعوجاج في الكتاب والسنة ، وأن عمر بن الخطاب هو الذي قوّمها وأصلحها ، نعوذ بالله من الهديان ، وكنت في مدينة قفصة كثيراً ما أفتي للرجال الذين حرّموا نساءهم بكلمة ثلاث حرام^٢ بالثلاث^٣ ويفرحون عندما أعرّفهم بأحكام الله الصحيحة التي لم يتصرّف فيها الخلفاء

(١) صحيح مسلم ٤ : ١٨٣ ، مسند أحمد ١ : ٣١٤ ، المستدرک للحاكم ٢ : ١٩٦ .

باجتهاداتهم ، ولكن من يدعون العلم يخوفونهم بأن الشيعة عندهم كل شيء حلال .
وأذكر بأن أحدهم جادلني مرة بالحُسن وسألني إذا كان سيدنا عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه)
لحکم الله في هذه القضية وفي غيرها ، ووافق الصَّحابة على ذلك ، فلماذا لم
يعارض سيدنا علي كرم الله وجهه و رضي الله عنه ، ولم ينكر على سيدنا عمر؟ وأجبتة بجواب الإمام
علي عليه السلام عندما قالت قريشاً: إنه رجلٌ شجاعٌ ، ولكن لا علم له بالحرب ، فقال
:

«أبوهل! أحدٌ منهم أشدُّ لها مراساً ، وأقدم فيها مقاماً مني لَّقد نهضتُ فيها
وما بلغتُ العشرين ، وها أنذا قد ذرفت على السَّكِّين لا ولاءَ أيَّ لمن لا يُطاع» (١) .
نعم ، وهل استمع المسلمون لرأي علي غير شيعته الذين آمنوا بإمامته ، فقد عارض
تحريم المتعطلرض بدعة التراويح ، وعارض كلَّ الأحكام التي غيرَّها أبو بكر وعمر
وعثمان ، ولكن بقيت آراؤه محصورة في أتباعه وشيعته ، أمّا غيرهم من المسلمين فقد حاربوه
ولعنوه ، وحاولوا جهدهم القضاء عليه ومحو ذكره .
ولا أدلَّ على معارضته من موقفه العظيم البطولي عندما دعاه عبد الرحمن بن عوف
لذي رشَّ حوه لاختيار الخليفة بعد موت عمر فاشتراط عليه . بعد أن اختاره ليكون هو
الخليفة . أن يحكم فيها بسنة الخليفين أبو

(١) نصح البلاغة ١ : ٧٠ ، الخطبة ٢٧ .

بكر وعمر ، فرفض علي عليه السلام هذا الشرط وقال :أحكم بكتاب الله وسنة رسوله .
وعلى أنها تركوه ، واختاروا عثمان بن عفان الذي قبل شرط الحكم بسنة الخليفتين ، فإذا
كان علي عليه السلام لا يقدر على معارضة بئري بكر وعمر وهما ميّتان ، فكيف يعارضهما
وهما على قيد الحياة!؟

ولذلك ترى يلوم بأنّ باب مدينة العلم الذي كان أعلم النّاس بعد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وأقضاهم وأحفظهم لكتاب الله وسنة رسوله متروكاً عند أهل
السنة والجماعة ، فيقتدون بمالك وأبي تحويلشّ فاعبي وابن حنبل ، ويقلدونهم في كلّ أمور
الدّين من العبادات والمعاملات ، ولا يرجعون في شيء للإمام علي .

وكذلك فعل أئمّتهم في الحديث كالبخاري ومسلم ، فتراهم يروون عن أبي هريرة ،
وعن ابن عمر ، وعن الأقرع والأعرج ، وعن كلّ قريب وبعيد مئات الأحاديث ، ولا يروون
عن علي إلاّ بضعة أحاديث مكذوبة عليه ، وفيها مسؤة بكرامة أهل البيت .

ثمّ هم لا يكتفون بذلك ، فيستنكرون ويكفّرون من قلّده واقتدى به من شيعته
المخلصين ، وينبذونهم بالرّافض وبكلّ ما يشين .

والحقيقة: هؤلاء ليس لهم ذنب إلاّ أنّهم اقتدوا بعلي الذي كان منبوذاً ومبعداً في
عهد الخلفاء الثلاثة ، ثمّ هو ملعون ومحارب في عهد الأمويين والعبّاسيين ، وكلّ من له إمام
ومعرفة يبلّغ، سيُدرك هذه الحقيقة واضحة جليّة ، وسيفهم الخلفيات والمؤامرات التي
حيكت ضدّه ، وضدّ أهل بيته وشيعته .

عثمان بن عفان يتبع سنة صاحبيه في مخالفة النصوص

لعلَّ عثمان بن عفان عندما عاهد عبد الرحمن بن عوف غداة بيعته بالخلافة أن يحكم فيهم بسنة الخليفين أبي بكر وعمر كان يرمي بأذنه سيجتهدُ كما اجتهدا ، ويغيرُ النصوص القرآنية والنصوص النبوية كما كانا يفعلان .

ومن تتبع سيرته أيام لختلا يجده قد ذهب أشواطاً بعيدة في الاجتهاد ، حتى أنسى الناس اجتهادات صاحبيه أبي بكر وعمر!!

وأنا لا أريد الإطالة في هذا الموضوع الذي ملأ كتب التاريخ قديماً وحديثاً ، وما أحدثه عثمان من أمور غريبة سهبت الثورة عليه وأودت بحياته ، ولكني سأقتصر على بعض الأمثلة الوجيزة كليلعبارةٍ للقارئ ولكلِّ باحث ما أحدث أنصار الاجتهاد في دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم :

(أ) أخرج مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين عن عائشة قالت : فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ، ثم أتمها في الحضر ، فأقرت صلاة السافر على الفريضة الأولى .
كما أخرج مسلم في صحيحه في نفس الكتاب المذكور أعلاه ، عن يعلى ابن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ، فقد أمن الناس! ففعلتُ ممّا عجبك منه ، فسألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك ، فقال : «صدقة تصدق الله بها عليكم ، فاقبلوا صدقته» .

كما أخرج مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها عن

ابن عباس ، قال يفرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم في الحضر أربعاً ، وفي السَّفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة.

كما أخرج مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين .
وعنه أيضاً قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة إلى مكة ، فصلَّى ركعتين ركعتين حتى رجعت قلْتُ : كم أقام بمكة؟ قال بعشراً^(١).

ومن خلال هذه الأحاديث التي أخرجها مسلم في صحيحه ، يتبين لنا بأن الآية الكريمة التي نزلت بخصوص تقصُّل الصلاة في السَّفر ، فهم منها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رها قولاً وعملاً بأنها رخصة تصدق الله بها على المسلمين ويجب قبولها.

وبهذا تبطل دعوى الدواليبي ومن كان على شاكلته في التماس العذر لعمر وتصحيح أخطائه ، بأنَّه نظر إلى علّة الحكم ولم ينظر إلى ظاهره؛ لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبَّه نزل آية قصر الصلاة عندما تعجَّب عمر ، بأنَّ الثابتة لا تتوقف على علّتها ، وبذلك تقصر الصلاة في السَّفر ، ولو أمِنَ الناسُ ولم يخافوا أن يفتنهم الذين كفروا ، ولكن عمر له رأي آخر غير الذي يرتفيه الدواليبي وعلماء أهل السنة بحسن ظنهم .

ولننظر إلى عثمان بن عفان ، فلا بدَّ له هو الآخر أن يجتهد في لصوص القرآنية يَّة حتى واليلحق بركب الخلفاء الرّاشدين ، فما أن استتبَّ له الأمر حتى أتمَّ الصلاة في السَّفر ، وأبدلها بأربع ركعات عوض ركعتين!!

(١) صحيح مسلم ٢ : ١٤٢ - ١٤٥ كتاب صلاة المسافرين .

وكم بقيتُ أتساءل عن السَّبب في تغيير هذه الفِضِيَّة والزَّيادة فيها ، وما هي الدوافع لذلك ، ولم أَرَ إلاَّ أَنَّهُ أرادَ أن يوهم النَّاسَ وبالخصوص بني أُمَيَّةَ بِأَنَّهُ أبرَّ وأتقى لله من محمدٍ وأبي بكرٍ وعمر .

فقد أخرج مسلم في صحيحه في باب صلاة المسافرين وقصر الصَّلَاةِ بِمَنَى ، قال : عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : أَنَّهُ صَلَّى صَلَاةَ الْمَسَافِرِ بِمَنَى وَغَيْرِهِ رَكَعَتَيْنِ ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعِثْمَانُ رَكَعَتَيْنِ صَدْرًا مِنْ خَلْفَتِهِ ، ثُمَّ أَمَّهَا أَرْبَعًا .^(١)

كما جاء في صحيح مسلم أيضاً أَنَّ الزَّهْرِيَّ قَالَ قَلْتُ لِعُرْوَةَ بِالْعَائِشَةِ تُمْتُ فِي السَّبِّ فَرَأَيْتَ مَا تَأْتِي لَتَأْكُلُوا لِعِثْمَانَ^(٢) .

وهكذا يصبح دين الله بأحكامه ونصوصه خاضعاً لتأويل المتأولين وتفسير المفسرين .
(ب) كما أَنَّ عِثْمَانَ اجْتَهَدَ بِرَأْيِهِ لِتَأْيِيدِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ مِنْ تَحْرِيمِ مَتَاعِ الْحَجِّ^١ .
أيضاً كما حرَّم مَتَاعَ النِّسَاءِ ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ مِنْ كِتَابِ الْحَجِّ فِي بَابِ التَّمَتُّعِ وَالْإِقْرَانِ ، عَنْ مِرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَهُ : تَأْتِي عِثْمَانَ وَعَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، وَعِثْمَانُ يَنْهَى عَنِ الْمَتَاعِ وَأَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا ، فَلَمْ يَأْرَأِ عَلِيٌّ أَهْلًا بِمَنْ لِيَبْكُ بِعِمْرَةَ وَحِجَّةً ، وَقَالَ فَمَا كُنْتُ لِأَدْعِ سُنَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَوْلَ أَحَدٍ .

(١) صحيح مسلم ٢ : ١٤٦ كتاب صلاة المسافرين .

(٢) صحيح مسلم ٢ : ١٤٣ كتاب صلاة المسافرين ، صحيح البخاري ٢ : ٣٦ كتاب تقصير الصلاة باب يقصر إذا خرج من موضعه .

وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب الحجّ باب جواز التمتع عن سعيد ابن المسيّب ، قال اجتمع عليّ وعثمان رضي الله عنهما سبعة فأنّ ، فكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة ، فقال عليّ ما تريدُ إلى أمر فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تنهى عنه؟ فقال عثمان : دعنا منك إني فقلاً أستطيع أن أدعَكَ ، فلمّا رأى عليّ ذلك أهلّ بهما جميعاً .

نعم ، هذا هو عليّ بن أبي طالب سلام الله عليه ، فما كان ليدع سنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قول أحد من الناس ، والرواية الثانية تفيدنا بأنّ شجاراً دار بين علي وعثمان ، وقول عثمان لعليّ : « دعنا منك فيه ما فيه من مخالفته في كل شيء ، وعدم اتباعه فيما يرويه عن ابن عمّه صلى الله عليه وآله وسلم ، كما أنّ الرواية مبتورة إذا تقول : فقال عليّ : « لا أستطيع أن أدعَكَ ، فلمّا رأى علي ذلك » ما هو الذي رآه لهلثيئك أنّ الخليفة ورغم تذكير علي له بالسنّة النبويّة أصرّ على رأيه في مخالفتها ، ومنع الناس من التمتع ، عند ذلك خالفه علي وأهلّ بهما جميعاً ، يعني الحجّ والعمرة .

كمتأكل عثمان بن عفّان اجتهد أيضاً في أجزاء الصلوة ، فكان لا يكبر في السجود ولا في الرّفع منه .

فقد روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده الجزء الرابع عن عمران بن حصين قال : لمّا خلف عليّ صلاةً ذكرتني بصلاصليتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والخليفتين ، فقالتُ فصليتُ معه ، فإذا هو يكبر كلّما سجد ورفع رأسه من الركوع ، فقلت يا أبا نجيد من أول من تركه؟ قال : عثمان (رضي الله عنه) حين كبر .

وضعف صوته تركه» (١).

نعم ، هكذا تطبيع القسور وتبدل بسُنن خُلفائِيَّة ، وسنن ملوكِيَّة ، وسنن صحابيَّة ، وسنن أمويَّة ، وسنن عبّاسِيَّة ، وكلّها بُدع مبتدعة في الإسلام ، فكلُّ بدعة ضلالة وكلُّ ضلالة في النار ، كما قال صاحب الرسالة عليه وآله أفضل الصّلاة وأزكى السّلام.

(١) وراجع أيضاً فتح الباري ٢ : ٢٢٤ ، تحفة الأحوذى للمباركفوري ٢ : ٨٦ ، عون المعبود للعظيم آبادي ٣ : ٤٥ . وفي فتح الباري أيضاً ٢ : ٢٢٤ قال : « روى أحمد والطحاوي بإسناد صحيح عن أبي موسى الأشعري قال ذكرنا علي صلاة كذا نصليها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إما نسيناهلإما تركناها عمداً ... » .

فهذا الصحابي يصرّح بأنهم قد نسوا سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أنهم جديدا عهد بمؤته! يصرّح بأنه قد يكون تركنا لها عمداً لا نسياناً ، وهذا طامة كبرى سترها أفضل من إفشائها؛ لأنّها تخدم ركناً عظيماً وتشكك في أمر قلبه لهدب السني ، وهو عدالة الصحابة ، فافراً وأعجب!!

ولأجل هذه المسائل التي تفضحهم وتهدم ركنهم تراهم يدعون إلى عدم إفشاء هذه الأمور بين عموم المسلمين وجعلها مغمورة لا يطلع عليها إلا المتيقّن من نفسه أنّها ثابتة على سنة بني أمية وأتباعهم ، قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠ : ٩٢ : «كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنّه مجوىّ وعصية لا يلتفت إليه ، بل يطوى ولا يروى كما تقرّر عن الكفّ عن كثير ممّا شجر بين الصحابة وقتالهمكيمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء ، وقد يرخص في مطالعة ذلك للعالم المنصف .. بشرط أن يستغفر لهم .. » .

فلا يطلع عليه إلا من يحكم مسبقاً بأنهم عدول خيرين!؟

وهذا من العجائب العجائب فالمسلم يريد معرفة الحقّ بالبحث ، فإذا كان مسبقاً حاملاً لقاعدة عدالة عموم الصحابة وكلّ ما صدر عنهم لا يضرّ فأى قيمة لبحثه؟! وأي فائدة من مطالعته؟! فما لكم كيف تحكمون!!؟

ولذلك فأنت ترى اليوم أشكالا وألواناً في صلاة المسلمين ، وتحسبهم جميعاً وقلوبهم شغليهم يصطفون للصلاة صفّاً واحداً ، فترى هذا سادلاً يديه ، وذاك قابضاً ، وآخر له شكلاً خاصاً في القبض ، فهو يضع يديه فوق السرة ، وذاك يضعها قرب قلبه . واحد جامع بين قدميه وآخر مفرق بينهما ، وكل واحد يعتقد بأنه هو الحق ، وإذا ما تكلمت في ذلك فسيقال لك يا أخي إنها شكليات فلا تهتم بها وصل كما تريد ، فالمهم هو أن تُصلي .

نعم ، هذا صحيح إلى حد ما ، فالمهم هي الصلاة ، ولكن يجب أن تكون صلاة مطابقة لصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد قال : « صلّوا كما رأيتموني أصلي »^(١) ، فعلينا أن نجتهد في البحث عن صلاته صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأن الصلاة عمود الدين .

(ث) عثمان الذي استحت منه ملائكة الرحمن .

قال البلاذري في أنساب الأشراف ٥ : ٥٤ .

لما بلغ عثمان موت أبي ذر بالريذة قال : رحمه الله فقال عمر بن ياسر : نعم ، فرحمه الله من كل أنفسنا ، فقال عثمان لعمر بن ياسر : أيرأبىه أتراني ندمت على تسييره ، وأمر فدفن في قفاه وقال : الحق بمكانه .

فلما تهيأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلى علي ، فسألوه أن يكلم عثمان فيه ، فقال له يا عليان اتق الله فإنك سيرت رجلاً صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك ، ثم أنت الآن تريد أن تنفي نظيره؟

(١) صحيح البخاري ٨ : ١٣٣ ، الأدب المفرد ٥٥ ، صحيح ابن خزيمة ٢٠٦ ، صحيح ابن حبان ٤ : ٥٤٢

، السنن الكبرى للبيهقي ٢ : ٣٤٥ ، سنن الدارقطني ١ : ٢٨٠ .

وجرى بينهما كلام حتى قال عثمان لعلي أنت أحق بالذني منه ، فقال علي زُم ذلك إن شئت .

واجتمع المهاجرون إلى عثيناكنفققالوا كلما كلمك رجل سيرته ونفية ه فإن هذا شيء لا يسوغ ، فكف عن عمّار .

وفي رواية اليعقوبي من تاريخه ٢ : ١٤٧ أن عمار بن ياسر صلى على المقداد ودفعه ، ولم يؤذن بذلك عثمان بوصية من المقداد ، فاشتد غضب عثمان على عمّار وقال : ويلي على ابن السوداء ، أما لقد كنت به عليماً^(١) .

أفيمكن للحبي الذي تستحي منه الملائكة أن يتفحش في الأقوال ، وخيرة المؤمنين؟ ولم يكتف عثمان بشتن عمّار وقوله له فحشاً من القول ، كقوله يا عاضّ أير أبيه ، حتّى غلمانه فمسكوا عماراً ، ومدوا يديه ورجليه ، ثمّ ضربه عثمان برجله ، وهي في الخفين على مذاكيره فأصابه الفتق ، وكان ضعيفاً كبيراً فغشني عليه ، وهذا قصّة معروفة عند المؤرّخين^(٢) عندما كتب جمع من الصحابة كتاباً وأمروا عمّار أن يوصله له .

وكذلك فعل عثمان مع عبد الله بن مسعود إذ أمر به أحد جلاوزته ، وهو عبد الله بن زمعة ، فاحتمله ابن زمعة حتى جاء به باب المسجد ، وضرب به الأرض فكسّر ر ضلعاً من أضلاعه^(٣) ، لا لشيء إلا أن عبد الله بن مسعود

(١) راجع الغدير للأميني ٩ : ١٩ عن أنساب الأشراف وتاريخ اليعقوبي ٢ : ١٧٣ .

(٢) راجع الغدير ٩ : ١٦ عن أنساب الأشراف ٦ : ٢٠٩ ، الاستيعاب ، رقم ١٨٦٣ ، الامامة والسياسة ١ : ٣٥ .

(٣) الغدير ٩ : ٣ عن أنساب الأشراف ٦ : ١٤٦ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٧٠ .

استنكر على عثمان أن يُعطيَ بني أمية الفسقة أموال المسلمين بغير حساب. وقامت الثورة على عثمان وكان ما كان حتى ذُبحَ ، ومنعوا دفنه ثلاثة أيام ، وجاء من أميين أربعة ليصلّوا عليه ، فمنعهم بعض الصّحابة من الصّلاة عليه ، فقال أحدهم : ادفنوه فقد صلّى الله عليه وملائكته ، فقالوا : لا والله لا يدفن في مقابر المسلمين أبداً ، فدفنوه في حش كوكب ، كانت اليهود تدفن فيه موتاهم ، فلمّا ملكت بنو أمية أدخلوا ذلك الحش في البقيع^(١).

هذه نبذة يسيرة من تاريخ الخلفاء الثلاثة : أبي بكر وعمر وعثمان ، وهي وإن كانت تليّن رُؤسنا للاختصار وإعطاء بعض الأمثلة فقط ، ولكنها كافية لكشف الستار عن تلك الفضائل المزعومة ، والمناقب المخترعة التي لا يعرفها الخلفاء الثلاثة ، ولا حلموا بها يوماً في حياتهم.

والسؤال الذي يُطرح هو : ما يقول أهل السنة والجماعة في هذه الحقائق؟ والجواب عند أهل الذكر هو إن كنتم تعرفونها ولا تنكرونها لأنّ صحاحكم أثبتتها على حقيقتها رغم التعقيم ، فقد أسقطتم بذلك أسطورة الخلافة الراشدة!! وإن كنتم تنكرونها ولا تثقون في صحّتها ، فقد أسقطتم صحاحكم وكتبكم المعتبرة التي أخرجتُها ، وبذلك أسقطتم كلَّ معتقداتكم!!

(١) ومن شاء فليرجع إلى كتاب الفتنة ووقعة الجمل لسيف بن عمر ٨٤ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥ : ٢٠٧ ، ١٠ : ٧ ، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٣ : ٢٨٩ ، الطبقات الكبرى ٣ : ٧٨ ، الثقات لابن حبان ٥ : ٤٨٢ ، تاريخ مدينة دمشق ١٣ : ٢٨٨ ، ٣٠ ، ٢١٩ ، ٣٩ ، ٥٢٦ ، ٤٨ ، ٤٥٥ ، الإصابة ١ : ٢١٤ ، ٥٦٦ ، تاريخ المدينة لابن شيبه ١ : ١١٣ .

الفصل السادس

في ما يتعلّق بالخلافة

الخلافة ، وما أدراك ما الخلافة! فهي التي جعلها الله فتنة الأمة ، وهي التي قسمت لها وأطمعت فيها الطّلعين ، وهي التي أهرقت في سبيلها الدّماء البريئة ، وهي التي كفر من أجلها مسلمون ، فأغرّتهمُ وأبعدتهم عن الصراط المستقيم وأدخلتهم نار الجحيم ، ولا بُدّ لنا من دراسة تكون على اختصارها محيطه بالخفايا والملابسات ، التي كانت الخلافة مسرحاً لها قبيل وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وأوّلاً لئلاّ يتبادر للأذهان أنّ الزعامة عند العرب كانت من الأمور الضرورية في كلّ العصور ، فتراهم يقدرّون رئيس القبيلة أو زعيم العشيرة على أنفسهم ، فلا يرمون أمراً دونه ، ولا يتخذون قراراً إلاّ بمشورته ، ولا يسبقونه بالقول. فزعميل العشيرة هذا عادة ما يكون أكبرهم سنّاً ، وأعلمهم بالأمور ، وأشرفهم حساباً ونسباً .

ويبدو أنّ هذا الرئيس يبرز من خلال الأحداث في عشيرته ، وممّا يظهر عليه من ذكاء وفطنة ، وشجاعة وعلم بالأمور ، وسخاء وإكرام الضيف ، وغير ذلك من الخصال الحميدة ، ولكن في أغلب الأحيان هي

وراثة وليست اختيار.

ونجد بعد ذلك أن القبائل والعشائر رغم استقلاليتها ، فهي تخضع لزعامه القبيلة الواحدة التي قد تكون أكثر عدداً ومالا ، ولها أبطال يخوضون المعارك ، ويحملون بقية القبائل تحت رعايتها ، ومثال ذلك قريش التي كانت تتزعم بقية القبائل العربية الخاضعة لها بحكم الزعامه والسيادة التي فرضتها رعايتها لبيت الله الحرام.

ولما جاء الإسلام أقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حد ما هذا الأسلوب تعظيماً ، فكان يولي على القبائل التي وفدت عليه وأقرت بالإسلام سيدهم وشريفهم ليكون والياً عليها ، فيصلي بهم ، ويجمع زكاتهم ، ويكون همزة الوصل بينهم وبينه.

ثم إن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أنشأ بأمر الله سبحانه الدولة الإسلامية ، التي تخضع في كل أحكامها وقراراتها إلى ما ينزل به الوحي من الله ، فكان نظام المجتمع ونظام الفرد من عقود نكاح لاوط ، وبيع وشراء ، وأخذ وعطاء ، وإرث وزكاة ، وكل ما يخص الفرد والمجتمع في الحرب والسلم من معاملات وعبادات ، كلها خاضعة إلى أحكام الله ، ومهمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلمي التنفيذ ، والسهر على تطبيق تلك الأحكام. ومن الطبيعي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يفكر في من سيخلفه في هذه المهمة العظيمة ، ألا وهي قيادة الأمة.

ومن الطبيعي أن يهتم كل رئيس دولة . إن كان يهمه شعبه . بالشخص الذي يختاره ؛ ليكون نائبه في كل المهمات التي يكون هو غائب عنها ،

فيكون وزيره الأول والمقرَّب الذي يحضر إذا يغيبون ، ومن الطبيعي أيضاً أن يكون نائبه معلوماً لدى كلِّ الوزراء وعند الشعب أيضاً .

فلا يمكن أن يصدَّق العقل بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خفى كلَّ ذلك ولم يهتمَّ به ، ولا شكَّ بأنَّه كان شغله الشاغل ، ولا شكَّ بأنَّ الأحاديث المتعلقة بالموضوع خضعت للحصار الذي ضربه الخلفاء الذين كانوا يتزعَّمون نظريَّة الشورى والذين عملوا بكلِّ جهودهم لمعارضة النصوص التي عينت وشخصت الخليفة .

وكان من هذه الجهود أيضاً الطعن بقداسة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واتهامه بالهجر ، ثمَّ الطعن فيه وفي الأمير الذي ولاه قيادة الجيش ؛ بدعوى أنَّه لا يصلح للإمارة والقيادة لصغر سنِّه ، ثمَّ التَّشكيك في وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى تضطرب الأمور ، ولا يسبق النَّاسُ عامَّةً لبيعة الخليفة الذي عينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبل .

ومن تلك الجهود اغتنامهم فرصة اشتغال علي وأنصاره بتجهيز النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم وعقد مؤتمر السَّقيفة الطارئ ، واختيار من يرضونه وترتاح نفوسهم إليه وتُعقدُ آمالهم عليه ، ثمَّ حمل النَّاسُ عامَّةً على البيعة بالتَّهديد والتَّنديد ، والوعد والوعيد ، ثمَّ إقصاء المعارضة كلياً عن السَّاحة السَّيلقيَّة ثمَّ الوقوف بحزم وصرامة ضدَّ كلِّ من تحدَّث نفسه بشقِّ عصا الطَّاعة ، أو شكَّك في شرعيَّة الخلافة الجديدة ، ولو كانت فاطمة بنت النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ثمَّ ضرب الحصار والمنع الباتَّ على الأحاديث النَّبوية الشريفة عامَّةً ، حتى لا تتفشَّى النصوص بين النَّاسِ وتضطرب الأمور ، ولو أدَّى ذلك

للاغتيال الفردي والقتال الجماعي بمجاد المعارضة بدعوى القضاء على الفتنة مرةً و الردّة
أخرى!!

كل ذلك عرفناه من خلال ما كتبه المؤرّخون ، وإن كان بعضهم يحاول تغطية الحقيقة
بوضع بعض الروايات المتناقضة ، أو بعض التأويلات والمخادرات التي كشفت خفاياها
الأيام والأحداث والأبحاث.

وقد يكون بعضهم معذولاً لأنّه أخذ معلوماته من المصادر الأولى التي كُتبت تحت
لثبير السبّاسي والاجتماعي الذي خلفته الفتنة الكبرى ، وما أعقبها من أحداث عندما
استولى بنو أمية على الخلافة ، وأغدقوا الأموال والمناصب على بعض الصحابة والتابعين
المأجورين ، فأخذ بعض المؤرّخين من هؤلاء لحسن ظنّه بهم ، وهو لا يعلم خائنة الأعين وما
تخفي الصدور ، فاختلطت الروايات الصحيحة بالروايات المكذوبة ، وأصبح من العسير على
الباحث الوصول إلى الحقيقة.

ولتقريب القارئ المثقن هذه الحقيقة ، لا بدّ من إثارة وطرح هذه الأسئلة ، حتى
يكتشف من خلالها أو من خلال الإجابة عليها بعض الحقائق ، أو بعض الإشارات التي
توصله إلى الحقيقة.

أسئلة وأجوبة لا غنى عنها لكل باحث

وردت على رسائل عديدة من أقطار كثيرة ، تحمل في طيّها بعض التساؤلات المهمّة ،
تنبيهاتي عن حرص القراء الكرام لمزيد البحث والتنقيب عن الحقائق ، وقد أجبتُ على
لبعض منها ، وأعرضت عن البعض الآخر غير مستخفّ بها ، ولكن لأنّ الجواب عليها
موجود في كتابي «ثمّ»

اهتديت « ، و « لأكون مع الصادقين » .

وتعميماً للفائدة فأنا أنشرها في هذا الفصل مع الأجوبة ، ومع الملاحظة بأن القارئ سيجدُ بعض الأحاديث والأحداث مكرّرة في الكتاب الواحد أو في الكتب الثلاثة ، فقد تعمدت ذلك اقتداءً بكتاب الله العزيز الذي يكرّر الحادثة في عدّة سور؛ لترسخ في ذهن المؤمن ، ولتكون في متناول الجميع .

س ١ : إذا كان الرسول يعلم ما سيؤول إليه أمر الأمة من النزاع والاختلاف بسبب الخلافة فلماذا لم يعين خليفة له؟

* جلت عيني صلى الله عليه وآله وسلم خليفة له بعد حجّة الوداع ، وهو علي بن أبي طالب ، وأشهد على ذلك صحابته الذين حجّوا معه ، وكان يعلم بأن الأمة ستغدر به ^(١) وتنقلب على أعقابها .

س ٢ : كيف لم يسأل الرسول أحد من أصحابه عن هذا الأمر وقد كانوا يسألونه عن كل شيء؟

* ج : لقد سأله بأجمل قول : هَالِي تَعَالَى مَا لِمِنْ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ^(٢) .

يُكْمُ اللّٰهُسَّأَلُوهُ وَقَالِ لِلّٰهُمُ الْوَلَايَةُ وَاللَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَتَّقِيهِمْ بُونَ الصَّلَاةِ

(١) المستدرك للحاكم ٣ : ٢ و٣ صرّح الإمام الذهبي في تلخيص المستدرك بصحته ، كنز العمال ١١

: ٦١٧ ح ٣٢٩٩٧ ، تاريخ بغداد ١١ : ٢١٦ رقم ٥٩٢٨ ، تذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ٩٩٥ .

(٢) آل عمران : ١٥٤ .

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (١).

وسألوه فقال : «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي» (٢).

س ٣ لماذا عارض بعض الصحابة رسول الله حين أراد أن يكتب لهم كتاباً يعصمهم

من الضلالة بعده وقالوا بأنه يهجر؟

* ج : لقد عيى بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين أراد أن

يكتب لهم ما يمنعهم من الضلالة واتهموه بالهجرنا عرفوا بأنه يريد تعيين علي بن أبي طالب كتابياً ، لأنه سبق أن قال لهم في حجة الوداع بأن المتمسك بالكتاب والعترة لن يضل بعده أبداً ، ففهنوا بلضمون الكتاب سيكون بنفس الألفاظ ، لأن علياً هو سيد العترة ، وإنما اتهموه بالهجر ليعدل عن الكتابة نهائياً ، ولأن النزاع والخلاف قام حول الكتاب قبل كتابته ، وإذا كان النبي يهجر (حسب اعتقادهم) كتابه سيكون هديانا ، فالحكمة تقتضي عدم الكتابة.

لملزم يصير على كتابة الكتاب خصوصاً وأنه يعصم الأمة الإسلامية من

الضلالة؟

* ج : لم يكن في وسع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يصير على الكتابة؛ لأن

العصمة من الضلالة قد انتفت لموافقة الكثير من الصحابة على أنه يهجر ، فأصبح الكتاب هو مضللة بدلاً أن يكون عاصماً منها ، ولو أصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) المائة : ٥٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ٦٣ ، الخصائص للنسائي : ٤٩ ح ٦٥ في حديث الدار حينما انذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشيرته ، وسند الحديث صحيح .

على كتابته لقامت بعده دعاوى باطلة ، قد تُشكك حتى في كتاب الله ونصوص القرآن .
س ٥ : لقد أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل موته بثلاث وصايا شفوية

فلماذا وصلت إلينا وصيَّتان وضاعت الوصية الثالثة؟

الأمر * ووضح في أن الوصية الأولى هي التي ضاعت لأنها تخص استخلاف علي ، ولأن الخلافة التي قامت منعت الحديث عنها ، وإلا كيف يصدق عاقل أن يوصي النبي فتُنسى وصيته كما ذكره البخاري .

س ٦ : هل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلم بموعد موته؟

* ج لا: شك بأنه كان يعلم مسبقاً بموعد وفاته في الوقت المعلوم ، وقد علم بذلك قبل خروجه لحجة الوداع ، ومن أجل ذلك سمّاها حجة الوداع ، وبذلك علم أكثر الصحابة دنو أجله .

لما نزل النبي جيشاً عبّأ فيه وجوه المهاجرين والأنصار من كبار الصحابة

وأمرهم بالمسير إلى مؤتة بفلسطين قبل وفاته بيومين؟

* ج : عندما علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمره التي دبرتها قريش ، وأنهم

تعاقدوا على نبد العهد بعده ، وإبعاد علي عن الخلافة ، عمد إلى تعبئة هؤلاء ليعدهم عن

المؤتة بوقت وفاته ، فلا يرجعون إلا وقد استتب الأمر لخليفته ، فلا يقدرّون بعدها على

تنفيذ مخطّطهم ، وليس هناك تفهيد مقبولاً غير هذا لسريّة أسامة؛ لأنه ليس من الحكمة أن

يُخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحصمة الخلافة من الجيش والقوّة قبل وفاته بيومين

فقط .

سليلاً لم يُعِين النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ علياً في جيش أسامة؟
 * ج: لأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتْرَكَ
 خَلِيفَةً يَتَوَلَّوْنَ لِأَوْعَا أُنَّهُ لَمْ يُعَبِّئْ عِيَّ عَلِيًّا ضَمَّنَ ذَلِكَ الْجَيْشَ الَّذِي عَبَّأَ فِيهِ وَجُوهَ
 الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، بِمَا فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعِثْمَانُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، فَدَلَّ هَذَا
 التَّصَرُّفَ الْحَكِيمَ بِأَنَّ عَلِيًّا هُوَ الْخَلِيفَةُ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَبَاشَرَةً ، وَلِأَنَّ
 الَّذِينَ لَمْ يُعَبِّئْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ فِي الْجَيْشِ لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يَطْمَعُ فِي الْخِلَافَةِ ، وَلَا مَنْ يَبْغِضُ عَلِيًّا
 وَيُرِيدُ الْغَدْرَ بِهِ .

سليلاً أمراً عليهم شاباً صغيراً لا نبات بعرضيه؟

لَمْ * ج: كَانَ الْحَاسِدُونَ وَالْغَادِرُونَ لِعَلِيٍّ يَتَذَرَّعُونَ بِصِغَرِ سَنِّهِ ، وَأَنَّ عِظْمَاءَ قُرَيْشٍ
 غَلَّوْا لِيَنْبُدُّوا تَبْنَؤَ لَيْسَ لَيْسَ لَا يَنْقَادُونَ لِعَلِيٍّ ، وَعَمْرُهُ لَمْ يُجْزِ أَوْزَ الثَّلَاثِينَ إِلَّا قَلِيلاً ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ النَّبِيَّ
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أُسَامَةَ وَعَمْرُهُ سَبْعَةَ عَشَرَ ، لَا نَبَاتَ بَعَارِضِيهِ وَهُوَ مِنَ الْمَوَالِيئِيِّنَّ
 لِأَعْنَاقِهِمْ وَإِرْغَامًا لِأَنْوْفِهِمْ ، كَمَا يُبَيِّنُ لَهُمْ أَوْلَا وَلِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ ثَانِيًا بِأَنَّ الْمُؤْمِنَ الصَّادِقَ فِي
 إِيمَانِهِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْمِعَ طَيْعَ ، وَلَوْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ حَرْجًا مِمَّا قَضَى الرَّسُولُ
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَسْلَمُ تَسْلِيمًا .

وأين أسامة بن زيد بن حارثة من علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، وسيّد الوصيِّين ،
 باب علم النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ ، الْغَالِبُ وَهَارُونَ مُحَمَّدٌ
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَلِذَلِكَ تَفَطَّنُوا إِلَى تَدْبِيرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي تَأْمِيرِهِ
 أُمَّلَعَهُ عَلَيْهِمْ ، فَطَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ ، وَرَفَضُوا الْخُرُوجَ مَعَهُ وَالتَّخَلَّفَ عَنْهُ ، وَلَا نَنْسَى أَنَّ فِيهِمْ
 الدَّهَاءَ الَّذِي قَلَّلَ فِي حَقِّهِمَا الْمَقْرُوكُونَ الْهَرَمَ : (عِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَ إِنْ كَانِ
 مَكْرُهُمْ

لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِيبَاتُ (١)

س ١٠: لماذا اشتدَّ غضب النبي صلى الله عليه وآله وسلّم على المتخلفين منهم حتى

لعنهم؟

* ج: لقد اشتدَّ غضبه صلى الله عليه وآله وسلّم لما علم أنّهم طعنوا في تأميره ، فالطّعن موجّه إليه لا إلى أسامة ، وتحقّق بذلك عنده عدم إيمانهم وإخلاصهم لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلّم وأمرهم عازمون على تنفيذ مخّطّطهم كلّهم ذلك ما كلّفهم ، عند ذلك أطلق لعنته الأخيرة على المتخلفين؛ ليفهمهم وأتباعهم والمسلمين كافة بأنّ الأمر قد بلغ منتهاه ليهلك من هلك عن بيّنة.

س ١١: هل يجوز لعن المسلم خصوصاً من النبي صلى الله عليه وآله وسلّم؟

* ج: إذا كان الإسلام هو التلفّظ بالشهادتين ، بأن يقول الإنسان : أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمّدًا رسول الله ، ثمّ لا يمتثل إلى أوامرها ، ولا يسمع ولا يطيع لله وللرسول صلى الله عليه وآله وسلّم فيجوز لعنه.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة نذكر منها قوله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَالْحُدُودُ وَمَا أَنزَلْنَا مِنْ لَدُنْ يَدَيْهِ مِنَ الْوَحْيِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مَا بَابِ مَنَّاوُ لِلتَّلْفِظِ فِي لَعْنِ لِكُتِبَ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) وإذّا كان الله يلعن من كتم الحقّ ، فما بالك بمن عاند الحقّ وعمل على إبطاله؟!

س ١٢: هل عين الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم با بكر ليصلي بالنّاس؟

* ج: بمن خلال الروايات المتناقضة نفهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لم

يعين أباً

(١) ابراهيم : ٤٦ .

(٢) البقرة : ١٥٩ .

بكر ليصلي بالناس ، اللهم إلا إذا اعتقدنا ما قاله عمر بن الخطاب في هجرانه ، ومن اعتقد بذلك فقد كفر ، وإلا كيف يصدق عاقل بأذنه أمره ليصلي بالناس في حين أنه في جيش أسامة ، وجعل هذا الأخير أميراً عليه وإماماً ليوكليف به في إمامة الصلاة في المدينة وهي خالية منه ، والتاريخ يشهد بأنه لم يكن حاضراً في المدينة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟!!

والثابت كما ذكر بعض المؤرخين الذين روى عنهم ابن أبي الحديد بأن علياً عليه السلام ما تشبهت بأنها هي التي أرسلت إلى أبيها ليصلي بالناس ، ولم يعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك غضب وقال لها : « إنكن صواحب يوسف » وخرج إلى المسجد فأزاح أبا بكر وصلى بهم صلاة المضطر بين ثغلا يترك لهم حجة بعد ذلك .
سالمًا: أقسم عمر بن الخطاب بأن رسول الله لم يمتهن ، وتهدد كل من يقول بموته بالقتل ولم يهدأ إلا بوصول أبي بكر؟

* ج: لقد هدّد عمر بالقتل من حاول أن يقول بموت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليشتكهم ويتركهم في حيص بيص حتى لا تتم بيعة لعلي ، وحتى يصل إلى المدينة أبطال المعارضة الذين تعاقدوا على الأخذ بزمام الأمور والذين لم يصبروا بعد ، فوجد نفسه قد سبقهم ، فلعب دور المصاب بالذهول ، وسل سيفه فخوف الناس .
ولا شك بأنّه منع الناس الدخول إلى الحجرة النبوية ليتنبّأوا الأمر ، وإلا لماذا لم يجرأ أحد على الدخول إلا أبا بكر ، عندما وصل دخل وكشف عن وجهه وخرج ليقول لهم : « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن

كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت».

ولا بدَّ لنا هنا من تعليقة صغيرة على هذا القول ، فهل كان أبو بكر يعتقد بأنَّ في المسلمين من مجيِّدٍ داءٍ؟ كلاَّ وإنما هو تعبير مجازي على شتم وانتقاص بني هاشم عامَّة وعلي بن أبي طالب خاصَّة ، الذين كانوا يفخرون على سائر العرب بأنَّ محمَّداً رسول الله منهم وهم أهله وعشيرته وأحقَّ الناس به .

وهو أيضاً تعبير عمَّا أفصح به عمر بن الخطَّاب يوم رزيَّة الخميس عندما قال : « حسبنا كتاب الله يكفيننا » ولسان حاله يقولنا بحاجة لنا بمحمَّد فقد انتهى أمره وولىَّ عهده ، وهذا بالضَّبط ما أكَّده أبو بكر بكهنه بقوله يعبدُ محمَّداً فإنَّه قد مات ، ويعني بذلك من تفتخروا علينا بمحمَّد تأخُّروا اليوم فإنَّه انتهى أوه ، وحسبنا كتاب الله فإنَّه حي لا يموت .

ومن الملاحظ أنَّ عليَّ وبني هاشم كانوا يعرفون أكثر من غيرهم حقيقة النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا يُبالغون في احترامه وتقديسه وتنفيذ أوامره ، واتَّبعهم على ذلك الموالي من الصَّحابة ، والذي كانوا غُرباء عن قريش ، وكانوا إذا بصق رسول الله بصقة تسارعوا إليها ليمسحوا بها وجوههم ، ويتخاصمون على فضل وضوئه أو على شعره ، وكلُّ هؤلاء المساكين والمستضعفين كانوا شيعة لعلي من زمن النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو الذي سمَّاهم بهذا الاسم^(١) .

أمَّا عمر بن الخطَّاب وبعض الصَّحابة من سراة قريش ، فكانوا كثيراً ما

(١) الدر المنثور ٦ : ٣٧٩ سورة البيَّنة ، المعجم الكبير ١ : ٣١٩ ح ٩٤٨ ، فتح القدير للشوكاني ٥ : ٤٧٧ .

يُعارضوا أحكام النبي صلى الله عليه وآله وسلم قشوه ويعصوه ، بل ويُنزّهون أنفسهم عن أفعاله^(١).

وقد قطع عمر بن الخطاب شجرة بيعة الرضول^{لأنه} بعض الصَّحابة كانوا يتبرَّكون بما ، كما فعل الوهابيون في هذا القرن ، فإنهم محوا آثار النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الوجود ، وحتى البيت الذي ولد فيه لم يتركوه ، وهم يحاولون الآن بكلِّ جهودهم وأموالهم أن يمنعوا المسلمين الاحتفال بذكرى مولده الشريف ، ومن التبرَّك به وبالصَّلاة عليه ، حتى أفسحوا لدى المغفلين بأنَّ الصَّلاة الكاملة هي شَرُّكَ^(٢).

(١) صحيح البخاري ٣ : ١١٤ كتاب المظالم ، باب الاشتراك في الهدى.

(٢) قال أحمد بن زيني دحلان مفتي الشافعية بمكَّة . في كتابه فتنة الوهابية : « وكانوا يمنعون من قراءة دلائل الخيرات المشتملة على الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى ذكرها كثير من أوصافه الكاملة ، ويقولون : إنَّ ذلك بؤك ، ومنعون من الصلاة عليه على المنابر بعد الأذان ، حتى إنَّ رجلاً صالحاً كان أعمى وكلما مؤذناً وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الأذان بعد أن كان المنع منهم ، فأتوا به إلى ابن عبد الوهاب ، فأمر به أن يقتل فقتل ... ».

وقال أيضاً في الدرر السنينة في الردِّ على الوهابية الصفحة ٥٢ : « ... ومنع الناس من قراءة دلائل الخيرات ومن الرواتب والأذكار ومن قراءة مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنابر بعد الأذان ، وقتل من فعل ذلك ... ».

قال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم : ٣٦٦ « ورخص بعضهم في السلام عليه إذا دخل المسجد للصلاة ونحوها ، وأمَّ قطبده دائماً للصلاة والسلام فما علمت أحداً رخص فيه ».

وقال عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ في فتح المجيد : ٢٢٤ « أمَّا دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه

هناك أو الصلاة والدعاء فلم يشرعه (أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم)

س ١٤ : لماذا اجتمع الأنصار في سقيفة ساعدة سرّاً؟

لمّا حجّ لمّهم الأنصار بالمؤامرة التي دبّرتها قريش لإبعاد علي عن الخلافة ، اجتمعوا عند وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأرادوا إبرام الأمر فيما بينهم على أن يكون الخليفة منهم ، فإذا كان زعماء قريش وهم المهاجرون من قرابة الرسول وعشيرته يريدون نقض البيعة لعلي ، فالأنصار أولى بالخلافة من غيرهم لاعتقادهم بأن الإسلام قام بحدّ سيوفهم ، وأنّ المهاجرين عيال عليهم ، ولولا أنّهم فتحوا بلادهم ومنازلهم وكلّ ما يملكون لما كان للمهاجرين ذكر ولا فضل ، ولولا وجود الخلاف بين الأوس والخزرج الذين كانوا يتنافسون على عامة وكلّ منهما يريد لها لقبيلته ، لما وجد أبو بكر وعمر فرصة لأخذ الخلافة منهم ولا اضطرّ المتابعين لهم.

س ١٥ : لماذا أسرع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة إلى السقيفة وفاجؤوا الأنصار؟

لمّا كان للمهاجرين . أعني زعماء قريش . أعين تراقب تحركات الأنصار وما يدور من تدبيرهم ، فقد أسرع أحدهم . وهو سالم مولى أبي حذيفة . وأعلم أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بالاجتماع السري ، فأسرعوا إلى السقيفة ليفسدوا على الأنصار تخطيطهم وما أبرموه ، ليفاجئوهم بأنهم على

لهم بل تمّاهم عنه ... ».

ومنه تعرف أنّ ما ذكره في كشف الجاني ما هو إلّا لجّاج ، لقصّر باعه عن الحجّاج بالدليل الساتر لما يرتكبه أبناء مذهبه وما قام عليه من الأسس الواهية.

علم بكلِّ ما يحدث في غياهم.

س١٦ لماذا كان عمر بن الخطّاب طوال الطريق يُهميئُ مقالة لإقناع الأنصار؟

* ج لا شكَّ بأنَّ عمر بن الخطّاب كان يخشى ردّة فعل الأنصار ، كما يخشى أن لا يوافق الأنصار على إبعاد علي بن أبي طالب ، فيُسبِّب ذلك هدم كلِّ ما خطّطوه ودبّروه ، وتذهب جهودهم أدراج الرّيح بعدما تجرّؤوا على الذّبي نفسه ، وأفسدوا كلَّ تدييره من أجل الخِلافة ، ولذلك كان عمر بن الخطّاب يرفقه للسّقيفة يزور ماذا سيقوله لهم ، حتى يكسب تأييدهم وموافقهم على المخطّط.

س١٧ : لماذا انتصر المهاجرون على الأنصار وسلّموا الأمر لأبي بكر؟

* جهناك عدّة عوامل لعبت دورها في هزيمة الأنصار وفوز المهاجرين ، فقد كان الأنصار قبيلتين متنافستين على الزّعامة منذ عهد الجاهلية ، وسكنت فورتهم بوجود الرّسول صلى الله عليه وآله وسلّم ، أمّا والرّسول صلى الله عليه وآله وسلّم مات وقومه يريدون اغتصاب الخِلافة من صاحبها الشرعي ، فنار الخزرج يرشحّون لها زعيمهم سعد بن عبادة ، ولكن بشير بن سعد . وهو زعيم الأوس . يحلبن عمّه ، وأيقن أنّّه لا يصل إلى الخِلافة وسعد بن عبادة موجود ، فنقض أمر الأنصار وأنضمَّ إلى صف المهاجرين ، ومثّل دور النّاصح الأمين.

كما أن أبا بكر أثار فيهم الذّعة الجاهلية ، وضرب على الوتر الحسّاس

بقوله : لو سلّمنا هذا الأمر للأوس فلن ترض الخزرج ، وإذا سلّمناه للخزرج فلن ترض الأوس ، ثمّ إنّه أطمعهم بأن يقاسمهم الحكومة بقوله : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، ولا نستبدّ عليكم بالرأي أبداً .

ثمّ إنّه بذكاء لعب دور الناصح الأمين للأُمّة ، إذ أخرج نفسه وأظهر زهده في الخلافة ، وإنّه لا يرغب فيها بقوله : اختاوا من شتّتُم من هذين الرجلين ، يعني عمر بن الخطّاب أو أبا عبيدة عامر بن الجرّاح .

وكانت الخطّة محكمة والمسرحيّة ناجحة ، فقال عمر وأبو عبيدة : لا ينبغي لنا أن نتقدّم عليك ، وأنت أوّ لنا إسلاماً ، وأنت صاحبه في الغار ، فابسط يدك نبايعك ، فبسط أبو بكر يده لهذه الكلمات ، فسبق إلى بيعته بشير بن سعد سيّد الأوس ، وتتابع الباقيون إلاّ سعد بن عباد .

س ١٨ : لماذا امتنع سعد بن عباد عن البيعة وهدّده عمر بالقتل؟

* ج : عندما بايع الأنصار وتسابقوا إلى أبي بكر فثبناوا بذلك الجاه والقُربى من الخليفة ، امتنع سعد بن عباد عن البيعة ، وحاول جهده منع قومه عنها ، ولكنّه عجز عن ذلك لشدّة مرضه إذ كان طريح الفراش ولا يُسمع صوته ، عند ذلك قال عمر : اقتلوه إنّه صاحب فتنة يُقلع بذلك دابر الخلاف ، ولئلاّ يتخلّف عن البيعة أحلافه سيثقّ عصا المسلمين ، ويتسبّب في انقسام الأمّة وخلق الفتنة .

س ١٩ : لماذا هدّ دوا بيت فاطمة الزهراء بالحرق؟

* ج : لقد تخلّف عدد كبير من الصّحابة الذين لم يبايعوا أبا بكر في بيت علي بن أبي طالب ، ولو لم يُسارع عمر بن الخطّاب وطوّق الدّار بالخطب

وهدم دهم بالحرق ، لاستفحل الأمر وانشقت الأمم^١ إلى حزبين علوي وبكري ولكن^٢ عمر
ومن أجل فرض الأمر الواقع ذهب شوطاً بعيداً عندما قتل الخزرج^٣ للبيعة أو لأحر^٤ فن^٥
الدار^٦ بمن فيها^٧ «(ويقصد علياً^٨ وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).
وبهذا القول لا يبقى في الناس أحد تسوّل له نفسه شقّ عصا الطاعة وعدم الدخول
يعني، الفأي^٩ حرمة له أكبر من حرمة سيّد نساء العالمين ، وزوجها سيّد الوصيّين؟

س ٢٠. لماذا سكت أبو سفيان بعدما هدّهم وتوعّدهم؟

ج^{١٠}: ما رجع أبو سفيان للمدينة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان
أرسله لجمع الصدقات ، فوجئ بخلافة أبي بكر ، وأسرع إلخار علي بن أبي طالب وحرّضه
على الثورة ، وعلى حرب الجماعة واعداء إياهم بالمال والرّجال ، ولكن^{١١} علياً طرده لعلمه بنواياه.
ولم^{١٢} علم أبو بكر وعمر بذلك ذهباً إليه واستمالاه ، ووعداه بإعطائه كل^{١٣} ما جمعه من
الصدقات ، وباشراكه في الأمر بتعيين ابنه والياً على الغنم فرضي^{١٤} أبو سفيان بذلك
وسكت عنهم ، فعينوا يزيد بن أبي سفيان والياً على الشام ، ولم^{١٥} مات عيّنوا أخاه معاوية بن
أبي سفيان مكانه ، ومكّنوه من الوصول إلى الخلافة.

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٤٤٣ . وورد تهديد فاطمة عليها السلام بإحراق دارها أيضاً في المصنّف لابن أبي شيبة ٨

: ٥٧٢ بسند صحيح.

س ٢١ : هل رضي الإمام علي بالأمر الواقع وبايع الجماعة؟

* ليح:، أبدأ لم يرض الإمام علي بالأمر الواقع ولم يسكت ، بل احتجّ عليهم بكلّ شيء، ولم يقبل أن يبايعهم رغم التهديد والوعيد ، وذكر ابن قتيبة في تاريخه بأنّ عليّاً قال لهم اللّؤلؤا أبا يُعكم وأنتم أولى بالبيعة لي ، وحمل زوجته فاطمة الزهراء يطوف بها على مجالس الأنصار ، فكانوا يعتذرون بأنّ أبا بكر سبق إليهم^(١) .
وقد ذكر البخاري^(٢) لم يُبايع مدّة حياة فاطمة ، فلما تُوفّيَتْ واستنكر وجوه النّاس اضطرّ لمصالحة أبي بكر .

وقد عاشت فاطمة ستّة أشهر بعد أبيها ، فهل ماتت فاطمة وليس في عنقها بيعة ، وأبوها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من مات وليست في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة »^{(٣)!}^(٤)

(١) الإمامة والسياسة ١ : ٢٩ .

(٢) صحيح البخاري ٥ : ٨٢ كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، صحيح مسلم ٥ : ١٥٤ ، كتاب الجهاد ، باب قول النبي « لا نورث .. » .

(٣) صحيح مسلم ٦ : ٢٢ كتاب الامارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ، المعجم الكبير ١٩ : ٣٣٥ ، كتاب السنة : ٤٨٩ ح ١٠٥٧ وفيه : « من مات وليس عليه امام مات ميتة جاهلية » .

(٤) قال إبراهيم الرحيلي في كتابه الانتصار للصحب والآل : ٧٢ إنّ هذا الكلام يتناقى مع ما ذكره المؤلّف في كتابه الشيعة هم أهل السنة ، حيث قال هناك : « .. لولا استسلام علي وتضحيتة بحقّه في الخلافة ومسالمة لهم لقضي عليهم وانتهى أمر الإسلام » ، بينما هنا نوايقض كلامه ويقول بأنّ عليّاً عليه السلام لم يرض

وهل كان علي يعلم بأنه سيعيش إلى ما بعد أبي بكر ، فيتأخر عن بيعته تلك الشهور
لستة؟ فعلى لم يسكت ، وبقي طيلة حياته كلما وجد فرصة إلا وأثار مظلمته واغتصاب
حقه ، ويكفي دليلا على ذلك ما قاله في خطبته المعروفة بالشقشقية .

س ٢٢ : لماذا أثاروا فاطمة وأغضبوها بينما هم في حاجة إلى المصالحة؟
* ج : لقتعتهم بدوا إثارة فاطمة بانتزاع أرضها وممتلكاتها ، ومنعها ميراث أبيها ،
وتكذيبها في كل دعواها ، حتى يسقطوا بذلك هيبتها وعظمتها من نفوس الناس ، وحتى لا
يُصدّقوا ما أثارته نصوص الخلافة ، ولذلك اعتذر الأنصار إليها بأن بيعتهم سبقت
لأبي بكر ولو سبق إليهم زوجها لما تخلفوا عنه .

بالأمر الواقع؟!!

في الحقيقة لا يوجد تدافع في كلام المؤلف هنا وهناك ، والتخالف المتصور هو في ذهن الرحيلي فقط ،
وإلا فالكواهمح حيث بين المؤلف هناك أن علي بن أبي طالب عليه السلام لم يشهر سيف المعارضة ، ولم
يقم بالقوة لأخذ حقه الذي غضبه منه ، وهذا هو الواقع الذي ينقله التاريخ .
أمّا هنالمؤلف بين بأن علي بن أبي طالب شهر المعارضة ، لكن المعارضة القولية لا السيفية ، وأخذ
يبين حقه كلما واتته الفرصة ، وكلماته في ذلك مشهورة معلومة في النهج وغيره ، بل البخاري نقل لنا معارضة
الإمام علي الفعلية ذلك برفضه بيعة الأوّل لمدّة ستة أشهر ، وأضاف الزهري بأن علي بن أبي طالب لم يكن
المعارض الوحيد للبيعة ، بل بنو هاشم عموماً كانوا معترضين أيضاً ، فلا تضارب بين الكلامين بل بينهما تمام
المواءمة لمن نزع عن رأسه العصبيّة الأموية ونظر بعين الحقيقة الصافية .

ولذلك اشتد غضبها على أبي بكر وعمر حتى صارت تدعو عليهما في كل صلاة تصليها ، وأوصت زوجها بأن لا يحضر جنازتها أحد منهما ، وأن يجنّبها تلك الوجوه التي تكرهها .

وقد تعمّدوا إيذاءها ليشعروا عليّاً بأنّه أهون عليهم من ابنة النّبي التي هي سيدة نساء العالمين ، والتي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها ، فما عليه إلاّ السّكوت والرّضى .

س ٢٣ لماذا تخلف عن سرية أسامة عظماء القوم؟

ج* ١ استتب الأمر لأبي بكر ، وأصبح خليفة المسلمين بجهود عمر رغم أنوف المعارضين ، طلب من أسامة أن يترك له عمر بن الخطّاب ليستعين به على أمر الخلافة ، لأنّه يقدر على إتمام المخطّط بمفرده ، ولا بدّ له من العناصر الفعّالة الذين لهم من القوّة والجرأة ما عارضوا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يبالوا بغضب الله ولا بلعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تخلف عن بعث أسامة ممّن عبأهم بنفسه ، ولا شك بأنّ المخطّطين لهذا الأمر تخلفوا عن السرية ليبرموا أمرهم ، ويتعاونوا على تركيز قواعدهم .

س ٢٤ : لماذا أبعل الإمام علي عن كلّ مسؤولية ولم يشركوه في شيء؟

بألرج غم من أنّهم قرّبوا عدداً كبيراً من الطلقاء ، وأعطوهم المناصب في حكومتهم ، وأشركوهم في أموريّ نوا منهم أمراء وولاة في كلّ الجزيرة العربية ، وفي كلّ الأقطار الإسلاميّة ، ومن هؤلاء الوليد بن عقبة ، ومروان بن الحكم ، ومعاوية ويزيد ابنا أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وأبو هريرة ، وكثيرون من الذين كانوا يجرّعون رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم غصص ، إلا أنهم أبعدهوا علي بن أبي طالب فبنذوه وتركوه حبيس داره ، ولم يشركوه في شيء من أمرهم طيلة ربيع ليقنلونه ويحرقوه ويأبعدهوا الناس علاناً الناس عبيد الدنيا يميلون مع صاحب السملطة والجاه والمال ، وما دام علي لا يجد قوت يومه إلا بكسب يمينه وعرق جبينه ، فسيتفرق الناس عنه ولا يميلون إليه .

وفعلا فقد بقي علي سلام الله عليه على تلك الحالة مدة خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان رهين البيت ، يعمل الجميع على تحقيره ، وإطفاء نوره ، وإخفاء فضائله ومناقبه ، وليس له من حطام الدنيا وما يرغب الناس فيه .

س ٢٥ : لماذا حاربوا مانعي الزكاة رغم تحريم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لذلك؟

* ج : لأن الصحابة الذين حضروا بيعة الإمام علي في غدير خم ، وهم راجعون من حجّة الوداع بصحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، امتنعوا عن أداء الزكاة لأبي بكر ، لأنهم لم يحضروا وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا الأحداث التي أعقبتها في شأن تبديل الخلافة من علي لأبي بكر لأنهم لا يسكنون المدينة ، ولا شك بأن بعض الأخبار وصلت إليهم بأن فاطمة تخاصمت معهم وغضبت عليهم ، وبأن علياً امتنع عن بيعتهم ، لكل ذلك رفضوا إعطاء الزكاة لأبي بكر حتى يتبينوا الأمر .

ومن هنا قرأ أبو بكر وعمر وجهاز الحكم أن يبعثوا إليهم جيشاً بقيادة خالد بن الوليد الذي كان سيفهم المسلول ، فأخذ ثورتهم ، وأسكت حسهم ، وقتل رجالهم ، وسب نساءهم وذرائعهم ، ليكونوا عبرة لمن تحدّثه نفسه

بعدم الطاعة أو بمسّ هيبة الدولة.

س٢٦: لماذا منعوا تدوين ونقل الأحاديث النبوية؟

* ج : عملوا من الأيام الأولى على منع الأحاديث النبوية جملة وتفصيلاً ، ليس فقط لأنها تتضمن نصوص الخلافة وفضائل الإمام علي ، بل لأن الكثير منها يتعارض مع أقوالهم وأفعالهم التيروني بما شؤون الحياة ، ويركّزون على أسسها معالم الدولة الجديدة التي ابتدعوها وفق اجتهاداتهم.

س٢٧: هل كان أبو بكر قادراً على تحمّل أعباء الخلافة؟

* ج:لم يكن أبو بكر قادراً على تحمّل أعباء الخلافة لولا عمر بن الخطّاب ، وبعض هائلين رؤوس بني أمية ، ولقد سجّل التاريخ بأنّ أبا بكر كان دائماً يخضع إلى أحكام وآراء عمر بن الخطّاب الحاكم الفعلي ، ودليل ذلك قصة المؤلّفة قلوبهم الذين جاؤوا لأبي بكر في بداية خلافته ، وكتب لهم كتاباً وبعثهم إلى عمر الذي كان بيده أمر بيت المال ، فمزّق عمر الكتاب وطردهم ، فرجعوا إلى أبي بكر يسألونه : أنت الخليفة أم هو؟ فأجابهم : هو إن شاء الله!

وكذلك عندما أقطع أبو بكر قطعة أرض إلى عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ، فرفض عمر عندما قرأ كتاب أبي بكر وتفل فيه ومحاه ، فرجعا إلى أبي بكر يتذمّران ممّا فعله عمر ، وقالا لأبي بكر : والله ما ندري أنت الخليفة أم عمر؟ فقال : بل عمر هو الخليفة ، ولمّا أقبل عمر مغضباً وناقش أبا بكر على إعطائه الأرض بكلام غليظ ، قال له أبو بكر : ألم أقل لك : إنك أقوى

منيّ على هذا الأمر لكذلك غلبتني^(١).

وقد أخرج البخاري في صحيحه بأنّ عمر كان يحثّ النّاس على بيعه أبي بكر فيقول لهم إنّّ أبا بكر صاحب رسول الله ثاني اثنين ، وإنّه أولى المسلمين بأمرهم ، فقوموا فبايعوه ، قال أنس بن مالك : سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ أضعد المنبر ، فلم يزل به حتىّ صعد المنبر ، فبايعه النّاس عامّة^(٢).

س٢٨ : لماذا عقد أبو بكر الخلافة وعهد بها إلى عمر قبل وفاته؟

* ج بما أنّ عمر بن الخطّاب هو الذي لعب الدور البطولي في إقصاء علي عن الخلافة بمعارضته العنيفة للنّبي صلى الله عليه وآله وسلّم ، وبحمل الأنصار على بيعه أبي بكر وفرضها على النّاس بكل حزم وشدّة ، حتىّ وصل به الأمر إلى تهديد بيت فاطمة بالحرق.

وبما أنّه كان هو الخليفة الفعلي . كما قدّ منا . فكانت له الكلمة الأولى والأخيرة ، ولا شكّ بأنّه كان من دُعاة العرب ، فعلم بأنّ المسلمين وخصوصاً الأنصار لا يُوافقون على بيعته لطبعه الفظ الغليظ وسرعة غضبه ، فعمل على تقديم أبي بكر لهم لأنّ في طبعه لينا ورقة ، وهو أسبقهم للإسلام ، وابنته

(١) العسقلاني في كتاب الإصابة في معرفة الصحابة ٤ : ٦٤ ، « ترجمة عيينة » ، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٢ : ٥٩ .

(٢) صحيح البخاري ٨ : ٢٦ كتاب الأحكام باب الاستخلاف ، المصنّف لعبد الرزاق ٥ : ٤٣٨ وفيه : « لقد رأيت عمر يزعم أبا بكر إلى المنبر ازعاجاً » والسند صحيح .

عائنهقي المرأة الجريئة القادرة على ركوب الصّ عاب وتغيير الأمور ، وهو يعلم علم اليقين بأنّ أبا بكر طوع يديه ورهن إشارته في كلّ ما يصبوا إليه .

ولم يكن عهد أبي بكر بالخلافة لعمر يخفى على كثير من الصّ حابة من قبل كتابته ، فقد قال له الإمام علي منذ اليوم الأوّل : «حلب حلباً لك شطره ، واشدد له اليوم ليردّه عليك غداً» ^(١) ، كما قال آخر لعمر عندما خرج بالكتاب الذي عهد فيه أبو بكر قال له أنا: أعرف ما فيه ، إنك أمّ رته عام أوّل وأمّ رك هذا العام» ^(٢) .

فعهد أبي بكر لعمر بالخلافة أمرٌ معلوم لدى عامّة النّاس ، وإذا كان في حياته يعترف له أمام الجميع بأنّه أقوى منه على هذا الأمر ، فلا غرابة أن يسلم له مقاليد الخلافة عند الموت .

وبهذا يتبين لنا مرّة أخرى بأنّ ما يقوله أهل السنّة بأنّ الخلافة لا تكون إلاّ بالشورى أمرٌ ليس له وجود ، وليس له في خيال أبي بكر وعمر أيّ اعتبار ، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك الأمر شورى بين النّاس . كما يزعمون . فإنّ أبا بكر هو أوّل من هدّم هذا المبدأ ، وخالف سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعهد له لعمر بن الخطّاب من بعده .

وأهل السنّة دائماً تراهم يتبجّحون بكلّ فخر وإعزاز على أنّهم يؤمنون بالشورى ولا تصلح الخلافة إلاّ بها ، ويسخرون من قول الشيعة الذين يعتقدون بأنّها لا تكون إلاّ بالنصّ من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وتسمع أغلبهم ينتقد

(١) الإمامة والسياسة ١ : ٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ٣٨ .

هذا الاعتقلى عأذّه دخيل على الإسلام من قبل الفرس الذين يقولون بوراثة السّ لطة الإلهية.

وكثيراً ما يستدلّ أهلُ المَسْئَرَةِ هَآئِيةً: (لُؤُورَى بِيَّ ذَنَبَهُمْ) ^(١) على أنّها نازلة بخصوص الخلافة ، وعلى هذا فيحقّق لنا بأن نقول إنّ أبا بكر وعمر خالفا الكتاب والسنة معلّم يُقيمّ لهما وزناً في شأن الخلافة.

س ٢٩: لماذا اشترط عبد الرحمن بن عوف على علي بن أبي طالب أن يحكم بسنة الخليفين؟

* ج : من هوان الدنيا على الله أن يصبح عبد الرحمن بن عوف هو الذين يتحكّم بمصير الأمة بعد عمر ، فيختار لهم من يشاء ، ويُقْصِي من يشاء كل ذلك من تدبير عمر الذي رجّح كفته على بقية الصّحابة ، وعبد الرحمن بن عوف هو الآخر من دهاة العرب ، ولا شكّ بأنّه من أعضاء الحزب المخطط للخلافة وصرّفها عن صاحبها الشرعي .
وإذا كان البخاري يعترف بأنّ عبد الرحمن بن عوف كان يخشى من عليّ شيئاً ^(٢) ، فمن الطبيعي أن يعمل هو الآخر على إبعاده عنها ما استطاع لذلك سبيلاً . وعبد الرحمن بن عوف يعرف كغيره من الصّحابة بأنّ عليّاً لم يكن يُوافقُ على اجتهادات أبي بكر وعمر ، وما غيرّه من أحكام الكتاب والسنة ، وكان يحاول جهده معارضتهما والإنكار عليهما ، لذلك اشترط عبدالمحلن على علي أن يحكم بسنة أبي بكر وعمر ، وهو يعلمُ مسبقاً أكثر من

(١) الشورى : ٣٨ .

(٢) صحيح البخاري ٨ : ١٢٣ كتاب الأحكام ، باب كيف يبايع الناس الإمام .

غيره بأنّ عليّاً لا يداهن ولا يكذب ولا يقبل بذلك الشرط أبداً ، كما كان يعلم بأنّ صهره عثمانو الذي ترتاح إليه قريش وكلّ أعضاء المخطّط.

س ٣٠ : حديث الأئمة الاثني عشر هل له وجود عند أهل السنّة؟

* ج : أخرج البخاري لهم موكلّ المحدثّين من أهل السنّة حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش »^(١).

وبقي هذا الحديث من الألغاز العويصة التي لا جواب لها عند أهل السنّة والجماعة ، ولم يجرأ أحد من علمائهم أن يعدّ بعد الخلفاء الراشدين الأربعة سوى عمر بن عبد العزيز ، وهؤلاء خمسة ، ويبقى من العدد سبعة لا وجود لهم.

فإمّا أن يقولوا بإمامة علي وبنيه الذين تقول بهم الإمامية ، ويصبحوا شيعة لأهل بيت النبي ، وإمّا أن يكذبوا الحديث وتصبح صحاحهم مجردة من الحقّ وليس فيها إلاّ الأكاذيب.

أضف إلى ذلك بأنّ هذا الحديث الذي يخصّص الخلافة في قريش وحدها يتنافى مع مبدأ الشورى الذي يقولون به؛ الاختيار والديمقراطية تشمل كلّ أفراد الأمة ، ولا تختصّ بقبيلتيّنة دون سائر القبائل الأخرى ، بل يتعدّى القبائل العربية إلى غيرها من القبائل الإسلامية غير العربية!!

هذه أجوبة سريعة ومختصرة لنوضّح للقارئ بعض المسائل التي قد

(١) صحيح مسلم ٦ : ٣ كتاب الإمارة ، الناس تبع لقريش والخلافة في قريش ، صحيح البخاري ٨ : ١٢٧ .

تخامر فهد على أذنه قد يجد إجابة مفصلة في كتب التاريخ ، وكذلك في كتابي «ثمَّ
اهتديت» ، و «لأكون مع الصادقين» .
فعلى الباحث أن يرجع إلى المصادر الموثوقة ، وأن يتجرّد للحقّية ، فيمحّص الروايات
والأحداث التاريخيّة كشف من خلالها الحقائق المكسوّة بثياب الباطل ، فيجرّدها وينظر
إليها في ثوبها الأصلي .

الفصل السابع

في ما يتعلّق بالحديث الشريف

سأبين للقارئ بأن مشكلة الأحاديث هي من أكبر المشاكل التي يعيشها المسلمون اليوم خصوصاً في الزمان الحاضر، إذ تخرج من جامعات الوهابية دكاترة متخصصة صون في فنون الأحاديث، فتراهم يحفظون من الأحاديث ما يتماشى مع مذهبهم وعقيدتهم، وأغلب هذه الأحاديث هي من وضع الأمويين أسلافهم، الذين كان همهم أيضاً إطفاء نور الرسالة، وتصوير النبي صلى الله عليه وآله وسلم المخرّج المهرّج الذي لا يدري ما يقول، ولا يتنبّه إلى أحاديثه وأفعاله المتناقضة التي تضحك المجانين.

ورغم ما قام به المحققون والعلماء من أهل السنة لتنقية الأحاديث وغربلتها، فما زال هناك للأسف الشديد داخل الكتب الصّحيحة والمعتبرة الشيء الكثير، وكذلك لم تسلم كتب الشيعة من هذا الدسّ والوضع، ولكن هؤلاء يعترفون بأن ليس عندهم كتاباً صحيحاً إلا كتاب الله، وما سواه فيه الغث والسّمين.

أمّا أهل السنة فيأثمهم متفقون بأن الصّحّاحين (البخاري ومسلم) أضحّ الكتب بعد كتاب الله، بل يقولون بأن كل ما جاء فيهما هو صحيح، ومن أجل ذلك فسأحاول أن أضع بين يدي القارئ بعض النماذج من الأحاديث التي

أخرجها البخاري ومسلم والتمت فيهما ما فيها من الحطّ من قداسة الرسول العظيم
صلى الله عليه وآله وسلم ، أو من أهل بيته عليهم السلام .
وسأحاول هنا طبعاً الأحاديث التي وضعت لتبرير أعمال الحكّام الأمويين
والعباسيين ، وهم في الحقيقة يريدون النيل من خلاها من عصمة النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لتبرير جرائمهم وقتلهم الأبرياء .. إليك ما يلي :

النبي صلى الله عليه وآله وسلم

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الاستئذان ، وفي كتاب الديارات ، باب من اطلع
في بيت قوم ففقؤوا عينه فلا دية له ، وكذلك مسلم في صحيحه في كتاب الآداب ، باب
تحريم النظر في بيت غيره .

عن أنس بن مالك : رجلا اطلع من بعض حُرّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم
، فقام إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسأله عن ذلك ، فكأنه أنظر إليه يخرق ثوبه
الرجل ليطلع به !

إن الخلق العظيم يأبى هذا التصرف من نبي الرحمة الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم ،
والمفروض أن يقوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الرجل الذي اطلع على حجرة النبي
مه والآداب الإسلامية ، ويفهمه بأن ما فعله حرام ، لا أن يأخذ مشقفاً ويختله ليطلعنه
ويفقأ عينه على أن الرجل قد يكون على حسن نية ؛ لأن الحجرة لم تكن حجرة أزواجه ،
والدليل أن أنس بن مالك كان موجوداً فيها ، فأبيّ تهمة هذه توجهه إلى رسول الله ، وتصوّره
لفظ الغليظ الذي يختل أي يستغفل الرجل ليفقأ عينه !؟
وناهيك أن شارح البخاري استغفها ، وقال ما نصّه «لله أي يستغفله ويأتيه
من حيث لا يراه . كذا فسروه . والاستغفال مستبعد منه صلى الله عليه وآله وسلم .» .

النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعاقب عقباً شنيعاً ويمثّل بالمسلمين

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الطبّ من جزئه السابع في باب الدّواء بألبان الإبل ، وفي باب الدّواء بأبوال الإبل . قال حدثنا ثابتٌ عن أنسٍ أنّ ناساً كان بهم سقمٌ قالوا: رسول الله آوينا وأطعمنا ، فأمرهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يلحّ قهوا براعيه ، يعني الإبل فيشربوا من ألبانها وأبوالها ، فلحقوا براعيه فشربوا من ألبانها وأبوالها حتى صلحت أبدانهم ، فقامت الرّاعي وساقوا الإبل ، فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فبعث في طلبهم فجاءهم ، فمقطع أيديهم عنهم ، فرأيت الرّاعي لَمَنهم يكدم الأرض بلسانه حتى يموت .»

هل يصدّق مسلمٌ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي ينهى عن المثلّة ، يقوم هو بنفسه فيمثّل بهؤلاء القوم ، فيقطع أيديهم وأرجلهم ويسمر أعينهم لأنهم قتلوا راعيهم؟! ولو قال الراوي: هؤلاء القوم مثّلوا بالرّاعي لكان للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في المعاقبة بالمثل ، ولكن ذلك غير وارد ، وكيف يقتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويمثّل بهم هذه المفاوئذ ، بحث وتحرّس منهم حتى يتبين من القاتل منهم فيقتله به؟!!

ولعلّ البعض يقول بأنهم شاركوا جميعاً في قتله أفلم يكن في وسع الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم يعفو ويصفح عنهم لأنهم مسلمون ، بدليل قولهم : يا رسول الله ، ألم يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قول الله تعالى ولينذره (واقبة تمّ

بمثّل ما عوقبتم بفعله وقيل قول صبرتم هو خير للمصابرين) (١).

(١) النحل : ١٢٦ .

وإذا كانت هذه الآية نازلة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، عندما احترق قلبه على عمّه سيّد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب ، الذي بقروا بطنه ، وأكلوا كبده ، وقطعوا مذاكيره لغتاظ رسول الله عندما رأى عمّه على تلك الحال وقال : « لئن مكّني الله منهم لأمثلنّ بسبعين »^(١) فنزلت عليه الآية فقال صرّحتُ يا ربّ . وعفى عن وحشي قاتل عمّه ، هند التي مثلت بجسده الطاهر وأكلت كبده وهذا هو خُلُقُ لآبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومّا يدلّك على فظاعة الرواية وأنّ الرّ اوي نفسه استفظعها فأردف يقول : قال قتادة فحدثني محمد بن سيرين أنّ ذلك كان قبل أن تنزل الحدود^(٢) كيبرر فعل النّبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ، فحاشى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يحكم

(١) المعجم الكبير للطبراني ٣ : ١٤٣ ، لباب النقول للسيوطي : ١٢١ ، زاد المسير لابن الجوزي ٤ : ٣٧٠ .
(٢) وأضافوا : «أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قطع الذين سرقوا لقاحه وسمل أعينهم بالنار عاتبه الله في ذلك فأنزل : (قَدْ يَنْ يَخْرِبُونَ اللَّهَ ...) (نيل الأوطار للشوكاني ٧ : ٣٣١) .
واعترض في كشف الجاني : ١٣٧ على المؤلّف بأنّ مسلماً روى في صحيحه أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعل ذلك لأنهم فعلوا براعيه ذلك.

وهذا الاعتراض غير صحيح؛ لأن الله سبحانه وتعالى وصف نبيّه بأنّه على خلق عظيم ، وأنّه رؤوف رحيم وهو في مكة في بدايات البعثة ، فكيف يأتي ويعاقب هذه المعاقبة الشنيعة عدّة أشخاص لأنهم قتلوا شخصاً واحداً؟ فأين رأفته وأين رحمته؟!
وكذلك جاستدلّ بآية (لَنْ يَنْ يَخْرِبُونَ اللَّهَ وَنَرَفِيهِ لَأَرْضٍ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ..) على جواز فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

منذ غفسه قبل أن يبين له ربه ، وإذا كان في المسائل الصغيرة لا يحكم حتى ينزل عليه الوحي ، فما بالك في الدماء والحدود؟
وأذليلهم جداً على من يتأمل في ذلك ليعرف أنّها روايات موضوعة من جهة الأمويين وأتباعهم بها الحكماء الذين لا يتورعون عن قتل الأبرياء على الظنّ والتهمة ، ويمتثلون بهم أشنع التمثيل.

وهذا الكلام لا يصدر إلا ممن لم يقرأ كتب الحديث والتفسير ولم يطلع عليها مرة واحدة واختلفت المفسرين والمحدثين رويوا أنّ هذه الآية وهي في سورة المائدة الآية ٣٣ نزلت بعد معاقبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هؤلاء ، وفيها عتاب من الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم على هذا الفعل ، فكيف يستدلّ بها على صحة فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!

حتى إنهم ذكروا أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يعد لهذا الفعل بعد نزول الآية ، وارجع إلى سنن أبي داود ح ٤٣٦٢ ، سنن النسائي ح ٣٥٠٥ ، تفسير القرطبي ٦ : ١٤٩ .
فهذا الكلام يردّه كلام المحدثين والمفسرين على السلاطين بصراً حوناً بأنّ الآية نزلت بعد فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنّ فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن تنزل الحدود ، فكيف يستدلّ بها صاحب كتاب كشف الجاني على صحة الرواية؟!

وثانياً إنّ آية القصاص التي استدلّ بها صاحب كشف الجاني على تصحيح رواية البخاري ومسلم ليس فيها سمل الأعين ، فما هو المبرر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يسمل عيونهم مع عدم ورود الترخيص به؟!

وللنا هناك روايات تصرّح بأنّ هذه الآية نازلة في الكفار ، والمفروض أنّ هؤلاء مسلمين لا يجوز أن يطبق عليهم ما على الكفار .

ولأجل استبشاع هذا الفعل ذهب بعضهم إلى أنّ هؤلاء ارتدوا وخرجوا عن الإسلام (فتح الباري ١٠ : ١٧٥) ، لكن هذا أيضاً لا يدفع بشاعة الرواية؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للعالمين فكيف يتصور صدور هذا الفعل منه حتى لو كان مع كفار مشركين!!

والدليل على ذلك ما جاء في ذيل الرواية نفسها التي أخرجها البخاري يقول : « قال سلافبُغني أنَّ الحجَّاجَ قال لأنَّسِدَ: ثني بأشدَّ عقوبة عاقبة هها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحدُّه بهذا ، فبلغ الحسن فقوالدَّتْ أُنَّه لم يحدُّه بهذا »^(١).

ويُشَمُّ من القورائحة الوضع لإرضاء الحجَّاج الثَّقفي الذي عاث في الأرض فساداً ، وقتل من شيعة أهل البيت آلاف الأبرياء ، ومثَّل بهم ، فكان يقطع الأيدي والأرجل ، ويسمل الأعين ، ويخرج الألسن من القفا ، ويصلب الأحياء حتى يحترقوا بالشمس ، ومثل هذا الرواية تبرر أعماله ، فهو إنَّما يقتدي برسول الله ، ولكم في رسول الله أسوة حسنة!! فلا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله.

ولذلك تفنن معاوية في التَّنكيل والتَّمثيل بالمسلمين الذين كانوا شيعة لعلي ، فكم أحرقت بالنار ، وكم دفن أحياء ، وكم صلب على جذوع النخل ، ومن الفنون التي ابتكرها وزيره عمرو بن عاص أنَّهُ مثل بمحمَّد بن أبي بكر ، والبسه جلد حمار وقذف به في النار!! ولتبرير مجونهم وكثرة شغفهم بالجواري والنساء إليك ما يلي :

النبي صلى الله عليه وآله وسلم الجماع

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الغسل ، باب إذا جامع ثمَّ عادَ ، ومن دارَ على نسائه في غُسل واحد.

قال :حدَّثنا معاذ بن هشام ، قال :حدَّثني أبي عن قتادة ، قال :حدَّثنا أنس

(١) صحيح البخاري ٧ : ١٣ كتاب الطب باب الدواء بالبان الابل.

ابن مالك ، قال كان النبي ﷺ على نسائه في الساعة الواحدة من الليل وهو هنّ إحدى عشرة ، قال قلتُ لأنس بن مالك : إن يطيقه؟ قال : كذا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين ...

إنها رواية موضوعة للنيل من عظمة الرسول ﷺ يبر روا بلاط الرّشيد ، وأفعال معاوية ويزيد الماجن! ومن أين لأنس بن مالك أن يعرف بأنّ رسول الله ﷺ كان يجامع إحدى عشرة زوجة في ساعة واحدة ، فهل أعلمه الرسول بذلك ، أم أنه كان حاضراً؟ ومن أين له أنه أعطى قوة ثلاثين؟ .. أعوذ بالله من قول الزور^(١).

(١) وذكر عثمان الخميس في كتابه كشف الجاني : ٣٨ أن الرسول ﷺ كان يطوف على نسائه بالحلال لا المتعة طعناً منه بالشيطان يجوز زون المتعة ، وبما أنّها حرام . حسب زعمه . فالشيعة إذن يخللون الحرام .

وهذا من جهله وعدم اطلاعه على الحكم الشرعي للمتعة ، إذ تقدّم منّا في كتاب « لأكون مع الصادقين بيان حال المتعة ، وأنّها حلال وتوفي رسول الله ﷺ والصحابة تفعلها ، وكذلك في زمن أبي بكر فعلتها الصحابة إلى أن جاء عمر ونهى عنها وعاقب على فعلها ، ولأجل الاختصار نقل هنا كلام بعض علماء أهل السنّة . وأحداهم سلفي . يقرون بأنّ عمر هو المحرّم لها :

(١) مال ابن القيسم الجوزية في كتاب « زاد المعاد » ٣ : ٤٦٣ : « فإن قيل : فما تصنعون بما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال : كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله وأبي بكر حتى ثمّانا عنها عمر في شأن عمرو بن حريث ، وفيما ثبت عن عمر أنه قال : متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا أنهى عنهما متعة النساء ، ومتعة الحج .»

لذا تلميذاهن تيمية وحافظ مدرسته يصرّح بأنّ عمر هو المحرّم للمتعة ، وأنّ ذلك مروى في الصحيح (صحيح مسلم) .

(٢) قال السيوطي في تاريخ الخلفاء ١٠٧ : « فصل : في أوليات عمر (ﷺ) قال : قال العسكري هو أو آل من سُمِّي أمير المؤمنين أو آل من حرَّم المتعة .. ».

(٣) وقال السرخسي في المبسوط ٤ : ٢٧ : « قد صحَّ أنَّ عمر بن الخطَّاب . ﷺ . نحى الناس عن المتعة ، فقال : متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أنهى عنهما متعة النساء ، ومتعة الحجَّ . ».

وذكر صاحب كتاب كشف الجاني بأنَّ هذه الرواية موجودة في كتب الشيعة . أيضاً . وهو غفلة منه وجهل فظيع ، لأنَّ الرواية أولاً ضعيفة السند عندنا ، وهو واضح عند مراجع السند الرواية بأدنى تأمُّل ؛ لأنَّ فيها جهالة ، بخلاف الرواية التي نقلها المؤلف فهي من صحيح مسلم .

وثانياً : إنَّ الرواية التي عندنا أنَّه كان يذهب إلى نسائه ويتفقدن لا أنَّه يجامعهن كما صرح الشهيد الثاني بذلك ، بخلاف رواية مسلم فإنه يصرح بأنَّه كان يجامعهن .

وذكر صاحب كشف الجاني أيضاً رواية تقبيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوجه فاطمة سلام الله عليها وقال : كيف يضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجهه بين ثدييها؟ وهو كلام باطل وذلك :

أولاً : الرواية مرسلّة كما هو واضح نقلها صاحب البحار ناسباً لها إلى الإمام الصادق عليه السلام من دون ذكر سند ، وهذا لا يخفى على من يدعي دراسة علم الحديث .

ثانياً : إنَّه كان ينظِّل فاطمة سلام الله عليها وفاطمة هي ابنته ، فهل رفع عثمان الخميس الحسَّ الأبوي والعاطفة الأبوية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، بحيث جعله أسوأ الآباء . والعياذ بالله . ، مصوراً للقارئ بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شخص لا حياة له . والعياذ بالله . بحيث حتى النظر إلى ابنته نظر ...

وثالثاً : إنَّ النظر إلى الوجه والتقبيل يلازم عادة أن تكون الابنة مواجهة لابيها بوجهة جسمها ، فعليه تكون المسألة طبيعية ناشئة من خلق الله سبحانه وتعالى

للإنسان ، لكن أنى هؤلء السلفية إدراك ذلك ، وإدخاله في عقولهم!!

وهذا من آثار القصور الخاطيء لشخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذهن عثمان الخميس وأسلافه ، إذ تصوّروا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شخص جنسي لا هم له إلا ذلك ، بحيث ركض وراء عائشة ، ويغتسل معها ، ويلطم على عروسه ، ويؤخّر الناس عن الصلاة لأجلها .. وغير ذلك من الروايات الخرافية التي دسّها اليهود والأمويّون .

وأما ما ذكره بشأن الرضية وأنّ الشيعة تجوّز نكاحها ، فهو افتراء وقاف للتهم على الغير ، سيراً على مع سلفه ، وهذه كتب الشيعة قاطبة تصرّح بعدم جواز نكاح الرضية ، وعثمان الخميس يكتب أشياء وهو لا يعرف معناها ، وينقلها بصورة مشوهة .

وإذا رجعنا إلى كتب أهل السنة وجدنا أنّ علماءهم يجوّزون نكاح الصبيّة ، وإليك بعض كلماتهم :

(١) قال الإمام النووي : « يجوز وقف العبد والجحش والصغيرين والزمن الذي يرجى زوال زمانته ، كما يجوز نكاح الرضية » روضة الطالبين ٥ : ٣١٤ .

(٢) قال السرخسي عزّ وجلّ بكون العين منتفعاً بما تكفي لانعقاد العقد ، كما لو تزوّج رضية صحّ النكاح باعتبار أنّ عيها الوجود فيما هو المعقود عليه وهو ملك الحلّ . يقام مقام الوجود « المبسوط ١٥ : ١٠٩ .

(٣) قال ابن قدامة : فأما الصغيرة التي لا يوطأ مثلها ، فظاهر كلام الخرقى تحريم قبلتها ومباشرتها لشهوة قبل استبرائها ، وهو ظاهر كلام أحمد ، وفي أكثر الروايات عنه تستبرأ وإن كانت في المهد .

وروي عنه أنّه قال إن كانت صغيرة بأيّ شيّ تستبرأ وإذا كانت رضية؟

وقال في رواية أخرى تستبرأ بحيضة إذا كانت ممّن تحيض ، وإلاّ بثلاثة أشهر إن كانت ممّن توطأ وتحبل .

وظهر هذا أنّه لا يجب استبرؤها ولا تحرم مباشرتها ، وهذا اختبار ابن أبي موسى وقول مالك وهو

الصحيح؛ لأنّ سبب الإباحة متحقق « المغني ٩ / ١٦٠ .

إنَّهَا جنایات بحقِّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي قضى حياته جهاداً وعبادةً ، وتدریساً وتعلیماً لأُمَّتِهِ .

وماذا یعتقد هؤلاء الجهلة عندما یروون مثل هذه الخزایات ، وكأَنَّهُم وحسب عقلياتهم جالمتة بالشَّهوات البهيمية ، أَنَّهُم كانوا یفتخرون على أترابهم بكثرة الجماع وقوَّة النكاح ، وفي الحقيقة فهي روايات وضعتْ للذَّیل من قدسیَّة النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وثانیاً لتبریر مجرُّون الحكَّام والخلفاء الذين امتلأت قصورهم بالجواری والنِّساء بلا حدود لأنَّها ملك یمین!!

وماذا یقول أنس بن مالك راوي هذا الحديث إذا ما عارضته أمُّ المؤمنین عائشة زوج النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والتي كانت تقول بأذنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كغيره من الرِّجال في شأن الجماع.

فقد أخرج مسلم في صحيحه من كتاب الطهارة في باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، عن أمِّ كلثوم ، عن عائشة زوج النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قالت : إنَّ رجلاً سأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمَهُ ثُمَّ يُكْسِلُ لَمْ ، هل عليهما الغُسلُ لَمْ ؟ وعائشة جالسة ، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَهذِهِ ثُمَّ نَغَتَسِلُ لَمْ . ثمَّ یضيف شارح الحديث على هامش صحيح مسلم تؤولیه كسِلُ لَمْ معناه في المصباح : «أكسل الجماع بالألف إذا نزع ولم ينزل ، ضعفاً كان أو غيره » ، فأین هذا من أذنه أَطْرِي قوَّة ثلاثین؟

لما غیر ذلك من الكلمات الكثيرة التي طفحت بها كتب أهل السنَّة ، فالأحرى بعثمان الخميس وغيره ملاحظة كتبهم قبل التهجم على غيرهم.

وهذه الرواية هي الأخرى من وضع الوضّاعين ، قاتلهم الله وضاعف لهم العذاب الأليم ، وإلا كيف يقبل عاقل مثل هذه الروايات عن صاحب الرسالة الذي ذهب عنه الحياء فيقول للرجال بحضرة زوجته ما يستحيي المؤمن العادي أن يقول مثله!!
ولتبرير الغناء والرّقص الذي اشتهر في عهد الأمويين إليك ما يلي :

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ج على الرقص ويستمتع للغناء

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب النكاح باب ضرب الدفّ في النكاح والوليمة

، قال :

حدّ ثنا بشر بن المفضّل ، حدّ ثنا خالد بن ذكوان ، قالته الربيع بنت موعوذ بن عفراء : جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني علفي جلس على فراشه كما جلسك مني فجعلت جويريات لنا يضربن بالدفّ فينشدن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت : إحداهن أهفيناً نبيّ يعلم ما في غد ، فقال : سي هذه وقولي بالذي كنت تقولين .

كما روى البخاري في صحيحه من كتاب الجهاد باب الدرق ، وكذلك مسلم في

صحيحه في كتاب صلاة العيدين ، باب الرخصة في اللّعب الذي لا معصية فيه ، عن

عائشة قالت :

دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاريّتان تغنيان بغناء بُعات

فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه ، فدخل أبو بكر فانتهرني وقال : مزمارة الشيطان

عند رسول الله ، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : دعهما فلمّا

غفل غمزتهما فخرجتهما .

وقالت كان يوم عيد يلعبُ السودان بالدرق والحراب فإمَّأ سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما قال تشتهين تنظرين؟ فقلت: فقللني وراءه هـ خدِّي على خدِّي هـ ويقول دُ ونكم يا بني حفيدة إذا ما لم لتُ قال جندب بك؟ قلت: نعم. قال: اذهبي.

كما أخرج البخاري في صحيحه في كتاب النكاح، باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم من غير ريبة:

قالت عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بردائه، وأنا أنظر إلى الخيلبة ون في المحتجج أكون أنا الذي أسأم فاقدروا قد ر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو.

كما روى مسلم في صحيحه كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب عن عائشة قالت: جاء حبش يرفنون في يوم عيد (أي يرقصون) في المسجد فدعاني النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوضعت رأسي على منكبيه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي أنصرف عن النظر إليهم.

كما أخرج البخاري في صحيحه في كتاب النكاح، باب ذهاب النساء والصبيان إلى العرس:

عن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «واظبيهم قبلين من عرس فقام ممتاً الظهلم أنتم من أحب الناس إلى.»
يقول شارح البخاري بمعنى ما قام مسرعاً مشتداً في ذلك فرحاً بهم^(١).

(١) فتح الباري ٩ : ٢٠٣.

ولتبرير معاقرة الخمر المسكرات إليك ما يلي :

النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشرب النبيذ

روى البخاري في صحيحه كتاب النكاح في باب قيام المرأة على الرجل في العرس وخدمتهم بالنفس كنكلك في باب النقيع والشراب الذي لا يسكر في العرس :
عن أبي حازم عن سهل ، قال لعزس أبو أسيد الساعدي دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم حابفاً صنع لهم طعاماً ولا قر به إليهم إلا امرأته أم أسيد بلمت تمرات في تور من حجارة من الأيظلماء فرغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الطعام أمائته له فسقته إياه تتحفه بذلك.

ومما يدل على أنهم يقصون بهذه الرواية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شرب النبيذ إذ لعل المراد هو غير النبيذ المعروف ، وإنما هي عادة كانت لدى العرب وهي وضع تمرات في الماء لتذهب رائحة الماء ، فهو ليس النبيذ الحقيقي ، وبعضهم يرى صحة استعماله؛ فقد أخرج مسلم هذه الرواية في صحيحه من كتاب الأشربة باب إباحة النبيذ الذي لم يشدد ولم يصرم سكرًا ، ومن هنا بدأ شرب النبيذ يذهب الحكام إلى إباحة الخمر بدعوة أنهما حلال ما لم تسكر.

ولتبرير الإباحية التي كان عليها الأمويون والعباسيون إليك ما يلي :

النبي والابتدال!

روى البخاري في صحيحه في كتاب الحج ، باب الزيارة يوم النحر ، عن عائشة قالت حججنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمضنا يوم النحر فحاضت صفية ،

فأراد النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم يريد الرجل من أهله فقالت : يا رسول الله
إنها حائض .

عجلاً لهذا النبي الذي يحب مجامعة زوجة على مشهد وعلم من زوجته الأخرى ،
فتعلمه بأنها حائض ، بينما لا تعلم المعنية بالأمر من ذلك شيئاً؟!!

النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يستحي!

كما روى مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عثمان بن عفان قال :
عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعثمان ، حدّثه أن أبا بكر استأذن
على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طبع على فراشه لابساً مِرطاً عائشة ،
فأذن لأبي بكر وهو على تلك الحال ففرضى إليه حاجته ثمّ انصرف .
قال عثمان : ثمّ استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال ففرضى إليه حاجته ثمّ
انصرف ، قال عثمان ثمّ استأذنتُ عليه ، فجلس وقال لعائشة : أجمعي عليك ثيابك ،
فقضيتُ إليه حاجتي ثمّ انصرفتُ ، فقالت عائشة يا رسول الله ما لي لم أرك فزعتُ لأبي
بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعتُ لعثمان؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
إنّ عثمان رجلٌ حَولينيّ خَشيتُ إن أذنتُ له على تلك الحال أن لا يبلغَ إلىّ في حاجته .
أيّيّ ن هذا الذي يستقبل أصحابه وهو مضطجع في مرط زوجته على فراشه ،
وبجانبه زوجته في لباس مبتذل ، حتى إذا جاء عثمان جلس وأمر زوجته بان تجمع عليها
ثيابها؟!!

النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم يكشف عورته!

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الصلابة كراهية التعرّي في الصلاة ، وكذلك أخرج مسلم في كتاب الحيض ، باب الاعتناء بحفظ العورة :
عن جابر بن عبد الله : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره فقلل له العباس عمّه : يا بلو أخيلت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة فقال له : ففعله على منكبي سقط مغشياً ما عليه ما رأيت بعد ذلك عريانا صلى الله عليه وآله وسلم.

أنظر أيها القارئ إلى تلامذات المروّرة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي جعل الحياء من دعائم الإيمان والذي كان أشدّ حياءً من العذراء في خدرها!! ولم يكتفوا برواية الابتذال وكشف فخذه أمام أصحابي ، اتهموه بكشف عورته بهذه الرواية الموضوعية ، فهل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندهم أبله إلى هذه الدرجة ، فيسمع إلى كلام عمّه ويكشف عن سواته أمام الناس!؟

اغفر الله العظيم من أقوال الشياطين الأبالسة الذين يتقوّنون على الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، هذا الرسول صلى الله عليه وآله الذي لم ير أزواجه وأقرب الناس إليه عورته والذي يبيح الشرع له أن يكشف عورته لمن ومع ذلك فإنّ أمّ المؤمنين عائشة تقولها نظرت وما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطّ» (١).

فإذا كان هذا فعله مع زوجاته اللاتي كنّ يغتسلن معه في إناء واحد ،

(١) سنن ابن ماجه ١ : ٢١٧ ح ٦٦٢ ، مسند أحمد ٦ : ١٩ ، المصنف لابن أبي شيبة ١ : ١٢٩ .

فيستر عورته عنهن وما رأيته عريانا أبداً فكيف مع أصحابه والناس عامة؟! كلهم، ذلك من وضع خنافس الأمويين الذين كانوا لا يتورعون عن أي شيء، وإذا كان الخليفة منهم - وهو أمير المؤمنين - يطرب لقول شاعر من الشعراء الذي ينشده قصيدة في الغزل فيقوم إليه ويكشف عورته ويقبّل قضيبه!! فلا غرابة بعدها أن يكشفوا عورة النبي وقد تفشّى منهم هذا المرض النفسي وأصبح اليوم أمراً عادياً عند بعض المستهترين الذين لا يقيمون وزناً للأخلاق والمصالح، هناك نوادي ومجاميع للمعرة في كل مكان، يجمع النساء والرجال تحت شعارنا (هنا نحن كما خلقتنا). ولتبرير تلاعبهم بالدين وبالأحكام الشرعية إليك ما يلي:

النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسهو في صلاته

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باب ما يجوز من ذكر الناس، وأخرج مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة، في باب السهو في الصلاة والسجود له:

عن أبي هريرة، قال صُنِّي بنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لظهور ركعتين ثم سلّم، قام إلى خشبة في مقدم المسجد ووضع يده عليها، وفي القوم يومئذ أبو بكر وعمر فهاباه أن يكلماه، وخرج سرعان الناس فقلوا لورت ويلصق القولاة، رجُل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو ذا اليديين فيقول الله: أنسيت أم قصرت؟ فقال: لم أنس ولم تقصر، قالوا: بل نسيت يا رسول الله، قال: صدق ذو اليديين، فقام فصلّى ركعتين ثم سلّم، فسجد مثل سجوده أو أطول،

ثم رفع رأسه وكبر ثم وضع مثل سجوده أو أطول ثم رفع رأسه وكبر .
حاشا رسول الله أن يسهو في صلاته ولا يدري كم صلى ، وعندما يقال له بله قصّر
من الصلاة يقول : «نَسَّ ولم تقصر» ! لأنه الكذب لتبرير فعل خلفائهم الذين كانوا كثيراً
ما يأتون إلى الصلاة وهم سكارى فلا يدرون كم يصلّون وقصّة أميرهم الذي صلى بهم
صلاة الصبح أربع ركعات ثم التفت إليهم وقال : أزيدكم أو يكفيكم؟ مشهورة في كتب
التاريخ^(١).

كما أخرج البخاري في صحيحه كتاب الأذان ، في باب إذا قام الرجل عن يسار
الإمام قال عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال نمتُ عند ميمونة والنبي
صلى الله عليه وآله وسلم عندها تلك فللهزيمة ثم قام يصلي فقيمتُ عن يساره ،
فأخذني فجعلني عن يمينه ، فصلّى ثلاث عشرة ركعة نام حتى نَفُوكُنْ ، إذا نامَ نَفَخَ
ثم أتاه المؤذن فخرج فصلّى ولم يتوضّأ .
قال فحلّو ثبته بكبيراً ، فقال لهُ: ثبني كُرَيْبٌ بذلك .
وبمثل هذه الروايات المكذوبة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيخف
الأمر والسلاطين من بني أمية وبني العباس وغيرهم بالصلاة وبالوضوء وبكل شيء ، حتى
أصبح المثل شائعاً عندنا «للاقياد في الجمعة والأعياد» .

الذبي صلى الله عليه وآله وسلم يحلف ويحنث

روى البخاري في صحيحه في كتاب المغازي قصة عمان والبحرين ،

(١) السنن الكبرى للنسائي ٣ : ٢٤٨ ح ٥٢٦٩ ، أسد الغابة ٥ : ٩١ ، تهذيب الكمال للمزي ٣١ : ٥٧ ،
سير أعلام النبلاء للذهبي ٣ : ٤١٤ ، ٦ : ٤١٤ ، وهو حديث صحيح .

باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن :

عن أبي قلابة عن زهّد م قال : ما قدم أبو موسى هككل الحى من جرّم هواناً
لجلوسه عنده وهو يتعدى دجاجاً وفي القوم رجل جالس فدعاه إلى الغداء فقالي : رأيتُه
يأكل شيئاً فقد رتُه هه ، لفتُم فإني رأيتُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كُله ، فقال :
إني حلفتُ لا آكُله .

فقالم : هخبرك عن يمينة لكنا أتينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم من
الأشعريينناه فأبي أن يحم لندفلسحملناه فحلّف أن لا يحملناهم لم يلبث
النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنهب إبل فامر لنا بخمس ذودفلم قبضها قلنا :
تغلّمنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا نضلح بعدها أبداً ، فأتيتُه فقلت : يا رسول الله
إنك حلّفت أن لا تحم لندا وقد حم لمتنا قال ج : بل ولكن لا أحلف على يمينا فأرى غيرها
خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير منها .

أنظر إلى النبي الذي بعثه الله سبحانه ليعلّم الناس الحفاظ على الأيمان ولا
ينقضوها إلا بكفارة ولكنّه هو يأمر بالشيء ولا يأتيه ، قال لعليّ : (إذ ذكركم الله
باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما تأنه فطمتم الإمشان فكفأسه ماكين من أو س ط م ما
م أو كسه وتهم تطعمه مخون يراه وليفكة فم من لم يجد فصم يام ثلاثة أيام ذلك كفأه قانكم إذا
احفظوا ليقتمكم كذلك يبلكنم أيا الله لعلكم تشكر ون) (١) ، وقال أيضاً : (ولا
ضوا الأمتقان بععد توكيد هه) (٢) ولكن هؤلاء لم يتركوا لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فضلا ولا فضيلة .

(١) المائة : ٨٩ .

(٢) النحل : ٩١ .

أعتقت عائشة أربعين رقبة لتكفر عن يمينها

وأين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من زوجته عائشة التي كفرت عن يمين

نقضته بتحرير أربعين رقبة فهل هي أبر وأتقى لله من رسول الله؟

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الأدب باب الهجر مرة ، وقول رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث :

إن عائشة حدثت أن عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة : والله

لنتهين عائشة أو لأحجرن عليها فقالت : أهو قال هذا؟ قالوا : نعم! قالت هو الله على

نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً ، فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة ، فقالت : لا

والله لا أشفع فيه أبداً ولا أتحنث فلم يلبث ظلي ذلك على ابن الزبير كالمسور بن

مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وهم ما من بني زهرة ، وقال لهما نشدك ما

بالله ما أدخلتmani على عفتيها ، لا يحل لها أن تنذر قطيعتي ، فأقبل به المسور وعبد

الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة ، فقالا النس سلام عليك ورحمة الله

وبركاته أندخل؟ قالت عائشة : ادخلوا. قالوا : كلنا؟ قالت : نعم ادخلوا كلكم ولا تعلم أن

معهما ابن الزبير فلم ادخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة وطفق يناشدها

ويبكي طفق المسور وعبد الرحمن يناشدها إلا ما كلمته وقبلت منه ، ويقولان : إن النبي

صلى الله عليه وآله وسلم عم ما قد علمت من الهجرة لا يحل لمسلم أن يهجر

أخاه فوق ثلاث ليغلم ، ما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكي

وتقول لي : نذرت والنذر شديد فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير ،

وأعتقت في نذرها ذلك أو بغيره رقبته كره، نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تَبُلَّ دُمُوعُهَا
خَمْرًا رَاهَا.

ورغم أن قسم عائشة لا يجوز لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم أن يهجر
المسلم أخاه أكثر من ثلاثة أيام لئلا يملكها أبت إلا أن تكفّر عن يمينها بتحرير أربعين رقبة ،
وهذا أيضاً يدلنا دلالة أخرى من أنها كانت دولة بمفردها ، وإلا كيف تملك عائشة أربعين
رقبة أو ثمنها فليس ذلك بالشيء اليسير ولم يسجل التاريخ أن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم أعتق هذا العدد الهائل طيلة حياته!!
إنهم لم يتركوا سيئة أو نقيصة إلا وألصقوها بكهل ذلك ليروا أفعال أمرائهم ،
قاتلهم الله أنى يؤفكون.

ولتبرير استهتارهم بالأحكام الشرعية إليك ما يلي :

النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتنازل في أحكام الله حسبما يريد

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الصوم باب اغتسال الصائم ، وأخرج مسلم في
صحيحه في كتاب الصيام باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم ، ووجوب
الكفارة الكبرى فيه ، وأنها تجب على الموسر والمعسر :
عن أبي هريرة قال : بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاءه
رجل فقال : يا رسول الله هلكت ! قال : « مالك » ؟ فقلت : على امرأتي وأنا صائم .
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « هل رقبته تَعْتَمُهَا » ؟ قال : لا . قال : «
فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين » ؟ قال : لا . فقال له « قد إطعنا مستين
مسكيناً » ؟ قال : لا .

قال فمكث عند النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم عن علي ذلك أتي النبي ﷺ
صلى الله عليه وآله وسلم في التعمير في المكتل قالن: «السائل؟» فقال: أنا
، تحالذه: «فتصمدق به» فقال ألو لجل أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين
لابتياير (بد الحرهتيل) أبت أفقر من أهـل فيضتيحك النبي ﷺ
صلى الله عليه وآله وسلم بدت أنيابُهُ ثم قال أظعههُ أهـل ملك .

أنظر كيف تصبح أحكام الله وحدود الله التي رسمها لعباده ، من تحرير رقبة على
الموسرين والذين لا يقدرّون على تحرير رقبة فما عليهم إلا إطعام ستين مسكيناً ، وإذا تعذّر
وكان فقيراً فما عليه إلا بالصوم وهو كفارة الفقراء الذين لا يجدون أموالاً كافية لتحرير أو
لإطعام المساكين ، ولكن هذه الرواية تتعدّى حدود الله التي رسمها لعباده ، ويكفي أن يقول
هذا الجاني كلمة يضحك لها الرسول حتى تبدو أنيابه ، فيتساهل في حكم الله ، ويبيح له أن
يأخذ الصدقة لأهل بيته!!

وهل هناك أكبر من هذه الفرية على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيصبح
الجاني مجزاً على ذنبه الذي تعمّده بدلاً من العقوبة؟! ، وهل هناك تشجيعاً أكبر من هذا
لأهل المعاصي والفسقة للذين سيتشبهون بمثل هذه الروايات المكذوبة ويرقصون لها؟!
وبمخله الرّوايات أصبح دين الله وأحكامه لعباً وهزواً ولصبح الزاني ينفّس
بارتكابه الفاحشية تغنى باسم الزاني في الأعراس والمخافل ، كما أصبح المفطر في شهر
الصيام يتحدّى الصائمين!؟

كما أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأيمان والنذور ، باب إذا حنث ناسياً :

عن عطعاع بن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال قتال رجلٌ للنبي صلى الله عليه وآله وسزلجتُ: قبلَ أن أرمي (أي طفتُ بالبيت طواف الزيارة)؟ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « لا حرج » ، قال حَـخِلَةُ: قبلَ أن أذبحَ؟ قال: « لا حرج » ، قال آخر ذبحتُ قبلَ أن أرمي؟ قال: « لا حرج ».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بينما هو يخطبُ يومَ النحرِ إذ قام إليه رجلٌ لمُكفقتالٍ: أحسبُ يا رسولَ الله كذا وكذا قبلَ كذا وكذا ثمّ قام آخر: فقليلَ رسولَ الله كنتُ أحسبُ كذا وكذا لهؤلاءِ الثلاثِ (الحلق والنحر والرمي)؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: « ولا حرجَ لهُ منَ كُلمَهنَّ يومَئذٍ فَمَا » ، لمِ لَ يومئذٍ عن شيءٍ إلا قالَ افعلْ افعلْ ولا حرجَ.

والغريبُ أنّك عندما تقرأ هذه الروايات مستنكراً لها يجابهك بعض المعاندين بأنّ دين الله يسر وليس عسراً وأنّ الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم قال يسر «روا ولا تعسّ روا» (١).

وإنّها كلمة حقّ يراد بها باطلاً لأنّه ليس هناك شكاً في أنّ الله يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر وما جعل علينا في الدّين من حرجٍ ، ولكن فيما سطره ورسمه لنا من أحكام وحدود عن طريق القرآن الكريم والسنة النبويّة المطهّرة وأعطانا الرخّص اللّازمة عند اقتضاء الحال، كالتيّمّم عند فقدان الماء ، أو الخوف من الماء البارد وكالصّلاة جالساً عند الاقتضاء ، وكالافتقار لتقصير الصّلاة في السّفر.

(١) صحيح البخاري ١ : ٢٥ كتاب العلم ، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة ، صحيح مسلم ٥ : ١٤١ كتاب الجهاد والسير ، باب في الأمر بالتنسير وترك التغير.

فَاقْرَأْ أَوْ اجْلُزْ أَتَى سِرّاً مِّنَ الْقُرْآنِ) .

عن عمر بن الخطاب يقول سمعتُ هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستمعتُ لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ه في الصلاة فتصبرتُ حتى سلم ، فلبَّيتُ به برداءه فقلتُ من أقرأك هذه السورة التي سمعتُك تقرأ؟ قال : أقرئها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلتُ كذبتُ أقرئها على غير ما قرأت ، فانطلقتُ به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلتُ لمتأنيبٍ : سمعتُ هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها ، فقال : « بله » ، إقرأ يا هشام « فقرأ القراءة التي سمعتُ به » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كذلك أنزلت » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقرأ يا عم ر « فقرأتُ التي أقراني فقال : « كذلك أنزلت » ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ما تيسر ر منه .» .

فهل يتجهن بعملا لرواية شك في أن الوضاعين تطاولوا على قداسة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى من خلال القرآن الكريم ، وأنه علم الصحابة بقراءات مختلفة ، ويقول لكل منهم : « كذلك أنزل » ، ولو لم تكن القراءة فيها اختلاف كبير ما كان عمر يكاد يقطع على هشام الصلابة ويتهدده .

هذا ويذكرني بعلماء أهل السنة الذين يتشبهون بقراءة معينة ، فلا يميزون لأحد أن يقرأ على غير ما يعرفون إذ كنتوا نبيهم ليقرا : (التي أنعمت عليكم)^(١) فانتهرني أحدُهم بشدة وصرخ قائلاً لا تكسر القرآن إن كنت تجهل القراءة .

(١) البقرة : ٤٠ .

قلت : كيف كسرت القرآن؟

اذكروا زعم قاتي : ، وليس نعمتي .

كما أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الاستقراض وأداء الدين ، في باب

الخصومات من جزئه الثالث صفحة ٨٨ :

عن عبد الملك بن ميسرة أخبرني تطلعتُ النزَّال ، سمعتُ عبد الله يقول : سمعت رجلاً قرأ آيةً سمعتُ من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها ، فأخذتُ بيده فأتيتُ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : «لا كُما محسنٌ» .

قال شعبة أظنه قال لا تختلفوا ، فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا .

سبحان الله وبحمده كيف يُقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اختلفاهم بقوله : «لا كُما محسنٌ» ولا يرجع بهم إلى قراءة موحدة تقطع دابر الاختلاف .

ثمَّ بعد ذلك يقول لهم : لا تختلفوا فتهلكوا ، أليس هذا هو التناقض؟ يا عباد الله افتونا يرحمكم الله ، وهل اختلفوا إلا بإقراره هو ومباركته وتشجيعه!! كلاً وحاش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا التناقض ، والاختلاف الذي تنفُر منه العقول .

أفلا وتدبُّورونك للقراء الذي عبقوله : **هُمَيْرُ اللَّهِ لَوْ جَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**

(^(١))! للوهو وقع اختلاف أكبر وأخطر على الأمة الإسلامية من القراءات المتعددة التي غيرت معاني القرآن إلى تفاسير وآراء مختلفة ، فأصبحت آية الوضوء الواضحة مختلفاً فيها!!

النبي صلى الله عليه وآله يصرِّف كالمصِّب بيان إيعاقب من لا يستحق العقوبة!

(١) النساء : ٨٢ .

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب المغازي ، باب مرض النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته .

ومسلم في صحيحه في كتاب السُّلَام ، باب كراهية التداوي باللِّدود :

عن عائشة قالت لددنا^(١) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به ، فجعل
يشيرُ إلينا أن لا تددوني ، فقلنا كراهية المريض للددِ واء ، فلمَّا أفأقَ قال ألم أنْهَكُمُ أنْ
تُددوني؟ قلنا : كراهية المريض للددِ ولاءٍ بيِّ فقَالِي أحَدٌ في البيت إلا لُدُّ وأنا أنظرُ ، إلا
العَبَّاسُ فَإِنَّهُ لم يشْهَدْ كُفْرًا .

عجيب أمر هذا النبي المفتري عليهن جعله المفترون كالصبي الذي يغرغره الدِّواء
المَرُّ الذي لا يقبله ، فيشير إليهم أن لا يلدوه ، ولكنهم يغصبونه على ذلك رغم أنفه!
ولمَّا يفيق يقول لهم : « ألم أنْهَكُم أن تددوني ؟ » فيعتذرون له بأنهم ظنُّوا بأن النهي هو
كراهية المريض للددِ واء ، فيحكّم عليهم جميعاً يُلدُّوا ، وهو ينظر ليشفي غليله منهم ، ولا
يستثني منهم إلا عمَّه العَبَّاسُ لِأَنَّهُ لم يكن حاضراً لعملية اللِّدود .

ولم تُكْمَل السِّيَرَةُ عائشة نْهاية القصة ، وهل نفَّذَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم
حُكْمَهُ فِيهِمْ أم لا ، وعلى طريق مَن وكيف تمَّت عملية اللِّدوين بالنساء والرَّجال الحاضرين .

(١) يقول ابن منظور في لسان العرب ٣ : ٩٠ عن هذه العملية : « اللدُّ هو أن يؤخذ بلسان الصبي فيمدُّ

إلى أحد شقَّيه ويوجر في الآخر الدِّواء في الصدف بين اللسان والشدق » (المؤلف) .

النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسقط بعض آيات من القرآن!

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن ، باب نسيانُ القرآن ، وكذلك في باب من لا يرى بأساً أن يقول سورة كذا وكذا.

وأخرج مسلم في صحيحه من كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، في باب الأمر بتعمُّد القرآن وكراهة قول نسييتُ آية كذا :

حدَّثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقرأ في سورة بالليل يقول حم «ه ه الله ه لقد أذكرني آية كذا وكذا كنتُ أنسيتها من سورة كذا وكذا» .

كما أخرج البخاري رواية أخرى عن علي بن ميسرة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قارئاً يقرأ في الليل في المسجد ، يَرَفَعُ يَمِينَهُ «الله لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا وكذا» .

ها هو النبي الذي أرسله الله سبحانه بالقرآن ، وهو معجزته الخالدة ، والذي كان يحفظه من يوم نزوله عليه جملة قبل نزوله أنجماً ، وقد قال الله تعالى : (لَوْ بِرَبِّهِ لَسَسَا نَارَكَ لَتَعَجَّلَ بِهِ) (١) وَقَلِيلٌ مِمَّا يُضَلُّونَ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِرَبِّهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلِمَى قَلْبَهُ لَكُونَتَا مِنْهُ بِالْمُنْشَرِينَ عَرَبِيٍّ وَمِائَةٍ يُلْفِي زُبُرَ الْأُولَى (٢) .

ولكن الكذابين والدجاجالين والوضاعين يأبون إلا أن يلصقوا به كل

(١) القيامة : ١٦ .

(٢) الشعراء : ١٩٢ . ١٩٦ .

الأباطيل ، وكلّ السفاسف والمخاريفتي لا يقبلها عقل ولا ذوق سليم ، ومن حقّ المسلمين الباحثين أن ينزّوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أمثال هذه الروايات المزيفة التي ملأت كتب الأحاديث ، وخصوصاً منها المعدودة من الصّحاح.

فنحن لم نخرج إلاّ من كتاب البخاري ومسلم ، اللذين هما عند أهل السنة أصحّ الكتب بحسب الله ، وإذا كان هذا شأن الصّحاح بخصوص الطعن بقداسة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعصمته ، فلا تسأل عن باقي الكتب الأخرى.

كلّ ذلك من وضع أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الذين تزلفوا إلى حكّام بني أمية في مهادنة وما بعده ، حتى ملأوا المطامير بالأحاديث المكذوبة ، والتي يريدون من خلالها الطعن على صاحب الرّسالة صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنهم لم يؤمنوا بكلّ ما جاء به من عند الله.

هذا من جهة ومن جهة أخرى ليرّوا أفعال أسيادهم البشعة والشنيعة التي سجّلت لها تاريخ المسلمين ، وقد كشفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بداية البعثة ، وحذّر منهم وطردهم من المدينة ولعنهم.

فقد أخرج الطبري في تاريخه ، قال نزيّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا سفيان مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به ، ويزيد ابنه يسوق به ، فقال : لعن الله القائد والراكب والسائق^(١).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من طريق أبي برزة الأسلمي ، قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر ، فسمع رجلين يتغنّيان وأحدهما يجيب الآخر

(١) تاريخ الطبري ٨ : ١٨٥ .

وهو يقول :

لا يزال حوارى تلوح عظامه بي الحرب عنه أن يجنّ فيقبراً
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنظروا من هما؟ فقالوا : فلان وفلان ، فقال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اركسهما ركساً ، ودعهما إلى النار دعماً^(١) .
وعن أبي ذر الغفاري قال معاوية بمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول
وقد مررت به : اللهم ألعنه ولا تشبعه إلا بالتراب^(٢) .

وقد قال الإمام علي عليه السلام في كتاب بعث به لأهل العراق :

والله لو لقيتهم فرداً وهم ملء الأرض ما باليت ولا استوحشت ، وإني من ضاللتهم
التي هم فيها ، والهللي نحن عليه ، لعلني ثقة وبيّنة ويقين وبصيرة ، وإني إلى لقاء ربي
لمتلق ، ولحسن ثوابه لمنتظر ، ولكن أسفاً يعتريني ، وحرناً يخامرني أن يلي أمر هذه الأمة
سفهاؤها وفجّارها ، فية خذوا مال الله دولا ، وعباد الله خولا ، والصالحين حرباً ، والقاسطين
حزباً^(٣) .

وبما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعنهم . كما مرّ عليك . ولم يجدوا
لتلك الأحاديث دسّاً لأئنيّ جلّ الصحابة كانوا يعرفونها ، فوضعوا في مقابلها أحاديث أخرى
تقلب الحقّ باطلاً ، وتجعل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شخصاً

(١) مسند الإمام أحمد ٤ : ٢١ ولم يسمّ الرجلين والسند حسن ، وعن ابن عباس في المعجم الكبير ١١ : ٣٢

وقد ذكر اسم الرجلين فيكون متابعاً لرواية مسند أحمد .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨ : ٢٥٨ .

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١ : ١٧٩ .

عادياً تعتريه الحمى تهليجاً ، ويأخذه الغضب إلى أبعد الحدود ، فيسب ويلعن من لا يستحق ذلك ، ودفاعاً على أسيادهم الملاحين فقد وضعوا هذا الحديث .

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات ، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من آذيتُه فاجعله له زكاة ورحمة .

وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب ، باب من لعنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبّه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجرًا ورحمة :

عن عائشة قالت ° : دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلان ، فكلماه بشيء لا أدري ما هو ، فأغضباه فلعنهما وسبهماهفلهما ما خرج ما قلت : يا رسول الله ما أصاب أحد من الخير شيئاً ما أصابه هذان ، قال : « وما ذاك ؟ » قالت : قلت : لعنتهما وسببتهما ، قالوا : « علمت ما شارطت عليه ربي » ، فقلت لهم : إنما أنا بشر فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرًا .

وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اللهم إني أتخذُ عندك عهداً لن تخلفنيه فإنما أنا بشر ، فأى المؤمنين آذيتُ شتمتُه ، لعنتُه ، جلدتُه فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقرأ به بها إليك يوم القيامة » (١) .

وتمثل هذه الأحكام بصلح ضوالبجي بغضاب لغير الله ، ويسب ويشتم ، بل ويلعن ويجلد من لا يستحق ذلك أي نبي هذا الذي يعتريه الشيطان فيخرج عن دائرة المعقول ، وهل يسمح أي رجل دين عادي أن

(١) صحيح مسلم ٨ : ٥ كتاب البر والصلة والآداب ، باب من لعنه النبي صلى الله عليه وآله .

يفعل ذلك؟ أم هل لا يُستقبحُ منه ذلك؟!

وبمثل هذه الأحاديث يصبح كحَام بني أمية الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعا عليهم ، وجلد البعض منهم لارتكابهم الفاحشة ، وافتضحوا أمام الناس عامٍ يقنبحون مظلومين بل يُصبحون مُزكّين وهو مقررٌ بين إلى الله .
وهذه الأحاديث الموضوعية تكشف عن نفسها بنفسها وتفضح الوضّاعين ، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا لعننا ، ولا فاحشاً ولا متفحشاً ، حاشاه ..
حاشاه ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهمذاباً أليماً .
وتكفينا رواية واحدة أخرجها البخاري ومسلم عن عائشة نفسها لدحض هذه المزاعم الكاذبة .

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأدب ، باب لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاحشاً ولا متفحشاً :

عن عائشة قالت إن يهوداً أتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا :السَّام عليكم ، فقالت عائشة فقلتُ بعلينكم ولعنكم الله وغضب عليكم ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهللاً يا عائشة ، عليك بالرفق ، وإياك والعنف والفحش « ، قلتُ : أو لم تسمع ما قالوا؟ قلل لم: تسمعني ما قلتُ ؟ رددتُ عليهم فيُستجابُ لي فيهم ، ولا يستجابُ لهم فيَّ .» .

كما أخرج مسلم في صحيحه كتاب البرِّ والصلة والآداب بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون المسلم لعننا ، ونهاهم حتى عن لعن الحيوان والدواب ، وقيل له نيا رسول الله ادعُ على المشركين ، فقال : «إني لم أبعثُ لانا ، وإنما بعثتُ رحمةً .» .

وهذا هو الذي يتماشى مع الخلق العظيم ، والقلب الرحيم الذي اختصَّ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يكن يلعنُ ويسبُّ ويجلد من لا يستحقُّ ، إنَّمَا إذا غضب فإنَّه يغضب لله ، وإذا لعن فإنَّه يلعن من يستحقُّ اللعن ، وإذا جلد فإنَّمَا يجلد لإقامة حدود الله ، لا أن يجلد الأبرياء الذين لم تقم عليهم البيّنة أو الشهود أو الاعتراف .

ولكن هؤلاء غاضهم وأحرق قلوبهم أن تتفشَّى الرِّايات التي فيها لعن معاوية وبني أمية ، فاختلقوا هذه الرِّايات للتّمويه على النَّاس ، وليرفعوا مكانة معاوية الوضيعة ، ولذلك تجد ملهم في صحيحه بعد إخراج هذه الرِّايات التي تجعل من لعن الرسول لمعاوية زكاة ورحمة وقربة من الله ، يخرج حديث عن ابن عباس قال كنتُ أَلعبُ مع الصبيان ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتواريتُ خلف باب ، قال فجاء فحطأني حَطْأَةً وقال : « اذهبْ وادع لي معاوية » ، قال فجئتُ فقلتُ هو يأكلُ ، قال بئِمَّ قال لي : « اذهبْ فادع لي معاوية » ، قال فجئتُ فقلتهو : يأكلُ ، فقال : « لا أشبع الله بطنه هُ »^(١) .

ونجد في كتب التاريخ بأنَّ الإمام النَّسائي بعدما كتب كتاب الخصائص التي اختصَّ بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، دخل الشام فاعترضه أهل الشام ، وقالوا له : لماذا لم تذكر فضائل معاوية؟ فقال لهم : لا أعرف له فضيلة إلاَّ « لا أشبع الله بطنه هُ » ، فضرِبُوه على مذاكيره حتى استشهد^(٢) والمؤرِّخون يذكرون بأنَّ دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهدتْ ، فكان معاوية يأكل ويأكل

(١) صحيح مسلم ٨ : ٧ كتاب البرِّ والصلة والآداب ، باب من لعنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) البداية والنهاية ١١ : ١٤ حوادث سنة ٣٠٣ ، باختلاف .

حتى يتعب من الأكل ولا يشبع.

وفي الحقيقة لم أكن أعرف هذه الروايات التي تجعل اللعنة رحمة وقربة من الله إلى أن عرفني عليها أحد المشايخ في تونس ، وهو موصوف بالعلم والمعرفة ، وكنا في مجمع نتجاذب أطراف الحديث حتى جاء ذكر معاوية بن أبي سفيان ، وكان الشيخ يتحدث عنه بكل إعجاب ، ويقول : هو داهية ومشهور بالذكاء وحسن التدبير .

وأخذ يتكلم عنه وعن سياسته وانتصاره على سيدنا علي كرم الله وجهه في الحرب ، برؤس عليه بمضض ، ولكنه ذهب شوطاً بعيداً في إطراء معاوية والثناء عليه ، حتى عيل صبري وقلت له : بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يحبّه ، وقد دعا عليه ولعنه .

فاستغرب الحاضرون ، ومنهم من غضب من قولي ، ولكن الشيخ بكل هدوء ردّ عليّ بصدّقني ، ممّا زاد دهشة الحاضرين وقالوا له : نحن لم نفهم شيئاً ! من ناحية أنت تمدحه وتترضى عنه ، ومن ناحية أخرى توافق على أن النبي لعنه ؟ فكيف يصحُّ هذا؟ وتساءلت أنا معهم : كيف يصحُّ ذلك؟

وأجابنا الشيخ بجواب بدا غريباً وصعب القبول قال : إنّ الذي يلعنه رسول الله أو يسبّه فهي له زكاة ورحمة وقربة عند الله سبحانه ، وتسدّ مآل الجميع في دهشة : وكيف ذلك؟ قال : لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أنا بشر كسائر البشر ، وقد سألت الله أن يجعل دعائي ولعنتي رحمة وزكاة » ثمّ أضاف قائلاً وحتى الذي يقتله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دنياه إلى الجنّة مباشرة .

واختليت بالشيخ فيما بعد ، وسألته عن مصدر الحديث الذي ذكره ،

فأحالي على صحيح البخاري وصحيح مسلم ، وأطلعت على تلك الأحاديث ، ولم تزدني إلا يقيناً بالمؤامرة التي دبها الأمويون لتغطية الحقائق ، ولستر فضائحهم من جهة ، ولضرب عصمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جهة أخرى .

ووجدت بعدها روايات كثيرة ترمي إلى نفس الهدف ، وحتى يطمئن المتآمرون فقد اختلفوا أكثر من ذلك على لسان رب العالمين ، فقد أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله :

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتلان «للم عمل خيراً قطُّ ، فإذا ماتَ فحرَّ قُوهُ وأذُرُ وانصفَه في البهائم في البحر ، فوالله لئن قدر الله عليه نذَّبته عذاباً لا يُعَدُّ ليعه أحدًا من العالمين ، فأمر رب الله البحر فجمع ما فيه ، وأمر البر فجاء مع ما فيه ، ثم قال لم فعلت من ظلمت شيئا تترك وأنت فلعلكم لر له .»

وعنه أيضاً في نفس الصفحة ، قال أبو هريرة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال إن «عبداً أصاب ذنباً ، وربما قال أذنب ذنباً ، فقال : ربَّ أذنبتُ ذنباً ، وربما أظلمتُ فاغفر لي .»

أعلم قبل ذلك له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي مكث ما شاء الله ، ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً وبفقال أذنبتُ أو أصبتُ آخر فاغفره ، أعلم فقال عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم أذنب ذنباً وربما قال أصاب ذنباً ، فقول : أصبتُ أو قال بذبتُ آخر فاغفر لي ، أعلم فقال عبدي أن له رباً يغفر

الذنبَ ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي . ثلاثاً . فليعلمَ لَ ما شاء .» .

أي ربَّ هذا يا عبدي؟ أنَّ العبدَ لم من الوهلة الأولى بأنَّ له رباً يغفرُ الذنبَ ، غير أنَّ ربَّه بقي جاهلاً بهذه الحقيقة ، وفي كَلِّ يتساءلُ أعلمُ عبدي بأنَّ له رباً يغفرُ الذنبَ؟! .

ربُّ أي هذا الذي من كثرة الذنوب المتكرِّرة ، وكثرة المغفرة المتكرِّرة ، فقد كلَّ وملَّ وقال لعبده : اعمل ما شئتُ «ريحني الله بخديك» !!

كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ كَلِمَاتٍ بِآخِرِ نَفْسِكَ عَمَلِي
آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمَرُوا بِذَلِكَ لَقَدْ وَجَدُوا لَهَا آثَارًا (١) .

نعم ، لقد زعموا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعثمان : « اعمل ما شئتُ فلن يضرك ما فعلتَ بعد اليوم » وذلك عندما جهَّز عثمان جيش العسرة حسبما يقولون لملكوك الغفران التي يُقَبَّرُ فيها رهبان الكنيسة مقابل دخول الجنة!! .
فليس من الغريب إذاً أن يفعل عثمان تلك الأعمال الشنيعة التي سببت الثورة عليه ، وقتله ودفنه في غير مقابر المسلمين ، بغير تغسيل ولا تكفين .

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ أَمَّا أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢) .

النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يتناقض في حديثه

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الفتن ، باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما ، من

جزئه الثامن صفحة ٩٢ :

(١) الكهف : ٥ .

(٢) البقرة : ١١١ .

عن عبيد اللّٰه بنين ، حدّ ثنا حمّاد ، عن رجل لم يُسمِّ به ، عن الحسن قال :
خرجتُ بسلاحي ليالي الفتنة ، فاستقبلني أبو بكره فقال أين تريد؟ قلت أريدُ نصره ابن
عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
« إذا التقى المسلمان بسيفيهما فكلاهما من أهل النار ، قيل : فهذا القاتل فما بالُ المقتول؟
قال: أَرَادَ قتل صاحبه .» .

قال حمّاد بن زيدكزتُ هذا الحديث لأبيّ حوب ويونس بن عبيد ، وأنا أريدُ أن
يحدّثني به ، فقال: إنّما روى هذا الحديث الحسنُ عن الأحنف بن قيس عن أبي بكره .
كما أخرج مسلم في صحيحه من كتاب الفتن وأشرط الساعة ، باب إذا تواجه
المسلمان بسيفيهما ، حديث أبي بكره عن الأحنف بن قيس ، قال ذهبْتُ لأنصر هذا
الرجلَ ، فلقيني أبو بكره ، فقال : أين تريدُ؟ قلتُ نرُ هذا الرجلُ ل قال ارجع فإني
سمعتُ رسول الله يقول إذا «التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتلُ والمقتولُ في النار» فقلتُ
: يا رسول الله! القاتلُ ، فما بال المقتولُ؟ قال : «إنّه كان حريصاً على قتل صاحبه»
(١) .

ومن خلال هذه الأحاديث الموضوعه ، يفهم القارئ بوضوح الأسباب التي دعت
لوضعه ، ويتجلّى أبو بكره داوته إلى ابن عمّ المصطفى ، وكيف عمل على خذلان أمير
المؤمنين وللهذا حتى أخذ يثبّط عزائم الصّحابة الذين أرادوا نصره الحقّ ضدّ
الباطل ، فيختلق لهم مثل هذا الحديث

(١) أخرج هذا الحديث أيضاً البخاري في كتاب الإيمان باب قوله تعالى: (طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ) (المؤلف) .

ذي لا تقبله العقول ، ولا يقرّه القرآن الكريم ، ولا الصحيح من السنّة النبويّة ، فقول الله **فَقَاتِلُْوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** (١) أمرٌ صريح في قتال البغاة والظالمين ، ولذلك تلاحظ أن شارح البخاري نفسه كتب على هامش الحديث هذه العبارة : «نظر هل في هذا الحديث حجّة على مقاتلة البغاة مع قول الله تعالى فقاتلوا التي تبغي » وإذا تعارض الحديث مع كتاب الله فهو مكذوب ، وليضرب به عرض الجدار .

أمّا السنّة النبويّة الصحيحة فقوله صلى الله عليه وآله وسلم في علي عليه السلام : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره ، واخذل من خذله وأدر الحقّ معه حيث دار » (٢) ، فموالاته علي هي موالاته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونصرة أمير المؤمنين واجبة على كلّ مسلم ، وخذلانه هو خذلان للحقّ ، ونصرة للباطل .

ثمّ لو تأملت في حديث البخاري لوجدت هناك في سلسلة الرواة واحداً

(١) الحجرات : ٩ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١ : ١٦٣ ، السيرة الحلبية ٣ : ٣٨٤ وفي ملحقات إحقاق الحقّ ٦ : ٢٩٢ عن العقد الفريد وأسعاف الراغبين .

وفي مجمع الزوائد للهيتمي ٩ : ١٠٤ وعن عمرو بن ذي مرّ وسعيد بن وهب وعن زيد بن بشيع قالوا : سمعنا علياً يقول : « نشدت الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدیر خم لما قام ، فقام ثلاثة عشر رجلاً ، فشهدوا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : فأخذ بيد علي فقال : « من كنت مولاه فهذا مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وأحبّ من أحبه ، وابغض من يبغضه ، وانصر من نصره واخذل من خذله » رواه البزّار ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة .

مجهولاً لم يذكروا اسمه، بل يقولون حماد عن رجل لم يُسمَّ به وهذه تدلُّ دلالة جليَّة بأن هذا المجهول هو من المنافقين الذين يبغضون علياً، ويحاولون جردهم طمس فضائله، أو بالأحرى القضاء عليه وعلى ذكره ما استطاعوا لذلك سبيلاً.

وقد قال سعد بن أبي وقاص الذي امتنع هو الآخر عن نصره الحقَّ: « اتتوني بسيف يقول هذا علي حقٌّ وهذا علي باطل لأقاتل به! ولمثل هذا التمويه يلبس الحقُّ بالباطل، وتضيع السبل الواضحة لتحل محلها الظلمات!

على أننا نجد في كتب السنَّة المعتمدة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرَّ الكثير من أصحابه بالجنَّة، وبخصوصاً العشرة الذين اشتهروا بين المسلمين بأنهم المبشرين بالجنَّة.

فقد أخرج أحمد، والترمذي، وأبو داود أنَّ النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «بو بكر في الجنَّة، وعمر في الجنَّة، وعثمة في الجنَّة، وعلي في الجنَّة، وطلحة في الجنَّة، الزبير في الجنَّة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنَّة، وسعد بن أبي وقاص في الجنَّة، وسعيد بن زيد في الجنَّة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنَّة»^(١).

وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: « ابشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنَّة»^(٢)،

(١) مسند أحمد ١ : ١٩٣، سنن الترمذي ٥ : ٣١١ ح ٣٨٣٠، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ٥٦ ح ٨١٩٤.

(٢) المستدرک للحاکم ٣ : ٣٨٩، المعجم الأوسط ٢ : ١٤١.

وقوله : « اشتاقت الجنة إلى أربع علي ، وعمّار ، وسلمان والمقداد »^(١) .
وقد روى مسلم في صحيحه أن عبد الله بن سلام بشّر به رسول الله بالجنة^(٢) وضح
عنه قوله : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة « وكذلك صحّ عنه أن جعفر بن
أبي طالب يطير مع الملائكة في الجنة تؤنّ فاطمة الزهراء سيّدة النساء في الجنة^(٣) ، وأن
أمّها خديجة بشّر بها جبرئيل ببيت من قصب في الجنة^(٤) وضحّ عنه قوله : « صهيب سابق
الروم إلى الجنة ، وبلال سابق الحبشة إلى الجنة ، وسلمان سابق الفرس إلى الجنة »^(٥) .
وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تختصّ أحاديث البشارة بالجنة إلاّ على هؤلاء العشرة ،
فلا تجمع ولا مجلس إذا ما تحدّثوا عن الجنة إلاّ وجاءوا بذكر العشرة المبشّرين بالجنة!!
ونحن لا نخسدهم على ذلك، نضيق رحمة الله الواسعة التي وسعت كلّ شيء ،
ولكن نقول فقط بأنّ هذه الأحاديث تتناقض وتتعارض مع

-
- (١) المعجم الكبير للطبراني ٦ : ٢١٥ ، تاريخ دمشق ٦٠ : ١٧٦ ، وفي المستدرک للحاكم ٣ : ١٣٧ ذكر ثلاثة عليّ وعمّار وسلمان « وضحّه .
- (٢) صحيح مسلم ٧ : ١٦٠ فضائل الصحابة ، باب من فضائل عبد الله بن سلام .
- (٣) مسند أحمد ٣ : ٣ ، ٦٢ ، سنن ابن ماجة ١ : ٤٤ ، المستدرک ٣ : ١٦٧ وقال : « هذا حديث قد صحّ من أوجه كثيرة ، وأنا أتعجّب أنّهما لم يخرّجاه .»
- (٤) المعجم الكبير ٢ : ١٠٧ ، مجمع الزوائد ٩ : ٧٣ وحقّسه .
- (٥) صحيح البخاري ٤ : ٢٠٩ كتاب فضائل أصحاب النبي ، باب مناقب فاطمة .
- (٦) صحيح البخاري ٢ : ٠٣ كتاب العمرة ، باب متى يحلّ المعتمر ، صحيح مسلم ٧ : ١٣٣ كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أمّ المؤمنين .
- (٧) المعجم الكبير ٨ : ١١١ ، مجمع الزوائد ٩ : ٠٠ وحقّسه .

حديث : «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار لأننا لو صدقنا به لتبخّر حديث البشارة بالجنة ، إذ أن معظم هؤلاء تحاربوا وتقاتلوا وقتل بعضهم بعضاً ، ففول الجير قتل بلا في حرب الجمل التي قادتها أم المؤمنين عائشة ضد الإمام علي بن أبي طالب وسلّت سيوفهم بل وتسبّبوا في قتل الآلاف من المسلمين.

كما أن عمّار بن ياسر قتل في حرب صفين التي أشعل نارها معاوية بن أبي سفيان ، وكان عمّار متواجداً بسيفه مع علي بن أبي طالب ، فقتلته الفئة الباغية، كما نصّ علي ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلمهما أن سيّد الشهداء سيّد شباب أهل الجنة الإمام الحسين ، تواجد بسيفه هو وأهل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مقابل جيش يزيد بن معاوية ، وقتلوقهم كلّهم ولم ينج منهم إلاّ علي بن الحسين.

فعلى رأي هؤلاء الكذّابيين كلّ هؤلاء في النار القاتلين والمقتولين؛ لأنهم التقوا

بسيوفهم.

وواضح أن الحديث لا يمكن أن تصح نسبه إلى من لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى وهو كما قدّ منا يصطدم مع المنطق والعقل ، ويناقض كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، والسؤال الذي يطرح هنا : كيف يغفل البخاري ومسلم عن مثل هذه الأكاذيب ولا يتنبهون لها؟ أم أن لهما في أمثال هذه الأحاديث مذهب وعقيدة؟

الناقض في الفضائل

ومن الأحاديث المتناقضة التي تجدها يلصّحاح ، هو تفضيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كلّ الأنبياء والمرسلين ، وأحاديث أخرى ترفع من شأن

موسى درجة أعلى من درجته.

وأعتقد بأن اليهود الذين أسلموا في عهد عمر وعثمان ، أمثال : كعب الأحبار ،
وتميم الداري ووهب بن منبه ، هم الذين وضعوا تلك الأحاديث على لسان بعض
الصحابة الذين كانوا معجبين بهم ، أمثال أبي هريرة ، وأنس ابن مالك وغيرهم.

فقد أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى **كَلِمَ اللَّهُ**

مُوسَى تَكَلَّمَ بِمَا :

عن أنس بن مالك حكاية طويلة تحكي إسرائ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم
عروجه إلى السماوات السبع ، ثم إلى سدرة المنتهى قصة فرض الصلوات الخمسين التي
فرض على محمد وأمه تو بفضل موسى ردت إلى خمس عملية وما فيها من الكذب
والكفر واليخنيع من أن الجبار رب العزة دنا فتدلى حتى كان من النبي قاب قوسين
أو أدنى ، وغيرها من الكذب خويلد هم لنا في هذه الرواية هو أن محمد بدأ لما استفتح
السماء السابعة ، وكان فيها موسى ، وأن الله رفعه في السابعة بتفضيل كلام الله ، فقال
رب **مَلَأْتُنَّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَى أَحَدٍ** (1).

وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب الإسرائ برسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم.

وأخرج البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة

(1) صحيح البخاري ٨ : ٢٠٤ ، كتاب التوحيد ، باب قول الله **فَعَلِمَ نُونًا أَنْ يُرْمَى فِي الْبُرُوجِ لَوْلَا** ..).

صلوات الله عليه قصّة أخرى تشبه الأولى ، وتحكي الإسراء والمعراج ، ولكن تقول بأنّ موسى كان في السّماء السادسة ، وإبراهيم في السابعة والذي يهّمنا منها هو هذا المقطع .
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتيها على السّماء السادسة ، قيل : من هذا؟ قيل : جبرئيل ، قيل من معك؟ قال محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قيل : وقد أرسل إليه؟ قال : نعم ، قيل مزحياً به ولنعم المجيء جاء .
فأتيت على موسى فسلمت عليه محققاً لك من أخ وني ، فلمّا تجاوزت بكى ، فقيل ما أبوكاك يا فقال : هبذا لغتلاً مع الذي يدخل الجنة من أمته أفضل ممّا يدخل من أمّتي .»

كما أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها : عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ألا سيّد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون ممّ يجلبغ الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناس ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربّكم؟ فيقول بعض الناس لبعض : عليكم بآدم .»

فيأتون آدم عليه السلام ، فيقولون له : أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربّك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم زبي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنّه نهاني عن الشجرة فعصيته ،

نفسى ، نفسى ، نفسى ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح .
وتمضي الرواية وهي طويلة جداً . ونحن دائماً نريد الاختصار . إلى أن يطوف الناس
على نوح ، ثم على إبراهيم ، ثم على موسى ، ثم على عيسى ، وكلهم يقول : نفسى ،
نفسى ، نفسى ، ويذكر خطيئته أو ذنبه ، عدا عيسى لم يذكر ذنباً ، ولكنه قال : نفسى !
نفسى ! اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيأتوني ، فأنتلق فأتي تحت العرش ، فأقع
ساجداً لربي عز وجل ثم ليح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه علي
أحد قبلي يهضمهم يقال ارفع رأسك ، سهل تعطه ، واشفع تُشفع .
فأرفع رأسي ، فأقول تي يا رب أمتي يا رب ، فيقال يا محمد أدخل من أمتك
من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك
من الأبواب ، ثم قال : والذي نفسي بيده إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة كما بين
مكة وحمير ، أو كما بين مكة وبُصرى .

وفي هذه الأحاديث يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد الناس يوم
القيامة ! ويقول بأن ياموسى ههل كنت أظن أن يرفع عليّ أحد ، ويقول بأن
موسى ربكى وهلل الغلام الذى بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما
يدخل من أمتي .

ونفهم من خلال هذه الأحاديث بأن كل الأنبياء والمرسلين من آدم حتى

عيسى مروراً بنوح وإبراهيم وموسى عليهم وعلى نبينا أفضل الصلوة وأزكى التسليم) لن يشفعوا عند الله يوم القيامة. صلى الله عليه وآله وسلم ، ونحن نؤمن بكل ذلك ، ونقول بتفضيله صلى الله عليه وآله وسلم على سائر البشر ولكن الإسرائيليين وأعدائهم من بني إسرائيل يتحتم لهم هذا الفضل والفضيلة لمحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم حتى اختلقوا روايات تقول بتفضيل موسى عليه .

وقد مر بنا في خلال أبحاث سابقة قول موسى لمحَمَّد ليلة الإسراء والمعراج ، ولما فرض الله عليه خمسين صلاة ، قال له موسى : أنا أعلم بالناس منك .

وهذا لم يكف ، فاخترقوا روايات أخرى تقول بتفضيله (أي موسى على محمد) على

لسان محمد نفسه ، فإليك بعض هذه الروايات :

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب التوحيد ، باب في المشيئة والإرادة (وما

تشاؤون إلا أن يشاء الله) :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من اليهود فقال المسلم :

والذي اصطفى محمد دا على العالمين في قسم يُقسم به ، فقال اليهودي : والذي اصطفى

موسى على العالمين ، المسلم يده عند ذلك فلطم اليهودي .

فذهب اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبره بالذي كان من

أمره وأمر المسلم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخير وني على موسى ، فإن

الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطش بجانب العرش ، فلا

أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي ، أو كان ممن استثنى الله .»

وفي رواية أخرى للبخاري قال : جاء رجلٌ من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجهه هُوجُهُ وقال يا محمد إن رجلاً من أصحابك من الأنصار لطمَ في وجهي ، قال : «دعوه فدعوه ، قللَ نطمت وجهه هُوجُهُ؟» قال : يا رسول الله إنني مررتُ ليهود فسمعتُهُ يقول والذي اصطفى موسى على البشر فقلتُ : وعلى محمد وأخذتني غضبةً فلطمتُهُ .

لافتلحُ نيرٌ» وني من بين الأنبياء ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أوّلَ يقمُن ، يقاذا أنا بموسى آخذٌ بقائمة من قوائم العرشِ ، فلا أدري أفيأثم قبلجُ زري بصعقة الطور» (١) .

كما أخرج البخاري في صحيحه في كتاب تفسير القرآن ، سورة يوسف عليه الصلاة والسلام ، باب قوله (لمّا جاءه الرسول) :

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «مُ اللهُ لوطاً ، لقد كان يأوي إلى ركن شولهدلبُ ثنت في السجن ما لبث يوسف لأجبتُ الداعي ، ونحنُ أحقُّ من إبراهيم إذ قال له : أو لم تؤمن؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي .

ولم يكفهم كل ذلك حتى جعلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الشاكين حتى في مصيره عند ربّه ، فلا الشفاعة ، ولا المقام المحمود ، ولا تفضيله على الأنبياء والمرسلين ، ولا تبشير بالجنة لأصحابه إذا كان هو نفسه لا يعرفُ مصيره يوم القيامة ، إقرأ معي هذه الرواية التي أخرجها البخاري ، وأعجب أو لا تعجب :

أخرج البخاري في صحيحه باب في الجنائز من كتاب الكسوف من

(١) صحيح البخاري ٥ : ١٩٦ ، ٨ : ٤٨ .

جزئته الثاني ٧١ :

عن خارجه بن زيد بن ثابتؓ، أمّ العلاء امرأةً من الأنصار بايعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه اقتسم المهاجرون قرعةً فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه فوجأً بيلقياً، وجعاً غلماً للنبي في غيظه، ليل وكف من في أثوابه دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت رحمة الله عليك أبا السائبها مادي عليك لقد أكرمك الله.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «وما يدريك أن الله أكرمها؟ فقلت : بأبي أنت يا رسول الله يكرمك الله، فقال عليه السلام : «أأهو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي». قالت: فوالله لا أركي أحداً بعده أبداً.

إن هذا لشيء عجاب والله! فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسم بالله أنه لا يدري ما يفعل به، فماذا يبقى بعد هذا؟!

وإذا كان الله سبحانه يقول: **إِنِّي عَلَّمْتُ نَفْسَهُ بِصِيرَةٍ** (١) وإذا كان الله يقول **إِنِّي نَبَّيْتُهِ: (مَالِكٌ فَذَرْنِي جَلَدِي فَرِيحًا لِي) اللَّهُ لَمَّا وَتَقَدَّمَ تَأْخِرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُوسِيًّا تَقْتَضِيهِمُوكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا** (٢).

وإذا كان دخول الجنة للمسلمين موقوفاً على اتباعه واطاعته والتصديق به، فكيف نصدق هذا الحديث الذي لا أقبح منه، نعوذ بالله من عقيدة بني

(١) القيامة : ١٤ .

(٢) الفتح : ٣٠١ .

أُمِّيَّةُ الَّذِينَ مَا كَانُوا يُؤْمِنُونَ يَوْمًا بِأَنَّ مُحَمَّدًا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّهُ
مَلِكٌ ، تَغْلِبُ عَلَى النَّاسِ بِذِكَائِهِ وَدَهَائِهِ وَهَذَا مَا صَرَّحَ بِهِ أَبُو سَفْيَانَ وَمَعَاوِيَةُ وَيَزِيدُ ،
وغيرهم من خلفائهم وحكامهم.

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَاقِضٌ مَعَ الْعِلْمِ وَالطَّبِّ

إِنَّ الْعِلْمَ يَثْبُتُ بِمَا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ هُنَاكَ بَعْضَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تَنْقَلُ بِالْعَدْوَى ، وَهَذَا مَا
يَعْرِفُهُ أَغْلِبُ النَّاسِ حَتَّى غَيْرِ الْمُتَقَفِّينَ أَمْهًا طَلِبَةَ الْعُلُومِ الَّذِينَ يَدْرُسُونَ عِلْمَ الطَّبِّ فِي
الْجَامِعَاتِ ، فَإِنَّهُمْ إِذَا مَا قِيلَ لَهُمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَنْكُرُ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُمْ
سَيَسْخَرُونَ وَيَجِدُونَ مَنْفَذًا لِلطَّعْنِ عَلَى نَبِيِّ الْإِسْلَامِ بِخُصُوصٍ مِنْهُمْ الْأَسَاتِذَةُ الْعِلْمَانِيَّةِ
الَّذِينَ يَبْحَثُونَ عَنْ ثَغْرَاتٍ مِثْلِ هَذِهِ .

وَمَعَ الْأَسْفِ الشَّدِيدِ فَإِنَّ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي أَخْرَجَهَا الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ تَوَكَّدَ عَلَى عَدَمِ
الْعَدْوَى وَفِيهَا أَيْضًا مَا يُؤَكِّدُ أَنَّ هُنَاكَ عَدْوَى وَنَحْنُ إِذْ نَسْجَلُ هُنَا هَذِهِ التَّنَاقُضَاتِ تَحْتَ
عَنْوَانِ النَّبِيِّ يَتَنَاقُضُ ، لَا نَوْمِنُ بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَنَاقُضَ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي أَقْوَالِهِ أَوْ
فِي أَعْمَالِهِ ، وَلَكِنْ جَرِيًّا عَلَى الْعَادِجِ عَلَى مُهْجَةِ الْقَارِئِ حَتَّى يَتَنَبَّهَ إِلَى الْأَحَادِيثِ الَّتِي
وَضَعَتْ كَذِبًا وَبُهْتَانًا عَلَى صَاحِبِ الرَّسَالَةِ الْمَعْصُومِ ، وَيَعْرِفُ قَصْدَنَا مِنْ تَخْرِيجِ أَمْثَالِ هَذِهِ
الْأَحَادِيثِ لِتَنْزِيهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَكَانَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي سَبَقَتْ كُلَّ
الْعُلُومِ الْحَدِيثِيَّةِ .

فَلَيْسَ هُنَاكَ نَظْرِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ صَحِيحَةٌ تَتَعَارَضُ مَعَ حَدِيثِ نَبَوِيِّ صَحِيحٍ ، وَإِذَا مَا
تَعَارَضَتْ أَوْ تَنَاقُضَتْ عَرَفْنَا بِأَنَّ الْحَدِيثَ مَكْذُوبٌ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، هَذَا مِنْ
نَاحِيَّةٍ .

ومن ناحية أخرى فإنَّ الحديث نفسه قد يعارضه حديث آخر يتماشى مع النظرية العلفيَّجبُ قبول الثَّاني وطرح الأوَّل كما لا يخفى .
ومثال على ذلك أسوق حديث العدوى لأنه مٌهمٌ في البحث ، ويعطينا صورة حقيقة على تناقض الصَّحابة والرِّواية والوضَّاعين لا على تناقض صاحب الرِّسالة صلى الله عليه وآله وسلم بذلك لا يمكن أبداً .

فالبخاري في صحيحه يذكر الحديثين وأما اقتصر عليه لأزَّه أصحَّ الكتب عند أهل السنَّة مثلاً يذهب المتأوِّلون عدَّة مذاهب ، يقول قائل بأزَّه قد ثبت عند البخاري حديثاً يثبت عكسه عند غيره من المحدثين ، ويلاحظ القارئ بأنني في هذا الباب اقتصر على البخاري وحده ، في تناقض الأحاديث .

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الطَّبِّ ، في باب لا هامة :
عن أبي هريرة قال قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «أَيُّ وَلَا صَافِرٍ وَلَا هامة» ، فقال يعقوب بن الله فما بال الإبل تكُونُ في الرَّمْلِ كأنَّهَا الطَّبَّاءُ ، فيخالطها البعيرُ الأَجْرِبُ فيجربُ بهُ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فمن أَعْدَى الأوَّل ؟
«؟»

انظر إلى هذا الأعرابيُّ كيف يهتدي بفطرته إلى طبيعة الأمراض المعدية ، من خلال البعير الأَجْرِبُ الذي يجرب كلَّ الإبل إذا خالطها بينما لا يجد الرِّسول جواباً على سؤال الأعرابي يقنعه به ، فيقول : « فمن أَعْدَى الأوَّل ؟ » ويصبح هو الذي يسأل .
وهذا أيضاً يذكّرني بالطبيب الذي سأل الأمَّ التي جاءت بولدها المصاب

بالحصبة : هل عندكم في البيت أو في الجيران من هو مصاب بهذا اللفظاءت ° الأم ° : كلاً
فقلل الطبيب لعلهُ التقطها من المدرسة؟ فأجابت الأم ° على الفور : كلاً إذنه لم يدخل بعد
إلى المدرسة فعمره أقل ° من خمس سنين ، فقال : ففي الروضة إذن ، قالت : لا إذنه لا
يذهب للروضة . فقال الطبيب لمعلك ذهبت به إلى زيارة بعض أقاربك ، أو زاركم بعض
الأقارب الذي يحمل الجرثومة ، فأجابت بالنفي ! وعند ذلك قال لها الطبيب نجاءت ° إليه
الجرثومة في الهواء .

نعم ، فالهواء يحمل الجراثيم والأمراض المعدية ، وقد يصيب قرية كاملة أو مدينة
بأكملها للتلقيح والوقاية لما قد تحمله الرّياح من أمراض فتأكة كالوباء
والطاعون وغير ذلك فكيف يخفى كل ذلك على من لا ينطق عن الهوى؟ إذنه رسول رب
العالمين الذي لا يعزب عن علمه شيء ، إذنه لا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في
السماء وهو السميع العليم .

ولذلك نحن نرفض هذا الحديث ولا نقبله أبداً ، ونقبل الحديث الثاني الذين أخرجوه
البخاري نفسه ، وفي نفس الصفحة ونفس الباب ، وفي نفس الحديث إذ يقول : وعن أبي
سلمة سمعَ أبا هريرة بعدُ يقولُ قال النبي ° صلى الله عليه وآله وسلم لا يُوردنَ ممُرضٌ
على ممُصحٍ ° « وأنكر أبو هريرة حديثه الأوّل ، قلّماتحدّث أنّه لا عدوى ، فرطن
بالحبشية ، قال فما أبو أيّتملمت مني حديثاً غير ه ° .

مع أنّ الحديثين المتناقضين « لا عدوى ° لا ، يُوردنَ ممُرضٌ على ممُصحٍ ° » رواهما
أيضاً مسلّمٌ صحيحه في كتاب السنن ، باب لا عدوى ولا طيرة ، ولا هامة ولا صفر ،
ولا نوء ولا غولولا ، يُوردنَ ممُرضٌ على ممُصحٍ ° .

ومن خلال هذه الأحاديث نعلم أن حديث : « لا يوردن ممرض على مصح » هو الحديث الصحيح الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ; لأنه لا يتناقض مع العلم وأمّا حديث « لا عدوى » فهو مكذوب عليه ; لأنه حديث جاهل بالحقائق الطبيعية ، ولذلك فهم بعض الصحابة تناقض الحديثين فعارضوا أبا هريرة واستغروا منه حديثه الأوّل ، ولم يجد أبو هريرة مخرجاً من هذه الورطة فرطن بالحبشية ، يقول شارح البخاري : تكلم غضباً بما لا يفهم^(١) .

ومّا يزيدنا تأكيداً بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أسبق مما أثبتته العلم حديثاً في خصوص الأمراض المعدية إذّه كان يحدّر المسلمين من الطّاعون ومن الجذام ومن الوباء وغير ذلك .

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء ، بلب حدّ ثنا أبو اليمان ، وكذلك مسلم في صحيحه كتاب السّلام ، باب الطّاعون والطيرة والكهانة وغيرها : عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الطّاعونُ رجسٌ أرسل على طائفة من بني إسرائيل ، أو على من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه «وفي رواية لا يخرجكم إلاّ فراراً منه .

وقد صحّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله في هذا المعنى : «رّ من المجدوم كما تفرّ من الأسد»^(٢) ، وقوله : «إذا شرب أحدكم فلا يتنفّس في الإناء»^(٣) ، وقوله : « إذا

(١) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ٢١ : ٤٢٨ .

(٢) صحيح البخاري ٧ : ٧ كتاب الطبّ ، باب الجذام .

ولغ الكلب في الإناء فاغسلوه سبع مرات ، وعفّروه الثامنة في التراب « (٤) .
كلّ ذلك ليُعلّم أمّته النظافة وأسباب الصحة والوقاية ، لا أن يقول لهم : « إذا سقط
الذباب في شراب أحدكم فليغمسه » وهذا سبق الحديث عنه فليراجع .
على أنّنا نجد التناقض ظاهراً حتى فيما يختصّ بالهامّة التي كان يتشامم العرب بها ،
وهي الطائر المعروف من طير الليل ، وقيل هي البومة وهو تفسير مالك بن أنس ، فإذا كان
الذي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لا هامّة » فكيف يتناقض ويتعوّذ منها؟!
فقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق ، باب يزفون النسلان في المشي
من جزئه الرابع صفحة ١١٩ :

عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال كان النبيّ
صلى الله عليه وآله وسلّم والحسينَ ، ويقول إنّ « أباكما كان يعوّذُ بها
إسماعيل وإسحاق ، أعوذ بكلمات الله التامّة من كلّ شيطان وهامّة ومن كلّ عين لامّة » .
نعلم هنا في هذا الفصل أن نذكر بعض الأمثلة من الأحاديث المتناقضة التي تُنسبُ
إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو منها بريء .

وهناك مئات الأحاديث الأخرى المتناقضة التي أخرجها البخاري ومسلم في
صحيحهم وقد ضربنا عليها صفحاً لما عوّذنا القارئ دائماً بالاختصار والإشارة ، وعلى
الباحثين أن يكبّوا على دراستك عسى أن يُطهر الله بهم سنة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ، ويثيبهم الأجر العظيم ، ويكونوا سبباً في

(٣) صحيح البخاري ١ : ٤٧ كتاب الوضوء ، باب النهي عن الاستنجاء باليمين .

(٤) صحيح مسلم ١ : ١٦٢ كتاب الطهارة ، بابا حكم ولوغ الكلب .

تنقية الحق من الأباطيل ، ويُقدِّموا إلى الرجل الجديد أبحاثاً قيِّمة تكون في مستوى رسالة الإسلام.

يَكُونُ أَيُّهَا كَاللَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُدْلِكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ الَّذِي
ذُنُوبِكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (١).

(١) الأحراب : ٦٩ - ٧١ .

الفصل الثامن

في ما يتعلّق بالصّحيحين البخاري ومسلم

لما لهذين الكتابين من أهمّية بالغة لدى أهل السنّة والجماعة، أصبحت عند عامّة المسلمين المرجعين الأساسيين للمصدرين الأوّلين في كلّ المباحث الدينية، وأصبح من العسير على بعض الباحثين أن يصرّحوا بما يجده من تهافت وتناقض ومنكرات فيتقبّلونها على مضض ولا يكشفون بما قومهم خشيةً منهم أو خشيةً عليهم، لما في نفوسهم من احترام وتقديس لهذين الكتابين والحقيقة أنّ البخاري ومسلم ما كان يوماً يجلّمان بما سيصل إليه شأنهما عند علماء النّاس وعامّة تهم.

ونحن إذا قدّنا على نقدهما، وتخرّج بعض المطاعن عليهم ليس ذلك إلاّ لتنزيه نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم وعدم الخدش في عصمته إذا كان بعض الصّحابة لم يسلّم من هذا النقد والتخرّج للغرض نفسه فما البخاري ومسلم بأفضل من أولئك المقرّبين لصاحب الرسالة.

وما دُنا نهدفُ إلى تنزيه النّبي العربي صلى الله عليه وآله وسلم، ونحاول جهدنا إثبات العصمة له، وأنّه أعلم وأتقى البشر على الإطلاق، ونعتقد أنّ الله سبحانه وتعالى اصطفاه ليكون رحمة للعالمين، أرسله للنّاس كافة من الإنس والجنّ فلا شكّ أنّ الله يطالبنا بتنزيهه وتقديسه وعدم قبول المطاعن فيه،

ولذلك نحن وكلّ المسلمين مطالبون بطرح كلّ ما يتعارض والخلق العظيم الذي اختقّ به ،
وطرح كلّ ما يتعارض مع عصمته أو ما يمسّ شخصه الكريم ، من قريب أو بعيد .
فالصّحابة والتّابعين والأئمة والمحدّثين وكلّ المسلمين ، وحتى النّاس أجمعين مدينون
لفضله ومزده فقللتهمقدون والمعارضون والمتعصّبون سوف تتورث ثائرهم كالعادة على كلّ ما هو
جديد عليهم ، ولكن رضى الله سبحانه هو الغاية ورضى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم
هو الأمل وهو الذّخر والكنز والرّصيد ، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون ، إلّا من أتى الله بقلب
سليم .

ولنا مع كل ذلك رضى وتعزّيّة المؤمنين الصادقين الذين عرفوا قدر الله وقدر رسوله
صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يعرفوا قدر الحكّام والخلفاء والسّلاطين .
أذكر أنّي لقيتُ معارضةً شديدة حتىّ أتهمتُ بالكفر والخروج عن الدّين ، عندما
انتقدتُ البخاريّ في تخريجه حديث لطم موسى لملك الموت وفقاً عينه ، وقيل لي هن أنت
حتىّ تنتقد البخاريّ؟ وأثاروا حولي هجّةً وضوضاء وكأنيّ انتقدت آية من كتاب الله .
والحال أنّ الباحث إذا ما تحرّّر من قيود التقليد الأعمى والتعصّب المقيت ، سوف
يجد في البخاريّ ومسلم أشياء عجيبة وغريبة تعكس بالضبط عقليّة العربيّ البدويّ الذي ما
زال فكره جامداً يؤمن ببعض الخرافات والأساطير ، ولم يفكره إلى كلّ ما هو غريب ، وليس
هذا بعيب ولا نتهمه بالتخلّف الذهنيّ فليس عصره البدائيّ هو عصر الأقمار الصّناعية ،
ولا التلفزيون والهاتف والصاروخ .

وإنما لا نريد أن يلصقَ ذلك بصاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم لأنَّ الفرق
كبير والبون شاسع ، فهو الذبيحة الله في الأُمِّيِّين يتلو عليهم آياته ويذكِّرهم ، ويعلمهم
الكتاب والحكمة ، وبما أنَّه خاتم الأنبياء والمرسلين ، فقد عملَه الله علم الأوَّلين والآخرين .
كما نلفتُ القارئ الكريم بأنَّ ليس كلُّ ما في البخاري هو منسوب إلى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد يَخُجُّ البخاري حديثاً للنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ثمَّ
يعقِّب عليه بآراء بعض الصَّحابة ، فيصبح القارئ يعتقد بأنَّ ذلك الرأي أو الحديث هو
لرسول الله في حين أنَّه ليس له أضربُ لذلك مثلاً :
أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الحِرِّيل ، باب في النكاح من جزء الثامن صفحة
٦٢ قال :

عن أبي هريرة ، عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : «لَا نَكَحُ الْبَكَرَ حَتَّى
تُسَدَّ تَأْذَنُ ، وَلَا الثَّيْبَ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ . فقيل يا رسول الله كيف إذنُها ؟ قال لا تَكْتَمُ .»
وقال بعضُ العلماء تَسْتَأْذِنُ الْبَكَرُ ولم تُزَوَّجْ فَاحْتَالَ رَجُلٌ فَمَدَّ يَدَيْهِ زَوْرًا
أَنَّهُ تَزَوَّجَ بِهَا بَرِضًا فَتَأْتَتْ ، الْقَاضِي نِكَاحًا لَمْ يَكُنْ يَدْرِي أَنَّ الشَّهَادَةَ بَاطِلَةٌ فَلَا بَأْسَ أَنْ
يَطَّأَهَا وَهُوَ تَزْوِيجٌ صَحِيحٌ .

فانظر إلى قول البخاري (بعد حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم) وقال بعض
النَّاس فلماذا يُصَبِّح قول بعض النَّاس (وهم مجهولون) بأنَّ النكاح بشهادة الزور هو نكاح
صحيح وهو القارئ بأنَّ ذلك هو رأي الرَّسُولِ ، وهو غير صحيح؟!
مثال آخر : أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق ، باب مناقب
المهاجرين وفضلهم من جزئه الرابع صفحة ٢٠٣ :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كنت في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نعدلُ بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا نفاضل بينهم.

إنه رأي عبد الله بن عمر ولا يلزم به إلا نفسه وإلا كيف يُصبح علي بن أبي طالب ، وهو أفضل الناس بعد رسول الله ، لا فضل له يوعدّه عبد الله بن عمر من سوقة الناس؟!؟

ولذلك تجد عبد الله بن عمر يمتنع عن بيعة أمير المؤمنين ومولاهم فمن لم يكن عليّ وليّه فليس بمؤمن^(١) والذي قال النبي في حقّيه : «مع الحقّ والحقّ مع عليّ»^(٢) ، وبايع عدو الله ورسوله وعدو المؤمنين الحجّاج

(١) ذكر ذلك عمر حيث قال : « ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن » راجع الغدير ١ : ٦٦٦ ، عن الصواعق : ١٧٩ والمناقب للخوارزمي : ١٦٠ ح ١٩١ ، وذخائر العقبى : ٦٨ .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ١٤ : ٣٢٢ ح ٧٦٤٣ ، تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢ : ٤٤٩ ، مجمع الزوائد ٧ : ٢٣٥ وقال : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات ، وفي مجمع الزوائد ٧ : ٢٣٦ : عن محمد بن إبراهيم التميمي أنّ فلاناً دخل المدينة حاجاً فأثاه الناس يسلمون عليه ، فدخل سعد فسلم فقال : وهذا لم يعنا على حقنا على باطل غيرنا .. أملاً قلت ذاك فأبى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : علي مع الحقّ أو الحقّ مع علي حيث كان . قال : من سمع ذلك؟ قال : قاله في بيت أم سلمة ، فأرسل إلى أم سلمة فسألها ، فقالت : قد قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيتي ، فقال الرجل لسعد : ما كنت عندي ألوم منك الآن فقال : ولم؟ قال : لو سمعت هذا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم أزل خادماً لعلي حتى أموت » رواه البزار ، وفيه سعد بن شعيب ولم أعرفه ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح .

ابن يوسف الفاسق الفاجر.

ونحن لا نريد العودة إلى مثل هذه المواضيع ، ولكن نريد فقط أن نَظهر للقارئ
نفسيات البخاري ومن كان على شاكلته ، فهو يخرج هذا الحديث في باب مناقب المهاجرين
وكأنه يشعر من طرف خفيّ إلى القرءاء بأن هذا رأي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ،
بينما هو رأي عبد الله بن عمر الذي ناصب العداة للإمام علي.

وسنُبين للقارئ اللبيب موقف البخاري في كل ما يتعلّق بعلي بن أبي طالب ، وكيف
أنّه يحاول جهده كتمان فضائله ، وإظهار المثالب له.

كما أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق ، باب حدّ ثنا الحميدي قال :
حدّ ثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان حدّ ثنا جامع بن أبي راشد ، حدّ ثنا أبو يعلى ، عن
محمد بن الحنفية ، قال : قلت لأبي : الذّاس خيرٌ بعد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال : أبو بكر ، قلت بئتم من؟ قائمٌ : عمرٌ وخشيتُ أن
يقول عثمانٌ ، قلتّم : أنت ، قال ما أنا إلاّ رجلٌ من المسلمين.

نعم ، هذا الخُطْبُ يوضع على لسان محمد بن الحنفية ، وهو ابن الإمام علي بن أبي
طالب وهو كسابقه الذي رُوِي عن لسان ابن عمر ، والنتيجة في الأخير هي واحدة ، ولو
خشيتُ ابن الحنفية أن يقول أبوه : عثمان في الثالثة ، ولكن ردُّ أبيه ملا أنا إلاّ رجلٌ من
المسلمين فيفيد بأن عثمان أفضل منكم لأنّه ليس هناك من أهل السنّة من يقول بأن عثمان
ليس هو إلاّ رجلٌ من

وقلّع تصحيف في اسم الراوي حيث إنّهُ سعيد بن شعيب الحضرمي ، وليس سعد ، وقد صرّحوا بوثاقة سعيد
بن شعيب ، راجع الغدير ٣ : ١٧٨ .

المسلمين ، بل يقولون كما تقدّم بأفضل الناس أبو بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا نفاضل بينهم ، والناس بعد ذلك سواسية .
ألا تعجبون من هذه الأحاديث التي يخرجها البخاري ، وكلّها ترمي إلى هدف واحد وهو تجريد علي بن أبي طالب من كلّ فضيلة!!
ألمن يقله بأنّ البخاري كان يكتب كل ما يرضي بني أمية وبني العباس ، وكل الحكماء الذين قاموا على أنقاض أهل البيت إلهاماً حجج دامغة لمن أراد الوقوف على الحقيقة .

البخاري ومسلم يذكران أي شيء لتفضيل أبي بكر وعمر

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق ، بابحدّ ثنا أبو اليمان من جزئه الرابع صفحة ١٤٩ ، وأخرج مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) :

عن أبي هريرة قال : صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الصبح ، ثمّ أقبل على الناس فيقولون «لعلّ يسه بوقّة إذ ركبها فضر بها فقالت : إنا لم نخلق لهذا ؛ إنّما خلقنا للحرث فيقلل الناس : سبحان البقرة تتكلم ؟ فقال فيإي أو من بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثمّ ، وبينما رجل في غنمه إذ عدّ الذئب فذهب منها بشاة ، فطلبه حتى كآزّه لقمدها منه ، فقال له الغنم : استنقذتها مني ، فمن لها يوم السبت ، يوم لا راعي لها غيري ؟ فقال الناس : سبحان الذئب يتكلم ؟ قال : فإني أومر من بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثمّ .

وهذا الحديث ظاهر التكلف ، وهو من الأحاديث الموضوعة في فضائل

الخليفتين لماذا يكذب الناس وهم صَحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما
يقوله لهنّ، يقول في المرّتين : أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر، أنظر كيف يؤكد الرّاي
على عدم وجود أبي بكر وعمر في المرّتين!!

إنّها فضائل مضحكة ولا معنى لها ولكنّ القوم كالغرقى يتشبثون بالحشيش ،
والوضّ علوفها لم يجدوا مواقف أو أحداث هامة تُذكر لهما تتخيّل أوهاهم مثل هذه
الفضائل فيجي أغلبها أحلاماً وأوهاماً وتألّات لا تقوم على دليل تاريخي أو منطقي أو
علمي.

كما أخرج البخاري في صحيحه من كتاب فضائل أصحاب النّبي
صلى الله عليه وآله وسلم باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لو كنت متخذاً
خليلاً ومسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصّحابة ، باب من فضائل أبي بكر
الصديق.

عن عمرو بن العاص ، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم هُ على جيش ذات
السلاسل فهُ فقلّ لئليّ النّاس أحبُّ إليك ؟ قال : « عائشة » فقلتُ : من
الرّجال ؟ قال : « أبوها » ، قلتُ بثمّ من ؟ قال : « عمر بن الخطّاب » فعدّ رجالاً .
وهذه الرّواية وضعها الوضّ لمعون لم يعرفوا أنّ التاريخ سجّل في سنة ثمان من الهجرة ()
يعني سنتين قبل وفاته صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بعث جيشاً فيه أبو بكر وعمر بقيادة عمرو بن العاص إلى غزوة ذات السلاسل ، وحتى
يقطعوا الطريق على من يريد القول بأنّ عمرو بن العاص كان مقدّمًا في المنزلة على أبي بكر
وعمر ، تراهم اختلقوا هذه الرواية على لسان عمرو نفسه للإشادة بفضل أبي بكر وعمر ،
وأفحموا عائشة حتىّ يبعدوا والشكّ من ناحية وحتىّ تحظى عائشة بأفضلية مطلقة من ناحية
أخرى.

ولذلك ترى الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم يقول : « هذا تصريح

بعظيم فضائل أبي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم وفيه دلالة بيّنة لأهل السنة في تفضيل أبي بكر ثم عمر على جميع الصحابة ^(١).

وهذه كأمثالها من الروايات الهزيلة التي لم يتورّع الدجّالون لوضعها حتىّ على لسان علي بن أبي طالب نفسلتقطعوا بذلك على زعمهم حجّة الشيعة الذين يقولون بتفضيل علي بن أبي طالب على سائر الأصحاب من ناحية قولهموا المسلمين بأنّ عليّاً لم يكن يتظلم ولا يتشكّى من أبي بكر وعمر من ناحية أخرى، فقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص، ومسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه :

عن علي عن ابن عباس قتل نع عمر على فتكبيره، والناس، يدعون ويصلّون قبل أن يرفع، ولنا فيهم عني إلا رجُلٌ أخذ مني فإذا عليٌّ فترحم عليّ عمر وقال: لمقت أحد إلى الحلب ألقى الله بمثل عم له منك وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صالحيك بيت أبي كنت كثيراً ما أسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ذهب أنا وأبو بكر وعمرو دخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر.

نعلم وضحيد ظاهر يشم منه رائحة السدّ ياسة التي لعبت دورها في إقصاء فاطمة الزهراء وعدم دفنها قرب أبيها رغم أنّها أوّل اللاحقين وفلت الرّوي هنا أن يضيف بعد قوله : ذهب أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا

(١) شرح مسلم للنووي ١٥ : ١٥٣.

وأبو بكر وعمر وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر وسأُدفنُ أنا وأبو بكر وعمر!!
ألا يتورّع هؤلاء الذين يحتجّون بمثل هذه الروايات الموضوعة التي يكذبها التاريخ والواقع
، وكتب المسلمين مشحونين بتظلم علي وفاطمة الزهراء مما فعله أبو بكر وعمر طيلة
حياتهما؟!!

ثمَّ يفتترى بأنَّ الرُّبْلَ أوي يصوّر عليّاً وكأنّه رجُلٌ "أجنبيّ جاء ليتفرّج علي
ميت غريب يفوجد النَّاسَ يكتظون عليه يدعون ويصلّون ، فأخذ بمنكب ابن عباس ، وكأنّه
همس في أذنه تلك الكلمات وانسحب والمفروض أن يكون علي في مقدمة النَّاس وهو
الذي يصلّي بهم ، ولا يفارق عمر حتى يواريه حفرته.

ولمّا كان النَّاسُ في عهد بني أميّة يتسابقون في وضع الحديث بأمر من « أمير المؤمنين
« معاوية ، الذي أراد أن يرفع قدر أبي بكر وعمر مقابل فضائل علي بن أبي طالب ، فقد
جاءت أحاديث الفضائل هزيلة مٌضحكة ومتناقضة في بعض الأحوال حسب هوى الرُّبْلِ أوي
فمنهم التيمي الذي كان لا يقدّم عليّ أبي بكر أحداً يؤمنهم العدوي الذي لا يقدّم عليّ
عمر أحداً ومنهم أميّة الذين كانوا معجبين بشخصية ابن الخطّاب الجريء عليّ النّبّي ، والفظّ
الغليظ الذي لا يتورّع من شيء ولا يهاب شيء ، فكانوا كثيراً ما يمدحونه ويضعون
الأحاديث التي تُفضّل له عليّ أبي بكر.

وإليك أيها القارئ بعض الأمثلة.

أخرج مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر رضي الله
تعالى عنه ، وأخرج البخاري في صحيحه من كتاب الإيمان

باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال :

عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بينما أنا نائمٌ رأيتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثَّدْيَ ، ومنها ما دونَ ذلك وعرضَ عليَّ عمرُ بنُ الخطَّابِ وعليه قميصٌ يجرُّهُ ، قالوا: أوَّلتَ ذلكَ يا رسولَ الله؟ قال: لا .

وإذا كان تأويل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهذه الرؤى هو الدِّين ، فمعنى ذلك أنَّ عمر بن الخطَّاب أفضل من كل النَّاس لأنَّ الدِّين بالنسبة إليهم لم يبلغ إلى الثدي وما تجاوز الدِّين قلوبهم ، بينما عمر مليء بالدِّين من رأسه إلى أخمص قدميه ، وأكثر من ذلك فهو يجرُّ الدين واهه جراً كما يجرُّ القميصُ أين أبو بكر الصديق الذي يرجحُ إيمانه إيمان الأُمَّة بأكملها؟!

كما أخرج البخاري في صحيحه من كتاب العلم باب فضل العلم ، وأخرج مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عمر :

عن ابن عمر ، قال سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : بينما أنا نائمٌ أتيتُ بقلعِ شِريبتٍ ، حتىَّ إني لأرى الرِّيَّ يخرجُ في أظفاري ثم أعطيتُ فضلي عمر بن الخطَّاب ، قالوا: أوَّلتَهُ يا رسولَ الله؟ قال : العلم .

أقول : فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ وإذا كان ابن الخطَّاب قد فاق الأُمَّة بأكملها أو النَّاس بجمعهم في الدِّين بما فيهم أبو بكر ، ففي هذه الرواية صراحةً بأنَّه فاقهم أيضاً في العلم فهو أعلم النَّاس بعد الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم . بقيت هناك فضيلة أخرى يتبارى النَّاس في التحلِّي بها والانتماء إليها ،

وهي من الصفات الحميدة التي يحبها الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويجبها جميع الناس ويحاولون الوصول إليها، وهي الشجاعة فلا بد للرواة أن يضعوا فيها حديثاً لفائدة أبي حفص وقد فعلوا.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو كنت متخذاً خليلاً وأخرج مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر :
عن أبي هريرة : قال سمعتُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : بينما أنا نائم رأيتُني على قليب عليها دلوٌّ فنزعتُ منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعها ضعفٌ والله يغفر له ضعفه ثم استحالت غرباً فأخذها ابن فلم يخطأ بعقرياً من الناس ينزعُ نزعَ عمر حتى ضربَ الناسَ بعطن.

فإذا كان الدين وهو مركز الإيمان والإسلام ، والتقوى والتقرب إلى الله سبحانه قد حازه عمر بن الخطاب حتى جره وراءه بينما الناس لم يكن نصيبهم منه إلا ما يبلغ الثدي وبقيت أجسامهم عارية وإذا كان العلم اختص به عمر بن الخطاب فلم يترك للناس شيئاً من فضل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذ أعطاه إليه فشره كلهم يفكر حتى في صاحبه أبي بكر الصديق . وهو لا شك العلم الذي خول عمر أن يغير أحكام الله بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم اجتهاده ولا شك أن اجتهاده من فضل ذلك العلم . وإذا كانت القوة والشجاعة قد اختص بها ابن الخطاب أيضاً ، بعد الضعف الذي بدا على صاحبه أبي بكر . وهذا صحيح لم يقل له أبو بكر مرة لقد قلتُ لك إنك أقوى على هذا الأمر مني

ولكنك غلبتني فيغفر الله لأبي بكر لضعفه ولتقدمه في الخلافة عليه ، لأن أنصار عمر من بني عدي وبني أمية تعلموا رياءً وانتفاعاً وغنائم وفتوحات مثل ما رأوه في زمانه .. نعم كل هذا فضل عمر بن الخطاب في الحياة الدنيا فلا بد أن يضمنوا له الجنة في الآخرة . أيضاً . بمرتبة أكبر وأفضل من صاحبه أبي بكر ، وقد فعلوا .

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ، وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر : عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ قال بينما أنا نائم رأيتُ نبي في الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ، فقلت : لمن اللهم رُ ؟ فقالوا : لعمر في كل خطابه يُرته فوليتُ مديراً فبكي عمرُ ، وقال : أعليك أغارُ يا رسول الله!؟

أخي القارئ أظنك فطنت إلى تنسيق هذه الروايات المكذوبة وقد سطرْتُ على كل منها تحت عبارة واحدة مشتركة في كل الروايات التي اختصت بفضائل عمر بن الخطاب ، ألا وهي قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (وحاشاه طبعاً) : بينما أنا نائم ، فتجدها دائماً في كل الروايات بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي بينما أنا نائم أتيتُ بقدر لبن بينما أنا نائم رأيتني على قلب ، وبينما ألتئم رأيتني في الجنة . ولعل راوي الحديث كان كثير الحلم والأضغاث فكان يتأول ويختلق الروايات على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذب عليه في حياته وهو موجود بين

ظهريهم ، فكيف بعد وفاتوقد انخرفت الأمة وتقاتلوا وأصبحوا مذاهب وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون.

ولكن بقي شيء واحدٌ سجّله المؤرّخون والصّحابة الذين كانوا من أنصار عمر بن الخطاب نفسلاً وهو الخلق الذي كان يمتاز به عمرٌ في الغلظة والفظاظة والشدة على الناس وحده الطبع ومن كان هذا طبعه عادة لا يجبهه الناس ، قال تعالى **لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ^(١).

ولكنّ المعجبين بعمر يقلّبون الموازين ، ويجعلون من النقيصة منقبة ومن الرذيلة فضيلة ، فقد عمدوا إلى اختلاق رواية في شدة السخافة والبلاهة والمس بكرامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشهد الله سبحانه بأذنه ليس فظاً ولا غليظاً وإنما هو لين

فَبِمَا رَحِمَ الطَّبَعِ (بِنِ الْاَلِهِّ لِنْتِ لُهْمُ و) (اِنَّكَ) لَعَلِي خُلِقَ عَظِيْمِ (بِاَلْمُرْمِنِ رَوُوْفٌ رَحِيْمٌ) (رَحْمَةٌ لِّلْعَالَمِيْنَ) (٥) ، فلنستمع إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون فيه :

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ، وأخرج

مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عمر :

عن سعد بن أبي وقاص ، قال : استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) آل عمران : ١٥٩ .

(٢) آل عمران : ١٥٩ .

(٣) القلم : ٤ .

(٤) التوبة : ١٢٨ .

(٥) الأنبياء : ١٠٧ .

نساءٌ من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن لئلا يسمعن صوتك ابتردن الحجاب .
الحجاب فآذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ورسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم حاك فقال عمر ضحك الله سمك يا رسول الله ؟ قال :
عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي ، فلم أسمع صوتك ابتردن الحجاب .» .

قال عممفأنت : يا رسول الله كنت أحق أن يهين ثم أقبل عديت أنفسهن !
أهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قلن : نعلنك أفظ وأغلظ من
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « والذي
نفسه بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً إلا سمك فجا غير فلك !!»

كبرت كلمة تخرج أفواههم إن يقولون إلا كذبا أنظر إلى فضاة الرأية ، وكيف
أن النساء يهين عمر ولا يهين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويرفعن أصواتهن فوق
صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يحترمنه فلا يحتجن بحضرتة ومجر د سماع
صوت عمر سكتن وابتدرن الحجاب !؟

عجبت والله من أمر هؤلاء الحمقى الذين لا يفهم كل ذلك حتى ينسبون إليه أنه
فظ غليظ بكل صراحة لأن عمر أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،
فهي من أفعال التفضيل ، فإن كانت هذه فضيلة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فعمر أفضل منه ، وإن كانت رذيلة فكيف يقبل المسلمون وعلى رأسهم البخاري ومسلم مثل
هذه الأحاديث !؟

ثم لم يفهم كل ذلك جعلوا الشيطان يلعب ويمرح بحضرة النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ولا يخافه ، شك أن الشيطان هو الذي استفز النسوة حتى
يرفعن أصواتهن ويعلن جهولكن ، الشيطان هرب وسلك فجا آخر

بمجرد دخول عمر بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.
هل رأيت أيُّها المسلم الغيور ما هي قيمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عندهم ،
وكيف أنتم يقولون من حيث يشعرون أو لا يشعرون بأنَّ عمر أفضل منه؟!
وهو بالضبط مليق اليوم عندما يتحدَّثون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
،ويعدُّون دون أخطائه المزعومة ويبرِّرون ذلك بأنَّه بشر غير معصوم وبأنَّ عمر كثيراً ما كان
يصلح أخطاءه وأهلاً القرآن كان ينزل بتأييد عمر في العديد من المرات ويستدلُّون بعبس
وتولى ، وبتأبير النخل ، وبأسرى بدر وغيرها.
ولكنَّك عندما تقول أمامهم بأنَّ عمر أخطأ في تعطيل سهم المؤلِّفة قلوبهم ، أو في
تحريم المعتن ، أو في التفضيل في العطايا فإنَّك ترى أوداجهم تنفخ وأعينهم تحمَّر ،
ويتهمونك بالخروج عن الدين ، ويقال لك من أنت يا هذا حتى تنتقد سيدنا عمر الفاروق
الذي يفرق بين الحقِّ والبطل لعلَّك إلا أن تُسكِّمَ ولا تحاول الكلام معهم ثانية ، وإلاَّ
قد يلحقك منهم الأذى.

البخاري يدلس الحديث حفاظاً على كرامة عمر بن الخطاب

نعم إنَّ الباحث إذا ما تتبَّع أحاديث البخاري لا يفهم الكثير منها ، وتبدوا كأنَّها
ناقصة أو مقطَّعة ، وأنَّه يخرج نفس الحديث بنفس الأساليب في كلِّ مرَّة يعطيه ألفاظاً
مختلفة في عدَّة أبواب كلِّ ذلك لشدة حبه لعمر بن الخطاب.
ولعلَّ ذلك هو الذي رغب أهل السنة فيه فقد موه على سائر الكتب وغم أن مسلماً
أضبط ، وكتابه مرتَّب حسب أبوابه ، أن البخاري عندهم أصحَّ

الكتب بعد كتاب الله لأجل هذا ، ولأجل انتقاصه فضائل علي بن أبي طالب ، فالبخاري عمل من جهة على تقطيع الحديث وبتره إذ كان فيه مسٌ بشخصية عمر ، كما عمل نفس الأسلوب مع الأحاديث التي تذكر فضائل علي ، وسنؤافيك ببعض الأمثلة على ذلك قريباً إن شاء الله.

بعض الأمثلة على تدليس الحديث التي فيها حقائق تكشف عن عمر ابن الخطاب

:

١. أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الحيض باب التيمّم ، قال : جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه فقال أجد ماءً ؟ فقال عملاً تصل فقال عمّار : أما تذكر يا المؤمنين إذ أنا وأنت في سريرة فلأجنبنا فلم نجد ما فأمّا أنت فلم تصل يوماً أنا فتمعتك في التراب وصدّيت ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إنّا كان يكفيك أن تضرب بيدك الأرض ، ثمّ تنفخ ثمّ تمسح بهما وجهك وكفّيك ، فقال عمر : إتّق الله يا عمّار ! قالن تشئت لم أحدث به .

وأخرج هذه الرواية كلٌّ من أبي داود في سننه ، وأحمد بن حنبل في مسنده ، والنسائي في سننه ، والبيهقي ، وابن ماجه أيضاً ^(١) .

ولكنّ البخاري خان الأمانة أمانة نقل الحديث ، كما هو ومن أجل الحفاظ على كرامة عمر دلّس الحديث لئلاّ يظنّه لم يعجبه أن يعرف الناس جهل الخليفة بأبسط قواعد الفقه الإسلامي وإليك الرواية التي تصرّف فيها البخاري .

(١) مسند أحمد ٤ : ٢٦٥ ، سنن ابن ماجه ١ : ١٨٨ ح ٥٦٩ ، سنن النسائي ١ : ١٦٦ ، السنن الكبرى

للبيهقي ١ : ٢٠٩ ، سنن أبي داود ١ : ٨١ ح ٣٢٢ .

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب التيمّم باب المتيمّم هل ينفخ فيهما :
قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطّاب ، إيفقأًل أجنبتُ فلم أصب الماءَ ، فقال
عمّار بن ياسر لعمر بن الخطّاب : تذكر أنا كُنّا في سفر أنا وأنت ... الحديث .
وهو كما ترى حذف منه البخاري « فقال عملاً تُصلِّ لأنهما أربكت ولا شك
البخاري فحذفها وتخلّص منها لئلا يكشف للناس عن مذهب عمر الذي كان يرتئيه في
حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واجتهاده مقابل نصوص القرآن والسنة ، وبقاءه
على مذهبه هذا حتى بعدما أصبح أميراً للمؤمنين ، وأخذ ينشر مذهبه في أوساط المسلمين ،
وقد قال ابن حجر : « هذا مذهب مشهور عن عمر » ^(١) والدليل على أنه كان يشدد
على ذلك قول عمّار له : إن شئت لم أحدث به . فاقراً وأعجب !!

٢ . أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک من جزئه الثاني صفحة ٥١٤ وصححه

الذهبي في تلخيصه .

عن أنس بن مالك قال : إن عمر بن الخطّاب قرأ على المنبر فقوله : **تَبْنَا فِيهَا حَبًّا**
وَعَبْنَا وَوَقَّهَيْبَةً مُونًا وَنَحْوَالِدًا * دَائِقًا وَغُفْلَكَةً * هَمَّةً وَأَبًا) قال كل هذا عرفناه فما
الأب ؟ ثم قال : هذا لعمر الله هو التكلّف بما عليك أن لا تدري ما الأب أتبعوا ما بين
لكم هداه من الكتاب فاعملوا به وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربّه .

(١) فتح الباري ١ : ٣٧٦ .

وهذه الرواية قد نقلها أغلب المفسرين في كتبهم وتفسيرهم لسورة عبس كالمسحوق في الدر المنثور ، والزخشي في الكشاف ، وابن كثير في تفسيره وللمسحوق في تفسيره ، والحازن في تفسيره (١).

ولكن البخاري وكعاداته حذف الحديث وأبتره لئلا يعرف الناس جهل الخليفة بمعنى الأب ، فروى الحديث كالاتي :

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه **تَسْئَلُ اللَّهَ عَمَلِي أَشْرِي مَاءَ إِنْ تَبِعَ لَكُمْ تَسْئَلُكُمْ** (٢) :

عن أنس بن مالك قال كذبا عند عمر فقال نهينا عن التكلف .
نعم كذا يفعل البخاري بكل حديث يشم منه انتقاصاً من عمر ، فكيف يفهم القارئ من هذا الحديث المبتور حقيقة الأشيئهم ، يستر جهل عمر بمعنى الأب ، ويقول فقط قال : نهينا عن التكلف .

٣ . أخرج الحاكم في المستدرک ٢ : ٥٩ ، وأبو داود في سننه ٢ : ٣٣٩ ، والبيهقي في سننه ٨ : ٢٦٤ ، وابن حجر في فتح الباري ١٢ : ١٠٧ ، وأحمد في مسنده ١ : ٣٣٥ بسند صحيح ، وابن ماجه ١ : ٦٥٩ ، ح ٢٠٤٢ مختصراً وغيرهم ، عن ابن عباس أنه قال أتتني عمر بمجنونة قد زنت فاستشار فيها أناساً فأمر بها أن تُرجم فصر بها علي بن أبي طالب فقال : « ما شأنها » ؟

(١) تفسير الطبري ٣٠ : ٧٧ ، تفسير القرطبي ١٩ : ٢٢٣ ، تفسير ابن كثير ١ : ٦ ، الدر المنثور ٦ : ٣١٧ ، وانظر العدير للأميني ٦ : ٩٩ .
(٢) المائة : ١٠١ .

قالوا : مجنونة بني فلان زنت ، فأمر بها عمر أن تُرجم ، قال : « ارجعوا بها » ثم أتاه فقال
ألم تعلمن أن القلم رُفِعَ عن المجنون حتى يعقل ، المتعلم حتى يستيقظ ، وعن الصبي
حتى يحتلم ؟! فخلّى عنها عمر وقال : لولا عليّ هلك عمر ^(١) .

ولكن البخاري أربكته هذه الرواية ، فكيف يعرف الناس جهل عمر بأمر الحدود التي
رسمها كتاب الله وبيّنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يتأس على منصّة
الخلافة من كانت هذه حائثم ، كيف يذكر البخاري هذه الرواية وفيها فضيلة لعليّ بن أبي
طالب الذي كان يسهر على تعليمهم ما يجهلون ، واعتراف عمر بقوله أنه لولا عليّ هلك
عمر « فلننظر للبخاري كيف يجرّف الرواية ويدلّسها :

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب المحاربين من أهل الكفر والردّ بآب لا يرجع
المجنون والمجنونة ، قال البخاري بدون ذكر أي سند :

وقال عليّ لعلمعلم أن القلم رُفِعَ عن المجنون حتى يفيق ، وعن الصبي
حتى يدرك ، وعن النائم حتى يستيقظ ؟! .

نهذا، مثالٌ حتى لتصرّف البخاري في الأحاديث ، فهو يبتز الحديث إذا كان فيه
فضيحة لعمومهم ، موترٌ الحديث أيضاً إذا كان فيه فضيلة أو منقبة للإمام علي فلا يطبق
تخرجه .

٤ . أخرج مسلم في صحيحه من كتاب الحدود ، باب حدّ شارب الخمر :

(١) هذه الزيادة وردت في فيض القدير ٤ : ٤٧٠ ، المناقب للخوارزمي : ٨١ ح ٦٥ ، التذكرة للسبط : ٦٥ .

عن أنس بن مالك: النبي ﷺ صلى الله عليه وآله وسلم برجل قد شرب الخمر ،
فجلده بجريدتين نحو أربعين ، قال : وفعله أبو بكر ، فلمّا كان عمر ، استشار الناس ، فقال
عبد الرحمن بن عوف أخفّ الحدود ثمانين ، فأمر به عمر .

والبخاري كعادته لا يريد إظهار جهل عمر بالحكم في الحدود ، وكيف يستشير الناس
في حدٍّ معلوم فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ فعله بعده أبو بكر .
أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الحدود ، باب ما جاء في ضرب شارب الخمر

:

عن أنس بن مالك : أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم هرب في الخمر بالجريد
والنعال بوجد أبو بكر أربعين .

. أخرج المحدثون والمؤرّخون الذين أرخوا مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ووفاته وكيف طلب منهم أن يكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أو يهلّوا ما سمّوا به يوم
الخميس وكيف أنّ عمر بن الخطّاب عارض وقال بأنّ رسول الله يهجر . والعياذ بالله ..
وقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الجهاد باب هل يستشفع إلى أهل الذمّة
ومعاملتهم ، وأخرجه مسلم في صحيحه من كتاب الوصية بماب ترك الوصية لمن ليس له
شيء يوصي فيه :

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) ، أنّه قال يوم الخميس وهو ما يوم الخميس ، بكى حتى
خضب دمه الحصباء ، فقال : اشتدّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعه يوم
الخميس ، فقال : «تتوني بكتاب ، أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً» فتنازعوا ولا
ينبغي عند نبي لمزع ، فتهاولج : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «دعوني
فالذي أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه» وأوصى عند موته بثلاث :

«أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم» نسيت^٤
الثالثة.

نعم هذه هي رزية يوم الخميس التي لعب فيها عمر دور البطولة ، فعارض رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ، ومنعه أن يكتب ، وبتلك الكلمة الفاحشة التي تعارض كتاب
الله ألا وهي أن النبي يهجر والبخاري ومسلم نقلها هُنا بالعبرة الصحيحة التي نطق بها
عوطي^٥ ، بدلا لها ما دام اسم عمر غير و اردونسبة هذا القول الشنيع للمجهول لا يضر .
ولكن عندما يأتي اسم عمر في الرواية التي تذكر بأذنه هو الذي تلفظ بها ، يصعب
ذلك على البخاري ومسلم أن يتركاها على حالها تفضح الخليفة ، وتظهره على
حقيقته العاريتكشف عن مدى جرأته على مقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ،
والذي كان يعارضه طيلة حياته في أغلب القضايا.

وعرف البخاري ومسلم ومن كان على شاكلتهم بأن هذه الكلمة وحدها كافية لإثارة
عواطف كل المسلمين حتى أهل السنة ضد الخليفة فعمدوا إلى التمدليس ، فهي مهنتهم
المعروفة لمثل هذه القضايا ، وأبدلوا كلمة «هجر» بكلمة «غلب عليه الوجع» ، ليعدوا
بذلك تلك العبارة الفاحشة وإليك ما أخرجه البخاري ومسلم في نفس موضوع الرزية :
عن ابن عباس ، قال لما حُضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي البيت
رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «هلم أكتب لكم
كتاباً لا تضلوا بعده» ، فقال عمر بن الخطاب : «قد غلب عليه الوجع ، وعندكم القرآن ،
حسبنا كتاب الله» .

فاختلف أهل البيت فاختلفوا ، منهم من يقول : بوا يكتب لكم النبي كتاباً لن
تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر فلم أكثروا اللغو

والاختلاف عند النبي قال لهم : قوموا. قال عبد الله بن مسعود : فكان ابن عباس يقول :
الرزية إنة كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم
ولغظهم^(١).

وبما أن مسلماً أخذها عن أستاذه البخاري فنحن نقول للبخاري بما هذبت
العبارة ، ومهما حاولت تغطية الحقائق فإن ما أخرجه كاف وهو حجة عليك وعلى
سيدك عمر؛ لأن لفظ « يهجر » ومعناه يهذي ، أو « قد غلب عليه الوجد » ، تؤدّي إلى
نفس اللأنيحة لمتمعن يجد أن الناس حتى اليوم يقولون : مسكين فلان تغلبت عليه
الحُمى حتى أصبح يهذي.

وخصوصاً إذا أضفنا إليها كلامه : « عندكم القرآن حسبنا كتاب الله » ومعنى ذلك
أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انتهى أمره ، وأصبح وجوده كالعدم!!
وأنا أتحدّى كل عالم له ضمير أن يتمعن فقط في هذه الواقعة بدون روااسب وبدون
خلفيات فسوف تنور ثائرته على الخليفة الذي حرم الأمة من الهداية بكون سبباً مباشراً
في ضالتها.

ولماذا نخشى من قول الحق ما دام فيه دفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وبالتالي عن القرآن وعن المفاهيم الإسلامية بأكملها ، قال تعالى **فَلَا تَخْشَوُا الْبَشَرَ**

تَشْتَرُوا بِآيَاتِي قَدَنَا خَلْسِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٢).

فلماذا يحاول بعض العلماء حتى اليوم في عصر العلم والنور جهدهم

(١) صحيح البخاري ٧ : ٩ كتاب المرضى ، باب قول المريض : قوموا عني ، صحيح مسلم ٥ : ٧٦ كتاب
الوصية ، باب ترك الوصية.

(٢) المائدة : ٤٤ .

تغطية الحقائق بما يختلقونه من تأويلات متكلفّة لا تُسهّم في ولا تُغني عن جوع؟!
فإليك ما ابتكره العالم محمد فؤاد عبد الباقي في شرحه لكتاب «اللؤلؤ والمرجان فيما
اتفق عليه الشيخان بمند إيراده لحديث ربيعة يوم الخميس قال يشرح الواقعة: « ائتوني
بكتاب » أي ائتوني بأدوات كتاب كالقلم والدواة ، أو أراد بالكتاب ما من شأنه أن يكتب
فيه نحو الكاغد والكتفولظاهر أن هذا الكتاب الذي أراده إنما هو في النصّ على خلافة
أبي بكرهم لما تنازعوا واشتدّ مرضه صلى الله عليه وآله وسلم عدل عن ذلك معوّلاً
على ما أصدّه من استخلافه في الصلاة.

ثم أخذ يشرح معنى هجر قال: هجرظنّ ابن بطّال أنّها بمعنى اختلط ، وابن التين
أنّها بمعنى هذى؛ وهذا غير لائق بقدره الرفيع ، ويحتمل أن يكون المراد أن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم هجركم من الهجر الذي هو ضدّ الوصل لما قد وردّ عليه من
الواردات الإلهية ، ولذا قال: في الرفيق الأعلى ، وقال ابن الأثير: إنّه على سبيل الاستفهام
وحذفت أليهمقل، تغيير كلامه واخذت لظاً لأجل ما به من المرض ، وهذا أحسن ما يقال
فيه ولا يجعل إخباراً فيكون إمّا من الفحش أو الهديان وللقائل كان عمر ولا يُظنُّ به
ذلك^(١). انتهى كلامه.

ونحن نردّ عليك يا سيادة العالم الجليل أنّ الظنّ لا يعني من الحقّ شيئاً ، وكفينا
اعترافك بأنّ قلل هذا الفحش هو عمراً! ومن أنبأك بأنّ رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يكتب خلافة أبي بكر؟ وهل كان عمر ليعترض على
ذلك؟

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٢ : ١٦٦ ، كتاب الوصية.

وهو الذي شيّد أركان الخلافة لأبيوجكّر ، الذّاس عليها غضباً وقهراً حتىّ هدّد بحرق بيت الزّهراء يوهل هناك من ادّعى هذا غيرك يا سيادة العالم الجليل؟
والمعروف عند العلماء قديماً وحديثاً بأنّ عليّ بن أبي طالب هو المرشّح للخلافة من قبل الرّسول صلى الله عليه وآله وسلّم لم يعترفوا بالنصّ عليه ، ويكفيك ما أخرجه البخاري في صحيحه من كتاب الوصايا من جزئه الثالث صفحة ١٨٦ ، قال : ذكروا عند عائشة أنّ عليّاً رضي الله عنهما كان وصيّاً ، فقالت فتى أوصى إليه وقد كنتُ مسندته إلى صدري فدعا بالطسّ فتفلقه انخث في حجري فما شعرتُ أنّّه قد ماتَ فهتّى أوصى إليه؟^(٢).

والبخاري أخرج هلهديث لأنّ فيه إنكار الوصيّة من طرف عائشة ، وهذا ما يعجب البخاري ، ولكن نحن نقول بأنّ الذين ذكروا عند عائشة أنّ

(١) هذا الأمر كان معلوماً لدى الصحابة فضلاً عن العلماء ويدلّ عليه أمور :
منها ما قاله عليّ عليه السلام : « قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا أرى أنّي أحقّ بهذا الأمر ... » (أسد الغابة ٤ : ٣١) ، ومنها قاله العباس لعليّ بعد ما توتّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا عليّ قم حتىّ أباعك ومن حضر . فقال عليّ : وأحد؟ يعني يطمع فيها غيرنا ... » (الطبقات لابن سعد ٢ : ١٩٠ ط دار الكتب العلمية للمسألة إذا كانت معلومة واضحة لدى الصحابة ولذا تأخّر قوم عن البيعة وذهبوا إلى بيت فاطمة عليها السلام ذلك إلاّ لاعتقادهم أحقية عليّ عليه السلام بالأمر دون غيره .

(٢) لا بأس بذكر ما أورده الشوكاني في نيل الأوطار ٦ : ١٤٥ على القرطبي حينما استشهد بكلام عائشة على نفي الوصيّة ، فقال : «ولا يخفى أنّ نفي عائشة للوصيّة حال الموت لا يستلزم نفيها في جميع الأوقات ، فإذا أقام البرهان الصحيح من يدّعي الوصاية في شيء معين قبل .»

رسول الله أوصى لعلي صادقين لأنَّ عائشة لم تكذب بجم تنفٍ هي نفسها الوصية، ولكنها
سألت كالمستنكرة متى أوصى إليه؟

ونجيبها بأذنه أوصى إليه بحضور أولئك الصحابة الكرام وفي غيابها هي ولا شك بأنَّ
أولئك الصَّحابة ذكروا لها متى أوصى إليه ولكنَّ الحكَّام المتسلِّطين منعوا ذكر مثل هذه
المحاججات، كما منعوا ذكر الوصية الثالثة ونسوها وقامت السياسة على طمس هذه
الحقيقة.

على أنَّ عمر نفسه صرَّح بأذنه منع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كتابة
الكتاب لعلمه بأذنه يختصَّ بخلافة علي بن أبي طالب، وقد أخرج ابن أبي الحديد الحوار الذي
دار بين عمر بن الخطَّاب وعبد الله بن عباس، وفيه قال عمر وهو يسأل ابن عباس: هل
بقي في نفس عليَّ شيء من أمر الخلافة؟ فقال ابن عباس: نعم، فقال عمر: ولقد أراد
رسول الله في مرضه أن يصرَّح باسمه فمنعته من ذلك اشفاقاً وحيطة على الإسلام^(١).
فلماذا تنهَّرب يا سيادة العالم من الواقع، وبلاد من إظهار الحقَّ بعدما ولىَّ عصر
الظلمات مع بني أمية وبني العباس ما أنتم تزيدون تلك الظلمات غشاوة وأستاراً،
فتحجبوا غيركم عن إدراك الحقيقة والوصول إليها كملت قُلتَ الذي قُلتَ عن حسن نيَّة
، فإني أسأل الله سبحانه أن يهديك ويفتح بصيرتك.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ١٢ : ٢١، وذكر ابن أبي الحديد أنَّ الخبر نقله أحمد بن أبي طاهر
صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه مسنداً . (المؤلَّف).

كما أن البخاري فعل الكثير من أجل تبديل وتدليس وتخليط الأحاديث النبوية؛ التي يشعر من لخلأ أن هناك توهيناً وانتقاصاً لهيبة أبي بكر وعمر بفها هو يعمد إلى حادثة تاريخية مشهورة قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً لم يعجب الإمام البخاري، فأعفاه تماماً وكمالاً؛ لأنه يرفع مكانة علي على حساب أبي بكر.

فقد روى علماء السنة في صحاحهم ومسانيدهم، كالترمذي في صحيحه، والحاكم في مستدركه وأحمد بن حنبل في مسنده، والإمام النسائي في خصائصه، والطبري في تفسيره وجمال الدين السيوطي في تفسيره الدر المنثور، وابن الأثير في تاريخه، وصاحب كنز العمم مال والزمخشري في الكشاف، وغير هؤلاء كثير، وأخرجوا كلهم:

إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث أبا بكر (ﷺ) وأمره أن ينادي بهذه الكلمات (وهي براءة من الله ورسوله ثم أتبعه عليه السلام) وأمره أن ينادي بها هو، فقام علي (ﷺ) في أيام التشريق فنادى: «إن الله برىء من المشركين ورسوله، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر، ولا يحج من بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان»، ورجع أبو بكر (ﷺ) فقال يا رسول الله نزل في شيء؟ قال: لا، ولكن جبرئيل جاءني فقالن: يؤدّي عنك إلا أنت وأرجل منك»^(١).

(١) راجعه بألفاظه المختلفة: مسند أحمد ١ : ١٥١ وقال محقق المسند أحمد شاكر: سنده حسن، ذخائر العقبى: ٦٩، الدر المنثور ٣ : ٢٠٩، تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٤٨، سنن الترمذي ٤ : ٣٣٩، المستدرک ٣ : ٥١، المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ٥٠٦ ح ٧٢، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ١٢٨ والخصائص له أيضاً : ٩١، مسند أبي

لكن البخاري كعادته دائماً أخرج الحادثة بطريقته المعروفة والمألوفة ، قال في صحيحه

من كتاب تفسير القرآن باب قوله : فسبحوا في الأرض أربعة أشهر :

قال أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة (رضي الله عنه) قال : بعثني أبو بكر في تلك

الحجّة في مؤذنين عنهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحجّ بعد العام مشركاً ، ولا يطوف

بالبيت عريان ، قال حميد بن عبد الرحمن : ثم أردف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

بعلي بن أبي طالب وأمره أن يؤذّن ببراءة ، قال أبو هريرة : فأذّن معنا علي يوم النحر في

أهل منى ببراءة قولاً لا يحجّ بعد العام مشركاً ، ولا يطوف بالبيت عريان^(١) .

فانظر أيها القارئ كيف تتم عملية التشويه للأحاديث والأحداث حسب الأغراض

والأهواء المذهبية بفهل هناك شبهة بين ما رواه البخاري في هذه القضية ، وما رواه غيره من

المحدثين والمفسرين من علماء أهل السنة؟!!

والبخاري هنا يجعل أبا بكر هو الذي بعث أبا هريرة بمؤذنين يؤذنون بمنى أن لا

يحجّ بعد العام مشركاً ، ولا يطوف بالبيت عرياناً ، يدخل قول حميد بن عبد الرحمن بأن

رسول الله أردف بعلي بن أبي طالب وأمره أن يؤذّن ببراءة .

ثم يأتي من جديد قول أبي هريرة بأن علي شاركهم في الأذان يوم

يعلى ١ : ١٠٠ ح ١٠٤ ، صحيح ابن حبان ١٥ : ١٧ ، تفسير الطبري ١٠ : ٨٤ ، شواهد التنزيل ١ :

٣٠٥ ، أنساب الأشراف : ١٥٥ ، تاريخ الطبري ٢ : ٣٨٣ ، فتح القدير للشوكاني ٢ : ٣٣٤ ، كتاب السنة

لابن أبي عاصم : ٥٩٥ ح ١٣٨٤ .

(١) صحيح البخاري ٥ : ٢٠٢ .

النحر ببراءة وأن لا يحجّ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان!!
وبهذا الأسلوب قضى البخاري على فضيلة علي بن أبي طالب ، في أنه هو الذي
أردفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبيدّغ عنه براءة بعدما جاءه جبرئيل وأمره عن
الله بعزل أبي بكر من تلك المهمة ، وقال له لن «ؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك» .
فصعب على البخاري أن يعزل أبو بكر بوحى من الله تعالى تقدّم عليّ ابن أبي
طالب عليه ، وهذا ما لا يرتضيه البخاري أبداً فعمد إلى الرواية فدّلسها كغيرها من
الروايات .

وكيف لا يتنبّه الباحث لهذا الدس والتزوير ، وخيانة الأمانة العلمية ، خصوصاً وهو
يقراً أن أبا هريرة يقول بعثني أبو بكر في تلك الحجّة في مؤذنين بعثهم يوم النحر! فهل كان
أبو بكر هو الذي يُسَيَّر الأُورَ حتى في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وكيف
أصبح المبعوث هو الباعث الذي يختار مؤذنين من بين الصحابة يا ترى؟

وتمعّن في أسلوب البخاري كيف قلب كل شيء ، فأصبح علي بن أبي طالب .
المبعوث من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذاء تلك المهمة التي لا يصلح لها سواه .
شريك الإداء مع أبي هريرة وبقية المؤذنين دون التعرّض لعزل أبي بكر ولا رجوعه بيكي .
كما في بعض الروايات . ولا التعرّض إلى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « جاءني
جبرئيل فقال: يؤدّي عنك إلا أنت أو رجل منك »!؟

لأن ذلك الحديث هو بمثابة سهام الشرف الذي قلّده رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم له ووصيه على أمته علي بن أبي طالب ثم هو صريح
بأن ذلك

ما جاء به جرثوم حسب الحديث النبوي فلا يبقى بعده مجال للمتأولين أمثال البخاري في
أزاه رأي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو كسائر البشوات الذي يظن ، كغيره ،
فالأولى للبخاري حينئذ أن يبعد هذه الرواية وي طرحها كلياً من حسابه كما طرح غيرها.

فتراه يخرج في صحيحه في كتاب الصلح باب كيف يكتب هذا ما صلح فلان بن
فلان قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعلي بن أبي طالب أنت «مني» وأنا منك
« في قضية اختصام علي وجعفر وزيد على ابنة حمزة ، في حين أن ابن ماجه ، والترمذي ،
والنسائي ، والإمام أحمد ومصاحب كنز العمّال ، كلهم يخرجون قول رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم علي «مني» وأنا من علي ، ولا يؤدّي ع إلا أنا أو علي » (١)
قالها في حجة الوديع أني للبخاري أن يخرج ذلك!؟

٧ . أضف إلى ذلك أن الإمام مسلم أخرج في صحيحه من كتاب الإيمان ، باب
الدليل على أن حب الأنصار وعلى من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق :
عن علي قال : فلا تقولنّ ، وبرأ النسمة ، إنّه لعهد النبي الأمي
صلى الله عليه وآله وسلم إليّ : « بني إلا مؤمن » ، ولا يبغضني إلا منافق .»

(١) مسند أحمد ٤ : ١٦٥ ، سنن ابن ماجه ١ : ٤٤ : ١١٩ ، سنن الترمذي ٥ : ٢٩٩ : ٣٨٠٣ وصححه
، المصنف لابن أبي شيبة ٧ : ٤٩٥ : ٨ ، كتاب السنة لابن أبي عاصم : ٥٨٤ : ١٣٢٠ ، السنن الكبرى
للنسائي ٥ : ٤٥ : ٨١٤٧ ، المعجم الكبير للطبراني ٤ : ١٦ ، الجامع الصغير للسيوطي ٢ : ١٧٧ : ٥٥٩٥
، كنز العمال ١١ : ٦٠٣ : ٣٢٩١٣ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٣٤٥ ، تهذيب الكمال للمزي ٥ : ٣٥ ، سير
أعلام النبلاء ٨ : ٢١٢ وسنده صحيح .

وأكد المحدّثون وأصحاب السنن قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لمي : « ولا يجب لك إلاّ مؤمن ، ولا يبغضك إلاّ منافق »^(١).

أخرجه الترمذي في صحيحه ، والنسائي في سننه ، ومسند أحمد بن حنبل ، والبيهقي في سننه ، والطبري في ذخائر العقبى ، وابن حجر في لسان الميزان ولكنّ البخاري رغم ثبوت هذا الحديث عنده ، والذي أخرجه مسلم ورجاله كلّهم ثقات لم يخرج هذا الحديث؛ لأدّه فكّر ثمّ قد ربّأ المسلمون نفاق كثير من الصّحابة المقرّبين بين للرّسول صلى الله عليه وآله وسلم.

الإشارة للفتي رسمها من لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌّ يُوحى ، كما أن الحديث في حدّ ذاته فضيلة كبرى لعلّي وحدّه دون سائر النابليين به يُفرق الحقّ من الباطل ويعرف الإيمان من النفاق.

فهو آية الله العظمى وحجّته الكبرى على هذه الأمة وهو الفتنة التي يختبر الله بها أمّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد نبيّها ، ورغم أن النفاق هو من الأسرار الباطنية التي لا يطّلع عليها إلاّ من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ولا يعرفها إلاّ علام الغيوب ، الله سبحانه تفضّل لا منه ورحمةً بهذه الأمّة وضع لها علامةً ، ليهلك من هلك عن بينة ، وينجو من نجا عن بينة.

(١) مسند أحمد ١ : ٩٥ وقال الشيخ أحمد شاکر : لإسناده صحيح وهو مكرّر ٦٤٢ ، سنن الترمذي ٥ : ٣٠٦ ح ٨١٩ صحّحه ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ١٣٧ ح ٨٤٨٧ ، مسند أبي يعلى ١ : ٢٥١ ح ٢٩١ ، المعجم الأوسط ٢ : ٣٣٧ ، تاريخ بغداد ٨ : ٤١٦ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٢٧١ ، أسد الغابة ٤ : ٢٦ ، تذكرة الحفاظ للذهبي ١ : ١٠ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ٥ : ١٨٩ ، الإصابة ٤ : ٤٦٨ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٩١ وغيرها من المصادر.

وأضربُ لذلك مثالا واحداً على ذكاء البخاري وفطنته من هذه الناحية ، ولذلك
أعتقد شخصياً بأن أهل السنة من الأسلاف فضّلوه وقدّموه لهذه الخاصية التي يمتاز بها على
غيره ، فهو يحاول جهده أن لا يتناقض بأحاديث تخالف مذهبه الذي اختاره وتبناه .
فقد أخرج في صحيحه من كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، بيا هبة الرجل
لامرأته والمرأة لزوجها :

قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله ، قالت عائشة رضي الله عنها لعل النبي
صلى الله عليه وآله وسلم وجع أسنانه أزواجه أن يرضن في بيته فأذن له فخرج
بين رجلين تحط رجلاه الأكرض بينو العباس وبين رجل آخر ، فقال عبيد الله فذكرت
لابن عباس ما قالت عائشة ، فقالي ليعن الرجل الذي لم تسم عائشة؟ قلت :
لا! قال هو علي بن أبي طالب .

وهذا الحديث بالضبط أخرجه ابن سعد في طبقاته بسند صحيح في جزئه الثاني في
صفحة ٢٩ ، وكذلك صاحب السيرة الحلبية ، وغيرهم من أصحاب السنن وفيه : «إن
عائشة لا تطيب له نفساً بخير»^(١) .

والبخاري أسقط هذه الجملة التي يستفاد منها أن عائشة تبغض علياً ولا تطيق ذكر
اسمه ، ولكن فيما أخرجه كفاية ودلالة واضحة لمن له دراية بمعارض الكلم؛ وهل يخفى على
أى باحث قرأ التاريخ ومحصّة بغض أم

(١) مسند أحمد ٦ : ٢٢٨ ، عنه الألباني في إرواء الغليل ١ : ٧٨ اوضحه ، الطبقات الكبرى ٢ : ٢٣٣ ،
السيرة الحلبية ٣ : ٤٨٦ .

المؤمنين لسيدها ومولاهها علي بن أبي طالب (عليه السلام)، إنهما عندما وصلها لخلاب بن قتلته سجدة شكرًا لله (٢).

وعلى كل حال رحم الله أم المؤمنين وغفر لها كرامةً لزوجها ونحن لا نضيق رحمة الله التي وسعت كل شيء، وكان بودنا لو لم تكن تلك الحروب والفتن والمآسي التي تسببت في تفريقنا وتشيت شملنا وذهاب ربحنا، حتى أصبحنا اليوم طعمة الأكلين، وهدف المستعمرين وضحية الظالمين، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

انتقاص أهل البيت روايات تعجب البخاري

ومع الأسف الشديد فإن الإمام البخاري اختار طريقه، وسلك سبيله ضمن مدرسة الخلفاء التي شيدها السلطة الحاكمة، أو أن تلك المدرسة هي التي اختارت البخاري وأمثاله وصنعت منهم ركائز وأركان ورموز لتدعيم سلطاتهم، وترويح مذهبهم، وتصريف اجتهاداتهم التي أصبحت في عهد الأمويين والعباسيين سوقاً رائجة وسلعة رابحة لكل العلماء الذين تسابقوا وتباروا لتأييد الخليفة بكل أساليب الوضع والتدليس الذي يتماشى

(١) جاء في الغدير ١ : ٦٦٦ عن الحافظ ابن سمان كما في الرياض النضرة ٣ : ١١٥ ، وذخائر العقبى : ٦٨ ، ووسيلة المال : ١١٩ ، والمناقب للخوارزمي : ١٦٠ ح ١٩١ ، والصواعق المحرقة : ١٧٩ عن الحافظ الدارقطني عن عمر وقد جاءه أريان يختصمان فقال لعلي : اقض بينهما ، فقال أحدهما : هذا يقضي بيننا؟ فوثب إليه عمر وأخذ بتلبيبه وقال ويحك ما تدري من هذا ، هذا مولاي ومولى كل مؤمن ، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن .

(٢) مقاتل الطالبين : ٥٥ وفيه : لئلا أن جاء عائشة قتل علي سجدة .

ولاء ياسة القائمة، كل ذلك لينالوا عند الحاكم الجاه والمال ، فباعوا أخراهم بديناهم ، فما ربحت تجارتهم ، ويوم القيامة يندمون ويخسرون .
فالناس ناس ، والزمان زملائنت ترى اليوم نفس الأساليب ونفس الس ياسة ، فكم من عالم جليل هو حبيس داره لا يعرفه الناس ، وكمن جاهل تر مع على منبر الخطابة ، وإمامة الجماعة ، والتحكّم بمصير المسلمين من المقر بين الذين نالوا رضى النظام وتأيدته وإلا قل لي بر بك كيف يفسر عزوف البخاري عن أهل بيت النبي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا؟

كيف يفسر عداء البخاري لهدي الأئمة الذين عاصر وعاش البعض منهم زمن البخاري ولم يرو عنهم إلا ما هو مكذوب عليهم لخط من قدرهم السامي ، والطعن في عصمتهم الثابتة بالقرآن والسنة ، وسنوافيك ببعض الأمثلة على ذلك .
ثم إن البخاري ولى وجهه شطر النواصب والخوارج الذين حاربوا أهل البيت وقتلوه ، فتراه يروي عن معاوية ، وعن عمرو بن العاص ، وعن أبي هريرة ، وعن مروان بن الحكم ، وعن مقاتل بن سليمان الذي عرف بالذجال^(١) وعن عمران بن حطان عدو أمير المؤمنين وعدو أهل البيت ،

(١) قال ابن حبان في كتاب المجروحين ٣ : ١٤ « كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم وكان شبيهاً يشبهه الرب بالخلوقين » وعن أبي حنيفة قال : « أتانا من المشرق رأيان خبيثان : جهم معطل ، ومقاتل مشبه » سير أعلام النبلاء ٧ : ٢٠٢ ، ومقاتل هذا وقع في سند رواية رواها البخاري في تاريخه

الكبير ٤ : ٢٩٢ ح ٢٨٦٦ . وقال الذهبي في كتاب ميزان الاعتدال ١ : ١٦٠ رقم ٥٩٦٠ ترجمة علي بن هاشم : تزك البخاري إخراج حديثه فإنه يتجنّب الرافضة كثيراً ولا. نراه يتجنّب القدرية ولا الخوارج ولا الجهمية .
وقد ذكر صاحب كتاب كشف الجاني : ٣٩ أن معاوية وعمرو بن العاص وأبا هريرة صحابة ،
وطبق كفاية للحكم بالعدالة كما هو مبنى السنة ، وقد قدّنا فيما سبق بعض أحوال معاوية ، وبعض تصرّفات
أبي هريرة وتدليساته؟.

وذكر صاحب كشف الجاني أن مروان بن الحكم غير متهم في حديثه.
وهذا روي للكلام بدون تثبيت؛ إذ ذكره الذهبي في كتابه المغني في الضعفاء ٢ : ٣٩٧ ترجمة ٦١٦٦ ،
وقد ذكر في مقدّمة كتابه أنه خصّصه في ذكر الكذابين الوضاعين ، ثمّ على ذكر المتروكين الهالكين ثمّ على
الضعفاء من المحدّثين الناقلين ، ثمّ على الكثير الوهم من الصادقين ، ثمّ على الثقات الذين فيهم شيء من اللين ..
ثمّ على خلق كثير من المجهولين .. ».

وفي صحيح ابن حبان ٣ : ٣٩٦ : « قال أبو حاتم رحمه الله عائد بالله أن نحتجّ بخبر رواه مروان بن الحكم
وذووه في شيء من كتبنا ».

وقال عنه الشيخ الألباني في مختصر صحيح البخاري ١ : ١٩٠ : « فيه كلام معروف عند المحدّثين ».
وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب ١٠ : ٩٢ : «وعاب الإسماعيلي على البخاري تخريج حديثه وعدّه
من موبقاته أنه رمى طلحة أحد العشرة يوم الجمل ».

وقال ابن حزم مروان بن الحكم أوّل من شقّ عصي المسلمين بلا شبهة ولا تأويل ، وإنه قتل النعمان
بن بشير أوّل مولود في الإسلام للأنصار « المغني في معرفة رجال الصحيحين : ٢٣٥ . هذا من جهة منزلة مروان
بن الحكم عند المحدّثين .

وأما سيرته وأفعاله فهي كالنار على المنار ، مليئة بالخيانة والحقد على المسلمين ، قال عنه الذهبي في ميزان
الاعتدال ٤ : ٨٩ : « له أعمال موبقة ، نسأل

الله السلامة ، رمى طلحة بسهم .»

وفي سير أعلام النبلاء ١ : ٣٥ : « عن قيس قال : رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم فوقع في ركبته فما زال ينسح حتى مات ، رواه جماعة عنه .

ولفظ عبد الحميد بن صالح : هذا أعان على عثمان ولا أطلب بثأري بعد اليوم .

قلت : قاتل طلحة في الوزر بمنزلة قاتل علياً .»

وقال عنه الذهبي في تاريخ الإسلام ١ : ٢٣٤ : كئاف يوم الحرّة مع مسلم بن عقبة ، وحرّضه على أهل المدينة ... ، وارجع إلى حديث النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** في صحيح مسلم ٤ : ١٢١ « من أراد أهلها بسوء (يريد المدينة) أذابه الله كما يذوب الملح في الماء » فهو ممن شمله دعاء النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** وهو من أصحاب النار .

وفي سير أعلام النبلاء ٣ : ٧٧ : « مروان أميراً علينا ، فكان يسبّ رجلاً كلّ جمعة ، ثمّ عزل بسعيد بن العاص ، وكان سعيد لا يسبه ، ثمّ أعيطروا فكان يسبّ ، فقيل للحسن : ألا تسمع ما يقول ؟ فجعل لا يردّ شيئاً .. » وقد ذكر في تاريخ الإسلام ١ : ٢٣٥ اسم ذلك الرجل الذي كان يسبه مروان وهو علي بن أبي طالب **عليه السلام** .

وذكر في كشف الجاني أيضاً بأنّ المؤلّف كذب حينما قال بأنّ البخاري يروي عن الجسّمة والمجاهيل ! وهذا أيضاً . من جهل صاحب كتاب كشف الجاني إذ بمراجعة بسيطة لمقدّمة فتح الباري وغيرها يجد أنّ هالك العديد من المجاهيل بل والمتهمين بالكذب ممّن روى البخاري عنهم ، نورد بعض الأسماء ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى مقدّمة فتح الباري :

فمن الرواة المجاهيل الذين روى عنهم البخاري :

(١) إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة : قال القطان الفاسي : لا يعرف حاله . هدي الساري إلى

فتح الباري ، ابن حجر ٥٤٨ .

(٢) أسباط أبو اليسع : قال أبو حاتم : مجهول . المصدر السابق ٥٤٩ .

- (٣) الحسين بن الحسن بن يسار : قال أبو حاتم : مجهول. المصدر السابق ص ٥٦٠ .
- (٤) أسامة بن حفص أو ابن جعفر المدني : قال اللالكائي : مجهول ، وقال الأزدي ضعيف. ميزان الاعتدال ١ : ١٧٤ ، رقم ٧٠٤ ، هدي الساري : ٣٨٦ ، المغني في معرفة الرجال الصحيحين : ٢٨ رقم ١٣١ .
- (٥) ثور بن زيد الديلي : قال البيهقي : مجهول. ميزان الاعتدال ١ : ٣٧٣ .
- (٦) الحسن بن إسحاق بن زياد أبو علي الليثي المروزي : قال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يقول : هو مجهول ، وقال الذهبي : مجهول الجرح والتعديل ٣ : ٢ ، ميزان الاعتدال ٢ : ٢٢٧ ، المغني في الضعفاء ١ : ٢٤٤ .
- (٧) حصين بن محمد الأنصاري السالمي : قال الذهبي فيحتجّ به في الصحيحين ، ومع هذا فلا يكاد يعرف. ميزان الاعتدال ١ : ٥٥٤ .
- (٨) عبد الواحد بن عبد الله بن كعب النصري : قال ابن حزم : مجهول. تهذيب التهذيب ٦ : ٤٣٦ ، الضعفاء لابن الجوزي ٢ : ١٥٦ .
- (٩) محمد بن يزيد الكوفي الحزامي : قال أبو حاتم : مجهول. هدي الساري : ٤٤٣ .
- ومن الرواة المتهمين بالكذب الذين روى عنهم البخاري :
- (١) أسيد بن زيد الجمّال : قال النسائي : متروك ، وقال ابن معين : حدّث بأحاديث كذب ، وقال ابن خلفون وذكر ابن الاعرابي عن عباس بن محمد بن محمد الدورقي عن يحيى بن معين قال : أسيد بن زيد الجمال : كذاب ، ذهب إليه في الكرخ ونزل دار الحدائين فأردت أن أقول : يا كذاب ، ففرقت من شغار الحدائين. المصدر السابق ٥٥٢ ، المعلم بشيوخ البخاري ومسلم : ١١٤ رقم ٨٨ .
- (٢) شجاع بن الوليد بن قيس السكوني : أتمه يحيى بن معين بالكذب. المصدر السابق ص ٥٧٥ .
- (٣) عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس : متهّم بالكذب. المصدر السابق

ص ٥٩٦.

(٤) أحمد بن صالح أبو جعفر المصري : قال النسائي : ليس بثقة ولا مأمون. وقال أيضاً تركه محمد بن يحيى ورماه يحيى بن معين بالكذب ، هدي الساري : ٣٨٣ وقال معاوية بن صالح عن ابن معين : أحمد بن صالح كذاب يتفلسف ، الضعفاء والمتروكين ٥٦ ، تهذيب التهذيب ١ : ٣٩ .
(٥) إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس بن مالك بن أبي عامر المدني : قال يحيى ابن معين ، مخلط يكذب ليس بشيء .

وقال الدولابي : سمعت النظر بن سلمة المروزي يقول : كذاب كان يحدث عن مالك بمسائل ابن وهب .
ميزان الاعتدال ١ : ٢٢٢ رقم ٨٥٤ تهذيب التهذيب ١ : ٣١٠ ، الضعفاء والمتروكين : ٥١ ، المغني في معرفة رجال الصحيحين : ٣٥ ، ١٩٢ .

(٦) الحسن بن مدرك بن بشير أبو علي البصري الطحان : قال أبو داود : الحسن ابن مدرك كذاب ، كان يأخذ أحاديث فهد بن عوف فيقلبها على يحيى بن حماد . ميزان الاعتدال ١ : ٥٢٢ رقم ١٩٤٩ .
(٧) كعب بن مناع المعروف بكعب الأحبار : كان يهودياً فأسلم ، وقد شكك في إخلاصه للإسلام وتركه اليهودية ، كذبه ابن عباس وابن مسعود وحذيفة في قولهم : كذب كعب (البداية والنهاية ٣ : ٣١٦) ، وما ترك يهوديته ، أو ما تنكت اليهودية في قلب عبد فكادت أن تفارقه (تفسير القرطبي ١٤ : ٢٢٧ ، تفسير ابن كثير ٣ : ٥٦٢) .

وذكر السيد رشيد رضا في كتابه بما جاء عنه في صحيح البخاري على لسان معاوية : كان كعب الأحبار من أصدق المحدثين الذين يحدّثون عن أهل الكتاب قال السيد رشيد رضا : أدخل على المسلمين شيئاً كثيراً من الاسرائيليات الباطلة والمخترة ، وخفي على كثير من المحدثين كذبه ودجله لتعبده . تفسير المنار ٨ : ٤٤٩ .
الرواة المعتمرون فيهم وهم كثير نذكر بعضهم :

شاعر الخوارج وخطيبهم الذي كان يتغنى بمدحه لابن ملجم المرادي على قتله علي بن أبي طالب.

كما كان البخاري يحتج بحديث الخوارج والمرجئة والمجسمة ، وبعض المجاهيل الذين لا يعرف الدهر لهم وجوداً^(١).

(١) أيوب بن عائد الطائي الكوفي :

تمنّ أخرج له البخاري وأورد اسمه في كتاب الضعفاء (الضعفاء الصغير للبخاري : ٢٤) قال الذهبي :
والعجب من البخاري يغمزه وقد احتجّ به. ميزان الاعتدال ١ : ٢٨٩.

(٢) أبت بن محمد الكوفي الشيباني : ذكره في الضعفاء وقال أبو زرعة العراقي : والعجب من البخاري من ذكره في الضعفاء مع احتجاجه به في الصحيح. الجرح والتعديل ٢ : ٤٥٧ ، المغني في معرفة رجال الصحيحين : ٤٨ ، ٣٠٤ ، ديوان الضعفاء والمتروكين ١ : ١٣٦.

إلى غير ذلك ، وهناك الكثير من الرواة المصرّح بضعفهم روى عنهم البخاري ، من شاء يرجع إلى مقدّمة ابن حجر لكتابه فتح الباري.

وأما المجسّمة الذين روى عنهم البخاري ، فقد قدّمنا ذكر مقاتل بن سليمان الذي روى عنه البخاري في التاريخ الكبير ، وكان مجسّماً كما ذكر ابن حبان.

ونقول بعد هيلد : صاحب كتاب كشف الجاني وغيره ممن يحدو حذوه من المتعصّب بين يسارعون في الطعن على غيرهم ، مع جهلهم الشديد بما هو مسطور وملوّّن في أمهات مصادرهم ، فكان الأحرى بهم إصلاح عيوبهم قبل التفتيش عن عيوب الآخرين.

(١) كما روى عن حماد بن حميد في صحيحه ٨ : ١٥٨ وقال الذهبي في ميزان الاعتدال ١ : ٥٨٩ رقم :

٢٢٤٣ «محدث لا يدرى من هو» ومنهم عطاء أبو الحسن السوائي قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ٧ : ١٩٥ «قرأت بخط الذهبي : لا يعرف».

لقد جاء في صحيحه إضافة إلى الكذب والتدليس من الرواة المشهورين بذلك ،
بعض الروايات السخيفة والبشعة ، مثال ذلك ما رواه في صحيحه من كتاب النكاح باب ما
يجلّ من النساء وما يحرم حرق قوله متعلق: (عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ) إلى آخر الآية.
قال في آخر الباب: حَقُولَهُ لَعَلُّهُ (مَا وَرَاءَ ذَلِكَ) ، وقال عكرمة عن ابن
عبد الإزني رأيتُ بأختِ أمِّه لم تحرم عليه أمِّه ، ويروى عن يحيى الكندي عن الشعبي وأبي
جعفر فيمن يلعب بالصبي إن أدخله فيه فلا يتزوَّج من أمِّه .

وقد علّق على هذا الكلام شارح البخاري في الهامش بقوله : «اللائق بمنصب
العلماء أن يجلّوا قدرهم عن كتب مثل هذا الكلام والتنفوّه به .»

كما أخرج في صحيحه من كتاب تفسير القرآن ، باب « نساؤكم حرث لكم » عن
نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلّم حتى يفرغ منه ، فأخذت
عليه يوماً فقرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكان ، قال تدري فيما أنزلت ؟ قلت : لا ، قال
:أنزلت في كذا أو كذا ، ثم مضى .

وعن نافع عن ابن عمر فأتوا حرثكم أني شئتم » قال : يأتيها في (١) . وعلّق الشارح
بقوله : قوله في ... بحذف المجرور وهو الظرف أي في الدبر ، قيل : وأسقط المؤلف ذلك
لاستنكاره ، كذا في الشارح .

كنت يوماً في جامعة السوربه بباريس أتحدّث عن أخلاق النبي
صلى الله عليه وآله وسخطه العظيم الذي تحدّث عنه القرآن ، وعُرف به النبي
صلى الله عليه وآله وسلم حتى قبل البعثة

(١) صحيح البخاري ٥ : ١٦٠ .

فسمّوه الصّادق الأمين ، ودلعت المحاضرة ساعة تقريباً ، أوضحت خلالها بأنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن محارباً ولا غاصباً لحقوق الإنسان في تقرير مصيره ، وفرض دينه بالقوّة والقهر كما يدعي بعض المستشرقين .

وخلال المناقشة التي شارك فيها نخبة من الأساتذة والدكاترة المختصين بالإسلام وتاريخ المسلمين وجلّهم مستشرقون ، وانتصرت نوعاً ما على المناوئين الذين أثاروا بعض الشبهات ، ولكنّ أحد هُم وهو عربي مسيحي طاعن في السنّ (اعتقد أنّه لبناني) اعترض علىّ بأسلوب فيه خبث ودهاء ، فكاد يقلب انتصاري إلى هزيمة نكراء .

قال هذا الدكتور بلسان عربي فصيح : بأنّ ما ذكرته في المحاضرة فيه كثير من المبالغة ، وبالخصوص فيما يتعلّق بعصمة النبي ، إذ أنّ المسلمين أنفسهم لا يوافقونك على ذلك ، وحتىّ محمّد نفسه لا يوافق على ذلك ، فقد قال عديدلطر ، بأنّه بشّر " يجوز عليه الخطأ ، وقد سجّ له المسلمون أخطاءً عديدة نحن في غنى عن التعريف بها ، وكُتبت المسلمين الصحيحة والمعتمدة عندهم تشهدهد على ذلك .

ثمّ قال : وأما بخصوص الحروب فما على حضرة المحاضر إلّا مراجعة التاريخ ، ويكفي أن يقرأ فقط كتب الغزوات التي قام بها محمّد في حياته ، ثمّ واصلها الخلفاء الراشدون بعد وفاته حتى وصلوا إلى (poitier) مدينة بواتيه بغرب فرنسا ، وفي كلّها كانوا يفرضون دينهم الجديد على الشعوب بالقهر وقوّة السيف .

وقابل الحاضرون كلامه بالتصفيق مؤيدين مقاله ، وحاولت بدوري

إقنطهم بأفكرهم هـ الدكتور المسيحي غير صحيح ، وإن أخرجهم المسلمون في كُتُبهم ،
وارتفعت ضجة من الضحك في القاعة استهزاء وسخرية مني .
وتدخل الدكتور المسيحي من جديد ليقول لي بأن ما ذكره ليس من الكتب المطعون
فيها ، وإنما هو في صحيح البخاري ومسلم .
وقلت :بأنهذه الكتب صحيحة عند أهل السنة ، أمّا عند الشيعة فلا يقيمون لها
وزناً ، وأنا مع هؤلاء .

فقال نحن لا يهمنا رأي الشيعة الذين يكفّرهم أغلب المسلمين ، والمسلمون السنة
وهم أكثر من الشيعة عشر مرات لا يقيمون لأراء الشيعة وزناً ، ثمّ أضاف قائلاً : إذا تفاهتم
أنتم المسلمون مع بعضكم البعض ، وأقنعتهم أنفسكم بعصمة نبيكم ، عند ذلك يمكن أن
تُقنعونا نحن (قال ذلك ضاحكاً متهكماً) .

ثمّ التفت إلى من جديد قائلاً وأمّا بخصوص الأخلاق الحميدة ، فأنا أسألك أن
تقنع الحاضرين كيف تزوج محمد الذي بلغ من العمر أربعاً وخمسين عامًا وعمرها ست
سنين؟

وارتفعت من جديد ضجة الضحك وأشرأبت الأعناقُ تنتظر ردّي ، وحاولتُ جهدي
إقناعهم بأنّ الزواج عند العرب يتمّ على مرحلتين ، المرحلة الأولى وهو العقد وكتب الذكاح ،
والمرحلة الثانية وهو البناء والدخول ، وقد تزوج النبي عائشة وعمرها ست سنوات ، ولكن لم
يدخل بها إلاّ بعد أن بلغت تسع سنوات .
واستطردت بأنّ هذا ما يقوله البخاري إن كان من ناقشي يحتجّ عليّ بما فيه .

وأنا شخصياً أشكّ في صحة الروايات لأنّ النّاس في ذلك الزمان لم يكن لهم حالة مدنية ، ولا تسجيل تاريخ الميلاد ولا تاريخ الوفاة ، وعلى فرض صحة الرواية فإنّ عائشة بلغت سنّ الرشد في التاسعة من عمرها ، فكم رأينا اليوم على شاشة التلفزيون بعض الفتيات الروسيات والرومانيات لاعبات « الجمباز الهلاليّ عندما تراهنّ وترى كمال أجسامهن تستغرب عندما يُعلنون عن عمرها ، وأنّها لم تتجاوز إحدى عشر عاماً شكّ بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يدخل بها إلاّ بعدما رشدت وأصبحت تحيض ، والإسلام لا يقول بالرشد لمن بلغ ثمانية عشر عاماً كما هو معروف عندكم في فرنسا ، بل الإسلام يعتبر الرشد بالحيض للنساء وبخروج المنى للرجال ، وكلّنا يعلم حتىّ اليوم بأنّ من الذكور من يمنون في سنّ العاشرة ، ومن الإناث من يحضن في سنّ مبكرة قد لا تتجاوز العاشرة .

وهنا قامت سيدةٌ وتدّخلت لتقول نعم وعلى فرض أنّ ما أوردته قد يكون صحيحاً وهو صحيح علمياً ، ولكنّ كيف نقبل بزواج شيخ كبير أو شكّ عمره على نهايته بفتاة صغيرة ما زالت في العقد الأول من عمرها؟

إنّ قلّ مدّ: نبيّ الله ولا يفعل شيئاً إلاّ بوحى منه ، ولا شكّ أنّ الله في كلّ شيء حكمة ، وإن كنتُ شخصياً أجهل الحكمة في ذلك .

قال الدكتور المسيحيّ: المسلمون اتخذوا ذلك سنّة ، فكم من فتاة صغيرة زوّجها أبوها غصباً عنها بغير يوازيه في السنّ ، ومع الأسف فإنّ هذه الظاهرة بقيت حتىّ اليوم موجودة .

انتهزتُ هذه الفرصة لأقولك: أنا تركتُ المذهب السنيّ واتّبعْتُ

ذهب الملتشيعي ، لأذنه يعطي حق المرأة في أن تزوج نفسها بمن شاءت هي لا بما يفرضه عليها الولي .

قال دعنا من السنة الشيعية ولنعد إلى زواج محمد بد بعائشة ، والتفت إلى الحاضرين ليقول بكل إنسجحية بدأ النبي وبالبالغ من العمر أكثر من الخمسين يتزوج بنية صغيرة لا تفهم من الزواج قليلا ولا كثيرا ، والبخاري يحدثنا بأههما كانت في بيت زوجها تلعب بالدمى ، وهذا يؤكد على براءة الطفولة ، فهل هذه هي الأخلاق العالية التي يمتاز بها النبي؟

وحاولت من جديد إقناع الحاضرين بأن البخاري ليس حجّة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكن بدون جدوى ، فقد لعب هذا المسيحي اللبّاني بأفكارهم كما أراد ، وما كان لي إلا أن أوقف لنقاشاً متدرّجاً بأننا لا نتكلم نفس اللغة؛ لأنهم يحتجّون على البخاري في حين أنني لا أو من بكل ما ورد فيه .

وخرجت نقماً على المسلمين الذين أعطوا لهؤلاء ولأعداء الإسلام وأعداء محمد بد صلى الله عليه وآله وسلم صلاح النافذ الذي يجاروننا به وعلى رأس هؤلاء البخاري ، ورجعت لبيت يومها مهموماً ، وأخذت أتصفّح صحيح البخاري وما ذكره في فضائل عائشة وأحوالها ، فإذا بي أقوال الحمد لله الذي فتح بصيرتي ، وإلا لبقيت متحيراً في شخصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وما داخلني الشك فيه والعياذ بالله .

ولابن إظهار بعض الروايات التي أثّرت خلال المناقشة ، حتى يتبين للقارئ بأن هؤلاء المنتقدين لم يفتروا علينا ، وإنما وجدوا بغيتهم في صحاحنا فاستعانوا بها علينا .

فقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق ، باب تزويج النبي
صلى الله عليه وآله وسلم عائشة وقدمه المدينة وبنائه بها :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : تزوجني النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنتٌ ست سنين
، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحرث بن خزرج ، فوعكت فتمرَّقَ شعري فوفى جيممةً ، فأنتني
أمِّي أمَّ رومان وإني لفي أرجوحة ومعِي صواحبٌ لي ، فصرختُ بي فأتيتها لا أدري ما تريدُ
بي ، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار ، وإني لأنهجُ حتى سَكَنَ بعضُ نفسي ، ثمَّ
أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ، ثمَّ أدخلتني الدار فإذا نسوةٌ من الأنصار
في البيت ، فقلن : على الخير والبركة وعلى خير طائر ، فأسلمتني لهنَّ فأصلحن من شأنِي
، فلم يرعني إلاَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلمتني إليه ، وأنا يومئذ بنتُ
تِسْعِ سنين .

وأترك لك أيها القارئ لتعلق بنفسك على أمثال هذه الروايات!!

كما أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الأدب ، باب الانبساط إلى الناس :
عن عائشة رضي الله عنها فأكنتت: أَلْعَبُ بالبنات عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ،
وكان لي صواحبٌ يلعبنَّ معي ، فكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم جعل يَتَقَمَّعُ من
منه فيسِرُّ بهنَّ إلى فيلَعَبِ مَعِي .
يقول الشارح : أَلْعَبُ بالبنات ، يعني التملُّثيلُ مائة بلعب البنات ، ويسرهنَّ إلى :
أي يبعثهن ويرسلهن إلى .

وأنت تقرأ مثل هذه الروايات في صحيح البخاري ، أبقى عندك

اعتراض بعدها على نقد بعض المستشرقين إن كنت منصفاً؟!

قل لي برّبك! عندما تقرأ قول عائشة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما أرى لك إلا يسارع في هোক »^(١).

ماذا يبقى في نفسك من احترام وتقدير لامرأة كهذه التي تشكك في نزاهته صلى الله عليه وآله وسلم! لا يبعث ذلك في نفسك أنها تصرّفات مراهرة لم يكتمل عقلها؟!

وهل يلام بعد ذلك أعداء الإسلام الذين كثيراً ما يثيرون حبّ محمد للمنساء وأزّه كان شهوانياً ، فإذا قرأوا في البخاري بأن الله يسارع في هواه ، ويقرأون في البخاري بأزّه كان يجامع إحدى عشرة زوجة في ساعة واحدة وقد أُعطي قوّة ثلاثين ، فاللوم على المسلمين الذين أقرّوا مثل هذه الأباطيل واعترفوا بصحّتها ، بل واعتبروها كالقرآن الذي لا يتطرق إليه الشك ، ولكن هؤلاء مسيروّن في كلّ شيء حتى في عقيدتهم ، وليس لهم خيار في شيء ، لقد فرضت عليهم هذه الكتب من الحكماء الأوّلين ، وهلم بنا الآن إلى الرّوايات التي أخرجها البخاري للطعن على أهل البيت :

فقد أخرج في صحيحه من كتاب المغازي ، باب شهود الملائكة بدرّاً ٥ : ١٦ :
عن علي بن حسين ، أنّ حسين بن علي أخبره أنّ عليّاً قال بكانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعطاني ممّا أفاء الله

(١) صحيح البخاري ٦ : ٢٤ ، كتاب تفسير القرآن ، جابي قولن تعال شذله (مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ

مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مَحْرَبًا فَأَجُزْنَاكَ عَلَيْهِمْ).

من الخمس يومئذ ، فلما أردتُ أن أبتني بفاطمة عليها السلام هنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم دتُ رجلا صواً افاً في بني قينقاع أن ترتحل معي فنأتي بإذخر ، فأردت أن أبيع من الصواً اغين فنستعين به في وليمة عرسي .

أنا أجمع فبليشارفي من الأقتاب والغرائر والحبال ، وشارفاي م ناخان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار حتى جمعت ما جمعت ، فإذا أنا بشار في قد أُجبت أسنمتها ما ، وبُقرت خواص ره ما ، وأخذ من أكبادهما ، فلم أملك عيني حين رأيت المنظر ، قلت : من فعل هذا؟ قالوا : فعلة حمزة بن عبد المطلب ، وهو في هذا البيت في شرب من الأنصار عنده قينة وأصحابه ، فقالت في غناها : (لله رف الهواء) وثب حمزة إلى السيف فأجب أسنمتها وبقر خواصهما وأخذ من أكبادهما .

قال علي فانطلقت حتى أدخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده زيد بن حارثة ، وعرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقيت ، فقال لها لك؟ قلت : يا رسول الله ما رأيت كاليوم ، حمزة على ناقتي فأجب أسنمتها وبقر خواصهما ، وما هو ذا في بيت معه شرب ، فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم دائه ، فارتدى ثم انطلق يمشي واتبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة ، فاستأذن عليه فأذن له ، فطلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم داهم فمما فعل ، فإذا حمزة ثم مل حمرة عيناه ، فنظر حمزة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم النظر فنظر إلى ركبتيه ، ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ، ثم قال حمزة وهل أنتم إلا عبيد لأبي ، فعرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم داهم ل ، فنكص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عقبه القهقري ، فخرج وخرجنا معه .

تأمّر ل أيها القارئ في هذه الرّواية التي طفحت بالكذب والنزور لشتّم سيّد الشهداء؛ لأنّه مفخرة أهل البيت فكلم كان الإمام عليّ سلام الله عليه يفتخر به في أشعاره بقوله : « وحمزةُ سيّد الشهداء عمّي؟! » وكم كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفتخر به ، حتى إذا قُتلَ حزنَ عليه حزناً كبيراً ، وبكى عليه بكاءً كثيراً ، وسمّاه سيّد الشهداء .

وحمزة عمّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي أعزّ الله به الإسلام ، عندما كان المستضعفون من المسلمين يعبدون الله خفيةً ، وقف وقفته المشهورة في وجه قريش ، وانتصر لابن أخيه معلناً إسلامه على الملأ من قريش وما خاف أحداً .

حمزة الذي سبق هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومهدّ لدخول ابن أخيه في يوم مشهود ، حمزة الذي كان مع ابن أخيه عليّ أبطال بدر وأحد .

أخرج البخاري في نفسه في صحيحه كتاب تفسير القرآن ، باب قوله (لَذَانِ

خَصَّمَهُ نَانِ اخْتَصَمَهُ وَافِي رِبِّهِمْ) ٥ : ٢٤٢ :

عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال أنا: أوّل من يجثوا بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة ، قال قيس : يفهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم » قال : هم الذين بارزوا يوم بدر ، عليّ ، وحمزة ، وعبيدة ، وشيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة .

نعم ، إنّ البخاري يعجبه أن يروي مثل هذه المثالب في مفخرة أهل البيت ، وسلسلة الوضّاعين الذين وضعوا مثل هذه الرواية طويلة ، فقد قال البخاري : حدثنا عبدان ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا يونس ، وحدّثنا أحمد بن صالح ،

حدَّثنا عنده سبعة ، حدَّثنا يونس ، عن الزُّهري ، أخبرنا علي بن حسين .

فهؤلاء سبعة أشخاص يروي عنهم البخاري ، قبل أن يصل السند إلى علي بن الحسين وهؤلاء العابدون وسيد الساجدين ، فهل يليق بزينة العابدون أن يروي أكاذيب مثل هذه ، فيكون سيد الشهداء يشرب الخمر بعد إسلامه وبعد هجرته وقبل استشهاده بأيام قلائل ، إذ تقول الرواية أن علي ابن أبي طالب كان يعدّ وليمة عرسه على فاطمة عليها السلام التي بنى بها في السنة الثانية للهجرة النبوية ، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعطاه نصيبه من المغنم يوم بدر ، وهل يليق بسيد الشهداء أن تكون له قينة عاهرة تغدّيه ، وتطلب منه أن يقر الذنبتين ، فيفعل بدون مبالاة؟

وهل يليق بسيد الشهداء أن يأكل لحم حرام بدون ذبح ، ويقر الخواصر ، ويأخذ الأكباد؟

وهل يليق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يذهب ويستأذن على حمزة في ذلك المجلس الذي فيه الخمر والدعارة؟ ويدخل في ذلك المكان؟

وهل يليق بسيد الشهداء أن يكون ثملاً محمراً عيناه ، فيشتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : وهل أنتم إلا عبدة لأبي؟

وهل يليق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينكص على عقبه القهقري ، فيخرج دون تأنيب أو توبيخ ، فالمعروف عنه أنه كان يغضب لله؟!

وأنا متيقن أن هذه الرواية لو كانت (على سبيل الافتراض طبعاً) تذكر أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية مكان حمزة ، لما أخرجها البخاري لفظاعتها ، ولو أخرجها لهدّ بها على طريقته وابتزها ، ولكن ما الحيلة والبخاري لا يجب هؤلاء الذين رفضوا مدرسة الخلفاء ، حتى بعد وقعة

كربلاء وقتلهم عن بكرة أبيهم ، فلم يبق إلاّ علي بن الحسين الذي وضعوا الرواية على لسانه .

ولماذا لم يرو البخاري شيئاً من فقه أهل البيت ، ولا من علومهم ، ولا من خصالهم ، ولا من زهدهم ، ولا من فضائلهم التي ملأت الكتب ، وطفحت بها مجاميع أهل السنّة قبل مجاميع الشيعة؟

ولنستمع إليه يروي رواية أخرى تطعن في أهل البيت ، وفي القمّة بالذات ، إذ أنّ الرواية بما فيهم البخاري لم يجدوا في علي بن أبي طالب نقيصة واحدة ، ولا سجّلموا عليه طيلة تخميسه واحدة ، ولا عرفوا له خطيئة واحدة ، ولو كانت ملأوا الدنيا صياحاً وعويلاً ، فعمدوا لوضع رواية تتهمه بأنّه كان يستخفّ بالصلاة .

أخرج البخاري في صحيحه من تكاب الكسوف ، باب تحريض النبي صلى الله عليه وآله وسلم على صلاة اللّيل ، وطرق النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة وعليّاً عليها السلاطمة للصلاة ٢ : ٤٣ :

قال : حدّثنا أبو اليمان ، قال : أخبرنا شعيب عن الزهري ، قال : أخبرني علي بن حسين أنّ حسين بن علي أخبره أن علي بن أبي طالب أخبره أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هُ وفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة فقال : ألا تصمّ لي يا نبيّ؟

يا رفقولت الله أنفسه نأ بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إلّايّ ، ثمّ سمعته وهو مولّ يضرب فخذهُ وهو يقول **بَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا** (١) .

(١) الكهف : ٥٤ .

لاهِمَّا اللهُ يَا بَخَارِي ، هذا علي بن أبي طالب الذي يحدّثنا عنه المؤرّخون أنّه كان يقوم بصلاة اللّيل في ليلة الهرير (في حرب صفين) فيفرش نطع ويصلّي بين الصفّين ، والنّبال والسّهام تساقط على يمينه وشماله ، فلا يرتاع ولا يقطع صلاة اللّيل.

علي بن أبي طالب الذي أوضح للناس معالم القضاء والقدر ، وحمل الإنسان مسؤولية أفعاله وتصرّيه أنت في هذه الرواية بأزّه جبري يقول بالجبر ، ويجادل بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : « أنفسنا بيد الله إن شاء أن يعثنا بعثنا » يعني ذلك لو شاء الله أن نصلّي لصلّينا.

علي بن أبي طالب الذي حبّه إيمان وبغضه نفاق ، توصفه أنت بأزّه أكثر شيء جليلًا! أكذب مفضوح لا يوافقك عليه حتى ابن ملجم قاتل ملام ، ولا معاوية الذي كان يأمر الناس بلعنه ، إنه كذب رخيص ولكنك جنيت من ورائه الكثير إذ أرضيت بذلك حكّام زمانك وأعداء أهل البيت ، فرفعوا قدرك في هذه الدنيا الدنيئة ، ولكنك أسخطت ربّك بهذا الموقف من أمير المؤمنين ، وسيّد الوصيّين ، وقائد الغرّ المحجّجرين ، قسيم الجنة والنار، الذي يقف يوم القيامة على الأعراف فيعرف كلًّا بسيماهم^(١)

(١) شواهد التنزيل للحسكاني الخنفي ١ : ٢٦٣ ح ٢٥٦ ، في تفسير قولو تعالّين (الأعراف رجّال يهرفون كلًّا بسيماهم) أخرج الحاكم عن علي قال نقف يوم القيامة بين الجنّة والنار فمن نصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنّة ، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار. (المؤلّف).

فيقول للذَّار هذا لي وهذا لك^(١).

ولا أدري إن كان كتابك يوم القيامة شبيه بكتابك اليوم الذي يُزوّق ويحُدِّد ويُنمِّق ،
ليخرج في أبهى حلّة عرفها الكتاب.

نعم ، كَبُرْتُ عَلَى البخاري أن يظهر سيِّدهُ عمر بن الخطاب تاركاً للصلاة المفروضة
عندما فقد الماء ، وبقي على مذهبه ذلك حتى في خلافته ، فقال : «أما أنا فلا أُصَلِّي»
لمُتحدِّياً بذلك القرآن والسنة.

ففتَّش عند الدجَّالين الوضوءَ ما عين فوضعوا له هذا الحديث الذي يتَّهم أمير المؤمنين علي
بُئني طالبُ أذنه تتأقل فلم يصلَّ صلاة الليل ، وعلى فرض احتمال صحته روايته ، فلا
ضير ولا إثم ولا ذنب على علي لأثما تتعلَّق بصلاة الذَّافلة التي يثاب على فعلها ولا يعاقبُ
على تركها ، ولا يمكن أن يُقاسَ فعل عميتركه للصلاة المفروضة على ترك علي لصلاة
الذَّافلة إن صحَّت الرواية ، ولكن أنى لهذه الرواية أن تكون صحيحة ، ولو أخرجها صحيح
البخاري!!

فالويح صحيح عند أهل السنة ، وأهل السنة هم المؤيِّدون لمدرسة الخلافة التي
قامت على سياسة بني أمية وبني العباس ، ولتتبع يعرف هذه

(١) ابن حجر الشافعي في الصواعق المحرقة ٣ : ٣٦٩ في فضائل علي عليه السلام روى عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : يا علي أنت قسيم الجنة والنار ، فيوم القيامة تقول للنار : هذا لي وهذا لك.
وأضاف ابن حجر أن أبا بكر قال لعلي رضي الله عنهما : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لا
يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز. (المؤلف).
(٢) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب التيمم ، حديث : ٣٢٢.

الحقيقة التي أصبحت اليوم غير خافية على أحد ، وأهل السنّة والجماعة تبعاً لسياسة الحكّام الذي دأبوا على عداة ومحاربة أهل البيت ومن والاهم وتشيع لهم ، أصبحوا من غير علمهم أعداءً لأهل البيت وشيعتهم؛ لأنهم والوا أعداءهم وعادوا أولياءهم ، ولذلك رفعوا من شأن البخاري إلى الدرجة الرفيعة التي أصبح عليها ، ولا تجد عندهم من تراث أهل البيت ، ولا من أقوال الأئمة الاثني عشر شيئاً يذكر ، ولا حتى عن باب مدينة العلم الذي كان من النبي بمنزلة هارون من موسى ، وبمنزلة النبي من ربه .

والسؤال الذي يُطرح على أهل السنّة هو : ما الذي أحرز عليه البخاري زيادة على

بقية المحدّثين لينال عندكم هذا التفضيل!؟

وأعتقد أن الجواب الوحيد على هذا السؤال هو أن البخاري :

١. دأس الأحاديث التي تمسّ كرامة الصّحابة خصوصاً ، منهم أبو بكر وعمر

وعثمان ومعاوية ، وهذا ما دعا إليه معاوية والحكّام بعده.

٢. أبرز الأحاديث التي تطعن في عصمة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم ،

وتصوّره بأنّه بشرٌ عاديٌّ يخطيء ، وهذا ما أراده الحكّام على طول الدهر.

٣. أخرج أحاديث موضوعة في مدح الخلفاء الثلاثة ، وفضّلهم على علي بن أبي

طالب ، وهو بالضبط ما أراده معاوية للقضاء على ذكر علي حسب زعمه.

٤. أخرج أحاديث مكذوبة تمسّ بكرامة أهل البيت.

٥. أخرج أحاديث أخرى تؤيّد مذهب الجبر والتجسيم ، والقضاء والقدر في الخلافة ،

وهو ما أشاعه الأمويون والعباسيون ليتحكّموا بمصير الأمّة.

.أخرج أحاديث مكدوبة تُشبه الأساطير والخرافات لتخدير الأمة وإشاعة الفوضى ، وذلك ما يريد الحكام في عصر البخاري.

وعلى سبيل المثال إليك أيها القارئ العزيز هذه الرواية :

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق ، باب أيام الجاهلية من جزئه الرابع الصفحة ٢٣٨ :

قال البخاري ثنا زعيم بن حماد ، حدّثنا هشيم ، عن حصين ، عن عمرو بن ميمون ، قال رأيتُ في الجاهلية قردةً اجتمع عليها قردةٌ قد زنتُ ، فرجموها فرجمتُها معهم . ونحن نقول للبخاري : الله سبحانه ورحمةً بالقردة قد نسخ حكم الرجم الذي فرضه عليهم بعد طردهم من الجنة ، وأباح لهم الزنا في عهد الإسلام بعدما كان محرماً عليهم في الجاهلية ، ولذلك لم يدع أي مسلم أنوه شغلهم في رجم قردةً ، منذ بعث محمدٌ صلي الله عليه وآله وسلم وحتى يوم الناس هذا !!

خاتمة البحث

وبعد هذه الخرافات وأمثالها كثير في البخاري ، فهل يبقى الباحثون والعلماء المتحررون ساكتون ولا يتكلمون؟

وسيقول بعض الناس :لماذا التحامل إلا على البخاري؟ وقد يوجد في غيره من كتب الأحاديث لطيف ما فيه ، وهذا صحيح ولكن تناولنا البخاري بالتحديد لما ناله هذا الكتاب من شهرة فاقت الخيال ، حتى أصبح كالكتاب المقدس عند علماء السنة ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، إذ كل ما فيه صحيح لا يتطرق إليه الشك.

ومنع هذه الهالة وهذا التقديس نشأ من السلاطين والملوك ، بالخصوص في العهد العباسي الذي وصل فيه الفرس إلى التحكم في كل جهاز الدولة ، وكان منهم الوزراء والمستشارون والأطبباء والفلكيون ، يقول أبو فراس ذلك :

أبلغ لديك بني العباس مالكة
يدعوا ملكها ملائكة العجم
أي المفاخر أمست في منازلكم
وغيركم أمر فيها ومحتمكم
وعمل الفرس كل جهودهم ، واستعملوا كل نفوذهم حتى أصبح كتاب البخاري في المرتبة الأولى بعد القرآن الكريم ، وأصبح أبو حنيفة الإمام الأعظم فوق الأئمة الثلاثة الآخرين.

ولولا خوف الفرس من إثارة القومية العربية في عهد الدولة العباسية ،

لرفعوا البخاري فوق القرآن ، ولقدّ موا أبا حنيفة على النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن يدرى؟

وقد قرأتُ لبعضهم محاولات من هذا القبيل ، إذ كان البعض منهم يقول صراحة : بأنّ الحديث قاض على القرآن ، ويقصد بالحديث البخاري طبعاً ، كما يقول : لو تعارض حديث النّبي صلى الله عليه وآله وسلم مع رأي واجتهاد أبي حنيفة لوجب تقديم اجتهاد أبي حنيفة ، ويعلّل ذلك بأنّ الحديث يحتمل عدّة وجوه ، هذا إن كان صحيحاً ، أمّا إذا كان مشكوكاً في صحّته فلا إشكال.

وأخذت الأمة الإسلامية تنمو وتكبر شيئاً فشيئاً ، وهي دائماً مغلوبة على أمرها ، يتحكّم في مصيرها الملوك والسلاطين من الأعاجم ، والفرس ، والماليك ، والموالي ، والمغول ، والأتراك ، والمستعمرين من الفرنسيين والإنكليز والإيطاليين والبرتغاليين ، وحدث ولا حرج. ودأب أغلب العلماء على الجري وراء الحكّام ، واستمالتهم بالفتاوى ، والتملّق طمعاً فيما عندهم من مال وجاه ، وعمل هؤلاء دائماً على سياسة فرّق تسد « ، فلم يسمحوا لأحد بالاجتهاد ، وفتح ذلك الباب الذي أغلقه الحكّام في بداية القرن الثاني ، معتمدين على ما يثار هنا وهناك من فتخزيب بين السنّة ، وهي الأغلبية السّاحقة ، والتي تمثّل الأنظمة الحاكمة ، والشيعية وهي الأقلية المنبوذة ، والتي تمثّل في نظرهم المعارضة الخطيرة التي يجب القضاء عليها.

وبقي علماء السنّة مشغولون بتلك اللعبة السّياسية الماكرة في نقد وتكفير الشيعة ، والردّ لتهمي كلّ فنون النقاش والمجادلة ، حتى كُتبت في ذلك

آلاف الكتب ، وقُتِلَ آلاف النفوس البريئة ، وليس لها ذنب غير ولائها لعنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها للحكام الذين ركبوا أعناق الأمة بالقوة والقهر .

وها نحن اليوم في عهد الحريات في عهد النور . كما يسمونه . في عهد العلم وتسابق الدول لغزو الفضاء والسيطرة على الأرض ، إذا ما قام عالم وتحرر من قيود التعصب والتقليد ، وكتب أي شيء يُشم منه رائحة التشييع لأهل البيت ، فتثور ثائرتهم ، وتعبأ طاقاتهم لسيبه وتكفيره والتشنيع عليه ، لا لشيء سوى أنه خالف المؤلف عندهم .

ولو أنه كتب كتاباً في مدح البخاري وتقديسه لأصبح عالماً علامة ، ولا نهالت عليه التهاني والمدائح من كل حدب وصوب ، ولتمسح بأعتابه رجال لا تلهيهم صلاة ولا صوم عن التملق وقول الزور .

وأنت تفكر في كل هذا والدواعي التي توؤت لانحراف أكثر العباد ، والأسباب التي تجمعت لسيئاقه أغلب الناس إلى الضلالة ، فإذا القرآن الكريم يؤق فمك على سرها المكنون ، من خلال الحوار الذي دار بين رب العزة والجلالة واللعين إبليس :

قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسَبَّحْتَ بِحَمْدِ رَبِّكَ مَرَّةً مَرَّةً تَمُكُ خَلْقَكَ حِينَ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِقِينَ أَنْظِرْ نِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا وَعَدْنَاهُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مُسْتَقِيمِينَ * ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذُومًا وَمَا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ

لَأْمَلُنَّ جَهَنَّمَ مِمَّنْ كُفِرَ عَنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١).

شَيْطَانُ نَجِيحِهِ الْأَخْرَجَ لَا يَجْعَلُ أَبْنَاءَ كُفْرِكُمْ كُفْلًا مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمْ هَامًا مَّا سَاءَ مَسَاوِيَّهُمْ إِنَّهُ يُرِيدُ كُفْرًا هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْهُ هُنَّ إِنَّمَا جُعِلْنَ لَلْشَّيْطَانِ أُوتٍ لِّمَن لَّمْ يَدِينِ وَلَا لُوَايُؤُوجِهِمْ نَسُوتًا أَغْلَبِيَهُمْ فَطَابَتْ أَسْوَاقُهُمْ لِآلِهِمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ رَبِّيَ الْإِبْتِهَاءَ لَمَّا جَاءَ * وَأَقِيمُوا وَجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ فَرْتَعَاوْهُ هُنَّ * وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ يُحِبُّونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٢).

ولذلك أقول لكلِّ إخواني من المسلمين عامَّةً : إعنوا الشيطان ولا تتركوا له سبيلا كلفه، وتعالوا إلى البحث العلمي الذي يقرُّه القرآن والسنة الصحيحة ، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نحتج إلا بما هو صحيح ثابت عندنا وعندكم ، وندع ما اختلفنا فيه جانبا .

ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تجتمع أُمَّتِي على خطأ (٣) ، إذاً فالحق والصواب فيما اجتمعنا عليه سنة وشيعة ، والخطأ والباطل فيما اختلفنا فيه ، ولو أقمنا إلا هذا العمود لعم الصفاء والوفاق والهناء ، ولاجتمع الشمل ، وجاء نصر الله والفتح ، ولعمت البركة من السماء والأرض .

(١) الأعراف : ١٢ - ١٨ .

(٢) الأعراف : ٢٧ - ٣٠ .

(٣) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة : ٢٥ ، المستصفي للغزالي : ١٣٨ ، وفي سنن ابن ماجه ٢ : ١٣٠٣ ح ٣٩٥٠ بلفظ : «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة» .

فلولقت قد حان ، ولم يعد هناك مجالٌ للانتظار ، قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال ، ونحن كلنا في انتظار إمامنا المهدي عليه السلاخبيعة وسنة ، وقد طفحت ببشارته كتبنا ، أليس هذا دليل كاف على وحدة مصيرنا.

فليس الشيعة إلا إخوانكم ولميس أهل البيت حكرة عليهم ، فمحمّد وأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم أئمة المسلمين كافة ، فلقد اتفقنا سنة وشيعة على صحة حديث الثقلين ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم «^(١) فيكم ما إن تمسّ بكم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وعترتي »^(١) ، والمهدي من عترته ، أليس هذا دليل آخر؟

والآن وقد ولى عصر الظلمات ، وعصر الظلم الذي لم يظلم أحداً بقدر ما ظلم أهل البيت عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لُعنوا على المنابر ، وقتلوا ، وسبيت نسأؤهم وبناتهم على مرأى ومسمع من كل المسلمين.

فقد حان الوقت لرفع المظلة عن أهل البيت النبوي ، ورجوع الأمة إلى أحضانهم الممتلئة بالفتي ورحمة ، وإلى حضيرتهم المترعة التي ملئت علماء وعملا ، وإلى ظل شجرتهم الباسقة التي حازت فضلا وشرفاً ، فقد صلى عليهم الله وملائكته ، وأمر المسلمين بذلك في كل صلواتهم ، كما ملهم بمودتهم ومولاتهم. وإذا كان فضل أهل البيت لا ينكره مسلم ، وقد تغنى به الشعراء على مر

(١) لقد أوضحنا في بحث سابق بأن هذا الحديث لا يتعارض مع حديث كتاب الله وسنتي لأن كتاب الله وسنة رسوله هو كلام صامت ولا بدّ لهما من ترجمان ومن ميفي الرسول يرشدنا بأن المفسّر والمبين للقرآن والسنة هم عترته من أئمة أهل البيت الذين يشهد المسلمون كافة أنهم مقدّمون على غيرهم في العلم والعمل. (المؤلف).

العصور ، قال الفرزدق فيهم :

ن عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم
من معشر حبيبهم دين وبغضهم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم
فيلكّ برّ ومختوم به الكلم^(١)

وقال فيهم أبو فراس الشاعر المعروف بمدح أهل البيت ، ويشنئ العبّاسيين في قصيدته
المعروفة بالشافعية ، اخترنا منها :

اباعة الخمر كفّوا عن مفاخركم
لمعشر ببيعهم يوم الهياج دم
خوا الفخرّ صار لعلاّمين إن سئلوا
يوم السؤال وعمّّالين إن عملوا
تنشى التلاوة في أبياتهم سحرًا
وفي بيوتكم الأوتار والسننم
الركن والبيت والأستار منزلهم
ونهمزم والصّفى والحجر والحرم
وليس من قسم في الذكر نعرفه
وهم غير شكّ ذلك القسم^(٢)

وقد نقل الزمخشري ، والبيهقي ، والقسطلاني أبياتا عن الإمام أبي عبد الله محمد بن

علي الأنصاري الشاطبي لزينا بن إسحاق النصراني يقول فيها :

عدىّ وتيم لا أحاول ذكرها
بسومولكنيّ محبّ لهاشم
تعتزني في علىّ ورهطه
إذا ذكروا في الله لومة لائم

(١) الفصول المختارة للشيخ المفيد : ٣٩ ، تاريخ دمشق ٤١ : ٤٠٢ ، تهذيب الكمال للمزي ٢٠ : ٤٠٢ ،
البداية والنهاية ٩ : ١٢٧ .
(٢) راجع الغدير ٣ : ٤٠١ .

يقولون : ما بال نصارى تحبهم أهل النّهي من أعرب وأعاجم
فقلت لهم : لأحسب حبهم يرى في قلوب الخلق حتى البهائم^(١)
وقد كتب بعض النصارى عدّة كتب في مزايا وفضائل علي بن أبي طالب خاصّة ،
وفي أهل البيت عامّة ، وهو ما أشار إليه الإمام الشاطبي بقوله : « يقولون ما بال نصارى
تحبهم » وهي من العجائب التي بقيت لغزاً ، وإلاّ كيف يعترف النصري بحقيقة أهل البيت
ولا يسلم؟ اللهم إلاّ إذا قدّرتنا أنّهم أسلموا ، يعلنوا عن ذلك إمّا رهبةً أو رغبةً .

وقد نقل صاحب كتاب كشف الغمة في صفحة ٢٠ قول بعض النصارى في مدح
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب :

« أمير المؤمنين صرمةٌ وهما لسواه في الخلافة مطمعٌ
له النسب الأعلى وإسلامه الذي تقدم فيه والفضائل أجمعوا
ن عليه أفضل الناس كلّهم وأورعهم بعد النبيّ وأشجع
فلكنت أهوى ملّة غير ملّتي لمكنت إلاّ مسلماً أتشيع
فالمسلمون أولى بحبّ وملوّه أهل بيت النبوة ، فأجر الرسالة كلّها موقوفاً على
مودّتهم .

وعسى أن يلقي ندائي آذاناً صاغية ، وقلوباً واعية ، وعيوناً مبصرة ، فأكون بذلك
سعيداً في الدنيا والآخرة ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل

(١) المواهب اللدنية للقسطاني ٢ : ٥٣٢ الفصل الثالث في ذكر محبة أصحابه وآله ، الغدير ٣ : ٨ عن ربيع
الأبرار للزمخشري والمحسن والمسائى للبيهقي .

عملي خالصاً لوجهه الكريم تقبّل منيّ ويغفرو عنيّ ، ويغفر لي ويجعلني خادماً لمحّمّد
وعترته (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) في الدنيا والآخرة ، فإنّ في خدمتهم فوزاً
عظيماً إن ربّيّ على صراط مستقيم .
وأخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والسهّ سلام على محّمّد وآله الطيّبين
الطاهرين .

محّمّد التيجاني السماوي

مصادر التحقيق

١. الاحتجاج. أحمد بن عليّ الطبرسي ، الطبعة الثانية ١٤١٦ ، دار الأسوة.
٢. إخلق الحقّ وإزهاق الباطل. القاضي نور الله التستري ، منشورات مكتبة آية الله المرعشي ، قم - إيران.
٣. أحكام القرآن. أبو بكر محمد بن عبد الله (ابن العربي) ، دار المعرفة.
٤. أحكام القرآن. أحمد بن علي الجصاص ، الطبعة الأولى ١٤١٥ ، دار الكتب العلمية.
٥. إحياء علوم الدين. أبو حامد الغزالي ، الطبعة الأولى ١٤١٢ ، دار الهادي.
٦. الأخبار الطوال. أبو حنيفة الدينوري ، الطبعة الأولى ١٩٦٠ ، دار إحياء الكتب العربية.
٧. الاختصاص. الشيخ المفيد ، مؤسسة النشر الإسلامي.
٨. إرواء الغليل بتخريج أحاديث منار السبيل محمد بن ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ ، المكتب الاسلامي.
٩. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (بهامش الإصابة). ابن عبد البر القرطبي ، طبع عام ١٣٢٨ ، دار صادر.
١٠. أسد الغابة. ابن الأثير ، انتشارات اسماعيليان.
١١. الإصابة في تمييز الصحابة. ابن حجر العسقلاني ، الطبعة الأولى ١٤١٥ ، دار الكتب العلمية.
٢. أضواء على السنّة المحمديّة. محمود أبو رية ، نشر البطحاء.

- ١٣ . أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام . عمر رضا كحالة ، الطبعة الخامسة ١٤٠٤ ، مؤسسة الرسالة.
- ١٤ . اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم . ابن تيمية ، دار الفكر.
- ١٥ . الإمامة والسياسة . ابن قتيبة الدينوري ، تحقيق علي شيري ، الطبعة الأولى ١٤١٣ ، منشورات الشريف الرضي.
- ١٦ . أنساب الأشراف . أحمد بن يحيى البلاذري ، الطبعة الأولى ١٣٩٤ ، مؤسسة الأعلمي.
- ١٧ . بحار الأنوار . محمد باقر المجلسي ، الطبعة الثانية المصححة عام ١٤٠٣ ، مؤسسة الوفاء ، ١٨ . بدائع الصنائع . أبو بكر بن مسعود الكاشاني ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ ، المكتبة الحبيبية.
- ١٩ . البداية والنهاية . إسماعيل بن كثير الدمشقي ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ ، دار إحياء التراث العربي.
- ٢٠ . بشارة المصطفى . عماد الدين الطبري ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ ، مؤسسة النشر الإسلامي.
- ٢١ . بلاغات النساء . أحمد بن أبي طاهر ، مكتبة بصيرتي.
- ٢٢ . تاريخ ابن خلدون . ابن خلدون ، الطبعة الرابعة ، دار إحياء التراث العربي.
- ٢٣ . تاريخ الإسلام . شمس الدين الذهبي ، الطبعة الثالثة ١٤١٩ ، دار الكتاب العربي.
- ٢٤ . تاريخ الأمم والملوك . ابن جرير الطبري ، مؤسسة الأعلمي.
- ٢٥ . تاريخ بغداد . الخطيب البغدادي ، الطبعة الأولى ١٤١٧ ، دار الكتب العلمية.
- ٢٦ . تاريخ الخلفاء . السيوطي ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ.

٢٧. التاريخ الكبير . الإمام البخاري ، المكتبة الإسلامية ، ديار بكر .
٢٨. تاريخ مدينة دمشق . ابن عساكر ، طبع عام ١٤١٥ ، دار الفكر .
- ٢٩ . تاريخ يعقوبي . أحمد بن إسحاق يعقوبي ، الطبعة الأولى ١٤١٩ ، دار الكتب العلمية .
- ٣٠ . تأويل مختلف الحديث . ابن قتيبة ، دار الكتب العلمية .
- ٣١ . تحف العقول عن آل الرسول . ابن شعبة الحراني ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ ، مؤسسة النشر الإسلامي .
- ٣٢ . تذكرة الحفاظ . شمس الدين الذهبي ، مكتبة الحرم المكي .
- ٣٣ . تذكرة الخواص . سبط ابن الجوزي ، طبع عام ١٤١٨ ، منشورات الشريف الرضي .
- ٣٤ . تفسير روض الجنان وروح الجنان . أبو الفتوح الرازي ، طبع عام ١٣٩٨ ، مكتبة اسلامية .
- ٣٥ . تفسير القرآن العظيم . إسماعيل بن كثير الدمشقي ، طبع عام ١٤١٢ ، دار المعرفة .
- ٣٦ . التفسير الكبير . الفخر الرازي ، الطبعة الأولى ١٤١٥ ، دار إحياء التراث العربي .
- ٣٧ . تقييد العلم . الخطيب البغدادي ، الطبعة الثانية ١٩٧٤ ، دار إحياء السنّة النبوية .
- ٣٨ . تهذيب التهذيب . ابن حجر العسقلاني ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ ، دار الفكر .
- ٣٩ . تهذيب الكمال . يوسف المزي ، الطبعة الأولى ١٤١٣ ، مؤسسة الرسالة .
- ٤٠ . جامع الأصول في أحاديث الرسول . ابن الأثير الجزري ، الطبعة الأولى ١٤١٨ ، دار الكتب العلمية .
- ٤١ . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . محمد بن جرير الطبري ، طبع عام ١٤١٥ ،

دار الفكر.

٤٢. الجامع الصغير. جلال الدين السيوطي ، الطبعة الأولى ١٤٠١ ، دار الفكر.
٤٣. الجامع لأحكام القرآن. محمد بن أحمد القرطبي ، طبع عام ١٤٠٥ ، دار إحياء التراث العربي.
٤٤. محجّية السنّة. الشيخ عبد الغني عبد الخالق ، طبع عام ١٤٠٧ ، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
٤٥. خصائص أمير المؤمنين. أحمد بن شعيب النسائي لمكتبة القيّمة ، القاهرة.
٤٦. الخلافة والملك. أبو الأعلى المودودي ، الطبعة الأولى ١٣٩٨ ، دار القلم.
٤٧. الدرر السنيّة في الردّ على الوهابية. أحمد بن زيني دحلان ، طبع عام ١٤١٤ ، مكتبة الحقيقة ، تركيا.
٤٨. الدر المنثور. جلال الدين السيوطي ، الطبعة الأولى ١٣٦٥ ، دار المعرفة.
٤٩. دلائل الإمامة. محمد بن جرير الطبري ، الطبعة الأولى ١٤١٣ ، مؤسسة البعثة.
٥٠. ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى. أحمد بن عبد الله الطبري ، ١٣٥٦ ، مكتبة القدسي.
٥١. الدرّة الطاهرة النبويّة. محمد بن أحمد الدولابي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ ، الدار السلفية.
٥٢. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار. محمود بن عمر الزمخشري ، طبع عام ١٤٠٠ ، منشورات الشريف الرضي.
٥٣. روضة الواعظين. محمد بن الفتال النيسابوري ، منشورات الشريف الرضي.
٥٤. الرياض النضرة في مناقب العشرة. أحمد بن عبد الله الطبري ، الطبعة الأولى ١٤١٨ ، دار المعرفة.

٥٥. زاد المسير في علم التفسير . ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ ، دار الفكر .
٥٦. زاد المعاد . ابن القيم الجوزية ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٤٢١ هـ
٢٠٠٠ م .

٥٧. سرّ العلمين . أبو حامد الغزالي ، الطبعة الأولى ١٤٢١ ، دار الآفاق العربية .
٥٨ . سنن ابن ماجة . القزويني . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ .
١٩٩٨ م .

٥٩. سنن ابن ماجة . محمد بن يزيد القزويني ، دار الفكر .
٦٠ . سنن ابن ماجة وبهامشه مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة للبوصيري . تحقيق
وتخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ . ١٩٩٨ م مكتبة
المعارف .

٦١ . سنن أبي داود . سليمان بن الأشعث السجستاني ، الطبعة الأولى ١٤١٠ ، دار
الفكر .

٦٢ . السنن . أحمد بن شعيب النسائي ، الطبعة الأولى ١٣٤٨ ، دار الفكر .
٦٣. سنن الترمذي . محمد بن عيسى الترمذي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ ، دار الفكر .
٦٤ . سنن الدارقطني . علي بن عمر الدارقطني ، الطبعة الأولى ١٤١٧ ، دار الكتب
العلمية .

٦٥ . السنن الكبرى . أحمد بن الحسين البيهقي ، دار الفكر .
٦٦ . السنن الكبرى . أحمد بن شعيب النسائي ، الطبعة الأولى ١٤١١ ، دار الكتب
العلمية .

٦٧ . سير أعلام النبلاء . الذهبي ، الطبعة التاسعة ١٤١٣ ، مؤسسة الرسالة .
٦٨ . السيرة الحلبية . علي بن إبراهيم الحلبي ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ ، دار الكتب

العلمية.

٦٩. السيرة النبوية. أحمد بن زيني دحلان ، الطبعة الأولى ١٤١٦ ، دار إحياء التراث

العربي.

٧٠. شرح الأخبار. القاضي أبو حنيفة النعمان المغربي ، الطبعة الأولى ١٤١٤ ، دار

الثقلين.

٧١. شرح نوح البلاغة. ابن أبي الحديد ، دار إحياء الكتب العربية.

٧٢. الشفا بتعريف حقوق المصطفى. القاضي عياض اليعقوبي ، طبع عام ١٤٠٩ ،

دار الفكر.

٧٣. شواهد التنزيل. الحاكم الحسكاني ، الطبعة الأولى ١٤١١ ، مجمع إحياء الثقافة

الإسلامية.

٧٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. محمد بن حبان بن أحمد ، الطبعة الثانية

١٤١٤ ، مؤسسة الرسالة.

٧٥. صحيح الجامع الصغير. محمد بن ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثالثة ١٤٢١ ،

المكتب الإسلامي.

٧٦. صحيح سنن أبي داود. محمد بن ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ.

٢٠٠٢ م مكتبة المعارف.

٧٧. صحيح سنن الترمذي. محمد بن ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ.

٢٠٠٢ م ، مكتبة المعارف للطباعة والنشر.

٧٨. صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج النيسابوري ، دار الفكر.

٧٩. الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم. زين الدين البياضي ، الطبعة الأولى

١٣٨٤ ، المكتبة المرتضوية.

٨٠. الصواعق المحرقة - ابن حجر الهيتمي ، الطبعة الأولى ١٤١٧ ، مؤسسة الرسالة.
٨١. الطبقات الكبرى - ابن سعد ، دار صادر.
٨٢. عبقرية خالد - عباس محمود العقاد ، طبع عام ١٩٩٦ ، دار نهضة مصر.
٨٣. العقد الفريد - أحمد بن محمد بن عبد ربه ، طبع عام ١٤١٧ ، دار الكتب العلمية.
٨٤. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري - بدر الدين العيني ، الطبعة الأولى ١٤٢١ ، دار الكتب العلمية.
٨٥. الغدير - عبد الحسين الأميني ، طبعة سنة ١٣٧٩ هـ ، دار الكتاب العربي - بيروت.
٨٦. غريب الحديث - ابن قتيبة الدينوري ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ ، دار الكتب العلمية.
٨٧. الفائق في غريب الحديث - محمود الزمخشري ، الطبعة الأولى ١٤١٧ ، دار الكتب العلمية.
٨٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة.
٩٠. فتح القدير - محمد بن علي الشوكاني ، نشر عالم الكتب.
٩٠. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، طبع عام ١٤١٩ ، جمعية الإسلام الخيرية.
٩١. فتنة الوهابية - أحمد بن زيني دحلان ، طبع في مكتبة اشيق كتاب أوى - تركيا.
٩٢. الفصول المختارة - الشيخ المفيد ، الطبعة الثانية ١٤١٤ ، دار المفيد.
٩٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير - محمد بن عبد الرؤوف المناوي ، الطبعة الأولى ١٤١٥ ، دار الكتب العلمية.
٩٤. الكافي - محمد بن يعقوب الكليني ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ ، دار الكتب الإسلامية.

- ٩٥ . الكامل في التاريخ . ابن الأثير الشيباني ، دار صادر .
- ٩٦ . كتاب السنّة . عمرو بن أبي عاصم ، الطبعة الثالثة ١٤١٣ ، المكتب الإسلامي .
- ٩٧ . كتاب المجروحين . محمد بن حبان البستي ، تحقيق محمود إبراهيم زايد .
- ٩٨ . الكشّاف . جار الله الزمخشري ، الطبعة الأولى ١٤١٤ ، مكتبة الإعلام الإسلامي .
- ٩٩ . كشف الخفاء ومزيل الالباس . إسماعيل بن محمد العجلوني ، الطبعة الثانية ١٤٠٨ ، دار الكتب العلمية .
- ١٠٠ . كشف الغمّة في معرفة الأئمة . علي بن عيسى الإرزلي ، دار الأضواء .
- ١٠١ . كنز العمال . المتقي الهندي ، مؤسسة الرسالة .
- ١٠٢ . لباب النقول في أسباب النزول . جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية .
- ١٠٣ . اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان . محمد بن فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر .
- ١٠٤ . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . نورالدين الهيثمي ، طبعة سنة ١٤٠٨ ، دار الكتب العلمية .
- ١٠٥ . المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين ، الطبعة الخامسة ١٩٩٦ ، الشركة العالمية للكتاب .
- ١٠٦ . مختصر صحيح البخاري . الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الخامسة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- ١٠٧ . المختصر في أخبار البشر . أبو الفداء إسماعيل بن علي ، الطبعة الأولى ١٤١٧ ، دار الكتب العلمية .
- ١٠٨ . مروج الذهب ومعادن الجوهر . علي بن الحسين المسعودي ، طبع عام ١٤٠٦ ، دار الهجرة .
- ١٠٩ . المبسوط . السرخسي ، تحقيق جمع من الأفاضل ، دار المعرفة ١٤٠٦ هـ .

- ١١٠ . المستدرك على الصحيحين . الحاكم النيسابوري ، طبع عام ١٤٠٦ ، دار
المعرفة.
- ١١١ . المستصفي في علم الأصول . أبو حامد الغزالي ، طبع عام ١٤١٧ ، دار
الكتب العلمية.
- ١١٢ . المسند . أبو داود الطيالسي ، دار الحديث . بيروت .
- ١١٣ . مسند أبي يعلى . أحمد بن علي التميمي ، دار المأمون للتراث .
- ١١٤ . مسند أحمد بتحقيق أحمد حمزة الزين ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ . ١٩٩٥ م ،
دار الحديث . القاهرة .
- ١١٥ . مسند أحمد بتحقيق العلامة أحمد شاكر ، نشر دار الجيل .
- ١١٦ . المسند . أحمد بن حنبل ، دار صادر .
- ١١٧ . المصنّف . ابن أبي شيبه الكوفي ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ ، دار الفكر .
- ١١٨ . المصنّف . عبد الرزاق الصنعاني ، الناشر : المجلس العلمي .
- ١١٩ . المعجم الأوسط . سليمان بن أحمد الطبراني ، دار الحرمين .
- ١٢٠ . المعجم الصغير . سليمان بن أحمد الطبراني ، دار الكتب العلمية .
- ١٢١ . المعجم الكبير . سليمان بن أحمد الطبراني ، مكتبة ابن تيمية .
- ١٢٢ . المعيار والموازنة . أبو جعفر الاسكافي ، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي .
- ١٢٣ . المغني في الضعفاء . الذهبي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ .
١٩٩٨ م .
- ١٢٤ . المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم . القرطبي ، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ
١٩٩٩ م دار ابن كثير .
- ١٢٥ . مقاتل الطالبين . أبو الفرج الأصفهاني ، طبع عام ١٤١٤ ، منشورات
الشريف الرضي .